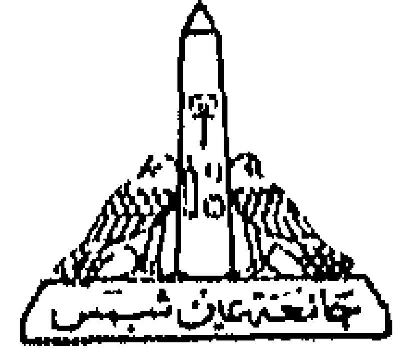
أ.د. أحمد عبد الرازق أحمد

أ.د. محمد إسماعيل عبد الرازق

أ.د. حسن أحمد محمود



كلية الآداب
قسم التــاريخ

# الحياة الثقافية في الإسكندرية
# في
# عصر سلاطين المماليك

( ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م )

رسالة مقدمة من الطالب

**سيد محمود محمد عبد العال**

المدرس المساعد بكلية التربية بالفيوم ـ جامعة القاهرة

لنيل درجة الدكتوراه في الآداب
شعبة التاريخ الإسلامي

إشراف
الأستاذ الدكتور
محمود إسماعيل عبد الرازق
أستاذ التاريخ الإسلامي
كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

١٤٢٥هـ / ٢٠[illegible]م

جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم التاريخ

| | | |
|---|---|---|
| اسم الطالب | : | سيد محمود محمّد عبد العال . |
| الدرجة العلمية | : | الدكتوراه |
| القسم التابع له | : | التاريخ . |
| اسم الكلية | : | الآداب . |
| الجامعة | : | عين شمس . |
| سنة المنح | : | ٢٠٠٥م . |

جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم التاريخ

رسالة دكتوراه

اسم الطالب : سيد محمود محمد عبد العال .

عنوان الرسالة : الحياة الثقافية في الإسكندرية
في
عصر سلاطين المماليك
( ٦٤٨ ــ ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ــ ١٥١٧م)

اسم الدرجة : دكتوراه

لجنة الإشراف

الاسم : أ.د/ محمود إسماعيل عبد الرازق

الوظيفة : أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية – كلية الآداب
جامعة عين شمس

تاريخ البحث : / /

| | |
|---|---|
| الدراسات العليا | |
| ختم الإجازة | أجيزت الرسالة بتاريخ |
| / / ٢٠٠ | ٨/ ٦/ ٢٠٠٥ |
| موافقة مجلس الكلية | موافقة مجلس الجامعة |
| / / ٢٠٠ | / / ٢٠٠ |

# إهداء

إلى أستاذي

الأستاذ الدكتور<br>أحمد عبد الرازق أحمد

الأستاذ الدكتور<br>محمود إسماعيل عبد الرازق

**مع خالص تقديري واحترامي ،،،**



# المقدمة

تتناول هذه الدراسة موضوع الحياة الثقافية في الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك إذ تعد الإسكندرية من أهم المراكز الثقافية في مصر وقت إذ ، والتي تتمثل في القاهرة والإسكندرية وقوص عاصمة أقليم الصعيد الأعلى ، وقد شهدت الإسكندرية نشاطاً ثقافياً واسع النطاق نتيجة لما تتميز به الإسكندرية من موقع جغرافي متميز والإزدهار التجاري الذي نعمت به المدينة والذي ارتبط بإزدهار الحياة الثقافية بالإسكندرية حيث شارك التجار مشاركة فعلية في فعاليات الثقافة بها فكان منهم المحدثين والفقهاء والأدباء والشعراء مع ممارستهم للتجارة ، فضلاً عن بناءهم للعديد من مؤسساتها الثقافية من مساجد ومدارس ورُبط وغير ذلك ، بالإضافة إلى كثرة الجاليات الأوروبية بالإسكندرية وقتئذ الأمر الذي أحدث احتكاكاً ثقافياً مع هؤلاء الأوروبيين بحيث لم يقتصر الأمر على التجارة فقط ، كما خصصت الدولة عائدات الضرائب على التجارة مع هؤلاء الأوروبيين للإنفاق على علماء وفقهاء الإسكندرية منذ عهد صلاح الدين بن أيوب .

هذا في الوقت الذي شهدت فيه مصر – بما فيها الإسكندرية – نشاطاً سياسياً وعسكرياً وثقافياً واسع النطاق نتيجة للظروف التاريخية التي أحاطت بالعالم الإسلامي في منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، مما أدى إلى قيام دولة سلاطين المماليك بدور القوة المدافعة عن العالم الإسلامي . مما جعل مصر – بما فيها الإسكندرية – مقصداً للعلماء والفقهاء وطلاب العلم من شتى أنحاء العالم الإسلامي ، ففي المغرب والأندلس أدت حركة الاسترداد الأسباني إلى هجرة العديد من العلماء المغاربة والأندلسيين إلى امصر وبخاصة الإسكندرية ، والذين قاموا بدوراً هاماً في الحياة الثقافية في الإسكندرية ويكفي دليل على ذلك أن معظم أحياء الإسكندرية حالياً تسمى بأسماء هؤلاء العلماء كالشاطبي والمرسي والطرطوشي وغيرهم ، وفي المشرق الإسلامي كان الاجتياح المغولي لدول المشرق الإسلامي وسقوط المراكز الثقافية كبخارى وسمرقند والري وترمذ ، وسقوط أهم مركز ثقافي في العالم الإسلامي وقتئذ والمتمثل في بغداد عاصمة العالم الإسلامي ثم أحياء الخلافة العباسية في القاهرة ، مما جعل مصر قبلة العلماء وكعبة العلم ، الأمر الذي أفضى إلى هجرات كثيرة لعلماء تلك البلاد إلى الإسكندرية واستقرت بها أسر عراقية وشامية مما أدى إلى رواج الحياة الثقافية في الإسكندرية .

هذا في الوقت الذي ازدهرت فيه حركة بناء المؤسسات الثقافية في الإسكندرية ويأتي على رأسها المدارس ، إذ تعد الإسكندرية أول مدينة مصرية عرفت المدرسة كمؤسسة ثقافية فضلاً عن المساجد والرُبط والخانقاوات ، الأمر الذي قوى التيارات الثقافية في الإسكندرية وأدى إلى ظهور العديد من المدارس الفقهية ، والصوفية بحيث أصبحت الإسكندرية منارة ثقافية في مصر وفي عالم البحر المتوسط وقتئذ .

وعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع ، - وكثرة الدراسات الخاصة بتاريخ الإسكندرية الإسلامية خلال الخمسين سنة الماضية - فإنه لم يحظ بدراسة علمية تحاول إبراز جميع جوانبه ومظاهره ، وكل ما كتب عنه لا يتعدى بضع ورقات معدودة لا تغطي الموضوع ، مثال ذلك ما كتبه الأثري المرحوم حسن عبد الوهاب في مقال له عن " الإسكندرية في العصر الإسلامي " (١) تناول بعض أسماء علماء الإسكندرية خلال العصر الإسلامي وبعض مدارسها ، وما كتبه المرحوم الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال في كتبه ومقالاته عن الإسكندرية مثل كتاب " أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي " (٢) وكتاب " تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي " (٣) ومقالة " الإسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر " (٤) ، ومقالة " الإسكندرية في العصرين الأيوبي والمملوكي " (٥) . حيث تناول الحياة الثقافية والعلمية بصورة عابرة إذ تعد هذه المؤلفات كتابات تكوينية لتاريخ الإسكندرية في العصر الإسلامي بصورة عامة بسبب الإهمال الذي أصابها في الكتابات التاريخية السابقة .

وسار على نهجه المرحوم الأستاذ الدكتور / السيد عبد العزيز سالم في كتابه " تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي " حيث تناول الحياة العلمية في الإسكندرية في عصري الأيوبيين والمماليك في عدة ورقات معدودة وذكر بعض مدارسها .

وكذلك ما كتبه الأستاذ الدكتور حامد زيان في مقال له تحت عنوان " الإسكندرية منارة للعلم في البحر المتوسط عصر المماليك " حيث تناول بعض عوامل ازدهار الحركة العلمية في الإسكندرية ، وبعض مدارسها وما كتبه بعض الرحالة المغاربة والأندلسيين عن الإسكندرية ، ويؤخذ عليه أنه تناول الموضوع بصورة سريعة ، بحيث لم يغطي جوانب الموضوع ، وأهمل العديد من نواحيه .

مما يعني أن الموضوع يحتاج إلى دراسة أكاديمية تقوم على أسس علمية تحاول إبراز جميع جوانبه المختلفة ، وإلقاء الضوء على هذا الموضوع ، الأمر الذي جعلني أقدم على اختياره موضوعاً لرسالة الدكتوراه .

والتناول الموضوعي لهذا الموضوع يطرح عدة مباحث مهمة تضفي على الدراسة مزيداً من الأهمية ، خاصة وأنه كلما زادت الأشكاليات زادت فرص الباحث في محاولة الرصد واقتراح الحلول لها وإيجاد حلول للإشكاليات المطروحة في مختلف أقسام هذه الدراسة يستلزم إتباع منهج معين وقد آثرت أن يشتمل هذا المنهج على رصد المعلومات من أجل تكوين هيكل أولي للموضوع ، ثم إتباع المنهج التاريخي في دراسة كل ظاهرة منذ بداية العصر المملوكي وحتى نهايته مع توضيح أهم المنعطفات والتحولات التي

---

(١) مجلة الكتاب ، عدد يناير ١٩٤٧ .

(٢) دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

(٣) دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .

(٤) المجلة التاريخية ، أكتوبر ١٩٤٩ .

(٥) كتاب العرفة التجارية بالإسكندرية ، ١٩٤٩ .

(٦) ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

مرت بها المظاهر الثقافية ، ومن ثم أخلص إلى الأسلوب الوصفي التحليلي في تفسير جوانب الموضوع المختلفة .

وعلى ضوء هذا المنهج قسمت هذه الدراسة إلى سبعة فصول يتصدرها مقدمة وتعقبها خاتمة .

فتناولت في الفصل الأول " العوامل التي أدت إلى ازدهار الحياة الثقافية في الإسكندرية " حيث قسمتها إلى عوامل مباشرة كالموقع الجغرافي المتميز للإسكندرية ، والإزدهار التجاري الذي نعمت به ، وكثرة الرحالة إلى الإسكندرية على اختلاف مشاربهم ، ومشاركة كل من نواب المدينة والمنفيين واللاجئين السياسيين بها وعوامل غير مباشرة كسقوط المراكز الثقافية في المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي وأحياء الخلافة بمصر .

وتناولت في الفصل الثاني " مراكز الثقافة " في الإسكندرية ، حيث قسمتها إلى ثلاثة أنواع : النوع الأول : مراكز الثقافة الدينية وتشمل المساجد والربط والخانقاوات والزوايا ، والنوع الثاني : مراكز الثقافة التعليمية ، مثل المدارس ودور الحديث والكتاتيب والمكتبات والبيمارستانات ، والنوع الثالث : وتشمل مراكز الثقافة العامة ، كحوانيت الوراقة وأسواقها ، ومنازل العلماء ، والأسواق التجارية .

وخصصت الفصل الثالث لدراسة العلوم التي تعد مواد التكوين الثقافي للمثقفين ، وقسمتها إلى قسمين الأول ، ويشمل العلوم النقلية كعلوم التفسير والقراءات والحديث والفقه وأصوله ، واللغة ، والثاني ويشمل العلوم العقلية كعلم الطب والحساب والجبر والمقابلة والهيئة والمواقيت والكيمياء والحيوان والمنطق وغير ذلك .

أما الفصل الرابع فتناول الأدب السكندري على اعتباره من الأركان الهامة للثقافة والمرآة العاكسة لثقافة المجتمع ، حيث درسنا الشعر وفنونه من شعر الطبيعة والشعر السياسي والمدح ، والمدائح النبوية ، والشعر الصوفي والهجاء والرثاء والمناظرات الشعرية ، والنثر وفنونه ، كالكتابات الرسمية والرسائل الإخوانية ، وأدب الحكم والمناجاة والدعاء والخطابة ، والأدب التمثيلي والذي يمثله خيال الظل الذي يجمع بين الشعر والنثر في شكل تمثيلي ، والأدب الشعبي الذي انتجه الشعب ولا يعرف مؤلفه على وجه التحديد لذا ينسب للشعب ، كالأمثال الشعبية والحكاية الشعبية .

والفصل الخامس تعرض لدراسة التاريخ والمؤرخون في الإسكندرية ، وما قدمته الإسكندرية من مساهمات في علم التاريخ وقد قسمنا هؤلاء المؤرخين إلى فئتين ، الأولى : المؤرخون الفقهاء ويمثلهم منصور بن سُليم المعروف بالعمادية صاحب تاريخ الإسكندرية ، والنويري السكندري صاحب كتاب الإلمام الذي أرخ لحملة القبارصة على الإسكندرية ، والفئة الثانية المؤرخون من رجال السيف من نواب الإسكندرية ويمثلهم خليل بن عرام وخليل بن شاهين .

وتناول الفصل السادس العمارة والفنون في الإسكندرية والذي يمثل الجانب المادي للثقافة ويشمل العمارة بكل أنواعها ، كالعمارة العسكرية من القلاع والأسوار والأبراج والأبواب وقاعات السلاح ، والعمارة التجارية كالأسواق والفنادق والقياسر والوكالات

والخانات ، والعمارة الإدارية من دار السلطان ، ودار النيابة ودار العدل ودار الضرب ودار الطراز ودار الصناعة وبيت المال ، والعمارة الدينية والعلمية كالمساجد والخانقاوات والربط والزوايا والمدارس والأضرحة ودور الحديث ، والعمارة المدنية الاجتماعية كالصهاريج والأسبلة والحمامات والبيمارستان ، والفنون التطبيقية مثل فن النسيج والخزف والزجاج وغيرها من الفنون التي اشتهرت بها الإسكندرية .

والفصل السابع خصص لدراسة التصوف في الإسكندرية ، حيث درسنا أسباب انتشار وازدهار التصوف في العصر المملوكي عامة ، والإسكندرية خاصة ، ثم نشأة التصوف بالإسكندرية واتجاهات التصوف ، كالطرق الصوفية مثل الرفاعية والشاذلية ، وأصحاب الربط والخانقاوات أو ما يسمى بالتصوف الرسمي ، والزهاد ، ثم المجاذيب والدراويش.

ثم أنهيت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة بالإضافة إلى مجموعة من الملاحق ومجموعة من الخرائط والأشكال واللوحات كما ذيلت الدراسة بثبت لأهم الوثائق والمصادر المخطوطة والمطبوعة والمراجع العربية والأجنبية .

وقد اعتمدت في إعداد هذه الدراسة على مجموعة كبيرة من الوثائق والمخطوطات والمصادر المعاصرة العربية والأجنبية ، فضلاً عن العديد من المراجع والأبحاث الحديثة العربية والأجنبية .

أولاً : الوثائق :-

ويمكن تقسيم الوثائق التي أفادت الدراسة إلى ثلاث مجموعات ، الأولى : الوثائق المخطوطة في أرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة ، ودار الوثائق القومية ، وهي حجج الوقف التي تعد مصدراً خصبًا أصيلا لا مثيل له لدراسة الحياة الثقافية في مصر المملوكية حيث ورد بها من المعلومات التي لم تنص عليها كتابات المؤرخين المعاصرين – على الرغم من أن الوثائق التي تخص الإسكندرية قليلة جداً بالنسبة للقاهرة – حيث أمدتنا بأسماء بعض المدارس بالإسكندرية وتحديد مواقع بعضها ، والنظم المعمول بها ببعض الرُبط بالإسكندرية وكذلك قلاع الإسكندرية .

والثانية مجموعة الوثائق بأرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية والتي ترجع إلى العصر العثماني ، ويأخذ على هذه السجلات أنها تسجل كل الوثائق الخاصة بكل عام على حدة أي غير مصنفة حسب الموضوعات ، وعلى الرغم من ذلك فقد أمدتنا بالعديد من المعلومات عن المؤسسات الثقافية في الإسكندرية وبعض الوظائف بها ، كما تشمل الكثير من حجج الوقف على المساجد والأضرحة في الإسكندرية .

والثالث : فتتمثل فيما عثر عليه في ثنايا بعض المصادر العربية التي ترجع إلى عصر سلاطين المماليك مثل كتاب " التعريف بالمصطلح الشريف " لابن فضل الله العمري المتوفي عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م ، وكتاب " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " للقلقشندي المتوفي في عام ٨٢١هـ/١٤١٨م ، حيث أمدنا بالعديد من مراسيم تعيين نواب الإسكندرية وقضائها وحسبتها ونظرها ونظر الصادر والوارد بها ونظر دار الطراز بها وتولي خطبة الثغر وقرارات تعيين المدرسين بها وغير ذلك .

ثانياً : النقـــوش :-

ومن مصادر الدراسة الهامة النقوش الكتابية ، والتي تعد مـن المصـادر الأثريـة المهمة التي يصعب الطعن في قيمتها أو التشكك في أصالتها ، فهي من جهة معاصـرة للحقائق والأحداث التي تسجلها ، كما أنها محايدة فتعوض النقص وتسـد الفـراغ فـي المصادر التاريخية ، والجهة الثانية فإنها تمتاز إن تواريخها صـحيحة إلا فيمـا نـدر والأعلام التي تذكر بها يقل التحريف والتصحيف بها ، ومن جهة ثالثة فهي تفيـد فـي مراقبة أقوال المؤرخين وإثبات صحتها أو الكشف عن أخطائها ، كما أنها تمـيط اللثـام عن حقائق كثيرة جديدة مستمدة منها [(١)] .

وقد قدمت لنا النقوش العديد من لوحات تأسيس أو تجديد العديد من مراكز الثقافة في الإسكندرية تنفرد بها النقوش وتصحح ما ورد في المصادر التاريخية التقليدية .

ثالثاً : كتب الطبقات والتراجم :-

تعد كتب الطبقات والتراجم من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة اعتمـاداً كلياً بحيث احتوت على معلومات غزيرة أفادت الدراسة أيمـا إفـادة ، فكانـت تتـرجم للأشخاص بذكر أسمائهم ونسبهم ومكان الميلاد وتاريخه وأصلهم ومكان الوفاة وتاريخه والمذهب الفقهي وأسماء شيوخهم وتلاميذهم ومن أجاز لهم والعلوم التي برعوا فيهـا والمؤلفات التي قرأوها أو التي ألفوها والمدارس التي تعلموا بها أو التي تدرسوا بهـا ورحلاتهم العلمية وما نظموه من شعر وما كتبوه من نثر بحيث أصبحت الترجمـة تعـد ملف شامل عن من تترجم له .

ومن حسن الحظ أن فن التراجم قد بلغ أوج ازدهاره في عصر سـلاطين المماليـك ولدينا عشرات الطبقات الخاصة بكل فئة من فئات المجتمـع فهنـاك طبقـات المـذاهب الفقهية كطبقات الشافعية ، وطبقات المالكية ، وطبقات الحنفية ، وطبقـات الحنابلـة ، وطبقات الشيعة ، وهناك طبقات الفقهاء ، وطبقـات الحفـاظ ، وطبقـات المحـدثين ، وطبقات القراء ، وطبقات الصوفية ، وطبقات النحويين واللغويين ، وطبقـات الأطبـاء والحكماء ، وطبقات الشعراء ، وطبقات القضاة وهناك تراجم قرن معين ، مثـل تـراجم القرنين السادس والسابع لأبي شامة ، والدرر الكامنة لأعيان القرن الثامن لابن حجـر العسقلاني وغيرهم وسنتناول أهم كتب التراجم التي استفادت منها الدراسة .

أ - طبقات المذاهب الفقهية :- تعددت كتب طبقات المذاهب الفقهية والتـي أمـدتنا بمادة غنية استفادت الدراسة من ذلك :-

١ - طبقات الشافعية: ويأتي على رأسها كتاب " طبقات الشافعية " [(٢)] لابـن الصـلاح المتوفي في عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م وقد أمدنا بتراجم العديد من فقهـاء الشـافعية فـي الإسكندرية حتى النصف الأول من القرن السابع الهجري ، وكتاب " طبقات الشافعية .

---

(١) محمد حمزة إسماعيل الحداد ، النقوش الأثارية مصدراً للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، المجلد الأول ، ص١٠ .

(٢) تحقيق محيي الدين علي بخيت ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٩٩٢ .

الكبرى " (1) للسبكي المتوفي في عام ٧٧١هـ/١٣٩٦م وقد أمدنا بتراجم فقهاء الشافعية في الإسكندرية حتى منتصف القرن الثامن الهجري ، وكتاب " طبقات الشافعية " لجمال الدين الأسنوي المتوفي عام ٧٩٩هـ/١٣٧٠م الذي أمدنا بكثير من المعلومات عن فقهاء الشافعية بالإسكندرية والمدارس التي درسوا بها وبخاصة مدرسة الحافظ السلفي بالإسكندرية وأهم المدرسين بها (2) ، وكتاب " طبقات الفقهاء الشافعيين " لابن كثير المتوفي عام ٧٧٤هـ/١٣٧٢م ووضع عليه العبادي أحد تلاميذ ابن كثير ذيلا تحت عنوان " ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين " (3) وقد مال كل من ابن كثير والعبادي إلى الاختصار في تراجم الشافعية ، وكتاب " طبقات الفقهاء الشافعية " (4) لتقي الدين ابن قاضي شهبة المتوفي عام ٨٥١هـ/١٤٤٧م ، والذي أمد الدراسة بأعلام الشافعية في الإسكندرية حتى منتصف القرن التاسع الهجري .

٢ - طبقات المالكية ويأتي على رأسها كتاب " الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب " لابن فرحون المالكي المتوفي عام ٧٩٩هـ/١٣٩٦م (5) الذي ترجم لفقهاء المالكية من الإمام مالك بن أنس إلى نهاية القرن الثامن الهجري وأمدنا بمعلومات غزيرة عن فقهاء المالكية بالإسكندرية الذين يعتبرون السواد الأعظم من فقهاء الإسكندرية وأسماء المدارس المالكية بالإسكندرية .

وكذلك كتاب " شجرة النور الزكية في طبقات المالكية " (6) لمحمد بن مخلوف المنستيري المتوفي في القرن ١١هـ/١٧م والذي ترجم لكل أعلام فقهاء المالكية في الإسكندرية حتى نهاية العصر المملوكي .

٣ - طبقات الحنفية والتي ترجمت لفقهاء المذهب الحنفي ، وقد أمدتنا بتراجم لفقهاء الحنفية بالإسكندرية ويأتي على رأسها كتاب " الطبقات السنية في تراجم الحنفية " (7) لتقي الدين التميمي الداري الغزى المتوفي عام ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م ، والذي ترجم لأعلام الحنفية بالإسكندرية حتى نهاية العصر المملوكي وأهم الوظائف التي تولوها وبخاصة قضاء الحنفية بالإسكندرية .

ب - طبقات العلماء المتخصصة في علم من العلوم كعلم الحديث والقراءات والتفسير والنحو والطب والتصوف وغير ذلك :-

١ - طبقات علماء الحديث ، وهي التي تترجم لعلماء الحديث وقد قسمتهم إلى فئات

---

(١) ١٠ أجزاء ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، د.ت .

(٢) جزاءن ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ .

(٣) قام بتحقيق هذين الكتابين معاً أحمد عمر هاشم ومحمد زينهم عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

(٤) جزءان ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت .

(٥) جزاءن ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

(٦) دار الفكر للطباعة والنشر ، د.ت .

(٧) ٤ أجزاء ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، الرياض ، ١٩٨٣ - ١٩٨٩ .

فهناك طبقات الحفاظ ، ويأتي على رأسها كتاب " تذكرة الحفاظ " [1] للحافظ الذهبي المتوفي في عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م وترجم فيه الذهبي لعلماء الإسكندرية الذين بلغوا درجة الحفظ حيث قسمه لمجموعة من الطبقات حتى النصف الأول من القرن الثامن الهجري وذيل العديد من العلماء على كتاب تذكرة الحفاظ " والذين استفادت الدراسة منهم ,ككتاب " ذيل تذكرة الحفاظ " للحافظ الحسيني الدمشقي المتوفي عام ٧٦٥هـ/١٣٦٣م استكمل تراجم علماء الحديث في الإسكندرية ، ثم كتاب " لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ " لتقي الدين بن فهد المكي المتوفي عام ٨٧١هـ/١٤٦٦م ، وكذلك كتاب " طبقات الحفاظ " [2] للسيوطي المتوفي عام ٩١١هـ/١٥٠٥م ، وترجمت هذه الكتب لعلماء الحديث بالإسكندرية حتى نهاية العصر المملوكي .

وهناك طبقات المتحدثين الذين يعدون أقل درجة من الحفاظ ويمثلهم كتاب " المعين في طبقات المحدثين " [3] للذهبي والذي اشتمل على تراجم المحدثين والعلماء والفقهاء سواء أكانوا من الرجال أو من النساء منذ القرن الأول الهجري إلى منتصف القرن الثامن الهجري وترجم لعدد كبير من محدثي الإسكندرية ..

٢ - طبقات المفسرين ، والتي اهتمت بدراسة حياة المفسرين ، ويأتي على رأسها كتاب " طبقات المفسرين " [4] للسيوطي وكتاب " طبقات المفسرين " [5] للداوودي المتوفي عام ٩٤٥هـ/١٥٣٨م ، وقد جمع في إسهاب تراجم أعلام المفسرين حتى أوائل القرن العاشر الهجري ، وأمدنا بمعلومات غزيرة عن هؤلاء الأعلام وأهم المؤلفات التي أسهموا بها في هذا العلم .

٣ - طبقات القراء ، وهي خاصة بأعلام علماء القراءات ، ويأتي على رأسها كتاب " طبقات القراء " [6] للذهبي ، حيث أمدنا الذهبي بعشرات التراجم لعلماء القراءات في الإسكندرية والذين أخذ عنهم علماء القراءات بها وأهم مؤلفاتهم في هذا العلم ، وله أيضاً كتاب " معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار " [7] وخصصه الذهبي لكبار علماء القراءات فقط وقسمه إلى مجموعة من الطبقات أيضاً وأمدنا بأسماء العديد من كبار القراء بالإسكندرية حتى منتصف القرن الثامن الهجري ، ومن أهم كتب طبقات القراء التي استفادت الدراسة منها كتاب " غاية النهاية في طبقات القراء " [8] لابن الجزري المتوفي في عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م ، الذي يعد أشمل كتاب في طبقات القراء منذ القرن الأول حتى النصف الأول من القرن التاسع الهجري ، والذي جمع أكثر من ثلاثة ألف ترجمة لعلماء القراءات ، والذي أمدنا بتراجم مئات من علماء القراءات

---

(١) ٤ أجزاء ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٩٥٧ .
(٢) طبعت هذه الكتب الثلاثة في مجلد واحد ، دمشق ، ١٣٤٧هـ .
(٣) تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
(٤) تحقيق Meúrsinge ، طهران ، ١٩٦٠ .
(٥) جزاءن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
(٦) تحقيق أحمد خان ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٧ .
(٧) جزاءن ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
(٨) يقع في ثلاثة أجزاء ، تحقيق برجشتراسر ، القاهرة ، ١٩٣٣ .

بالإسكندرية ومؤلفاتهم العلمية والكثير من المعلومات عن نشاطهم العلمي وأساتذتهم وتلامذتهم وغير ذلك الأمر الذي أثرى الدراسة .

٤ - طبقات النحويين واللغويين ، التي اهتمت بعلماء اللغة وبخاصة النحويين منهم ، مثل كتاب " طبقات النحويين واللغويين " (١) للزبيدي ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م ، وكتاب أبناء الرواة على أبناء النحاة " (٢) للقفطي المتوفي عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م ، اللذان أشار إلى علماء اللغة والنحو في الإسكندرية حتى القرن السابع الهجري ، وكتاب " إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين " (٣) لعبد الباقي اليماني المتوفي عام ٧٤٣هـ/١٣٤٢م وكتاب " طبقات النحاة واللغويين " (٤) لتقي الدين بن قاضي شهبة ، وكتاب " بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة " (٥) للسيوطي ، وقد رصدت لنا أسماء علماء اللغة في الإسكندرية طوال العصر المملوكي مما أفادنا في دراسة علم النحو في الإسكندرية في تلك الفترة .

٥ - طبقات الأطباء ويأتي على رأسها كتاب " عيون الأنباء في طبقات الأطباء " (٦) لابن أبي أصيبعة المتوفي في عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م والذي أفاد الدراسة بالوقوف على جذور علم الطب في الإسكندرية حتى منتصف القرن السابع الهجري .

٦ - طبقات الصوفية والتي تحدثت عن مناقب الصوفية وكراماتهم وحياتهم ويأتي في مقدمتهم كتاب " رسالة صفي الدين بن أبي المنصور " (٧) لصفي الدين بن أبي المنصور ت ق ٧ هـ/١٣م ، الذي ترجم فيها لعدد كبير من الصوفية في الإسكندرية ممن عاصرهم في القرن السابع الهجري .

وكتاب " الطبقات الكبرى المسماه بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار " (٨) للشعراني المتوفي في عام ٩٧٣هـ/١٥٦٥م الذي ترجم لأعلام التصوف في الإسكندرية في العصر المملوكي ، وكذلك كتاب " الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية أو طبقات المناوي الكبرى " (٩) لعبد الرؤوف المناوي المتوفي عام ١٠٣١هـ والذي رتبه على حروف المعجم مترجماً لأعلام التصوف طوال العصر الإسلامي ، فترجم لصوفية الإسكندرية طوال العصر المملوكي .

جـ- كتب التراجم العامة :-

وهذه الكتب ترجمت لأعيان المجتمع سواء كانوا من السلاطين و الأمراء و من

---

(١) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
(٢) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢ .
(٣) تحقيق عبد المجيد دياب ، الرياض ، ١٩٨٦ .
(٤) تحقيق محسن عياض ، بغداد ، ١٩٧٤ .
(٥) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، ١٩٦٤ .
(٦) دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
(٧) تحقيق ديني جريل ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٨٦ .
(٨) دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨ .
(٩) تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

التجار و من العلماء والفقهاء ، والصوفية ، وأرباب الوظائف الديوانية و الدينية وغير ذلك ، وقد عرفت بكتب الوفيات حيث اهتمت بتاريخ وفاة هؤلاء الأعيان من ذلك كتاب " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " (١) لابن خلكان المتوفي في عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م الذي يعد أهم كتاب في الوفيات في الحضارة الإسلامية رتبه على حروف المعجم وأفاد الدراسة إفادة كبيرة في الترجمة لأعيان الإسكندرية من العلماء والفقهاء والصوفية حتى وفاته ، بل كتب ابن خلكان جزءاً من هذا الكتاب بالإسكندرية ، وأصبحت كتب الوفيات التي تاليه مكملة وذيلاً عليه ، مثل كتاب " تالي كتاب وفيات الأعيان " (٢) للصقاعي توفي في القرن ٨هـ/١٤م ، وكتاب " الوافي بالوفيات " (٣) لابن أيبك الصفدي المتوفي في عام ٧٦٤هـ/١٣٦٢م ، والذي يعد موسوعة هامة في التراجم من القرن الأول الهجري حتى منتصف القرن الثامن الهجري وقد أمدنا بمادة علمية غزيرة أثرت جميع فصول الدراسة .

ومن كتب التراجم الهامة كتاب " فوات الوفيات " (٤) لابن شاكر الكتبي المتوفي في عام ٧٦٤هـ/١٣٦٣م والذي اتبع نهج ابن أيبك الصفدي وإن كان نقل عنه الكثير من مادته العلمية وأفاد الدراسة بالعديد من التراجم لأعلامها من العلماء ، وكذلك كتاب " المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي " (٥) لابن تغري بردي المتوفي في عام ٨٧٤هـ/١٤٧٠م ومختصره كتاب " الدليل الشافي على المنهل الصافي " (٦) للمؤلف نفسه قد أثرى الدراسة بكثير من المعلومات الغزيرة في جميع فصول الدراسة .

ومن كتب التراجم الهامة في العصر المملوكي التي أفادت الدراسة كتاب " المقفى الكبير " (٧) للمقريزي المتوفي في عام ٨٤٥هـ/١٤٤٢م وهذا الكتاب يعد موسوعة تراجم لأعيان مصر أو النازلين بها من القرن الأول وحتى منتصف القرن التاسع الهجري وقد غطى هذا الكتاب القيم والغنى في معلوماته كثير من أجزاء الدراسة وأمدنا بمادة علمية جديدة في نوعها ، وكتاب " درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة"(٨) للمقريزي والذي خصصه المقريزي للأعيان الذين عاصرهم في النصف الأول من القرن التاسع الهجري وترجم المقريزي لأعيان العلماء السكندريين الذين عاصرهم في هذا الكتاب .

---

(١) ٨ أجزاء تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٨ .

(٢) تحقيق جاكلين سوبلة ، المعهد الفرنسي بدمشق ، ١٩٧٤ .

(٣) نشر منه ٢٢ جزء ، جمعية المستشرقين الألمانية ، فيسبادن .

(٤) ٥ أجزاء ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٣ .

(٥) نشر منه ٧ أجزاء ، تحقيق محمد محمد أمين ، ونبيل أحمد عبد العزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٦) جزاءن ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، منشورات مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

(٧) نشر منه ٨ أجزاء حتى حرف الميم وباقية الكتاب مفقود ، تحقيق محمد اليعلاوي ، دار المغرب الإسلامي ، ١٩٨٩ .

(٨) نشر قطعة منه في جزاءين عدنان درويش ، دار أحياء التراث العربي ، دمشق ، ١٩٩٥ .

ومن كتب التراجم التي أفادت الدراسة إفادة كبيرة كتاب " أعيان العصر وأعوان النصر " (١) لابن أيبك الصفدي الذي خصصه لأعلام العصر المملوكي حيث أمدنا بمعلومات غزيرة عن مؤسسات الثقافة في الإسكندرية وأسماء مؤسسيها لا نجدها في غيره من مصادر .

ومن كتب التراجم الهامة أيضاً كتاب " الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة " (٢) لابن حجر العسقلاني المتوفي في عام ٨٥٢هـ/١٤٤٨م والذي يعد موسوعة تراجم لأعيان القرن الثامن الهجري وقد أثرى الدراسة بكثير من المعلومات الهامة التي انفرد بها ، وله كذلك كتاب " تاريخ القرن التاسع المعروف بذيل الدرر الكامنة " (٣) والذي ترجم فيه لأعيان النصف الأول من القرن التاسع الهجري ، كما استفادت الدراسة من كتاب " الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع " (٤) للسخاوي المتوفي عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م والذي يعد أهم مصدر مملوكي في غزارة مادته العلمية وكثرة تراجمه التي تعدت العشرة آلاف ترجمة وقد استفادت منه الدراسة أيما استفادة في جميع أجزاءها وانفرد بالعديد من المعلومات النادرة التي توصلت إليها الرسالة ، إذ أمدنا بأسماء العديد من مدارس الإسكندرية غير المعروفة .

رابعاً : كتب البرامج والمعاجم والمشيخات :-

ومن المصادر الهامة التي لها دوراً كبيراً في إخراج هذه الدراسة كتب البرامج وهي عبارة عن سجل يسجل بها العالم ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم ، ذاكر عنوان الكتاب واسم مؤلفه والشيخ الذي قرأه عليه أو تحمله عنه ، وسنده إلى المؤلف الأول ، والمكان الذي كان موضع الدرس والتاريخ الذي بدأ فيه الدراسة أو ختمها ، كما أعتنت هذه الكتب عناية كبيرة بالشيوخ والعلماء وأفردت لهم جانباً فيه حديث عنهم وعن حياتهم ، ومنزلتهم العلمية ، وتاريخ ميلادهم ووفاتهم ورحلاتهم العلمية ، وأهم مؤلفاتهم العلمية ، والوظائف التي أسندت إليهم ، وقد عرفت هذه الكتب بأسماء عدة منها البرنامج والثبت والمشيخة والمعجم ، ومعجم الشيوخ والفهرسة .

ومن أبرز معاجم الشيوخ التي اعتمدت عليها الدراسة " معجم شيوخ الذهبي " (٥) للحافظ الذهبي والذي أمدنا بالكثير من المعلومات عن علماء الإسكندرية وحياتهم ومؤلفاتهم العلمية والمدارس التي كانوا يدرسون بها وغير ذلك من المعلومات ، وكذلك كتاب " معجم محدثي الذهبي أو ما عرف بالمعجم المختص " (٦) الذي خصصه لعلماء الحديث الذين أخذ عنهم وذكر في العديد من علماء الحديث في الإسكندرية .

---

(١) ٦ أجزاء ، تحقيق علي أبو زيد وآخرون ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩٨ .
(٢) ٥ أجزاء ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
(٣) تحقيق عدنان درويش ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
(٤) ١٢ جزء ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢ .
(٥) تحقيق روحية عبد الرحمن السيوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ .
(٦) تحقيق روحية عبد الرحمن السيوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣ .

ومن البرامج التي أفادت الدراسة " برنامج الواداياشي " (1) لمحمد بن جابر الواداياشي المتوفي عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م والذي أخذ عن علماء الإسكندرية ، ترجم لهم في هذا البرنامج تراجم وافية أفادت الدراسة كثيراً .

خامساً : المصادر التاريخية :-

أما فيما يتعلق بالمصادر التاريخية التي اعتمدنا عليها في إعداد هذه الدراسة ، فيعد كتاب " السلوك لمعرفة دول الملوك " من أهم المصادر التاريخية التي أمدتنا بمادة علمية غزيرة التي بنت العديد من جوانب الدراسة .

ومن المصادر الهامة كتاب " الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية وعودها إلى حالتها المرضية " للنويري السكندري المتوفي بعد عام ٧٧٧هـ/١٣٧٥م والذي يعد أهم المصادر التاريخية على الإطلاق ، إذ أن مؤلفه خصصه لتاريخ حملة القبارصة على الإسكندرية عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م كشاهد عيان ، مما جعله المصدر العربي الوحيد لدراسة هذه الحملة ، ولكنه أخذ في الاسترسال في الحديث عن شتى الفنون المختلفة وأمدنا بمعلومات وفيرة عن مؤسسات الثقافة في المدينة من المدارس والمساجد والربط ، وأمدنا بالعديد من النصوص الأدبية الكثيرة وبخاصة قصائد رثاء الإسكندرية نتيجة لحملة القبارصة مما انفرد به النويري السكندري وما أمدنا به من وصف رائع لدار الطراز بالإسكندرية وقاعة السلاح وغير ذلك من العمائر في الإسكندرية .

ومن المصادر التي أفادت الدراسة كتاب " إنباء الغمر بأبناء العمر " لابن حجر العسقلاني والذي أمدنا بالكثير من مادة الدراسة العلمية وكثير من التراجم لعلماء وأعلام الإسكندرية في تلك الفترة .

ويعتبر كتاب " عقد الجمان في تواريخ أهل الزمان " لبدر الدين العيني المتوفي في عام ٨٥٥هـ/١٤٥١م من أهم الكتب التي أمدتنا بالكثير من المعلومات الهامة التي غطت الكثير من أجزاء الدراسة .

وكذلك يعد كتاب " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " لابن تغري بردي من المصادر الهامة بالنسبة لهذه الدراسة ، حيث أفادت منه في العديد من جوانبها .

سادساً : كتب الرحالة :-

ومن المصادر الهامة التي ساعدت في بناء هذه الدراسة كتب الرحالة سواء كانوا من المسلمين أو الأجانب حيث أمدتنا بكثير من المعلومات الهامة التي أفادت الدراسة في كثير من جوانبها .

الرحالة المسلمين :-

ويأتي على رأسهم الرحالة ابن جبير المتوفي عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م صاحب "رحلة ابن جبير" والذي قدم لنا وصفاً رائعاً للإسكندرية وصفاً لمجموعة صلاح الدين العلمية والبيمارستان الصلاحي بالإسكندرية وغير ذلك من المادة العلمية الخاصة بالإسكندرية .

---

(1) تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، جامعة أم القرى ، ١٩٨١ .

ومن كتب الرحلات رحلة ابن رشيد السبتي المعروفة بـ " ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة " والذي نزل بالإسكندرية وأخذ عن علمائها وسكن بمدارسها فكان شاهد عيان للحياة الثقافية في الإسكندرية .

ومن الرحلات رحلة العبدري المعروفة بـ " الرحلة المغربية " والذي زار الإسكندرية وأخذ عن علمائها وأمدنا بمعلومات كثيرة عن الحياة الثقافية في الإسكندرية، وأسماء بعض مدارسها التي انفرد بها .

وكذلك رحلة التجيبي المسماه " مستفاد الرحلة والاغتراب " أفادت الدراسة كثيراً وبخاصة عن الحديث عن دور الحديث وعلماء الحديث في الإسكندرية .

أما الرحالة ابن بطوطة فقد أمدنا بالكثير من المعلومات عن تخطيط الإسكندرية وأبوابها ووصف المنار فضلاً عن وصف ملابس علماء الإسكندرية .

وأمدنا الرحالة البلوي صاحب الرحلة المسماه " تاج المفرق في تحلية علماء المشرق " بكثير من المعلومات الغزير والتي أفادت الدراسة أيما إفادة وذكر بعض المدارس لم تذكر في غيره من المصادر المعاصرة .

ومن الرحلات رحلة القلصادي المعروفة بـ " تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب " والذي وصف لنا تخطيط الإسكندرية وبخاصة الصهاريج بها .

ومن الرحلات التي أفادت الدراسة رحلة الحسن الوزان المعروفة بـ " وصف أفريقيا " والذي وصف الإسكندرية وصفاً رائعاً وأمدنا بمعلومات كثيرة عن الحياة الثقافية في الإسكندرية .

الرحالة الأجانب :-

وأمدتنا كتب الرحالة الأجانب بكثير من المعلومات الخاصة بعمارة الإسكندرية من الأسوار وتحصيناتها ومساحتها وأشكالها فضلاً عن العديد من الفنادق الخاصة بالأوروبيين الموجودة في الإسكندرية .

ويعد كتاب رحلة فلكس فابري **Félix Fabri** (٢) الذي زار مصر عام ٨٨٨هـ/١٤٨٣م ، وأمدنا بالعديد من التفاصيل المتعلقة بأسوار الإسكندرية وتحصيناتها وأبراجها ومنشآتها التجارية والصهاريج الموجودة بها .

وهناك كتاب الرحالة عمانويل بيلوتي **Emmanuel Piloti** (٣) الذي استقر في مصر متنقلاً بين الإسكندرية والقاهرة في أوائل القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي فقد أمدنا بالعديد من المعلومات التي أفادت البحث .

---

(١) سيتم دراسة هذه الرحلات في الفصل الأول من الدراسة .

(٢)Fabri , (Félix) , voyage en Egypte de Félix Fabri (1483) , institut Francais d'archéoligie Orientale , 1975 .

(٣)Piloti , l'Egypte au Commencement du quinziéne siécle d'aprés le Traié d'Emmanuel Piloti de créte ( incipit , 1420 ), avec une introduction et des notes part P.H. Dopp , le caire , 1951 .

وكتاب الرحالة ارنولد فون هارف Arnold von Harff [1] الذي زار مصر في سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م . ووصف لنا التقاليد المرعية في استقبال المسافرين إلى الإسكندرية . وتحدث عن التقاليد المتبعة في استقبال السفن في ميناء الإسكندرية وأهم المنشآت التجارية في الإسكندرية وبخاصة فنادق البنادقة بها .

سابعاً : الكتب الفقهيـــة :-

وقد استفادت الدراسة من عشرات كتب الفقه ، ويأتي على رأسها كتاب " المدخل إلى الشرع الشريف " لابن الحاج المتوفي عام ٧٣٧هـ/١٣٣٦م والذي يعد على جانب كبير من الأهمية لما تضمنه من أوجه النقد لمختلف نواحي الحياة من فساد وانحلال ديني وأخلاقي وإظهار أساليب الغش ووجه نقده إلى علماء عصره وإلى المتصوفة وفضح معيشتهم وسلوكياتهم .

واعتمدت الدراسة على كتاب " معيد النعم ومبيد النقم " المتوفي عام ٧٧١هـ/١٣٦٩م وهو من الكتب الفقهية التي تنقد المجتمع والسلوك الخارج عن الشرع وطرق الإصلاح ، كما نقد العلماء والفقهاء وأخلاقهم ، وأرجع النقم التي تحل بالمسلمين إلى الإنحراف والفساد الذي ساد المجتمع المملوكي بجميع طبقاته .

فضلاً عن ذلك استعانت الدراسة بعشرات المراجع والأبحاث العربية والأجنبية ويأتي في مقدمتها مؤلفات الدكتور جمال الدين الشيال والدكتور السيد عبد العزيز سالم والدكتور أحمد عبد الرازق أحمد وبخاصة مقالة عن نواب الإسكندرية [2] .

وبعد أن استقام هذا البحث واكتملت جميع جوانبه . أجد لزاماً عليّ في صدره أن أرد الفضل إلى أهله ، وفاءاً لحسن صانيعهم وعرفاناً بجميل فضلهم ، وذلك بتوجيه أسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان لأستاذي العالم الجليل والمؤرخ الناقد والمفكر الكبير العلامة الأستاذ الدكتور / **محمود إسماعيل** ، وأحسب أن كلمات الشكر والتقدير والتبجيل لا توفي أستاذي حقه ، فقد تبنى هذا البحث منذ كان فكرة حتى أصبح بناءاً متكاملاً ، وأولاني بكل رعايته العلمية بصدر رحب ، وعاطفة أبوية قل أن نجدها ، وشاكر فضل سيادته لما بذله من وقت وجهد في مراجعة هذا البحث وما زودني به من توجيهات مخلصة صائبة ، ونصائح وإرشادات علمية متعمقة في جميع مراحله ، والتي لولاها ما ظهر بتلك الصورة ، ولهذا أتمنى أن أكون قد وفقت إلى إتباع إرشاداته ونصائحه الغالية وإستيعاب منهجه العلمي متمنياً أن ينال عملي هذا رضاه ، جزاه الله عني وعني تلامذته خير الجزاء .

كما يسرني أن أتوجه بخالص شكري واحترامي وعرفاني بالجميل إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور / **أحمد عبد الرازق أحمد** أستاذ التاريخ والحضارة والآثار الإسلامية بكلية الآداب جامعة عين شمس ، والذي شرفت بأن أشرف سيادته على رسالتي للماجستير والذي نهلت من علمه الغزير ، ويرجع إليه الفضل في بنائي

(1) Letts (M) , The Pilgrimage of Arnold Von Harff , London , 1946 .
(2) Abd Ar-Raziq (Ahmad) , les Governeur d'Alexandrie au temps des Mamluks , Annales Islamologiques , XVIII , le Caire , 1982 .

علمياً محبباً لي في الدراسات المملوكية وهو الذي آثرى المكتبة المملوكية بـأكثر مـن ستين كتاباً وبحثاً باللغة العربية والفرنسية ، وكذلك يرجع الفضل لسيادته في تـوجيهي للتتلمذ على يد أستاذي الدكتور / محمود إسماعيل مما جعلني أنهل من موردين عذبين لا ينضب معينهما ، لذا أهدي هذا البحث لهما جزاهم الله خير الجزاء .

وكذلك أتوجه بخالص شكري إلى الأستاذة الدكتورة/ منى حسن أحمـد محمـود ، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب جامعة القاهرة لتفضلها بقبول مناقشـة هذه الرسالة .

وأتوجه بخالص شكري واحترامي إلى أسرة قسم التاريخ بكليـة التربيـة بـالفيوم جامعة القاهرة وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور/ عبد الحميد حسين حمودة أستاذ التـاريخ والحضارة الإسلامية المساعد ورئيس قسم التاريخ بها . والـذي مـا بخـل بنصـيحة والوقوف بجانبي فضلا عن إمدادي بكل ما أحتاج إليه من المصادر والمراجع كما أتوجه بشكري إلى كل العاملين بمكتبات كلية التربية بالفيوم وكلية الآثـار بـالفيوم والمكتبـة المركزية جامعة القاهرة والمكتبة المركزية جامعة عين شـمس ومكتبـة كليـة الآداب جامعة عين شمس ومكتبة دير الأباء الدمينيكان ومكتبة المعهد العلمي الفرنسي للآثـار الشرقية . وإلى كل من قدم لي المساعدة والمعونة في إعداد هذه الرسـالة جـزاهم الله خير الجزاء .

# بيان المختصرات

AIEO : Annales de l'institute des Études Orienlates .
AI : Annales Islomologiques .
BEO : Bulletin d'Etudes Orientales .
BIFAO: Bulletin d'institute Français d'Archéologie Orientale .
BSOAS: Bulletin of the school of Oriental and African studies .
BSRAA: Bulletin de la société Royale d'Archéologie d'Alexandrie .
BSRGE: Bulletin de la société Royale de Géographie d'Egypte .
HER : Egyptian Historical Review .
JAOS : Journal of American Oriental society .
JARCE: Journal of American Research center in Egypt .
JESHO: Journal of the Economic and social History of the orient .
JRAS : Journal of the Royal Asiatic society .
OLP : Orientalia Lovanensia periodica .
PO : Patrologia Orientalis .
RIE : Revue des Études Islamiques .
SO : Studia Orientalia .

# الفصل الأول

## عوامل ازدهار الحياة الثقافية في الإسكندرية

** العوامل المباشرة :

- الموقع الجغرافي .
- الازدهار التجاري .
- الرحلات .
- نظام الوقف .
- مشاركة نواب الإسكندرية .
- مشاركة المنفيين السياسيين .
- مشاركة اللاجئين السياسيين

** العوامل غير المباشرة :

- تدهور مراكز الثقافة في المشرق الإسلامي .
- تدهور مراكز الثقافة في الأندلس .
- إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة .

## الفصل الأول

# عوامل ازدهار الحياة الثقافية في الإسكندرية

من المتعارف عليه أن الثقافة ليس لها وطن ، حيث تنتقل من مكان لآخر ، ويظهر ذلك بوضوح في ظل الحضارة الإسلامية ، إذ لا توجد عوائق أو حدود تقف حائلاً دون انتقالها من المشرق إلى المغرب والعكس .

فضلاً عن ذلك لم توجد عوائق تقف أمام انتقال العلماء وطلاب العلم والرحالة في سبيل النهل من موارد العلم ، بحيث أصبح العالم الإسلامي آنذاك وحدة ثقافية واحدة ، على الرغم من الصراعات والخلافات بين دوله ، بل لم يمنع هذا الانقسام والتشرذم السياسي بين الدول الإسلامية من وجود وحدة ثقافية مشتركة بين جميع أجزائه ، فكانت الثقافة إذن عامل الوحدة التي ربطت جميع أجزاء هذا العالم الإسلامي .

وظهرت العديد من المراكز الثقافية سواء في المشرق الإسلامي مثل بخارى وسمرقند ، ونيسابور والري وغيرها ، أو في المغرب والأندلس مثل قرطبة وبلنسيه ودانية وفاس والقيروان وبجاية وتلمسان ، وفي بلاد الشام دمشق وحلب وحماه وبيت المقدس وفي بلاد الحجاز مكة والمدينة ، أما في مصر فقد ظهرت ثلاثة مراكز ثقافية تمثلت في القاهرة ومعها الفسطاط وفي الجنوب مدينة قوص عاصمة إقليم قوص بالصعيد الأعلى ، والإسكندرية في شمال مصر ، والتي تعد من أهم هذه المراكز الثقافية في العصر الإسلامي عامة ، وعصر سلاطين المماليك خاصة .

وتوفر للإسكندرية كمركز ومنارة ثقافية العديد من العوامل التي أدت إلى ازدهار الحياة الثقافية بها منها العوامل المباشرة مثل الموقع الجغرافي المتميز ، والازدهار التجاري للإسكندرية في العصر المملوكي ، والرحلات بجميع أنواعها ، واهتمام ولاة ونواب الإسكندرية بالحياة الثقافية بها ومشاركتهم فيها ، فضلاً عن مشاركة المنفيين أو المساجين السياسيين في الحياة الثقافية بها وكذلك اللاجئين السياسيين أيضاً وهذه عوامل أدت بطريق مباشر إلى ازدهار الحياة الثقافية بالإسكندرية .

بالإضافة إلى ذلك فقد وجدت عوامل أدت بطريق غير مباشر إلى ازدهار الثقافة بالإسكندرية أيضاً منها سقوط المراكز الثقافية في المشرق الإسلامي ، وسقوط بغداد كمركز ثقافي ، وسقوط المراكز الثقافية في الأندلس والاضطرابات السياسية في المغرب الإسلامي ، فضلاً عن إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة ، وقد أدت هذه العوامل إلى هجرة العديد من العلماء إلى دولة المماليك ومنها الإسكندرية ، والتي استقر بها العديد من هؤلاء العلماء والذين كان لهم دوراً ملموساً في ازدهار الحياة الثقافية بها ، وسوف نتناول هذه العوامل فيما يلي بشيء من التفصيل :-

# العوامل المباشرة :

الموقع الجغرافي للاسكندرية :-

تقع الإسكندرية على الزاوية الغربية لدلتا وادي النيل ، بين دائرتي عرض ١١ ٣٠ شمالاً ، وخط طول ٥١ ٢٩ْ شرقاً [١] .

وتشغل شريطاً ساحلياً ضيقاً يقع بين البحر المتوسط في الشمال ، وبحيرة مريوط في الجنوب ، والمسافة بينهما تتراوح بين ١٠٠٠-٣٠٠٠ متر ، ويمتد هذا الشريط فوق سلسلة صغيرة من الجبال المنفصلة عن سلسلة الجبال الليبية غرب الإسكندرية ، والتي تنقطع فجاة عند رأس أبي قير ( مدينة كانوب القديمة ) ، مما يجعله يغلق وادي النيل ، وتتاخم في الشمال الغربي بحيرة مريوط وأقليم مريوط [٢] .

ويبرز من هذا الشريط الساحلي في البحر المتوسط بروز يابس يتمثل في جزيرة فاروس القديمة التي تتصل بالمدينة بلسان ترابي صناعي أطلق عليه الهبتاستاديوم Heptasadiom وذلك لأن طوله كان سبع ستاديا [٣] . أي = ١٣٠١ متر وعرضه نحو ٣٠ متراً ، وقد قدر لهذا الرصيف أن يتسع مع مرور الزمن ويصبح حياً هاماً من أحياء المدينة ، مما خلق للمدينة ميناءين أحدهما الميناء الشرقي ، والآخر الميناء الغربي [٤]

وتتميز منطقة الإسكندرية بظاهرة التنوع الجغرافي ، فهي تشرف على البحر المتوسط من الشمال ، وعلى بحيرة مريوط من الجنوب ، وتمثل الطرف الشمالي الغربي

---

(١) جست ( ريفون ) ، الإسكندرية ، دائرة المعارف الإسلامية ، إشراف مهدي علام ، د.ت ، جـ٢، ص١٣٢ .

Labib، S., Iskandriyya, in Encyelopoedi of Islam, vol. IV, P. 132 .

(٢) محمد صبحي عبد الحكيم ، مدينة الإسكندرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص٣ .

(٣) ستاديا مفردها ستاديوم stadiom = ٦١٠ قدم = ١٨٥,٩ متراً . انظر: إبراهيم نصحي تاريخ مصر في عصر البطالمة ، جـ٢ ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص٢٧٨ .

Breccia (E), Alexandrea ad AEgyptum , Bergamo, 1914 , p.59; Harold . ( T.Davis ) , Alexandria the golden city, Illinois , 1957, P.5.

(٤) محمود الفلكي ، رسالة عن الإسكندرية القديمة ، ترجمة محمود صالح الفلكي ، الإسكندرية ، ١٩٦٦ ، ص٢٠ ؛ محمد مسعود ، المنحة الدهرية في تخطيط الإسكندرية ، الإسكندرية ، ١٣٠٨هـ، ص٣ ؛ فؤاد فرج ، الإسكندرية ، مطبعة المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص٥٠٦ ؛ زكي علي ، الإسكندرية ، تأسيسها وبعض مظاهر الحضارة فيها في عصر البطالمة ، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، العدد الثاني ، ١٩٤٤ ، والعدد الرابع ١٩٤٨ ؛ الإسكندرية في عصر البطالمة والرومان ، مقالة في كتاب " الإسكندرية " الذي أصدرته الغرفة التجارية بالإسكندرية ، ١٩٤٩ ؛ لطفي عبد الوهاب ، الإسكندرية في عهد البطالمة ، تاريخ الإسكندرية عبر العصور ، الطبعة الثانية، الإسكندرية ، ١٩٩٩ ص٢٧ ؛ عزت زكي قادوس ، تخطيط مدينة الإسكندرية القديمة ، تاريخ الإسكندرية عبر العصور ، ص٢ ؛ مارينوسانوتو ، كتاب الأسرار للمؤمنين بالصلب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها ، نقلة إلى العربية الأب سليم رزق الله ، دار الريحاني ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩١ ، ص٤٤ ؛

Jondet (Gaston), Atlas Historique de la ville des ports d'Alexdrie, le Caire, le Caire,1921.

لدلتا النيل من جهة الشرق ، بينما تمثل الطرف الشرقي لأقليم مربوط من جهة الغرب[١]
لذا فقد أتاح موقع الإسكندرية الفريد على البحر المتوسط وظهيرها وادي النيل والصحراء الشرقية والغربية لها منذ فجر التاريخ الفرصة للتميز وسط مدن العالم ، حيث تزاوجت على أراضيها الحضارات المتعاقبة مثل الحضارة اليونانية والهللنيستية والرومانية والمسيحية والعربية الإسلامية ومرت بفترات ازدهار وانحسار ، مما جعلها تخرج من تجاربها بقيم إنسانية انعكست على أهلها أيا كان أصله أو ديانته ، ومن المؤكد أن أهل الإسكندرية بمخزونهم الحضاري في جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، هم أصحاب هذه الإنجازات [٢] .

ومما يؤكد تأثير الموقع في تكوين شخصية الإسكندرية متعددة الجوانب ، ما قامت به من دور الوسيط في تجمع الحضارات ، وأثرت بطريق غير مباشر عندما أصبح هذا الموقع حجر الزاوية في النشاط التجاري الذي بلغ قمته في عصر سلاطين المماليك[٣] .

بالإضافة إلى ذلك فقد وفر هذا الموقع للإسكندرية في الطرف الشرقي من الساحل الأفريقي [٤] ، الاتصال السهل بين قارات العالم المعروفة قديماً وهي أفريقيا – حيث تقع– وآسيا وأوروبا ، وسهولة الاتصال بعالم البحر المتوسط سواء على الجانب الأوروبي التي ارتبطت به الإسكندرية ثقافياً وتجارياً ، وأصبح بالإسكندرية العديد من الجاليات الأوروبية التي وصلت إلى أكثر من ثلاثين جالية أوروبية في العصر المملوكي[٥] . مما لم يتوفر للقاهرة عاصمة الدولة المملوكية [٦] .

فضلاً عن ذلك ارتبطت الإسكندرية ببلاد الشام عن طريق الاتصال البحري ، كما ارتبطت أيضاً الإسكندرية ارتباطاً قوياً ببلاد المغرب والأندلس عن طريق الاتصال البحري ، وكذلك الطريق البري والذي يمتد بمحاذاة ساحل البحر المتوسط [٧] .

---

(١) محمد صبحي عبد الحكيم ، مدينة الإسكندرية ، ص٥ .
(٢) عزت زكي قادوس ، تخطيط مدينة الإسكندرية ، ص٢ .
(٣) هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ترجمة أحمد رضا محمد رضا ، مراجعة د. عزت فوده الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، جـ٣ ص٣٠٤ .
(٤) لوبير ( جراتيان ) ، دراسة عن الإسكندرية ، كتاب وصف مصر ، الجزء الثالث ، ترجمة زهير الشايب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص٢٨٣ .
(٥) بنيامين التطيلي ، رحلة بنيامين التطيلي ، ترجمة عزرا الحداد ، بغداد ، ١٩٣٤ ، ص٩٣ .
(٦) عمر كمال توفيق ، الجاليات الأوروبية في الإسكندرية في العصور الوسطى ، مجتمع الإسكندرية عبر العصور ، الإسكندرية ، ١٩٧٥ ، ص٢٧٣ ؛ هايد ، تاريخ التجارة ، جـ٣ ، ص٣٠٥ .
(٧) ناصر خسرو علوي ، سفرنامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص١٠٠ ؛ البكري ، كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، نشر دي سلان ، الجزائر ، ١٩١١ ، ص٢٠٩ ، ١٩ ، ١٤١ ، ١٤٦ ؛ المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٣٤٧-٣٤٨ ؛ عفيفي محمود إبراهيم ، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص٢١٦ .

في حين ارتبطت الإسكندرية بداخل البلاد وعاصمة الدولة - القاهرة - عن طريقين: الأول نهري عن طريق خليج الإسكندرية (١) . والذي يصل الإسكندرية بفرع رشيد ومنه إلى القاهرة ، ويعد من أهم الطرق الموصلة بين الإسكندرية وداخل البلاد ، لذا فقد نال اهتماماً وعناية كبيرة من جانب سلاطين المماليك ، من أمثال الظاهر بيبرس البندقداري (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م )(٢)

---

(١) يعد خليج الإسكندرية من أهم خلجان غرب الدلتا ، حيث كان يمثل الفرع الكانوبي من فروع النيل القديمة ، الذي كان ينتهي عند مدينة كانوب ( أبي قير ) ، وترجع أهميته إلى أنه أهم الطرق الملاحية النهرية التي تربط الإسكندرية بداخل البلاد ، بالإضافة إلى أنه يعتبر أهم مصادر مياه الشرب للإسكندرية ، حيث يدخل المدينة عبر قنوات مائية ، فضلاً عن أهميته التجارية حيث تسيير فيه السفن التجارية إلى الإسكندرية ، لذا كان الاهتمام الكبير بهذا الخليج على طول العصر الإسلامي ، وأول من اهتم بحفره القاضي الحارث بن مسكين (٢٣٧هـ-٢٤٥هـ) عنه انظر : الكندي ، كتاب الولاة والقضاة ، تحقيق جست، بيروت ، ١٩٠٨ ، ص٤٦٩ ، المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ أجزاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، جـ١ ص١٠٠ ؛ الأدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، جـ.ت ، ص١٥٠ ؛ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، ١٩٤٣ ، ص٢٢١-٢٢٢ ؛ النابلسي ، لمع القوانين المضية ، نشر كلود كاهن ، Bulletin d' Etudes Orientales Damas 1961 ص٥٥-٥٦ ، الوطواط ، مباهج الفكر ومناهج العبر ، صفحة من جغرافية مصر ، دراسة وتحقيق عبد العال عبد المنعم الشامي ، الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٩٨١ ، ص١٣٥-١٣٦ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ١٤ جزء ، القاهرة ، ١٩١٩-١٩٢٢ ، جـ٣ ص٣٠٠-٣٠١ ؛ المقريزي المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ؛ مكتبة الآداب ، القاهرة ، د.ت ، جـ١ ، ص١١٣-١١٤ ؛ لانكرية ، دراسة موجزة عن ترعة الإسكندرية ، كتاب وصف مصر ، الجزء الثالث ، ترجمة زهير الشايب ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص٢٥٧-٢٧٧ ؛ عمر طوسون ، تاريخ خليج الإسكندرية القديم وترعة المحمودية ، الاسكندرية ، ١٩٤٢ ، ص١-٢٩ ؛ عبد العال الشامي ، نظم الري والزراعة في مصر في الكتابات العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص٣٤٧-٣٥٥ .

(٢) اهتم الظاهر بيبرس البندقداري بالإسكندرية اهتماما كبيراً وبخاصة خليج الإسكندرية الذي عنى بحفره وتطهيره ، وذلك في عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م ) وعام ٦٦٤هـ/١٢٦٥م ، انظر : ابن شداد (عز الدين) ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م ، تاريخ الملك الظاهر ، تحقيق أحمد حطيط ، دار النشر فرانزشتايز فيسبادن ، ١٩٨٣ ، ص٣٤٩ ؛ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٩٧٦ ، ص٥٣ ، ٢٨٩ ؛ بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، الجزء التاسع ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، الطبعة الثانية ، دار عين ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص١١٩ ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، جـ٣٠ ، تحقيق محمد عبد الهادي شعيرة ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص٨٨ ، ١٠٦ ؛ العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، جـ١ ص٣٧٥ ، ص٤٢٨ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب ، القاهرة . ١٩٢٩ ، ١٩٥٦ ، جـ٧ ص١٩٣ ؛ جمال الدين الشيال ، الإسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص٢٣١ ؛ تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص٩٤-٩٥ ؛ تاريخ الإسكندرية في العصرين الأيوبي والمملوكي ، كتاب الإسكندرية الذي أصدرته غرفة الإسكندرية التجارية ، ١٩٤٩ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تخطيط مدينة الإسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي ، دار المعارف ، لبنان ، ١٩٦٢ ص٩٨ ؛ تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، الطبعة الثانية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص٢٨٢-٢٨٣ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، الظاهر بيبرس، (سلسلة تاريخ المصريين رقم ٢٠٧) القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص١٥٩ .

والناصر محمد بن قلاوون خلال فترة حكمه الثالثة [1](٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤٠م) والأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م)[2] فضلاً عن كونه من أهم الطرق التجارية بين الشرق والغرب[3] أما الطريق الثاني : فهو الطريق البري ، ولكنه أقل أهمية من الطريق النهري لتعرضه لأخطار هجمات العربان .

يتضح لنا من ذلك أن الموقع الجغرافي المتميز للإسكندرية سهل لها الاتصال الثقافي مع جميع البلدان المجاورة شرقاً وغرباً ، وأصبحت المدينة بوتقة انصهرت فيها جميع الحضارات التي مرت بها المدينة ، مما جعلها منارة للثقافة في عصر سلاطين المماليك .

---

(١) كما اهتم الناصر محمد بن قلاوون بحفر خليج الإسكندرية ، وذلك في عام ٧١١هـ/١٣١١م ، حيث أقام عليه ٦٠٠ ساقية ، مما أدى إلى زيادة اتساع الرقعة الزراعية لأكثر من ١٠٠ ألف فدان ، واستحدثت ٤٠ قرية جديدة ؛ وسارت فيه المراكب الكبار ، واستغنى أهل الإسكندرية عن خزان المياه ، انظر : الشجاعي ، تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده ، تحقيق بربار شيفر ، المعهد الألماني للآثار الشرقية بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص٣١٦ ، المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الأول والثاني ، تحقيق ، محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٣٦-١٩٥٨ ، جـ٢ ، ص١١-١١٢ ، ٥٣٨ ؛ المقفى الكبير ، ٨ أجزاء ، تحقيق محمد السيعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٩ ، جـ٢ ص٤٧٩-٤٨١ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ٥ أجزاء ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، جـ٢ ، ص٢٢ رقم ١٣١٦ ؛ محمد جمال الدين سرور ، دولة بني قلاوون في مصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص٢٨٧ ؛ محمد عبد العزيز مرزوق ، الناصر محمد بن قلاوون ، أعلام العرب رقم ٢٨ عام ١٩٦٤ ص٣٣٠ ؛ عبد العال عبد المنعم الشامي ، مدن مصر وقراها في القرن الثامن الهجري ، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنيا ، المجلد التاسع ، العدد الأول عام ١٩٩١ ، ص٢-٣ ؛ سيد محمود محمد ، الحياة الاقتصادية في الريف المصري في عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب – جامعة عين شمس ، ٢٠٠١ ، ص٧١؛

Breccia , Alexandrea ad AEgyptum, P.67; Muir (W), The Mamluk as. Slave dunasty of Egypt, Amesterdam,1968, P.89 .

(٢) وتعرض خليج الإسكندرية للردم مما جعل الأشرف برسباي يأمر بحفره وتطهيره ، انظر : المقريزي ، السلوك ، جـ٤ ، ص٥٣٨ ، ٦٤٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ، أنباء الغمر بأنباء العمر ، ٤ أجزاء ، تحقيق حسن حبشي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، جـ٤ ص٤٥ ؛ ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان ، ٤ أجزاء، تحقيق حسن حبشي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، جـ٣ ص٣٧٦ ، ٣٨١-٣٨٢ ؛ محمد أمين صالح ، التنظيمات الحكومية لتجارة مصر في عصر المماليك الجراكسة ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٩٧٠ ، ص٢١٥ ؛ إبراهيم علي طرخان ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ، ١٩٦٠، ص ٤٠ ؛

Darrâg (Ahmad), L'Egypte sous le regn de Barsbay, Damas، 1961, PP. 63-64, 87-89 .

(٣) هايد ، تاريخ التجارة ، جـ٣ ، ص٣٠١ .

## الازدهار التجاري للإسكندرية :-

ساعد موقع الإسكندرية الجغرافي الفريد على ازدهار النشاط التجاري ، حيث غدت المدينة بمثابة همزة وصل للتجارة بين الشرق والغرب ، وأصبحت أكبر محطة تجارية كبرى لهذه التجارة المعروفة بتجارة الكارم أو التوابل [1] .

ومن الجدير بالذكر أن هذا الازدهار التجاري للإسكندرية قد بدأ قبل الفتح الإسلامي واستمر بعده ، بحيث لم يمنع الفتح الإسلامي لمصر والإسكندرية من أن تؤدي دورها التجاري إذ ارتبطت بعلاقات تجارية بالعديد من المدن التجارية ، وكانت ملتقى للعديد من تجار العالم ، فقد ذكر الرحالة الأوروبي أركوف Arculf ، والذي زار الإسكندرية في عام ٥٠هـ/٦٧٠م[2] ، وهو يعد أول رحالة أوروبي يزور الإسكندرية بعد الفتح الإسلامي

---

(١) عرفت مصر ومنطقة الشرق الأدنى في العصور الوسطى مجموعة من التجار الذين يتاجرون فيما عرف بالكارم ، وقد تضاربت الآراء حول الكارم ، وأصله ومدلول اللفظ ، فهناك من يرى أن تجارة الكارم تنسب إلى الكارمية وهم فئة من كبار التجار الذين اشتغلوا بتجارة الهند والشرق الأقصى وشرق أفريقيا في التوابل وغير ذلك من السلع ، ومن هؤلاء عطية القوصي ، أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة ، المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد الثاني والعشرون ، ١٩٧٥ ، ص١٧ ؛

Goiten, New lights on the beginning of the Karim Merchants, J.R.A.S, Vol. 1, 1958, P.173 ;

ويرى البعض أنها مأخوذة من الكانم ، أي بلاد وسط أفريقيا ، وهي منطقة السودان الغربي ، وتقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد ، ثم انتشر هذا الاسم بين من اشتغل بتجارة البهار . انظر :- القلقشندي ، ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر ، تحقيق محمود سلامة ، القاهرة ، ١٩٠٦ ص٢٥٣ ؛ زين العابدين عبد الحميد السراج ، دولة كانم الإسلامية ، رسالة ماجيستير ، آداب القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص١٦٤ . كما عرفوا باسم التكرور ، انظر سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليكي في مصر والشام ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٣٠٩ ؛ زاهر رياض ، مصر وأفريقيا ، القاهرة، ١٩٧٦ ، ص١١١ ؛ إبراهيم علي طرخان ، امبراطورية البرنو الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص٢١٤ ؛ ويرى البعض الآخر أنها تعني تجار البحر محمد بركات البيلي ، بداية الكانم ومعناها في العصر الفاطمي ، مجلة المؤرخ المصري ، العدد ١٣ ، يوليو ١٩٩٤ ، ص٩٤ ؛ شوقي عبد القوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ، عالم المعرفة ، العدد ١٥١ يوليو ١٩٩٠ ، الكويت ، ص٢٧٠-٢٧١ ؛ محمد عبد الغني الأشقر ، تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص٢٩-٣١ .

(٢) صبحي لبيب ، الفندق ظاهرة سياسية اقتصادية قانونية ، ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص٢٨٧ ؛ محمود سعيد عمران ، أركولف ورحلته إلى الشرق . ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، المجلد الثاني ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص٣١٨ ؛

Newton, (A.P.) , Travel and travelers in the Middle Ages, London, 1936, P.60.

بأن " سلعاً كثيرة تصدر من الإسكندرية ، وأن المدينة بصفة خاصة تمد العالم بالقمح والسلع الضرورية الأخرى " [1] مما يعطينا صورة طيبة عن حالة المدينة ، وإزدهارها التجاري بعد الفتح الإسلامي ، وأنها ظلت على حالها مثلما كانت من قبل ، وأن حركة التصدير لم تتوقف ، وأن الفتح الإسلامي لم يؤثر على اقتصاديات البلاد المصرية في هذه المرحلة على الأقل [2] .

في العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م ) تألقت الإسكندرية ، وأصبحت بحق الثغر الأول ، ومحور تجارة الكارم . هذا في الوقت الذي ظهرت في أوروبا المدن الحرة أو ما تسمى بالقومونات Communes ، وقد ظهرت هذه القومونات أول الأمر في إيطاليا وبصفة خاصة في لمبارديا وتسكانيا ، وأخذت تمتد إلى فرنسا وفلاندرز وألمانيا وإنجلترا ، واشتهرت عدة مدن تجارية مثل البندقية وجنوة وفلورنسا وبيزا وغيرها من المدن [3] .

وبدأت هذه المدن تتصل بالدولة الفاطمية ، وتعقد معها المعاهدات والاتفاقيات التجارية التي تتيح لها الحصول على فندق في ثغر الإسكندرية ، مركز نشاطهم التجاري، وكذلك تعيين قنصل لهم يرعى مصالحهم ، وغير ذلك من الأمور الخاصة بنشاطهم التجاري [4] .

---

(١)Arculf ( the Bishop ), The Travels of Bishop Arculf in Holy Land Towards A.D. 700 , in Wright ( Thomas ) editar , Early Travels in Palestine, NewYork , 1969, P.10; Arculf as , The pilgrimage , Palestine pilgrims Text Society , London, 1897, Vol . 111, P.50 .

(٢) محمود سعيد عمران ، أركولف ، ص٣٤٣-٣٤٤ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوروبا في العصور الوسطى ، الجزء الثاني ، النهضات والحضارة والنظم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص٣٠٢-٣٣٠ ،
Cambridge , Medieval History, Cambridge,1957, Vols.5, PP.220-223; Pernoud, R., Les villes marchandes aux xive et xvesiecles, Paris, 1948, PP.40-55 .

(٤) محمد جمال الدين سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص٢٤٩-٢٥١ ؛ مصطفى حسن الكناني ، العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى ، الإسكندرية ، ١٩٨١ ، ص٢٨١-٢٩١ ؛ أحمد دراج ، الوثائق العربية المحفوظة في دور الأرشيف الأوروبية ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، مارس ١٩٦٩ ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، الجزء الأول ، ص١٢٤ ، صابر محمد دياب ، دراسات في العلاقات بين المدن الإيطالية والدولة الإسلامية ، مجلة جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، العدد الرابع ، ١٩٧٣ ، ص٢١٢-٢٢٢ ؛ حسين مؤنس ، المسلمون في حوض البحر المتوسط ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الأول ، مايو ١٩٥١ ، ص١٠٩-١١٠ ؛
Stern, S.M., An Original document from the Fatimid chancery concering Italian merchants, in studies of Orient in onori in G.levi della Vida, 11, 1956, P.529-538 .

وفي العصر الأيوبي ازدهرت الحركة التجارية بالإسكندرية ، حيث اهتم سلاطين الأيوبيين بميناء الإسكندرية ، حتى أصبحت الإسكندرية أعظم الثغور قدراً وأفخمها أمرا على حد قول ابن مماتي [١] ويرجع ذلك إلى شدة اهتمام صلاح الدين بن أيوب بها ، حتى أنه زارها أربع مرات في أعوام ٥٦٦هـ/١١٧١م ، وعام ٥٦٧هـ/١١٧٢م ، وعام ٥٧٢/١١٧٧م ، وعام ٥٧٧هـ/١١٨١م [٢] ، وقد عقد صلاح الدين الأيوبي مع المدن الإيطالية العديد من الاتفاقيات التجارية والخاصة بميناء الإسكندرية [٣] وسار على ذلك خلفاؤه العزيز عثمان والعادل أبو بكر والكامل محمد والصالح نجم الدين أيوب[٤] .

وشهد على هذا الازدهار التجاري للإسكندرية وقتئذ الرحالة اليهودي الأسباني بنيامين التطيلي حيث ذكر أكثر من ثلاثين دولة لها جالية بالإسكندرية ولكل جالية قنصلها وفندقها [٥] .

---

(١) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٣٢٥ ؛ فايد عاشور ، العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص٢٠١-٢٢١ ؛ مصطفى حسن الكناني ، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي ، الإسكندرية ، ١٩٨١ ، ص٣٣٥-٣٨١ ؛ سامي سعد سلطان ، أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الإيطالية ، رسالة ماجيستير ، آداب القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص٧٣-٧٤ ؛ محمد الصغير عبد اللطيف ، العلاقات التجارية بين مصر وأوروبا في عصر الأيوبيين ودولة المماليك البحرية ، شهادة العالمية من درجة أستاذ في التاريخ الإسلامي ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص١٦٤-١٦٦ ؛ الباز العريني ، مصر في عصر الأيوبيين ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص٢١١ .

(٢) ابن شداد ( بهاء الدين ) ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، المعروفة بسيرة صلاح الدين ، تحقيق جمال الدين الشيال ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص٤٨-٤٩ ؛ أبو شامة ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق محمد حلمي أحمد ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، جـ٢ ص٥٠٤ ، ٤٨٦ ، ٦٨٩ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، جـ١-٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٣-١٩٦١ ، جـ٢ ص١١٢ ؛ المقريزي ، السلوك، جـ١ ص٤٨ ، ٧٦ ؛ الشيال ، تاريخ مدينة الإسكندرية ، ص٧١-٧٤ .

(٣) عفاف سيد صبرة ، العلاقات بين الشرق والغرب ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص١٩-٢٢ ؛ أحمد فؤاد سيد ، مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص٦٩ .

(4) Amari, 1 Diplomi Arabi Del R. Archivio Fiorentino, Flarence 1863-1867, xx11, xx111, xxV11; Mas-Latrie , Traites de Paix et de commerce, Paris, 1865, PP. 70-87 .

(٥) بنيامين التطيلي ، رحلة بنيامين ، ص٩٢ .

فإذا وصلنا إلى العصر المملوكي ، نجد أن الإسكندرية بلغت أقصى درجة من الازدهار التجاري ، وبخاصة بعد سيطرة المغول على طرق التجارة في وسط آسيا ، وعلى طريق الخليج العربي ، مما جعل طريق البحر الأحمر الطريق الرئيسي لتجارة الهند ، وأصبحت الإسكندرية أكبر ثغر في دولة المماليك (١) بل أصبحت منذ العشرينات من القرن الرابع عشر الميلادي الثامن الهجري سوق الشرق والغرب ، وأهم ميناء للتبادل على طول الساحل الإسلامي من سواحل آسيا الصغرى إلى سواحل تونس (٢) ويشهد بذلك الرحالة ابن بطوطة بقوله " ولها المرسى العظيم الشأن ولم أر في مراسى الدنيا مثله " (٣) .

وعقد المماليك العديد من الاتفاقيات والمعاهدات مع الدول الأوروبية والمدن الإيطالية وصلنا الكثير منها حيث احتفظت الأرشيفات الأوروبية بعشرات هذه الوثائق ، وتنظم هذه الاتفاقيات شئون تجارة الإسكندرية في تلك الفترة ونظم المعاملات التجارية والفنادق ومراسيم وإجراءات الجمرك وقيمة الضريبة ونظم التجارية في الفنادق وطرق معيشة هؤلاء التجار الأوروبيين بالإسكندرية مما جعل الإسكندرية مدينة دولية تموج بالتجار سواء كانوا أوروبيين أو مسلمين شوام وأفارقة ومغاربة وأندلسيين (٤) .

---

(١) شوقي عبد القوي عثمان ، التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر المماليك ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ؛ ديل ، البندقية جمهورية أرستقراطية ، تعريب أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص٥٨ ؛ توفيق سلطان اليوزبكي ، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي ، جامعة الموصل ، ١٩٧٥ ، ص٣-٤ ؛ سمير علي الخادم ، الشرق الإسلامي ، الغرب المسيحي ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص١٠٢-١٠٣ ؛ محمد محمود النشار ، علاقة مملكتي قشتالة وآراجون بسلطنة المماليك ، عين ، ١٩٩٧ ، ص١٩٦ .

(٢) صبحي لبيب ، سياسة مصر التجارية في عصري الأيوبيين والمماليك ، المجلة التاريخية ، مجلد ٢٨ ، ٢٩ ، ١٩٨١-١٩٨٢ ، ص١٣٣ ؛

**Labib, (Subhi), Egyptian commercial policy in the middle ages, studies in the economic history of the middle east, ed. By M.A. cook, London, 1970, PP.63-92; Depping (G.B.), Historie du commerce entre le levant et l'Europe depuis les crasades jusque a la Fondation des calonies d'Amerique, Paris, 1865, T.Z, P.75; Goiten,Mediteranean society, IV, Los Angeles, 1984,P. 7.**

(٣) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار ، نشر طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ص٣٩ .

(٤) أحمد دراج ، الوثائق العربية ، ص١٢٤ ؛ نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٧٣ ، ص٣٧٣-٤٨١ ؛

**Depping , Histoire du commerce, T.11,P.218, Amari , I Diplomi Arabi , Santon (M.A.A.)y De Linates (R.G.) , Los Documentos Arabes Diplomaticos del Archivo de la corona de Aragon, Madrid-Granada, 1940, Capmany, Memorias Historicos Sobre la marine commercio y artes de la antigua ciudad de Barcelona , Madrid, 1779-1792, Atiya , A.S., Egypt and Aragon, Leipzig, 1938, Wanssbrough (John), A mamluk commercial treaty concluded with Republic of Florence Oxford, 1965 .**

ومن الجدير بالإشارة أن الازدهار التجاري للإسكندرية أدى إلى قدوم العديد من التجار من جنسيات مختلفة ، وثقافات متباينة ، مما أوجد حالة ديناميكية للحياة الثقافية بها ، فاختلاف العادات والتقاليد واللغات والملابس والأطعمة وغير ذلك جعل التأثير والتأثر بين هذه الثقافات في صيرورة دائمة ، فلم يقتصر الأمر على التبادل التجاري فقط ، بل حدث في العديد من الأوقات امتزاج واندماج بين هؤلاء الأفراد على الرغم من حالة الحرب المنقطعة بين الصليبيين ودولة المماليك وبخاصة غاراتهم على الإسكندرية، حيث استقر بها أفراد كثيرون لمدة طويلة ، بل أن بعضهم ولد بالإسكندرية وظل بها بقية حياته ، وهذا يميز الحياة الثقافية للإسكندرية ، التي نظرت دائماً إلى البحر وأعطته وجهها وتركت ظهرها لداخل البلاد وذلك طبيعة المدن البحرية ، مما يجعل الحياة الثقافية بها أكثر تقدماً من القاهرة ، وذلك لسرعة المتغيرات الثقافية الموجودة بالإسكندرية .

ولعل أهم دليل على هذا الاحتكاك الثقافي بين الإسكندرية والمدن الأوروبية وجود طبقة من المترجمين ليسهلوا الاتصال بينهم وبين أهل الإسكندرية (١) بل الأعظم من ذلك أنه كان يوجد أول قاموس عربي- أوروبي في التاريخ وجد بالإسكندرية في العصر المملوكي ويعرف باسم " الترجمان " (٢) .

واعتقد أنه قاموس عربي – لاتيني أو بمصطلح العصر عربي – أعجمي ، فيذكر ابن عطاء الله السكندري " وأخبرني الشيخ العارف نجم الدين الأصفهاني ، قال : قال لي الشيخ أبو العباس يوماً ما اسم كذا وكذا بالعجمية ؟ فخطر لي أن الشيخ يحب أن يقف على لغة العجم ، فأتيت إليه بكتاب " الترجمان " قال : فقال الشيخ : ما هذا الكتاب ؟ فقلت : كتاب " الترجمان " قال : فضحك الشيخ وقال : سل بالعجمية ما شئت أجبك بالعربية ، وسل ما شئت بالعربية أجبك بالعجمية ، فسألته بالعجمية فأجابني بالعربية ، وسألته بالعربية فأجابني بالعجمية " (٣) .

يتضح لنا من هذا النص أن أهل الإسكندرية كانوا على معرفة تامة باللغة الأوروبية " الأعجمية " أو " اللاتينية " اللغة الأوروبية الرئيسية والتي تفرعت منها جميع اللغات الأوروبية الحديثة ، فضلاً عن وجود هذا القاموس – المفقود للأسف – يعد سبقاً

---

(١) كثر وجود التراجمة في الإسكندرية في تلك الفترة حيث لعبوا دوراً هاماً وبارزا في كثير من نواحي الحياة بها وهو انعكس لطبيعة العصر ، مثل مكين الترجمان ، وشهاب الدين المالقي ، وعبد الرازق بن عثمان الترجمان التاجر الأسكندري ت ٨٤٩ ، انظر: اليوسفي ، نزهة الناظر سيرة الملك الناصر ، تحقيق أحمد حطيط ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص٢٨٩ ، ١١٩-١٢٠ ؛ ابن حجر أنباء الغمر ، جـ١ ص٤٩٠ ، جـ٤ ص٢٤٠ ؛ علي السيد علي محمود، التراجمة في عصر سلاطين المماليك ، مجلة التربية ، قطر ، سبتمبر ٩٢ ، ص١٥٨-١٧٥ .

(٢) ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، تحقيق عبد الحليم محمود ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص١٠٠ .

(٣) ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص١٠٠ .

للإسكندرية وانفراداً على غيرها من المراكز الثقافية وهذا نتيجة لكثرة الاحتكاك مع المدن الأوروبية في العصر المملوكي .

بالإضافة إلى ذلك، أدى هذا الازدهار التجاري للإسكندرية إلى كثرة وفود التجار المسلمين إليها ، والذين شاركوا في فنون العلم والثقافة بها ، وقد أمدتنا المصادر التاريخية المعاصرة بعشرات التراجم لهؤلاء التجار العلماء ، وذلك منذ العصر الفاطمي وحتى نهاية دولة المماليك . فعلى سبيل المثال :-

محمد بن موسى بن مهيا المنذري التاجر (٥٥٦-٦٣٥هـ/١١٦١-١٢٣٧م ) والذي ولد بالإسكندرية ، وسمع بها علي الحافظ السلفي ، وحدث سمع منه الحفاظ ، وكان أحد شهود الإسكندرية المبرزين في حلها وعقودها ، وبيته بها مشهوراً ، وفي أعيانها مذكور ومات أيضاً بالإسكندرية [١] .

وأبو بكر الأمدي التاجر (٥٢٧-٥٧٤هـ/١١٣٣-١١٧٨م ) البغدادي ، سمع أبا الوقت عبد الأول وحدث عنه بالإسكندرية في شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م ، روى عنه عبد الوهاب بن رواج وغيره [٢] .

والشيخ الأجل المسند أبو عبد الله محمد بن عماد الجزري الحراني الحنبلي التاجر بثغر الإسكندرية ولد بحران ٥٤٢هـ/١١٤٧م ، وسمع منه الحافظ المنذري ، وترجم له ، ووصفه بأنه شيخا عفيفاً منفرداً بنفسه [٣] .

ومن تجار الإسكندرية العلماء محمد بن علي بن محفوظ المعروف بابن تاجر عينة الأنصاري السكندري ، ولد بها عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م ، وحدث عن السلفي بسماعه منه ومات بالإسكندرية عام ٦٣٨هـ/١٢٤٠م [٤] .

ومن العلماء التجار بالإسكندرية أيضاً مجمد بن يوسف بن سعيد عز القضاة الأنصاري التاجر المشهور ، وأحد عدولها ، وقد ولد بها عام ٦١٠هـ/١٢١٣م وحدث بها عام ٦٧١هـ/١٢٧٢م [٥] . وأبو طاهر محمد بن مقرب الإسكندراني البزاز المولد بالإسكندرية عام ٦٢٣هـ/١٢٢٦م ، سمع من والده ، ومن أبي عبد الله محمد بن عماد الحراني ، وأبي الفضل جعفر بن أبي الحسن الهمداني ، وحدث بالإسكندرية والقاهرة[٦].

---

(١) المنذري ، تكملة وفيات النقلة ، ٤ أجزاء ، تحقيق بشار عواد معروف ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١ ، جـ٣ ص٤٩٣ ، رقم ٢٨٤٣ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، جـ٧ ص٢٢٠-٢٢١ ، رقم ٣٢٨٤ .

(٢) المقريزي ، المقفى ، جـ٧ ، ص٤٦٠ ، رقم ٣٥٥٣ .

(٣) المنذري ، تكملة وفيات النقلة ، جـ٣ ، ص٣٨٣-٣٨٤ رقم ٢٥٧٣ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، جـ٤ ، ص٢٢٩ ، رقم١٧٥٩ .

(٤) المقريزي ، المقفى ، جـ٦ ص٤٠١-٤٠٢ ، رقم٢٨٧٩ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم،ج٦، ص٢٩٢ .

(٥) المقريزي ، المقفى ، جـ٧ ، ص١٠٢ ، رقم٣١٨٨ .

(٦) المقريزي ، المقفى ، جـ٦ ، ص٥٣ ، رقم٢٤٤٨ .

ومحمد بن عبد الرحمن السبتي المولد الأسكندراني الدار العدل التاجر (٥٤٤-٦٢٥هـ/١١٤٩-١٢٢٧م) سمع بالإسكندرية من أبي الفضل عبد المجيد بن دليل [١] وإبراهيم بن طرخان الأموي السنجاري ثم الإسكندراني الحريري، عرف بابن السنجارى، كان يبيع الحرير، سمع أبا القاسم عبد الرحمن بن مكي بن موقي الأسكندراني، وروى عنه منصور بن سليم حافظ الإسكندرية، توفي بها عام ٦٥٩هـ/١٢٦١م [٢].

وإبراهيم بن عمر بن البرهان المضري الواسطى البُرزي - بضم الباء الموحدة وسكون الراي المهملة نسبة إلى برزي من قرى واسط - ولد بواسط عام ٥٩٣هـ/١١٩٧م، وكان أحد تجار الإسكندرية، روى صحيح مسلم عن العزاوي، وكان شيخاً حسناً ذا بر وخير وسكون، توفي بالإسكندرية عام ٦٦٤هـ/١٢٦٥م [٣]. والشيخ الأجل أبو محمد عبد الله بن الأموي العثماني الشاطبي الأصل الأسكندراني المولد والدار التاجر البزاز الكارمي، سمع الكثير بالإسكندرية من الحافظ السلفي، وحدث بالإسكندرية ومصر والصعيد واليمن، ومات بمكة عام ٦١٤هـ/١٢١٧م [٤].

وأحمد بن أبي بكر بن طي، المحدث أبو العباس الزبيري التاجر، لقيه بالإسكندرية الحافظ الذهبي وذكره في معجم شيوخه وذكر أنه " علت رواياته، سمع من زين الدين والنجيب، وكان حافظ للنوادر، وهو آخر من لقيه في الرحلة، ومات بالإسكندرية عام ٧٤٠هـ/١٣٤١م [٥].

وأحمد بن محمد بن نصر بن كريم البعلي الأسعردي، ولد بالإسكندرية عام ٦٣٦هـ/١٢٣٨م، فتعاني التجارة، وسمع على علمائها، مثل العز الحراني، وأبي اليمن عساكر، وحدث بالإسكندرية والقاهرة [٦].

ولدينا العديد من الأمثلة الأخرى على هؤلاء التجار الذين نبغوا في العلم وفنونه بالإسكندرية، بحيث لم تمنعهم التجارة من طلب العلم والمشاركة بجدية في مختلف فروع العلم، وأصبح للعديد منهم الكثير من الطلبة الأخذين عنهم، وكان للعديد من هؤلاء التجار الكثير من المصنفات العلمية.

---

(١) المقريزي، المقفى، جـ٦، ص٢٨-٢٩.
(٢) المقريزي، المقفى، جـ١، ص١٨٥ رقم١٧٨.
(٣) ابن الصابوني، تكملة أكمال الأكمال، تحقيق مصطفى جواد، بغداد، ١٩٥٦، ص٣٩ رقم٢٤؛ الذهبي، المشتبه في الأسماء والنسب، ص٤١؛ المقريزي المقفى، جـ١ ض٢٤٥-٢٤٦، رقم٢٨٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، جـ٧ ص٢٢١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ٥ ص٦٠.
(٤) المنذري، تكملة وفيات النقلة، جـ٢، ص٤١٦-٤١٧ رقم١٥٦٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، جـ٦ ص٢١؛ ابن العماد، شذرات، جـ٥ ص٦٠؛ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٦، جـ١ ص١٧٦.
(٥) الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، تحقيق روحية عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ص١١٠.
(٦) ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص٣٢٥، رقم ٧٧٢.

والجدير بالذكر أن العلاقة بين الازدهار التجاري بالإسكندرية والازدهار الثقافي علاقة طردية ، بمعنى كلما ازدهرت التجارة ، ازدهرت الحياة الثقافية ، وذلك لأن عائد أرباح التجارة عادت على الحياة الثقافية ، فقام أثرياء التجار بإنشاء العديد من المؤسسات الثقافية ، فأنشئوا المدارس بالإسكندرية ، بل يمكن القول أن معظم المدارس التي وجدت بالإسكندرية في تلك الفترة قد قام ببنائها تجار المدينة ، وكثير من الربُط والزوايا ، والاهتمام بالمساجد والجوامع بالمدينة والأشرف على تعميرها ، وامدادها بما تحتاج إليه ، من خلال الأوقاف التي أوقفوها للأنفاق عليها وعلى القائمين عليها وصيانتها وغير ذلك [1] .

أمدتنا المصادر التاريخية المعاصرة بالعديد من الأسر التجارية والعلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي ، والذين جمعوا بين السيادة الاقتصادية – رأسمالية – والعلمية والدينية ، بل والإدارية في الدولة المملوكية ، مثل أسرة ابن الدماميني ، وأسرة الكويك التكريتي ، وأسرة الغرافي ، وابن التنسي ، وابن الأخنائي ، وغيرها من الأسر التي نبغ العديد من أبناءها في العلم فضلاً عن الثراء المالي من التجارة .

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن الازدهار التجاري في الإسكندرية ، أدى إلى ازدهار الحياة الثقافية ، وذلك أن كثرة الوارد من التجار إلى الإسكندرية ، مما يعني كثرة موارد الدولة من جمرك الإسكندرية المعروف بديوان " الخُمس " [2] وهو نسبة للضريبة التي كانت تؤخذ من التجار الأوروبيين أي ٢٠% من جملة ما يحملونه من أموال وتجارة ، وكان لهذا الديوان ناظر وموظفين ، وقد رتبت الدولة على هذا الديوان العديد من مرتبات علماء الإسكندرية ، أي يأخذون مرتباتهم من هذا الديوان ، وذلك منذ أيام

---

(١) سوف نتعرض بالتفصيل لأهم منشآت التجار في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

(٢) ديوان الخمس : هو الديوان الذي يدفع فيه التجار الأوروبيين خمس ما معهم من أموال وتجارة كضرائب للدولة لذا سمي بالخمس ، انظر: ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٣٢٦ ؛ المخزومي ، المنهاج في علم خراج مصر ، نشر كلود كاهن ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص١٠٠ وما بعدها ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٣ ص٣٥٩-٤٦٠ ؛ حسنين محمد ربيع ، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص٥١ ؛ البيومي إسماعيل ، النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص١٨١ ؛

**Hassanein Rabie, The Financial System of Egypt, London, 1972, PP.89-95 ; Cahen , Douanes et Commerce dans les ports méditerraneéns de l'Egypte médiévale de apres le Minhadj d' al-Makhzumi, JESHO , VII, 1964, PP.217-314; Labib , S., Handels geschichte Agyptens im spatmittelalter (1171-1517) wiesbaden, 1965, P.240 .**

الفاطميين والأيوبيين والمماليك ، مما يجعل هؤلاء العلماء يتفرغون لأعمالهم العلمية ، ولا يتحملون مشقة السعي لطلب الرزق .

فضلاً عن ذلك وقع على هذا الديوان عبء الإنفاق على المؤسسات الثقافية بالإسكندرية وصيانتها ، وبخاصة المساجد والمدارس وغيرها من مؤسسات .

يتضح لنا مما سبق أن الازدهار التجاري الذي حظيت به الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك ، يعد من أهم العوامل التي أدت إلى ازدهار الحياة الثقافية بالمدينة ، بحيث أنها جعلت من المدينة بوتقة انصهرت بها كافة الجنسيات واللغات والثقافات القادمة إليها مع ثقافتها الإسلامية ، فضلاً عن أن أرباح التجارة انفقت على المؤسسات الثقافية والقائمين عليها مع مشاركة التجار في كافة نواحي الحياة الثقافية وقتئذ .

الرحـــلات :-

تعد الرحلات [1] من أهم عوامل الربط والتواصل بين أنحاء العالم الإسلامي ، فضلاً عن أنها كانت أبرز خصائص الحضارة الإسلامية ، حيث أزالت الحواجز والموانع بين أقطار العالم الإسلامي ، على الرغم من الخلافات السياسية أو المذهبية القائمة بينها . بالإضافة إلى شيوع وحدة ثقافية وفكرية إسلامية ، سادت من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه ، مما زاد من توثيق عرى الوحدة الإسلامية [2] .

لذا تعتبر من أهم العوامل التي أدت إلى ازدهار الحياة الثقافية بالإسكندرية في العصر الإسلامي عامة ، وعصر سلاطين المماليك خاصة ، إذ أن الإسكندرية كمنارة ثقافية تأثرت بالرحلة والرحالة ، وأثرت فيهم أيضاً . وأصبحت بوتقة ثقافية امتزجت بها جميع العلوم والأفكار والمعارف من المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي .

ومهما تعددت دوافع الرحلة إلى الإسكندرية ، فقد كان لها تأثيرها في جميع مجالات الحياة بها سواء السياسية أو الاقتصادية أو الإجتماعية والثقافية .

ولدينا أربع أنواع للرحلة :-

- الرحلة الحجازية لزيارة الأماكن المقدسة .
- الرحلة العلمية .
- الرحلة لزيارة الصالحين .
- الرحلة للتجارة .

---

(١) الرحلة : لغويا من رَحَلَ يَرحلُ رحيلاً ، وارتحل و ( ترَحّلَ ) ، والرحلة : بالكسر الارتحال ، فيقال دنت رحلتنا ، انظر: محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، دار الحديث بالقاهرة ، د.ت ، ص٢٣٧ ، كما أنها الجهة التي يقصدها المسافر ، انظر : لاروس ، المعجم العربي الحديث ، باريس ، ١٩٧٩ ، ص٥٠٨ ؛ جيلان عباس ، آثار مصر القديمة في كتابات الرحالة العرب والأجانب ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص٣١ .

(٢) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، دار المعارف ، د.ت ، ص٥ ؛ نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص١٥ ؛ أحمد رمضان أحمد ، الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربي ، جدة ، د.ت ، ص٥ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص٢١١ .

وسوف نتناولها بالتفصيل فيما يلي :-

١ - الرحلة الحجازية :-

يعتبر الحج في مقدمة الدوافع التي جعلت معظم المسلمين يخرجون من بلادهم سعياً وراء أداء هذه الفريضة (١) . امتثالاً لقوله تعالى " وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق " (٢) ، ويستفاد من هذه الآية الكريمة ضرورة انتقال المسلمين من كل مكان لأداء هذه الفريضة ، التي أصبحت فيما بعد سبباً من أسباب الرحلة عند المسلمين ، لذلك قام المسلمون في أرجاء العالم الإسلامي بالارتحال من أوطانهم لأداء الحج .

وتعد بلاد المغرب والأندلس موئلاً خصباً أخرج أعظم الرحالة المسلمين الذين تميزت رحلتهم بدقة ما دونوه من النقل والاسهاب في التفاصيل ، والحرص على رؤية ما يصفونه ، كما أن بلاد المغرب والأندلس هي صاحبة الفضل في ابتكار " الرحلة الحجازية " (٣) .

ترجع بدايات هذه الرحلات إلى القرن الأول الهجري بعد الفتح الإسلامي للمغرب والأندلس، وأصبحت الرحلة المشرقية من أهم ما في حياة المسلمين في المغرب والأندلس، ومن يطالع كتب التراجم الخاصة بالأندلس يجد مئات التراجم لهؤلاء الذين قاموا بالرحلة إلى المشرق(٤) مروراً بالإسكندرية أول مدينة مصرية تستقبل هؤلاء الرحالة ، لذا عرفت " بباب المغرب " أو " فرضية المغرب " وترك هؤلاء الرحالة أثرهم

(١) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص٧ .

(٢) سورة الحج ، الآية ٢٦ .

(٣) سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة في القرنين ٦ ، ٧هـ/١٢-١٣م ، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، المجلد الثامن ، ١٩٥٤ ، ص٩٥ ؛ محمد محمد الكحلاوي ، آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٩ ؛ إبراهيم بن محمد الحمد المزيني ، رحلات المغاربة إلى المشرق الإسلامي في عصر الحروب الصليبية ، ندوة بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى أواخر القرن ١٥م/٩هـ ، ١٩٩٧م ، ص٣٣٧ .

(٤) على سبيل المثال لا الحصر ، ابن الفرضي ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، جـ١ رقم الترجمة ٣٥٥ ، ٤١٥ ، ٤٣٤ ، ٥٠٢ ، ٧٥٧ ، ١٠٠٤ ؛ جـ٢ رقم١٢١٨ ، ١٢٩٥ ، ١٣٠٣ ، ١٣١٧ ، ١٣٦٠ ، ١٣٩٩ ، ١٤١٤ ، ١٤٢٣ ، ١٥٤١ ؛ ابن بشكوال ، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، رقم الترجمة ، ٣٠٢ ، ٣١٨ ، ٣٣٠ ، ٤٥٤ ، ٥٣٢ ، ٥٧١ ، جـ٢ رقم الترجمة ٨٧٦ ، ٨٨٠ ، ٩٢٠ ، ١٠٥٢ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٥ ، ١٢٥٢ ؛ ابن الآبار ، التكملة لكتاب الصلة ، جـ١ رقم الترجمة ٨٤ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٩١ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٩٦ ، ٣٠٦ ، ٣٧٠ ، ٣٨٥ ، ٤١٥ ، ٤٢٨ ، ٤٤٥ ، ٤٥٩ ، ٥٠١ ، ٦٢٥ ، ٦٣١ ، ٦٤٠ ، ٦٤٣ ، ٦٧٠ ، ٦٧٢ ، ٦٨٤ ، ٦٨٦ ، ٦٩٣ ، ٧٥٣ ، ٨١٧ ، ٨٢٩ ، ٨٨٠ ، ٩٢٩ ، ٩٤٤ ، ١١٠٥ ، ١١٣٧ ، ١١٧٠ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٨١ ، جـ٢ رقم الترجمة ١٣١٤ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤٧ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٧٤ ، ١٤٠٤ ، ١٤١٣ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٤ ، ١٤٤٨ ، ١٤٥١ ، ١٤٧٥ ، ١٤٩٤ ، ١٤٩٥ ، ١٥٠٣ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ ، ١٥٣٠ ، ١٥٥٨ ، ١٥٦٣ ، ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٦ ، ١٦١١ ، ١٦٢٠ ، ١٦٣٢ ، ١٦٤٧ ، ١٦٥٨ ، ١٦٦٠ ، ١٦٩٠ ، ١٦٩٢ ، ١٦٩٨ ، ١٧٢٠ ، ١٧٢٥ ، ١٧٣٠ ، ١٨٠٦ ، ١٨٠٧ ، ١٨٢٤ ، ١٨٤٤ ، ١٨٦٠ ، ١٩٩٦ ، ٢٠٠١ ، ٢٠٠٧ ، ٢٠١٣ ، ٢٠٢٤ ، ٢٠٣٣ ، ٢٠٤٧ ، ٢٠٤٨ ، ٢٠٥٢ ، ٢٠٥٣ ، ٢٠٥٧ ، ٢١٠٨ ؛ ابن الأبار ، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، رقم الترجمة ٥٣ ، ٦٣ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ١١٦ .

بالمدينة في جميع النواحي وفي مقدمتها الحياة الثقافية بها [(١)] .

أول من دون هذا النوع من الرحلات " الرحلة الحجازية " الرحالة ابن جبير البلنسي (٥٣٩-٦١٤هـ/١١٤٩-١٢١٨م ) ، والذي قام بثلاث رحلات إلى المشرق ، وتأدية فريضة الحج ، وفي رحلته الثالثة والأخيرة ، استقر بالإسكندرية ، وقام بالتدريس بها حتى وافته المنية بها في عام ٦١٤هـ/١٢١٨م [(٢)] .

---

(١) جمال الدين الشيال ، الصلات الثقافية بين المغرب ومدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي ، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، مجلد ١٥ ، ١٩٦١ م ، ص١٤٧ ؛ سعد زغلول عبد الحميد، الأثر المغربي والأندلسي في المجتمع السكندري في العصور الإسلامية الوسطى ، ضمن كتاب مجتمع الإسكندرية عبر العصور ، الإسكندرية ١٩٧٥ ، ص٢٠٧-٢٧١ ؛ أحمد رمضان أحمد، الرحلة ، ص١٣ ؛ أحمد سعيد ، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي ، دار الشرق الجديد ، بيروت ، د.ت ، ص٩٥ .

(٢) محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير الكناني ، من أهل بلنسيه ، ونزل أبوه شاطبة ، وانتقل إلى غرناطة ، وقام برحلته الحجازية الأولى عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م ، ثم رحل ثانياً إلى المشرق عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م ، ثم عاد إلى المغرب ، وقام برحلته الثالثة والأخيرة عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م ، وقد دون رحلته تحت عنوان " تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار " وظل بالإسكندرية حتى وفاته بها في مقبرة وعلة في غرب الإسكندرية – ليس قبر سيدي جابر هو قبر بن جبير كما يظن ذلك دارسو تاريخ الإسكندرية ولكن ليس هذا مكان اثبات ذلك – انظر :- ابن الأبار ، تكملة الصلة ، جـ٢ ص٥٩٨-٥٩٩ رقم ١٥٨١ ؛ ابن سعيد الأندلسي ، المغرب في حلي المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٤، جـ٢ ص٣٨٤ ؛ الذهبي ، الإعلام بوفيات الأعلام ، تحقيق رياض عبد الحميد مراد و عبد الجبار ذكار ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩١ ، ص٢٥٢ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص١٥٢ ؛ المقرى ، نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٨ ، جـ٢ ، ص٣٨١ ؛ ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء٣أجزاء ، نشر برجشتراسر ، القاهرة ، ١٩٣٣ ، جـ٢ ، ص٦٠ رقم٢٧١٣ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ٥ ، ص٦٠ ؛ لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، جـ٢ ص١٦٩ ؛ كراتشكوفسكي ، الأدب الجغرافي العربي ، نقلة إلى العربية من الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٧ ، جـ١ ص٣٠١ ؛ حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص٤٢٩-٤٥٢ ؛ راشيل آربية ، رحالة من المغرب إلى المشرق ، ترجمة سحر السيد عبد العزيز سالم ، بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، جـ١ ص٤١٥-٤١٩ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون ، ص٢٢١ .

ثم تبعه في ذلك الرحالة المغربي ابن سعيد (٦١٠-٦٥٢هـ/١٢١٤-١٢٥٤م) صاحب كتاب " المغرب في حلي المغرب " (١) وجاء بعده الرحالة ابن رُشيد السبتي (٦٥٧-٧٢١هـ/١٢٥٩-١٣٢١م) (٢) صاحب الرحلة الحجازية المسماه " ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة " وقد نزل ابن رشيد بالإسكندرية وهو في طريقه للحج عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م ، وبعد عودته في طريقه إلى المغرب حيث أخذ عن علماء الإسكندرية ، وقد خصص الجزء الثالث من رحلته هذه للحديث عن الحياة العلمية بالإسكندرية والقاهرة (٣) .

من الرحلات الحجازية رحلة العبدري المعروفة باسم " الرحلة المغربية " (٤) ، والتي قام بها عام ٦٨٩هـ/١٢٩٠م ، وقد سجل لنا مظاهر الحياة الثقافية بالإسكندرية في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، ومشاركته فيها ، وهو في طريقه إلى مكة وبعد عودته منها إلى بلاد المغرب .

---

(١) أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد المغربي ، ولد في عام ٧٧٠هـ/١٢١٤م ، بقلعة يحصب من أعمال غرناطة ، وقد دون رحلته الحجازية ضمن كتابه " المغرب في حلي المغرب " انظر : ابن الخطيب ، الإحاطة ، جـ١ ص٢٢٠ ؛ المقرى ، نفح الطيب ، جـ٣ ، ص٢٩ ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، جـ١ ص٣١٣ ، ٣٣٦ ، جـ٢ ص٦٩٩ ؛ حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص٤٦١-٥١٧ ، أحمد رمضان ، الرحلة ، ص١٨٩-١٩٥ ؛

**Potiron , G., Eléments de Biographie et de Généalogie des Banū said , Arabica , XII, 1965, PP.78-91 .**

(٢) محمد بن عمر بن محمد بن أدريس بن رُشيد بضم الراء وفتح الشين المعجمة ، محب الدين ، أبو بكر الفهري الأندلسي السبتي ، ولد بسبتة ، في عام ٦٥٧هـ/١٢٥٨م ، وتوفي في فاس عام ٧٢١هـ/١٣٢١م ، انظر : ابن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، جـ٤ ، ص٢٨٤ ، رقم١٨٠٥ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٤ ، ص٢٢٩ ، رقم ٤١٧٢ ؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان ، جزاءن ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، جـ٢ ص٣١٠ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٥٢٨ رقم١١٥٢؛ بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة ، جزءان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، ١٩٦٤ ، جـ١ ص١٩٩ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٦ ، ص٤٣٢ رقم٢٩٢٣ ؛ الشوكاني البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تحقيق حسين بن عبد الله العمري ، دمشق ، ١٩٩٨ ، جـ٢ ص٣٤ .

(٣) نُشر الجزء الثالث من هذه الرحلة الخاص بالإسكندرية و القاهرة ، كرسالة للدكتوراه ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٧٨ ، نجاح صلاح الدين القابسي ، ثم قام محمد الحبيب بن الخوجة بنشر الرحلة كاملة في ثلاثة أجزاء ، نشر الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٨١ .

(٤) أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري الحيحي ، توفي بعد ٧٠٠ هـ ، وقام بنشر هذه الرحلة محمد الفاس بالرباط عام ١٩٦٨ ، ثم نشرها أحمد بن جدو بالجزاير ، ثم نشرها علي إبراهيم كردي في دمشق عام ١٩٩٩ م . انظر : السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، ص٢٢٥-٢٢٩ ؛ تاريخ الإسكندرية ، ص٥١٥-٥٢١ .

جاء بعده الرحالة التجيبي ، حيث سمى رحلته " مستفاد الرحلة والاغتراب " (١) في عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م ؛ حيث درس بالإسكندرية ، ونزل بإحدى مدارسها ، واتخذها سكناً ، وأخذ من علماء الإسكندرية (٢) .

أما الرحالة ابن بطوطة فيعد أشهر رحالة عربي في العصور الوسطى ، وقد قام برحلته الحجازية عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م ، حيث دخل الإسكندرية ، واستقر بعض الوقت بها ، ثم رجع إليها بعد ٢٥ سنة أي في عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م ، وقد دونها محمد بن جزي الكلبي بمدينة فاس عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م ، وهي المعروفة باسم " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " وأصبحت رحلته الحجازية جزء من رحلة عالمية طاف وجال حول العالم آنذاك (٣) .

وممن قام بالرحلة الحجازية أيضاً الرحالة البلوي في عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م (٤) وقد سجل هذه الرحلة تحت عنوان " تاج المفرق في تحلية علماء المشرق " (٥) والهدف من هذه الرحلة هو أداء فريضة الحج مع طلب العلم ، وقد استقر البلوي بالإسكندرية في أثناء رحلته عدة مرات وأخذ عن علمائها وحدث بها .

---

(١) القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي السبتي (٦٧٠هـ-٧٣٠هـ/١٢٧١-١٣٢٩م ) وقد نشر هذه الرحلة عبد الحفيظ منصور في ثلاثة أجزاء ، وأصدرتها الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ١٩٧٥ ، انظر عنه ، الذهبي ، معجم محدثي الذهبي ، ص١٣٤-١٣٥ رقم٢٣٦ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ، جـ٣ ص٢١٢ رقم ٦١١ ؛ أحمد رمضان ، الرحلة ، ص٣٥٥ ؛ أحمد عبد اللطيف حنفي ، مصر في عين الرحالة المغربي ( التجيبي السبتي ) ، مجلة كلية الآداب – جامعة حلوان ، العدد الخامس ، يناير ١٩٩٩ ، ص٥٠٧-٥٣٨ .

(٢) التجيبي ، مستفاد الرحلة والاغتراب ، ص٢٠-٢٧ .

(٣) محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي المشهور بابن بطوطة ، ولد بطنجة عام ٧٠٣هـ/١٣٠٤م ، انظر ، زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص١٣٦ ؛ نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص١٨٠ ؛ أحمد رمضان ، الرحلة ، ص٣٦٩ .

(٤) خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي (٧١٣هـ-٧٤٧هـ/١٣١٣-١٣٤٦م) انظر : ابن الخطيب ، الإحاطة ، جـ١ ص٥٠٨-٥١٠ ؛ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، تحقيق أحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص١٣٤-١٣٨ ؛ المقري ، نفح الطيب ، جـ٣ ، ص٢٨٥-٥٨٠ ؛ أزهار الرياض في أخبار عياض ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة ، ١٩٣٩ ، جـ١ ص٣٠٩؛ ابن القاضي ، درة الحجال في أسماء الرجال ، ٣ أجزاء ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٠-١٩٧١ ، جـ١ ص٢٦٢-٢٦٣ رقم ٣٩٨ ؛ التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص١١٥ .

(٥) نشر هذه الرحلة حسن السائح في جزءين ، وطبعت تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية ، د.ت

ممن قام بالرحلة الحجازية في منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، القلصادي [1] والذي زار الإسكندرية في عام ٨٥٣هـ/١٤٤٩م .

وهدف هذه الرحلة مزدوج بين أداء فريضة الحج ، وطلب العلم وقد أوضح القلصادي ذلك في مقدمة رحلته قائلاً " الحمد لله الذي جعل طلب العلم واجبا على البعض من المسلمين قال تعالى وهو أصدق القائلين " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين " [2] وفرض الحج على المستطيع من المؤمنين ، وألزمهم التكاليف حجة عليهم ودليلاً ، ثم سنت العمرة وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام تشريفاً له وتعظيماً ورحمة لأمته وتكريماً " [3] .

وسمى هذه الرحلة " تمهيد الطالب ، ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب " يتضح لنا مما سبق أن الرحلة الحجازية أو رحلة الحج المغربية والأندلسية لعبت دوراً هاماً في ازدهار الحياة الثقافية بالإسكندرية طوال العصر الإسلامي عامة ، وعصر سلاطين المماليك خاصة حيث وصلت إلينا عدة رحلات لنعرف من خلالها مظاهر الحياة الثقافية بالإسكندرية وقتئذ .

٢ - الرحلة العلمية :-

ولم تقتصر الرحلة على أداء الحج ، بل إن الرحلة لطلب العلم أو ما يعرف "بالرحلة العلمية " [4] كانت من أهم دوافع المسلمين أيضا للترحال والانتقال ، وترك أوطانهم إلى غيرها من البلاد سعياً وراء تحصيل العلم وملاقاة العلماء ، إذ أنها من أهم وسائل تحصيل العلم [5] . ويرغبهم في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم " أطلبوا العلم ولو في الصين " وقوله " ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة " .

---

(١) علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي الأندلسي البسطي الشهير بالقلصادي المالكي ، ولد في عام ٨١٥هـ/١٤١٢م وأخذ عن شيوخ المغرب ، وبرع في الفرائض والحساب ، وصنف فيهما مات سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م ، انظر : ابن مريم البستاني ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، الجزائر ، ١٩٠٨ ، ص١٤١-١٤٣ ؛ السيوطي ، نظم العقيان في أعيان الأعيان ، حرره فيليب حتى نيويورك ، ١٩٢٧ ، ص١٣١ رقم ١١٦ ؛ أحمد رمضان ، الرحلة ، ص٣٨٧ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢٢ .

(٣) القلصادي ، رحلة القلصادي ، نشر وتحقيق محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٧٨ ، ص٨١-٨٢ .

(٤) عثمان موافي ، لون من أدب الرحلات ، الإسكندرية ، ١٩٧٣ ، ص٦-٧؛ محمد محمد الكحلاوي ، آثار مصر الإسلامية ، ص١٦ .

(٥) جيلان عباس ، آثار مصر القديمة ، ص٣٩-٤٠ .

ويوضح ابن خلدون أهمية الرحلة في طلب العلم بقوله " الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال " (١) .

لذا سعى الكثير من طلبة العلم والعلماء إلى الترحال والانتقال من بلد إلى آخر من أجل الأخذ عن العلماء ، وعلى قدر كثرة مسموعاتهم عن هؤلاء العلماء ، وكثرة مشايخهم تكون مكانتهم ، وقام هؤلاء الرحالة بتدوين رحلاتهم العلمية فيما عرف باسم " البرنامج " و " الفهرس " و " المعجم " و " معجم الشيوخ " و " الثبت " بحيث يذكر فيه أسماء شيوخه والعلوم التي أخذها عنه مع ترجمة هؤلاء العلماء وأسماء شيوخهم وغير ذلك من المعلومات وهو ما سوف نتعرض له فيما بعد من هذه الدراسة (٢) .

وقد رحل إلى الإسكندرية مئات العلماء والصالحين ضمن رحلاتهم العلمية ، للأخذ عن علمائها ونشر علمهم في ذات الوقت ، وقد استقر بعضهم بالإسكندرية وتركوا أثراً كبيراً في الحياة الثقافية بها مما أدى إلى ازدهارها ، وسوف نأخذ بعض نماذج لهؤلاء الرحالة .

فمن العلماء الذين رحلوا إلى الإسكندرية واستقروا بها الفقيه أبو بكر الطرطوشي (٤٥٠-٥٢٠هـ/١٠٥٨-١١٢٦م ) (٣) والذي ولد بطرطوشة بالأندلس وبعد أن نال

---

(١) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق محمد عبد الواحد موافي ، نهضة مصر ، القاهرة ، د.ت ، جـ٣ ، ص١٢٥٥ .

(٢) كل هذه المصطلحات بمعنى واحد للكتاب الذي يجمع فيه العالم أسماء شيوخه . انظر : عبد الحي الكتاني ، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، جزءان ، تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، جـ١ ص٦٧-٧١ جـ٢ ، ص٦٠٩-٦٢٤ .

(٣) أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهرسي الأندلسي ، المعروف بابن رندقة ، انظر : ابن بشكوال ، الصلة ، جـ٢ ، ص٥٤٥ ، رقم ١٢٦٩ ؛ الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، المكتبة الأندلسية (٦) ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص١٣٥-١٣٩، رقم٢٩٥ ؛ ابن الأبار ، تكملة الصلة ، جـ٢ ص٥٧٥ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق أحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٨ ، جـ٤ ص٢٦٢-٢٦٤ رقم٦٠٥ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، ٣ أجزاء ، تحقيق ، جـ١ جمال الدين الشيال ، جـ٢ و جـ٣ محمد حلمي محمد أحمد ، الطبعة الثانية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، جـ٣ ص٨٨-٩٢ ؛ المقفى الكبير ، جـ٧ ص٤٠٩-٤١٦ رقم٣٤٩٣ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، جـ٥ ، ص١٧٥ رقم٢٢١٥ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق عدة باحثين ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٢ ، جـ١٩ ص٤٩٠ رقم٢٨٥ ؛ العبر في خبر من غبر ، جـ٤ ص٤٨ ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، ص٤٢٤ رقم٦١٣ ؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، جـ٢ ص٢٧٦ ؛ المقرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص٨٥ رقم٤٦ ؛ أزهار الرياض ، جـ٣ ، ص١٦٤ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ص٤٥٢ ؛ محمد بن محمد مخلوف المنستيري ، شجرة النور الزكية ، القاهرة ، د.ت ، جـ١ ، ص١٢٤-١٢٥ ، رقم٣٦٠ ؛ النبهاني ، جامع كرامات الأولياء ، جزءان ، تحقيق إبراهيم عطوه عوض ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، جـ١ ص١٨٥ .

قسطاً من العلم ببلده ، قام برحلته العلمية إلى المشرق الإسلامي ، فتلقى العلم بالبصرة وبغداد ، حيث أخذ العلم بالمدرسة النظامية ببغداد ، ثم انتقل إلى بلاد الشام ، وأخذ عن الإمام أبي حامد الغزالي ببيت المقدس ، واستقر مدة في جبل لبنان حتى عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م ، ولكن قدوم الصليبيين إلى بلاد الشام اضطره إلى الانتقال إلى ثغر رشيد بمصر ، ثم طلب إلى الإسكندرية (١)

هذا في الوقت الذي كانت تمر فيه الحياة الثقافية في الإسكندرية بأزمة خطيرة ، وذلك بسبب الصراع السياسي والمذهبي بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بين أتباع ابنه نزار ( النزارية ) وأتباع ابنه المستعلى ( المستعلية ) على منصب الخلافة ، إذ تولى نزار الابن الأصغر الخلافة ، وفر المستعلى إلى الإسكندرية ، وبايعه أهل الإسكندرية بالخلافة وتلقب بالمصطفى لدين الله ، ولكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي استطاع القضاء على المستعلى وأتباعه وقبض على كثير من وجهاء الإسكندرية ، وقتل الكثير من علمائها وفقهائها ، حتى لم يبق بها من يشار إليه ، وعندما علم أهل الإسكندرية بوجود الفقيه أبو بكر الطرطوشي برشيد ، حتى سارعوا مع قاضي الإسكندرية إليه ليأخذوه إلى الإسكندرية (٢) .

ويضيف الضبي بقوله " واشتمل أهل الإسكندرية على الحافظ أبي بكر ، وقعد للتدريس ، ونفع الله به كل من قرأ عليه وانتشر علمه " (٣) ، والتف حوله التلامذة وكون بهم مدرسة قوية في الفقه المالكي ، وأخذ عنه كل الرحالة المغاربة والأندلسيين، واستمر الطرطوشي يدرس بالإسكندرية حتى وفاته عام ٥٢٠هـ/١١٢٦م . واستمر تلامذته من بعده في نشر العلم بالإسكندرية وغيرها من المدن الإسلامية .

---

(١) الضبي ، بغية الملتمس ، ص١٣٥ ، جمال الدين الشيال ، أبو بكر الطرطوشي ، العالم الزاهد الثائر ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص١-٦٥ .

(٢) ابن أيبك الدوادار ، كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ٦ الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص٤٤٤؛ ابن ميسر أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨١ ، جـ٢ ص٢٧ ، ٣٥-٣٧ ؛ ابن المأمون البطائحي ، أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٩٢ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ص١٤-١٦ ؛ عبد المنعم ماجد ، ظهور الخلافة الفاطمية في مصر وسقوطها ، دار الفكر العربي ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٣٣٩-٣٤٠ ؛ يمني رضوان ، الأسرة الجمالية ودورها في الحياة السياسية والحضارة في عهد الدولة الفاطمية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٨٠-٨١ ؛ الشيال أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص٧٠-٧١ .

(٣) الضبي ، بغية الملتمس ، ص١٣٦ .

وبفضل الطرطوشي أدخلت المدرسة لأول مرة إلى مصر وبخاصة الإسكندرية – سوف نتحدث عنه بالتفصيل في الفصل الثاني – وانتعشت الحياة الثقافية بالإسكندرية بجهود الطرطوشي وتلامذته وتلامذة تلامذته وظهر أثر ذلك خلال العصر المملوكي حيث أينعت الشجرة التي زرعها الطرطوشي وأصبح بالإسكندرية عشرات العلماء المالكية بالإسكندرية من تلامذة تلاميذ الطرطوشي [1] .

وفي تلك الفترة أيضاً رحل إلى الإسكندرية أحد علماء المشرق الإسلامي وهو الحافظ السلفي الأصفهاني [2] والذي جلس يدرس علم الحديث بالإسكندرية ، وأحدث وجوده في المدينة نهضة علمية ، وأكملت نهضة الطرطوشي ، وأصبح أيضاً تلاميذ السلفي وتلاميذهم هم علماء الإسكندرية في العصر المملوكي ، وأصبحت كتب وآراء السلفي محور الحياة الثقافية في الإسكندرية طوال العصرين الأيوبي والمملوكي ، وقد رحل إليه الناصر صلاح الدين بن أيوب وأولاده وأخوته للسماع عليه [3] وبهذا كون السلفي مدرسة الحديث بالإسكندرية وأخذ عنه كل علماء العصر ورحل إليه طلاب العلم من كل البلاد الإسلامية حتى أطلق عليه عالم الدنيا .

---

(١) الشيال ، أبو بكر الطرطوشي ، ص٧٠-٧١ .

(٢) أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفه الأصفهاني السلفي ، وسلفه معناه بالفارسية الثلاثة شفاه حيث كانت شفته العليا مشقوقة ، وقد ولد بأصفهان عام ٤٧٥هـ/١٠٨٧ م ، ثم انتقل إلى بغداد وتعلم بها ، ثم دخل الشام وانتقل من صور إلى الإسكندرية وكان في نيته الرحيل إلى بلاد المغرب والأندلس ولكنه استقر بالإسكندرية ، وقد ترك لنا معجم شيوخه بالإسكندرية المسمى بـ " معجم السفر " ، انظر : ابن الصلاح ، طبقات الشافعية ، ترجمة رقم ١١٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ٤٢ جزء ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٦ ، حوادث عام ٥٧٦ ، ص١٩٦-٢٠٧ ؛ سير أعلام النبلاء ، جـ٢١ ، ص٥ ؛ العبر ، جـ٤ ، ص٢٢٧ ؛ الإعلام بوفيات الأعلام ، ص٢٣٧ ؛ ميزان الاعتدال في معرفة الرجال ، جـ١ ص١٥٥ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ١ ص١٠٥-١٠٧ ، رقم ٤٤ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ١ ص٧٠٦ رقم٦٦٠ ؛ السلوك ، جـ١ ق١ ص٧١ ؛ الأسنوي ، طبقات الشافعية ، جزاءن ، تحقيق كمال يوسف ، الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ ، جـ١ ص٣٣٩ ؛ ابن كثير ، طبقات الفقهاء الشافعيين ، جزاءن ، تحقيق أحمد عمر هاشم ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، جـ٢ ، ص٦٨٣-٦٨٦ ؛ ابن قاضي شهبة ، طبقات الفقهاء الشافعية، جزاءن ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت ، جـ١ ص٣٢٠-٣٢١ ؛ السيوطي، طبقات الحفاظ ، رقم ١٠٤٧ ؛ ابن حجر ، لسان الميزان ، جـ١ ص٢٩٩ ؛ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، تحقيق علي محمد البجاوي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٦ ، جـ٢ ، ص٧٣٨ ؛ ابن قنفذ ، كتاب الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٢٨٩-٢٩٠ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٣٦ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ص١٩ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ق١ ، ص٦٣ .

وبذا أصبح لدينا مدرسة للفقه يتزعمها أبو بكر الطرطوشي ومدرسة للحديث يتزعمها السلفي ، ثم وجدت مدرسة صوفية بالإسكندرية في العصر المملوكي كونها أبو الحسن الشاذلي (١) الذي رحل إليها من بلاد المغرب واستقر به المقام في الإسكندرية وقد رحل معه تلميذه وخليفته أبو العباس المرسي (٢) الذين أرس في الإسكندرية المدرسة الشاذلية وأصبحت الإسكندرية مركز انطلق لهذه الطريقة في العالم الإسلامي .

ورحل إلى الإسكندرية العديد من العلماء مثل المؤرخ أبو شامة (٣) ، وذلك في عام ٦٢٨هـ/١٢٣١م ، فيذكر في كتابه ذيل الروضتين " وفي آخر ربيع الآخر سافرت إلى الديار المصرية فدخلت دمياط في جمادى الأولى ، والقاهرة في جمادى الآخر ، وسافرت

---

(١) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي ، وشاذلة قرية من تونس ، مات في عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، انظر : الذهبي ، العبر ، جـ٣ ص٢٨٢ ؛ دول الإسلام ، جـ٢ ص١٦٠-١٦١؛ الإعلان ، ص٢٧٤ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، جـ٢١ ، ص٢١٤-٢١٧ رقم١٣٩ ؛ نكت الهميان في نكت العميان ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة ، ١٩١١ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة، جـ١ ، ص٥٢٠ ؛ ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ٥ أجزاء ، تحقيق محمد مصطفى ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، جـ١ ق١ ص٣٠٠ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٥ ، ص٢٧٨-٢٧٩ ؛ المنستيري ، شجرة النور ، جـ١ ص١٨٧ ؛ الشعراني، الطبقات الكبرى ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨ ، جـ٢ ص٤ .

(٢) أحمد بن عمر بن محمد من مدينة مرسية بالأندلس ، توفي بالإسكندرية عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م انظر : بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، جـ٩ ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، دار عين ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص٢٨٤ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٧ ص٢٦٤، رقم٣٢٢٩ ؛ ابن الفرات ، تاريخ الفرات ، جـ٨ ، ص٥٧ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ١ ص٥٤٨-٥٤٩ رقم ٥٣٨ ، السلوك ، جـ١ ق٣ ص٧٣٨ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٧ ص٣٧١ ؛ المنهل الصافي ، جـ٢ ص٤٣-٤٤ ، رقم٢٢٨ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ص٦٦ رقم ٢٢٦ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ٥ ، ص٢٧٣ .

(٣) شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان ، المقدسي ، الفقيه الشافعي ، المعروف بأبي شامة ، ولد بدمشق في ٢٣ من ربيع الآخر سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٣م ، له عدة مؤلفات في التاريخ والفقه والقراءات ، قتل عام ٦٦٥هـ/١٢٦٦م ، انظر : ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، د.ت ، جـ٢ ص٢٦٩ رقم٢٦١ ؛ الذهبي ، العبر ، جـ٥ ص٢٨٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ص٢٥٠ ؛ ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، جـ١ ص٣٦٥ رقم١٥٥٨ ؛ المقريزي السلوك ، جـ١ ص٥٦٢ ؛ العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، جـ٢ ، ص١٣-١٥ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٥ ، ص٣١٧ ؛ حسين عاصي، المؤرخ أبو شامة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩١ .

إلى الإسكندرية في ذي الحجة ...... ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة وأنا بالإسكندرية " [1] .

ورحل إلى الإسكندرية أيضاً المؤرخ ابن خلكان [2] ، حيث أمضى فيها مدة وجيزة تجاوزت الخمسة أشهر من عام ٦٣٦هـ/١٢٣٨م ، حيث تعرف فيها على أحد المشايخ ذوي الخبرة في الحساب ، فشرح له على حد قوله " قضية الشطرنج " كما أنه كتب جزءاً من كتابه وفيات الأعيان بالإسكندرية [3] .

كذلك رحل إلى الإسكندرية الحافظ الذهبي [4] الذي دخل المدينة عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م ، وأخذ عن علمائها وذكر ذلك في كثير من مصنفاته [5] ورحل أيضاً المؤرخ ابن حبيب الحلبي [6] إلى الإسكندرية حيث أقام بها ، ونظم بها من الشعر

---

(١) أبو شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، نشر السيد عزت العطار الحسيني ، دمشق ، ١٩٤٧ ، ص١٦٠ .

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، الأربلي المولد ، الدمشقي الدار والوفاة ، الشافعي ولد باربل في عام ٦٠٨هـ ونشأ بها وتفقه بالموصل ثم قدم دمشق وتولى قضاء القضاء الشافعية بدمشق وتوفي بها عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م ، انظر : ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ١ ص١٠٠ ترجمة ٤٥ ؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، جـ١ ص٧٤-٧٥ ؛ درة الأسلاك ، جـ١ ص٧١ ؛ النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، جـ١ ص١٩٣ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، جـ٥ ص١٤ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، جـ٧ ص٢٥٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ص٣٠١ ؛ ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ١ ص٧؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٧ ص٣٥٣-٣٥٥ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ص٧٤ رقم٢٦٠ ؛ المنهل الصافي ، جـ٢ ، ص٨٩-٩٤ رقم٢٦٢ ؛ حسن شميساني ، شمس الدين بن خلكان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ .

(٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ١ ص١٤٢ ؛ حسن شميساني ، ابن خلكان ، ص٥٧ .

(٤) محمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الذهبي ، شيخ داري الحديث الصالحية والظاهرية بدمشق ، وتوفي بها عام ٧٤٨هـ/١٣٤٨م . انظر: ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٣ ص٣١٥-٣١٧ رقم٤٣٦ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، جـ٢ ص١٦٣ ، رقم ٥٢٣ ؛ أعيان العصر وأعوان النصر ، ٦ أجزاء ، تحقيق علي أبو زيد وآخرون ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩٨ ، جـ٢ ص٤٣١ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق الطناحي ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، جـ٩ رقم١٣٠٦ ؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، جـ٣ ص١٠٦ ؛ درة الأسلاك ، ص٣٥٧ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٣ ص٤٢٦ رقم ٣٤١٣ ؛ ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ٢ ص٧١ رقم٢٧٥٢ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ص٢٢١ رقم١٧٧٥ ؛ السلوك ، جـ٢ ص٧٥٤ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ١٠ ص١٨٢ .

(٥) الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، تحقيق روحية عبد الرحمن السيوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص١٣ ؛ حسن شميساني ، شمس الدين الذهبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص٥٦-٥٧ .

(٦) الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن عمر الدمشقي الأصل الحلبي ، ولد بحلب عام ٧١٠هـ/١٣١٠م ، وله مؤلفات تاريخية أهمها " درة الأسلاك في دولة الأتراك " و " تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه " وقد نشره د. محمد محمد أمين ، ١٩٧٦-١٩٨٦ ، وتوفي بحلب عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م ، انظر: ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ١ ص١٦٢-١٦٣؛ الدرر الكامنة، ج٢ =

قوله[1] :-

وبالإسكندرية زاد شوقي لمن بالشام أضحوا نازلينا
أرانا الله إياهم قريبـــا وبلغنا مما هم أمنينـــا

ورحل الحافظ ابن حجر العسقلاني [2] إلى الإسكندرية وذلك في عام ٧٩٧هـ/١٣٩٥م ، فيذكر في أنبائه في حوادث عام ٧٩٧هـ/١٣٩٥م ، قوله " وفي آخر هذه السنة رحلت إلى ثغر الإسكندرية ، فسمعت بها من تقي الدين موسى آخر من كان يحوي بها حديث السلفي بالسماع المفصل وسمعت من جماعة من أصحاب الصفي وطبقته ، وأقمت بها إلى أن رحلت هذه السنة ، ودخل في السنة التي تليها عدة أشهر"[3] وقد ذكر ابن حجر أسماء علماء الإسكندرية الذين أخذ عنهم في معجم شيوخه[4] ويؤكد ذلك تلميذه السخاوي في ترجمته لشيخه الجواهر والدرر [5]

ورحل تلميذه المؤرخ الشهير السخاوي [6] إلى الإسكندرية ضمن رحلته العلمية ،

---

= ص ١١٣ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ١١ ص١٨٩ ؛ المنهل الصافي ، جـ٥ ، ص١١٥ رقم٩٢٢ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ص٢٦٧ ؛ النعيمي ، الدارس ، جـ١ ص١٠٢ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ، جـ١ ص٢٠٥ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ق١ ص٣٢٦ .

(١) ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، جـ٢ ص٢٦٩ .

(٢) أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد ، قاضي القضاة الشافعية ، شيخ الإسلام ، حافظ العصر ، ولد بالقاهرة عام ٧٧٣هـ/١٣٧١م وله مؤلفات في الحديث والتاريخ وتوفي بالقاهرة عام ٨٥٢هـ/١٤٤٨م . انظر : البقاعي ، عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٠٠١ تاريخ ، جـ١ ص٩٠ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٢ ، ص١٧-٣٢ رقم٢٢٣ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ص٦٤ رقم٢٢١ ؛ السخاوي ، التبر المسبوك في ذيل السلوك ، ص٢٣٠ ؛ الضوء اللامع ، جـ٢ ص٣٦ رقم ١٠٤ ؛ السيوطي ، نظم العقبان ، ص٤٥ ؛ ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ١ ص٦٤ رقم٩٤ ؛ المقريزي ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، جزءان ، تحقيق درويش عدنان ، دمشق ، ١٩٩٥ ، ق١ ، ص٢٦٠-٢٦٣ رقم١٢٣ .

(٣) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ١ ص٤٩٥ .

(٤) ابن حجر ، معجم شيوخ ابن حجر ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ص٢٩٧-٣٠٧ .

(٥) السخاوي ، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني ، تحقيق حامد عبد المجيد وطه الزيني ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، جـ١ ص٨٤-٨٥ ؛ المقريزي ، درر العقود الفريدة ، جـ١ ص٢٦٠-٢٦٣ رقم١٢٣ .

(٦) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ، شمس الدين المحدث المؤرخ ، ولد بالقاهرة ٨٣١هـ/١٤٢٨ ، ويعد أهم تلاميذ الحافظ ابن حجر ، وقد ترك لنا عدة مؤلفات تاريخية هامة مثل الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع والذي يعد أهم كتاب تراجم في القرن التاسع الهجري وكتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك ، ذيل به على كتاب السلوك للمقريزي وكتاب الذيل التام على تاريخ الإسلام للذهبي ، وفي علم التاريخ كتاب الأعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة ، والجواهر والدرر في ترجمة شيخه ابن حجر ، وقد عرف عنه قسوته في نقد المؤرخين المعاصرين وبخاصة المقريزي والبقاعي والسيوطي وغيرهم ، حتى كتب السيوطي كتاب الكاوي في الرد على السخاوي ، وسماه في نظم العقبان بالمؤرخ الجارح ... ثم أكب على التاريخ فافنى فيه عمره ، وأغرق فيه عمله وسلق فيه أعراض الناس ، وملأه بمساوىء الخلق ، وكل ما رُموا به إن صدقا وإن كذبا . انظر السيوطي ، نظم العقبان ، ص١٥٢-١٥٣ رقم١٥٦ .

فيترجم لنفسه في الضوء اللامع فيذكر أنه " ارتحل إلى الثغر السكندري ، وأخذ عن جمع من المسندين والشعراء بها ... وحصل في هذه الرحلة أشياء جليلة من الكتب والأجزاء والفوائد عن نحو خمسين نفساً "[1] كما يذكر في ترجمة عبد الهادي بن عبد الرحمن السكندري أنه "رافقني في دخول الثغر السكندري فسمع على بعض الشيوخ بها" [2] .

وهكذا لعبت الرحلة العلمية إلى الإسكندرية دورها في ازدهار الحياة الثقافية بها ولدينا مئات الأمثلة على ذلك ، حيث ساعدت على تجديد الفكر الثقافي بما نقلته من أفكار وآراء من والي الإسكندرية .

٣ - <u>الرحلة من أجل زيارة الصالحين</u> :-

ومن دوافع الرحلة إلى الإسكندرية أيضاً زيارتها وزيارة الصالحين بها ، والرغبة في المرابطة بها ، وممن رحل إلى الإسكندرية رغبة في زيارتها ورؤيتها ورؤية الصالحين بها والمرابطة بها ، المؤرخ النويري السكندري ، الذي رحل إليها من النويرة بأقليم البهنسا[3] ، فيذكر في كتابه الإلمام " .... أني دخلتها - أي الإسكندرية - في ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٧م.) بسبب زيارة الصالحين ورؤيتها ثم اخترت سكناها حبا في المرابطة بها " [4] وأخرج لنا النويري السكندري أهم كتاب كتب عن الإسكندرية في العصر المملوكي - وسوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد -

٤ - <u>الرحلة من أجل التجارة</u> :-

بالإضافة إلى ذلك فتعتبر التجارة من أهم أسباب الرحلة إلى الإسكندرية من أجل الكسب [5] وبخاصة - كما مر بنا الازدهار التجاري للإسكندرية - التجار الذين جمعوا بين العلم والتجارة وسوف نتعرض لنماذج من هؤلاء من خلال هذه الدراسة .

---

(١) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٨ ، ص٨ رقم ١ .

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٥ ، ص٩١ رقم ٣٣٨ .

(٣) النويرة : قرية تابعة لأقليم البهنسا في العصر المملوكي ، وقد أخرجت عدة مؤرخين من أهمهم أحمد بن عبد الوهاب النويري ت ٧٣٨هـ صاحب كتاب نهاية الآرب في فنون الأدب ، النويري السكندري مؤرخ الإسكندرية ، وهي الآن قرية تابعة لمركز اهناسيا المدينة ، محافظة بني سويف . انظر : ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، قسمين الرابع والخامس ، نشر فولرز ، بولاق ١٨٩٣ ، ق٥ ، ص٥ ؛ ابن الجيعان ، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، نشر مورتيز ، بولاق ١٨٩٨ ، ص١٦٢ ؛ محمد رمزي ، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، القسم الثاني ، جـ٣ ، ص١٥٣ .

(٤) النويري السكندري ، الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية ، ٧ أجزاء ، تحقيق أتين كومب وعزيز موريال عطية ، حيدر آباد ، الهند ، ١٩٦٨-١٩٧٦ ، جـ٢ ص٢١٩ .

(٥) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص١٠ ؛ نقولا زيادة ، الجغرافيا والرحلات ، ص١٤٧؛ أحمد رمضان أحمد ، الرحلة والرحالة المسلمون ، ص١٣ .

وهكذا لعبت الرحلات بأنواعها المختلفة دوراً هاماً في ازدهار الحياة الثقافية بالإسكندرية في العصر المملوكي .

نظام الوقف [١] :-

تطور نظام الوقف في العصر المملوكي تطوراً كبيراً [٢] ، وأصبح نظاماً راسخاً ومتغلغلاً في المجتمع المصري ويعد من أهم سمات العصر ، ومما جعل العصر المملوكي يمثل العصر الذهبي لنظام الوقف [٣] .

وللأوقاف أهمية خاصة بالنسبة للحياة الثقافية ، فالأوقاف ثبتت أركان المؤسسات الثقافية ودعمت نظامها ، ومكنتها من القيام برسالتها في العصر المملوكي ، وكان الريع الذي تغله الأعيان الموقوفة على المؤسسات الثقافية شهريا أو سنويا ، نقداً أو عيناً ، هو ضمان استمرار العمل بها ، حيث تدفع منه مرتبات أرباب الوظائف والطلبة حسب شرط الواقف [٤] . وعلى الرغم من عدم وصول أي حجة من حجج الأوقاف الخاصة بالمؤسسات الثقافية بالإسكندرية في العصر المملوكي – بعكس القاهرة التي وصلنا المئات من حجج الأوقاف الخاصة بتلك المؤسسات [٥] – فقد أشارت بعض المصادر التاريخية المعاصرة إلى بعض المعلومات التي تفيد وجود نظام الوقف بالإسكندرية خاص بالمؤسسات الثقافية مثل الجوامع والمدارس والربط .

وقام تاج الدين الدماميني أحد كبار تجار الإسكندرية في العصر المملوكي بإنشاء مدرسة بها و أوقف عليها أوقافاً كثيرة [٦] ، وكذلك عبد العزيز الكولمي أحد تجار الإسكندرية أيضاً " كان يكثر من البر والمعروف وله عدة أوقاف على مكاتب السبيل

---

(١) الوقف : هو الحبس ، وهو صدقة محرمة ، لا تباع ولا تشترى ولا تورث ، انظر : الطرابلسي، الأسعاف في أحكام الأوقاف ، القاهرة ١٩٢٩ ، ص٣ ؛ الخصاف ، أحكام الأوقاف ، القاهرة ، ١٩٠٤ ، ص٢٠ ؛ عيسى الصفتي ، عطية الرحمن في إرصاد الجوامك والأطيان ، القاهرة ، ١٣١٤، ص٤-٦ ؛ ابن نجيم ، الرسائل الزينية ، تحقيق خليل الميس ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٠ ، ص٢٣١ .

(٢) أهم دراسة للأوقاف في العصر المملوكي ، محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

(٣) محمد محمد أمين ، الأوقاف ، ص٧٠ .

(٤) محمد محمد أمين ، الأوقاف ، ص٢٤٠ وما بعدها ؛ عصام جمال سليم غانم ، دور الوقف في التعليم بمصر ( ١٢٥٠-١٧٩٨م ) رسالة ماجيستير غير منشورة ، معهد الدراسات التربوية ، قسم أصول التربية ٢٠٠٤ ، ص٨٥-٨٦ .

(٥) محمد محمد أمين ، فهرس وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٨٠ حيث يعد أهم فهرس لوثائق الأرشيفات بالقاهرة مثل دار الوثائق القومية ، وأرشيف وزارة الأوقاف ، ودار الكتب والبطريكية.

(٦) الأدفوي ، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص٣٥٩ رقم ٢٨٢؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٣ ص٤٨ رقم٢٥٦٢ ، وسوف نتناوله بالتفصيل في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

بالإسكندرية " [1] ، كما أوقف محمد بن سلام أحد تجار الإسكندرية اهتم بجامع عمرو بن العاص بالإسكندرية وأوقف على تعميره عدة أوقاف للأنفاق عليه وفرشه بالحصير[2]

مشاركة ولاة ونواب الإسكندرية في الحياة الثقافية :-

ومن عوامل ازدهار الحياة الثقافية بالإسكندرية في عصر سلاطين المماليك ، اهتمام ولاة ونواب الإسكندرية بالعلم ، ورعايتهم للعلماء . وقام بعض منهم بإنشاء العديد من المؤسسات الثقافية بها ، بل الأكثر من ذلك مشاركة هؤلاء الولاة في الحياة الثقافية بالمدينة ، ونبغ عدد كبير منهم في عدة علوم ، ومنهم من كانت له مؤلفات علمية ، وصل إلينا بعضها .

فعلى سبيل المثال نذكر : الأمير أبو علي كوجيا بن عبد الله ، الذي كان يلي الإسكندرية ، وقد نبغ في العلم ، وله مسموعات ، فقد سمع من علماء الإسكندرية ، وحدث بها [3] وأخذ عنه الحافظ الذهبي في عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م ، أثناء رحلته العلمية بالإسكندرية ، وقد ذكره في معجم شيوخه [4] ، وقد توفي بالإسكندرية جمادى الأولى عام ٦٩٧هـ/١٢٩٧م [5] . كما شارك في الحياة الثقافية بالإسكندرية وقتئذ ، الأمير بكتوت الرماح [6] والذي اهتم بعلم الفروسية ، وألف كتابا في هذا الفن وهو كتاب " نهاية السؤال والأمنية في تعليم الفروسية " [7] وهذا الكتاب يقع في أربعين باب [8] ، وقد توفي بكتوت الرماح بالإسكندرية عام ٧١١هـ/١٣١١م [9] .

---

(١) ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٣ ، ص١٠٦-١٠٧ رقم٩٩٦ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٢ ص٤٩٣-٤٩٤ ، رقم٢٤٥٠ .

(٢) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٥٤ .

(٣) ابن تغري بردي ، الدليل الشافي على المنهل الصافي ، جزءان ، تحقيق فيهم محمد شلتوت ، مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ، الخانجي ، القاهرة ، د.ت ، جـ٢ ص٥٦٢ .

(٤) الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص٤٤٠ ، رقم٦٤١ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، جـ١ ق٣ ص٨٥٠ .

(٦) الأمير بكتوت الخزنداري الرماح ، أمير شكار ، أحد مماليك الأمير بدر الدين بيليك الخزنداري نائب السلطنة أيام الظاهر بيبرس البندقداري ، ترقى في الخدمة إلى أن عينه الملك العادل كتبغا ولاية الإسكندرية ، وظل بها حتى عودة الناصر محمد بن قلاوون في ولايته الثالثة ، انظر : المقريزي ، المقفى الكبير ، جـ٢ ص٤٧٩-٤٨١ ، رقم٩٤٩ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٢ ، ص٢٢ رقم١٣١٦ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٩ ص٢١٧-٢١٨ .

(٧) علي إبراهيم حسن ، دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص٢٧٢ ؛ استخدام المصادر وطرق البحث ، الطبعة الثالثة ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص١٢٦ ؛ وقد قام بتحقيق هذا الكتاب نبيل محمد عبد العزيز ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة القاهرة ، عام ١٩٧٢ .

(٨) بكتوت الرماح ، نهاية السؤال والأمنية ، ص٨٠ .

(٩) المقريزي ، المقفى الكبير ، جـ٢ ص٤٧٩-٤٨١ ؛ السلوك ، جـ٢ ص١١١-١١٣ ؛ Abd Ar-raziq ( Ahmad ) , les Gouverners , An. Isl., T.XVIII , le caire , 1982, P.131, no.6.

ومن مظاهر اهتمام ولاة الإسكندرية بالحياة العلمية والثقافية باهتمامهم بتكوين مكتبات خاصة بهم تضم العديد من أمهات الكتب في علوم العصر ومن هؤلاء الولاة الذين كونوا مكتبات خاصة بيبرس الجمدار المتوفي عام ٧١١هـ/١٣١١م ومن الكتب التي كانت تضمها هذه المكتبة كتاب العوفية في الفقه المالكي لعالم الإسكندرية نفيس الدين أبو الحرم مكي بن عوف المتوفي بالإسكندرية عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م حفيد فقيه الإسكندرية أبو طاهر بن عوف ، وهذا الكتاب يقع في ستة وثلاثون مجلداً واحتفظت مكتبة بيبرس الجمدار بالنسخة التي بخط المؤلف ثم بيعت بعد وفاته كتبه بالقاهرة [١] .

ومن ولاة الإسكندرية الذين لعبوا دوراً في الحياة الثقافية بها الأمير بيبرس الدواداري المنصوري – المؤرخ الشهير – [٢] المتوفي في عام ٧٤٠هـ/١٣٤٠م ، وكان معروفاً بتلاوة القرآن وملازمة الصلاة وله معرفة بالفقه ، والأهم من ذلك دوره في كتابه التاريخ حيث ترك لنا ثلاثة مؤلفات [٣] .

كما شارك بعض نواب الإسكندرية في الحياة الثقافية بها ، ومن هؤلاء الأمير صلاح الدين خليل بن عرام [٤] والذي وصفه المقريزي بأنه كان " فطنا ذكيا ، فاحسن المشاركة في القلم ، كتب تاريخا مفيدا ، وكانت له نوادر ، وعنده حكايات يذاكر بها ، وكان مهابا ، رئيسا ، سيوسا ، وكان يداخل كل ذي فن ، وينتقل في أحوال مختلفة،

---

(١) ابن فرحون ، الديباج ، جـ١ ، ص ٢٩٣ عن بيبرس الجمدار. انظر: المقريزي ، المقفى الكبير، جـ٢ ص٤٧٩-٤٨١ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٢ ، ص٢٢ رقم١٣١٦

(٢) كان له دوراً هاماً في كتابه التاريخ في دولة المماليك البحرية .

(٣) المقريزي ، المقفى الكبير ، جـ٢ ص٥٢٧-٥٢٨ رقم٩٩٥ ؛ السلوك ، جـ٢ ص٥٠٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص٣٢٥ ؛ التميمي الداري ، الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، ٤ أجزاء ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، الرياض ، ١٩٨٣-١٩٨٩ ، جـ٢ ص٢٥٩-٢٦٠ رقم٥٨٢ .

(٤) خليل بن عرام : الأمير صلاح الدين ، نائب الإسكندرية ، نشأ بالقاهرة ، وتولى نيابة الإسكندرية عدة مرات ، وكان يلي ولاية الإسكندرية عندما هاجم القبارصة على الإسكندرية عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م ، ولكنه كان يؤدي فريضة الحج في تلك السنة ، وقد قتل عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م وذلك أثناء الصراع بين برقوق وبركة ، وقد سجن بركة بالإسكندرية أثناء نيابة خليل بن عرام ، وقد أرسل برقوق وكان أتابك الدولة إليه أن يقتل بركة وقام بقتله ثم خاف من أتباع بركة فقال أن ابن عرام قد قتله بدون إذن مما جعل أتباع بركة يقومون بقتل ابن عرام ظلما ، انظر : القلقشندي ، صبح ، جـ٣ ، ص٤٤٠ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص١٠٠ ، ١١٤-١١٥ ، ١٤٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ١٩١ ، ٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، ٢٩٢ ، ٣٠٨ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩١-٣٩٣ ، ٣٩٦-٣٩٨ ، ٤٠٨ ؛ ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ١ ص٣٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٥ ، ص٢٦٣-٢٦٨ رقم١٠٠٦ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ص٢٩١ ؛ النجوم ، جـ١١ ص١٨٣-١٨٧ ؛ ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ق٢ ، ص٢٠ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٢٨١ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ٢ ، ص١٢٩ ؛

Abd Ar-raziaq ( Ahmad ), les gouverneurs d'Alexandrie, PP.133 no. 21, 24, 27, 33, 37; le vizirat et les vizro d'Egypte au temps des Mamluks , An. Isl, XVI , le Caire, 1980, P.206 , no65; Weit , Histoire des Mamlouks , 11, P.147

ويخوض في كل ما يفيد وينفع "(١)

في حين ذكر ابن حجر بأنه " كان فاضلا عارفا ، كتب بخطة تاريخا في عشر مجلدات ، وكان نقيب الفقراء وعُد منهم " (٢) أما ابن تغري بردي فأشار إلى أنه " صنف تاريخا في عشرة أجزاء ، وكان يكثر في مجلسه من المذاكرة مع الفضلاء وأهل الأدب ، مع زيادة الأكرام لهم " (٣) .

بالإضافة إلى ذلك شارك نائب الإسكندرية صرغتمش الخاصكي (٤) والذي كان "يحب العلماء ويعاشرهم ، وله بعض مشاركة في بعض المسائل (٥) .

وشارك أيضاً سيف الدين يلبغا بن عبد الله البهائي الظاهري نائب الإسكندرية في الحياة الثقافية بها (٦) ، فيذكر ابن تغري بردي أنه " كان من خيار الناس ، عقلا ودينا وسكونا وعفة ، مع مشاركة في الفقه وغيره ، ويكتب الخط المنسوب ، وكان فصيحاً باللغة العربية ، حلو الكلام ، جيد المحاضرة ويذاكر بالأيام السالفة مذاكرة حسينة لذيذة وهو أحد من أدركناه من النوادر في معناه " (٧) .

أما نائب الإسكندرية خليل بن شاهين الشيخي الصفوي ، (٨) فقد برع في العديد من العلوم سواء النقلية منها أو العقلية ، فقد كتب في الفقه والتاريخ والطب

---

(١) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ق١ ص٣٩٨ .

(٢) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ١ ص٢٢٧ .

(٣) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٥ ص٢٦٨ .

(٤) صرغتمش بن عبد الله ، سيف الدين المحمدي القزويني ، استقر في نيابة الإسكندرية في ١٦ شعبان سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٧م ، ومات في ١٣ جمادى الأولى عام ٨٠١هـ/١٣٩٩ بالإسكندرية ، أثناء ولايته لها ، ودفن بها ، انظر : المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص٨٧٨ ، ٩١٥ ، ٩٢٧ ، ٩٧٥؛ ابن حجر أنباء الغمر ، جـ١ ص٥٢٧ ، جـ٢ ، ص٤٦ ، ٧٢ ؛ ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والأبدان ، جـ١ ص٤٤٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٦ ، جـ٢ ص٢٥ ؛ ابن إياس بدائع الزهور ، جـ١ ق٢ ص٥١٠ ، ٥١٩ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٣ ، ص٣٢٢ ؛ أحمد عبد الرازق أحمد ، نواب الإسكندرية في كتاب الضوء اللامع ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، المجلد الأول ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص٢٠ رقم٤ ؛

Abd Ar-raziq ( Ahmad ) , les guverneurs d'Alexandrie,P. 142 .

(٥) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، جـ٢ ، ص٢٥ .

(٦) يلبغا بن عبد الله البهائي الظاهري ، تولى نيابة الإسكندرية في ١٩ رجب سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٩م وظل في نيابتها حتى وفاته في ١٣ جمادى الأولى عام ٨٤٣هـ/١٤٣٩م ، انظر: المقريزي ، السلوك ، جـ٤ ، ص٧٧٤ ، ١١٠٥ ، ١١٩٦ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١٥ ، ص٨٢ ، ٣٣٦ ، ٤٧٧ ؛ ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج٤ ، ص٥٧ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ج١٠ ص ٢٨٨ ؛ ابن اياس ، بدائع ، ج٢ ، ص٢٠٦ ، ٢٢١ ؛ أحمد عبد الرازق ، نواب الإسكندرية ، ص٣٠ رقم ٢٥ ؛

Abd Al-Raziq (Ahmad) , Les Guverneursd'Alexandrie,P.150.

(٧) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١٥ ص ٤٧٧ .

(٨) خليل بن شاهين الشيخي الصفوي الحموي ، ولد بالقدس عام ٨١٣هـ/ ١٤١٠م ، حين كان =

وتعبير الرؤيا وغيرها من العلوم الموجودة في تلك الفترة وقد أشار إلى ذلك ابن تغري بردي بأنه "اجتمع بي في منزلي ، وطال جلوسه عندي ، فوجدت له مذاكرة بالشعر والتاريخ بحسب الحال ، وذكر لي أن له عدة مصنفات في عدة علوم ، وأسماها لي . وذكر لي أيضا أن له نظما كثيراً ... وأسماء الكتب التي صنفها ، قال : كتاب المواهب في اختلاف المذاهب ، في أحكام الشرع الشريف ، مرتب على أبواب الفقه ، وما هو جائز في كل مذهب ، وكتاب المنيف في الإنشاء وكتاب الكواكب المنير في أصول التعبير، وكتاب الإشارات في علم العبارات ، وكتاب الدرة المضيئة في السيرة المرضية، وديوان شعره عدة مجلدات (٦) " ، كما ترجم له ولده عبد الباسط بن خليل في الروض الباسم وذكر له العديد من المؤلفات التي كتبها [١] .

ومن نواب الإسكندرية الذين لهم مشاركة في الحياة الثقافية بها قجماس الإسحاقي الظاهري [٢] وكان قد نال قسطا من العلم ، وكان حسن الحظ واهتم بالعلم وأمور الدين[٣] .

يتضح لنا مما سبق دور ولاة ونواب الإسكندرية في تنشيط وانتعاش الحياة الثقافية بها ، ومشاركتهم في جميع الفنون الموجودة ، مما كان له أثره في إثراء هذه الحياة الثقافية بالمدينة ، مما يوفر مناخاً صالحاً للبحث العلمي .

---

= والده نائبها عليها ، واستطاع خليل أن يتولى عدة وظائف منها نظر الإسكندرية وحجابتها ، ثم نيابتها في ٢٣ شوال سنة ٨٣٧هـ /١٤٣٤م ، وعزل عنها في ٢٣ جمادي الآخر سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٦م . انظر: المقريزي ، السلوك ، ج٤ ص ٩٠٧ ، ٩١٧ ، ٩٣٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٧٠ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦؛ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج٣ ، ص٥١٣ ، ٥٤٧ ؛ ج٤ ص١٧ ؛ ان ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج٢ ص٣١٣ ، ٣٢٣ ، ج٣ ، ص٢٧٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٢؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي ج٥، ص٣٥٨ رقم ١٠٠٣؛ الدليل الشافي، ج١، ص٢٩١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص١٩٥ــ ١٩٧؛ النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٤، ٧٢، ٧٦؛ ابن اياس، بدائع، ج٢ ، ص١٥٣ ــ ١٥٧، ج٣، ص٢٥؛ أحمد عبد الرازق، نواب الإسكندرية، ص٢٨، رقم ٢١ ؛

**AbdAl-Raziq (Ahmad), Les Gouverneurs d'Alexandrie, P.148.**

(١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥، ص٢٦٠ - ٢٦١ رقم ١٠٠٣ .

(٢) عبد الباسط خليل ، الروض الباسم ، جـ٤ ورقة ٢٣٠ ب - ١٣٦ أ .

(٣) استقر في نيابة الإسكندرية في ٣ رجب سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م ، وعزل في شهر جمادى الأولى سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م ، وتوفي في شوال عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م ، انظر : السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٦ ص٢١٣ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ٣ ص٥٦ ، ١١٠ ، ١٣٢ ، ١٤٢ ؛ جـ٤ ص٤٢٤ ؛ أحمد عبد الرازق ، نواب الإسكندرية ، ص٣٤ رقم ٣٦ ؛

**Abd Ar-raziq (Ahmad), les Gouverneurs d'Alexandrie ,P.153، n.86 .**

(٤) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٦ ص٢١٣ ؛ حامد زيان ، الإسكندرية منارة للعلم في عصر المماليك ، ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ، ١٩٨٥ ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص٢٦٢ ، وقد وصلتنا بعض الآثار التي تحمل اسم قجماس الأسحاقي ، انظر :

**Weit, Catalogue General du Musee arbe du Caire , Le Caire, 1932 , PP.30-31 n°242 , Pg. XV .**

مشاركة المنفيين السياسيين في الحياة الثقافية :-

تعد مدينة الإسكندرية من أهم المدن المصرية التي نفى إليها الكثير من أمراء وسلاطين المماليك ، وكان عددهم كبير جداً مما لا يستطيع معه الباحث حصرهم ، وقد تم سجنهم في سجنها (١) . وعلى الرغم من أن الصفة التي جاءت بهم إلى الإسكندرية ليس طلب العلم وإنما كمسجونين ، فقد لعب البعض منهم دوراً هاماً في ازدهار الحياة الثقافية ، مما يعطينا دليلاً قوياً على قوة تيار الحياة الثقافية بالإسكندرية ، وأنها لم تترك حتى المسجونين بها إلا وجعلتهم يشاركون فيها .

من سلاطين المماليك المخلوعين والذين نفوا إلى الإسكندرية وشاركوا في الحياة الثقافية بها ، الملك العزيز يوسف بن برسباي (٢) . فقد نفى إلى الإسكندرية بعد خلعه من السلطنة على يد الظاهر جقمق ، وذلك في عام ٨٤٣هـ/١٤٣٩م ، وظل بسجن الإسكندرية حتى سلطنة الأشرف أينال فاسكنه في إحدى دور الإسكندرية ، وكان يخرج إلى صلاة الجمعة وهو راكب واستمر على ذلك مدة طويلة ، وأخذ في طلب العلم أثناء وجوده بالسجن وبعد خروجه منه .

يؤيد ذلك ما أشار إليه ابن تغري بردي بقوله " واستمر الملك العزيز بسجن الإسكندرية على أجمل حال وأحسن طريقة من طلب العلم وفعل الخير إلى يومنا هذا " (٣)

ويؤكد ذلك أيضا السيوطي بأنه " نظر في فنون العلم والأدب " (٤) ، أما ابن إياس فيذكر أنه " اشتغل بالعلم مدة إقامته بالإسكندرية حتى صار ماهراً فيه " (٥) .

---

(١) تخصص سجن الإسكندرية في سجن المساجين السياسيين من الأمراء المماليك الذين يخشى السلطان المملوكي على نفسه منهم وتمتلىء المصادر المملوكية المعاصرة بوجود مئات التراجم لهؤلاء . انظر : محمد مصطفى زيادة ، السجون في مصر في العصور الوسطى ، مجلة الثقافة ، الأعداد ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٩ عام ١٩٤٣-١٩٤٤ ؛ علاء طه رزق ، السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك ، الطبعة الأولى ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص٤٣-٤٤ .

(٢) يوسف بن برسباي الدقماقي ، السلطان الملك العزيز أبو المحاسن ، ولد سنة ٨٠٧هـ ، وولى السلطنة بعهد من أبيه في ١٦ ذو الحجة ٨٤١هـ ، ثم خلع في ١٦ ربيع الآخر سنة ٨٤٢هـ ، وسجن بالإسكندرية وظل بها حتى وفاته عام ٨٦٨هـ . انظر : السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ١٠، ص٣٠٣ ؛ وجيز الكلام في الذيل على تاريخ الإسلام ، ٤ أجزاء ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٥ ، جـ٢ ص٧٦٣ ؛ ابن تغري بردي ، مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة ، جزءان ، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، جـ٢ ص١٥٦-١٥٧ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ، جـ١ ص١٦٢ ؛ محمد بن السرور البكري ، النزهة الزكية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، تحقيق عبد الرازق عبد الرازق عيسى ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص١١٩ .

(٣) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ١٥ ، ص٢٥٥ .

(٤) السيوطي ، نظم العقبان ، ص١٧٩ رقم١٩٩ .

(٥) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ، ص٤١٣ .

ومن السلاطين المخلوعين الذين نفوا إلى الإسكندرية وشاركوا في الحياة الثقافية بها ، الملك المؤيد أحمد بن أينال [1] ، الذي اشتغل بالعلم مدة إقامته بالإسكندرية [2] . في حين يذكر السخاوي بأنه كان " مع تلفته إلى العلماء وإكرامه لهم وتفقدهم وميله لرقائق الأشعار ورقة طباعة وحُسن عشرته ومزيد عقله وخبرته بالأمور ، واستقر في ذي الحجة سنة ٨٨٦هـ في مشيخة الشاذلية ، وكان يلقنهم الذكر ويحضر مجالسهم ومن يتوجه معه إلى بيته من جماعة الشاذلية يكرمهم بالإطعام ونحوه " [3] .

فضلاً عن ذلك فتم سجن بعض العلماء بالإسكندرية ، ولكن معايشتهم للعلم لم يستطع السجن أن يقف عائقاً أمامه فواصلوا نشرهم للعلم رغم سجنهم .

من هؤلاء العلماء ، الإمام أحمد بن تيمية [4] والذي سجن بأحد أبراج الإسكندرية في عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م ، وذلك في عهد السلطان بيبرس الجاشنكير فيذكر ابن كثير أنه " أقام بثغر الإسكندرية ثمانية أشهر مقيماً ببرج متسع مليح نظيف له شباكان أحدهما إلى جهة البحر والآخر إلى جهة المدينة ، وكان يدخل عليه من شاء ويتردد إليه الأكابر والأعيان والفقهاء ويقرؤاون عليه ، ويستفيدون منه ، ويشتغلون في سائر العلوم[4] " ويضيف الشوكاني إلى أنه كان يحضر صلاة الجمعة بالجامع ويعمل المواعيد

---

(١) الملك المؤيد الشهاب أبو الفتح أحمد بن الأشرف أحمد بن الأشرف أبي النصر العلائي الظاهري ثم الناصري ، ولد بغزة سنة ٨٣٥هـ ، واستقر في السلطنة بعد أبوه في ١٤ جمادى الأولى عام ٨٦٥هـ إلى ١٩ رمضان من نفس العام، ثم نفي إلى الإسكندرية في جمادى الأولى عام ٨٧٢هـ ، ثم رسم الظاهر تمربغا باخراجه من السجن، وأذن له بالركوب إلى صلاة الجمعة والعيدين، وأن يسكن في أي دار شاء من دور الإسكندرية، واستمر بها حتى وفاته في عام ٨٩٣هـ في سلطنة قايتباي المحمودي ، ونقل إلى القاهرة. انظر : السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ١، ص٢٤٦؛ ابن إياس ، بدائع ، ج٢ ص٤٦٩، ج٣، ص١٩٣ .

(٢) السيوطي ، نظم العقبان ، ص٤٠ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ١ ص٢٤٦ .

(٤) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القسم الخضر علي بن عبد الله ، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس الحراني الأصل والمولد ، الدمشقي الدار والوفاة ، الحنبلي ، المعروف بابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ/١٢٦٢-١٣٢٧ ) . انظر : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤ أجزاء ، الطبعة الثالثة ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد ، ١٩٧٥ جـ٤ ص١٤٩٦ ؛ ابن الجزري ( محمد بن إبراهيم ت ٧٣٨هـ ) ، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان وأبنائه ، المعروف بتاريخ ابن الجزري ، ٣ أجزاء ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، ١٩٩٨ ، جـ٢ ص٣٠٦-٣٠٧ ؛ الذهبي ، ذيل العبر ، جـ٤ ص٢٠ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٧ ص١٥ ، رقم ٢٩٦٤ ؛ ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ١ ، ص٧٤ ، رقم٣٤ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر به من حوادث الزمان ، بيروت ، ١٩٧٠ ، جـ٤ ص٢٤٥ ؛ الداوودي ، طبقات المفسرين ، جزءان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، جـ١ ص٤٥ رقم٤٢؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، جـ٢ ص٢٦-٢٧ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي، ج١، ص٣٥٨ رقم١٩٥ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ص٥٦ رقم١٩١ ؛ النجوم ، جـ٩ ، ص١٥ .

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ج١٤، ص٥١-٥٢ .

على عادته في الجامع " [1] .

ويذكر الشيخ أبو زهرة أن وجود ابن تيمية بالإسكندرية آثار حالات من المناظرات والمحاورات مع طوائف المتصوفة بالإسكندرية وجمع علمائها حوله [2] .

نخلص من ذلك أن الحياة الثقافية في الإسكندرية قد شارك فيها جميع فئات المجتمع حتى المسجونين والمنفيين بها .

مشاركة اللاجئين السياسيين :-

كذلك شارك اللاجئون السياسيون في الإسكندرية في الحياة الثقافية بها حيث استقر بالإسكندرية بعض الوافدين إليها من بلاد المغرب، فلجأ سلطان الحفصيين بتونس أبو ذكريا يحيى الواثق المعروف باللحياني [3] والذي تولى سلطنة دولة الحفصيين الفترة من ( ٧١١-٧١٧هـ/١٣١١-١٣١٨م ) ثم ثار عليه بعض أقاربه وكان آنذاك يسكن طرابلس الغرب فخرج منها إلى الإسكندرية ، حيث رتب له الناصر محمد بن قلاوون في اليوم مائة درهم في اليوم الواحد وأسكنه بدار السلطنة بالإسكندرية وكان يرافقه أولاده عبد الواحد ، ومصري ، وأسكندري ، حاجبه أبو زكريا ابن يعقوب ووزيره أبو عبد الله بن ياسين [4] ويذكر ابن الجزري أنه نشأ في الاشتغال فقرأ الفقه والعربية على شيوخ تونس ، وبرع في العربية [5] وعندما استقر به المقام بالإسكندرية مما أتاح له فرصة للمشاركة في الحياة الثقافية بها ، فكان فقيهاً فاضلاً متقناً للعربية ، أديباً عارفاً ، حيث كان له إطلاع على غوامض المعاني الأدبية، ونظم الشعر، وأتى فيه بالممتع، وكان محباً للحديث والآثار، وظل بالإسكندرية حتى وافته المنية عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م بها [6] .

---

(١) الشوكاني ، البدر الطالع ، ص٨٤ رقم ٤٠ .

(٢) محمد أبوزهرة، ابن تيمية، حياته وعصره ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩١، ص٦٢ .

(٣) هو أبو يحيى بن زكريا بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاني المغربي المعروف باللحياني ولد بعد الأربعين وستمائة بتونس وكان أبوه أحمد وزير عمه المستنصر ثم مات ثم دخل هو في دائرة المملكة في عام ٦٨٠هـ وكان عالي الرتبة مقدما معظما عند ملوك تونس ، وحج في عام ٧٠٩هـ وفي أثناء ذلك توفي صاحب تونس ، ووثب على ملك تونس بعض أقاربه ، ولكن عندما بلغ أهل تونس قدوم اللحياني فبايعوه في جمادى الأولى عام ٧١١هـ ، وخطب له ولقب بالقائم بأمر الله أمير المؤمنين من الأمراء الراشدين وظل في حكم الحفصيين حتى عام ٧١٨هـ/١٣١٨م حين وثب على ملك تونس بعض أقاربه . انظر : ابن الجزري ، تاريخ ابن الجزري ، جـ٢ ص٢٠٥-٢٠٦ .

(٤) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٤٠ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ص٢١٥-٢١٦ ؛ ابتسام مرعي خلف الله ، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص٢٠٣ .

(٥) ابن الجزري ، تاريخ ابن الجزري ، جـ٢ ص٢٠٥-٢٠٦ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ص١٣٥ ؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، جـ٢ ص١٧٦ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ق١ ص٢١٥-٢١٦ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٢ ص٢٠٦-٢٠٧ رقم١٨٣٤ ؛ العيني ، عقد الجمان ، جـ١ ص١٠٦-١٠٧ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ٩ ، ص٢٦٨ ؛ ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ١ ص٢٧٧ رقم٤٢٩ .

كذلك شارك وزيره أحمد بن محمد بن يوسف المرادي القرطبي العشاب في الحياة الثقافية بالإسكندرية ونبغ في العديد من العلوم لعلم القراءات والتفسير وعلم النحو وترك لنا تفسيراً للقرآن وكتاباً في المعاني والبيان ، وظل بالإسكندرية حتى وفاته عام ٧٣٦هـ/١٣٣٥م (١) .

يتضح لنا مما سبق أن مجتمع الإسكندرية بجميع فئاته كان له مشاركة في الحياة الثقافية بها فقد شارك الولاة والنواب وشارك التجار والحرفيون بها وكذلك المنفيون السياسيون والمسجونون وكذلك اللاجئون السياسيون ، مما ساعد على ازدهار الحياة الثقافية بالمدينة ومظاهر لهذا الازدهار في أجمل صورة له .

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يوسف المرادي ، ولد عام ٦٤٩هـ ، عنه انظر :
الذهبي ، طبقات القراء ، جـ٣ ص١٢٥١ رقم١١٨٥ ؛ ذيل العبر ، جـ٤ ص١٠٤ ؛ ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ١ ص١٠٠ رقم٤٦١ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ق٢ ص٤٠٤ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ١ ص٢٥٦ رقم٦١٨ .

## ثانياً : العوامل غير المباشرة :-

### تدهور المراكز الثقافية في المشرق الإسلامي :-

بالإضافة إلى ما سبق من عوامل أدت إلى ازدهار الحياة الثقافية في الإسكندرية فقد وجدت عوامل أدت إلى ازدهارها ولكن بطريق غير مباشر وذلك بسقوط المراكز الثقافية في المشرق الإسلامي ، وذلك في بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، إذ ظهر خطر المغول [1] الذي هدد المشرق الإسلامي ، واستطاعوا تحت قيادة زعيمهم جنكيز خان [2] أن يكونوا دولة مترامية الأطراف أخضعوا لها جميع الدول والشعوب المجاورة لهم ، من ذلك امبراطورية الصين والدول التركمانية ، ثم انقضوا على الدولة الخوارزمية التي كانت تشتمل بلاد ما وراء النهر وبلاد خراسان [3] ، وقد نتج عن هذا العدوان على هذه الدولة أن سقطت مراكز ثقافية كبرى ، حيث سقطت مدينة بخارى [4]

---

(١) المغول : مجموعة من الشعوب الرعوية الوثنية تسكن أواسط آسيا ، لمزيد من المعلومات ، انظر : أبرار كريم الله ، من هم التتار ، ترجمة رشيدة رحيم الصبروتي ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ ؛ فؤاد عبد المعطي الصياد ، المغول في التاريخ ، الجزء الأول ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠ ص١٩-٣٦ ؛ السيد الباز العريني ، المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٦ ص١-٤٢ ؛ بارتولد ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص١٧٠-١٧٢ ؛

Pelliot ( Paul ) et Hambis ( Louis , Histoire des campagnes des Gengis Khan, Leiden, 1951,T. 1, PP. 2-9; Sykes (Percy) , A History of Persia , London . 196, vol.11, PP.71-72 .

(٢) جنكيز خان بمعنى امبراطور العالم . المزيد من التفاصيل انظر :- فلاديميرستوف ، حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية والعسكرية ، ترجمة سعد بن محمد الغامدي ، الرياض ١٩٨٣ ص٦٤-٦٧؛ فامبري ، تاريخ بخارى ، ترجمة أحمد محمود الساداتي ، القاهرة ، ١٩٦٥ ص١٦٢ ؛ الصياد ، المغول ، ص٣٩-٥٧ ؛ العريني ، المغول ، ص٤٣-٥٣ ؛ حمدي حافظ ، الدولة الخوارزمية والمغول ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٩ ص١٠٩-١١٠ ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي ، تاريخ الدولة المغولية في إيران ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ص٣٢ ؛ أحمد عبد الكريم سليمان ، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص١٥-١٦ .

(٣) عن الدولة الخوارزمية ، انظر عفاف سيد صبرة ، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ١٩٨٧ ؛ حمدي حافظ ، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٠ ، ص١١٢-١١٣ ؛ عبد النعيم حسنين ، إيران والعراق في العصر السلجوقي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص٢٢١ .

(٤) بخارى : من أهم مدن بلاد ما وراء النهر . عنها انظر : الاصطخري ، مسالك الممالك ، ليدن ، ١٩٢٧، ص٣٠٥ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، بيروت ، د.ت ، ص٣٩٢ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، ١٩٠٦ ، ص٣٦٩ ؛ القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، د.ت ، ص٥٠٩-٥١٠؛ ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٨١ ؛ الحميري ، الروض العطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص٨٢-٨٤؛ الدمشقي شيخ الربوة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ليبزج ، ١٩٢٣ ، ص٢٢٣ .

مدينة العلم في بلاد ما وراء النهر على يد جنكيز خان عام ٦١٦هـ/١٢١٩هـ ، حيث دخل المدينة ودخل مسجدها وهو ممتطياً جواده ، ثم صعد المنبر قائلاً بأعلى صوته لجنوده : " لقد قطع العلف ! اعطوا الخيل طعاماً " بمعنى انهبوا المدينة ، وقد حمل المغول إلى المسجد الجامع عدة صناديق تحوي نسخاً كثيرة من القرآن الكريم ، وألقوها تحت حوافر الخيل ، واستخدام هذه الصناديق كمعلف للخيول ، فضلاً عن قيامهم باحضار قرب الخمر والمغنيين إلى المسجد الجامع ، وأخذوا يشربون ويطربون وأعيان البلد وكبار علمائها ممسكون بأعنة خيولهم . ثم دمروا المدينة ، وألقوا النار في البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بأنواع العذاب ومن بقى على قيد الحياة من أهلها نزح إلى إقليم خراسان (١) . ثم اتجه المغول إلى مدينة سمرقند (٢) ، حاضرة بلاد ما وراء النهر في أوائل سنة ٦١٧هـ١٢٢٠م ، ففعلوا بها مثل فعلهم ببخارى من النهب والقتل والسلب والفساد ، وأحرقوا المسجد الجامع (٣) .

---

(١) عطا ملك الجويني ، تاريخ فاتح العالم جهانكشاى ، نقله عن الفارسية ، محمد ألتونجي ، دار الملاح ، حلب – سوريا ، ١٩٨٥ ، جـ١ ص١١٦-١١٧ ؛ ابن عرب شاة ، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص٥٧٢-٥٧٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، بيروت ، د.ت ، جـ١٢ ص١٦٨-١٦٩ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، الجزء الرابع ، تحقيق حسنين محمد ربيع ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص٤٢-٤٣ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، د.ت ، ص٤٠٧-٤٠٨ ؛ النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق حمدي حافظ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص١٠٠-١٠١ ؛ أبو الفضائل ابن نظيف الحموي ، التاريخ المنصوري ، تحقيق أبو العيد داوود ، دمشق ، ١٩٨٢ ، جـ١ ص٣٣٥ ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار أو تاريخ ابن سباط ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، طرابلس – لبنان ، ١٩٩٣ ، ص٢٧٠ ؛ بارتولد ، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ، ١٩٨١ ، ص٥٨٢-٥٨٤ ؛ فامبري ، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة أحمد محمود الساداتي ، مراجعة يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص١٧٠-١٧١ ؛ خالد عزب ، بخارى الشريفة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، د.ت ، ص٥ ، ٣٧ ، ٤٤ ؛

Combridge, History of Iran, vol.5 , 1968, PP.307-308 .

(٢) عن سمرقند . انظر : القزويني ، آثار البلاد ، ص٥٣٥-٥٣٧ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، جـ١٢ ص١٦٩ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص٤٠٩ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص٤٤ ؛ عفاف صبرة ، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ص١٧٩-١٨١ ؛ الصياد ، المغول ، ص١١٨ ؛ عطا ملك الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، جـ١ ص١١٩-١٢٠ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص٥٨٥-٥٨٩ ؛

D'ohsson, Histoire Des Mongol, 1, PP.236-239; Sykes, A History of Persia , vol. 11 , PP.76-78 .

هكذا سقط أكبر مركزين ثقافيين للحضارة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر ، ودمرت المؤسسات الثقافية من المساجد والمدارس وغير ذلك ، فضلاً عن تدمير آلاف المجلدات من الكتب النفيسة وذخائر المكتبات وحرقوا ودمروا المدارس ومعاهد العلم كافة ودمروا الزوايا والأربطة والأضرحة ، أما حوانيت الوراقين فأصابها ما أصاب غيرها من معاهد العلم ، حيث أثر الغزو المغولي على حوانيت الوراقين ، كما أثر بشكل مباشر على صناعة الوراقة ونتاجهم ، كذلك قتل عدد غير قليل من العلماء ، ومن بقي على قيد الحياة منهم فر إلى الجنوب الغربي حيث أقليم خراسان ، ولكن المغول لم يقفوا عند هذا الحد بل عبروا نهر سيحون إلى أقليم خراسان ، والذي أخذت مدنه ومراكزه الثقافية تسقط الواحدة تلو الأخرى ، فسقطت مدينة نيسابور وترمذ والري ومرو وغيرها من المدن الإسلامية الشهيرة بعلمائها وازدهار العلوم الإسلامية بها ، وهكذا لم يمت جنكيز خان حتى سقطت جميع مراكز المشرق الإسلامي الثقافية تحت سنابك خيوله(١) .

## سقوط بغداد في أيدي المغول :-

لم تقف هجمات المغول بموت جنكيز خان ، فقد أكمل حفيده هولاكو خطته في القضاء على الدول الإسلامية ففي عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، قام هولاكو بمهاجمة بغداد أكبر مركز ثقافي للحضارة الإسلامية على الإطلاق وعاصمة الخلافة الإسلامية لمدة خمسة قرون (٢) ، وبسقوطها وقتل الخليفة المستعصم بالله سقطت الخلافة العباسية ، وليس سقوط بغداد كسقوط أي عاصمة سياسية فقط ، بل سقوط مركزاً هاماً للعلوم والفنون والآداب ، حيث كان يهرع إليها العلماء ، وطلاب العلم حيث كانت غنية بمدارسها ، ومكتباتها ، وعلمائها ، وأدبائها ، وشعرائها ، وفلاسفتها ، وفنانيها ، الذين كانوا بمثابة أساتذة وموجهين وملهمين ، لرجال العلم والأدب في مختلف عواصم ومدن العالم الإسلامي وقتئذ (٣) .

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، جـ٥ ، ص٥٢١ ؛ ابن عرب شاة ، فاكهة الخلفاء ، ص٥٨١-٥٨٨ ؛ عفاف صبرة ، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ص٢٠٤ ؛ الصياد ، المغول ، ص١٣١ ؛ عباس إقبال ، تاريخ المغول ، ص١١٦ ؛ محمد سعد السيد أحمد عزب ، الحياة الفكرية في إقليم خوارزم في العصرين السلجوقي والخوارزمي ، رسالة ماجيستير غير منشورة كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، ٢٠٠٤ ، ص١٨٨ ؛ يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية ، ص٣٠٨؛ هالة شاكر عبد الرحمن ، الورق والوراقين في العصر العباسي ، رسالة ماجيستير غير منشورة ، ص١١٩ .

(٢) A Kanc ( Grigor of ), History of the nation of the Archers (The Mongols) Trans to English by R.P. Blake and R.N. Frye Massachusetts 1954 PP.65-69 .

(٣) جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، جـ٣ ص١١١-١١٢ ؛ الصياد ، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص٤٢ ؛ حمدي حافظ ، الشرق الإسلامي ، ص١٤٠ .

إن النكبة التي حلت ببغداد أضاعت الكثير من التراث العربي الإسلامي بعد أن عبث المغول بالكتب الإسلامية تسيطر عليهم روح الكراهية للحضارة والدين الإسلامي متشبعين بروح صليبية حيث كان هناك تحالف بينهم وبين الصليبيين والبابوية ، فضلاً عن افتقارهم إلى الحضارة والثقافة ، وعدم معرفتهم لقيمة ما تحتويه هذه الكتب من معارف ، وهذا ليس بجديد عليهم فقد مر بنا ما فعلوه بمدينة بخارى وسمرقند وغيرهما من مدن العلم ، حتى قيل أنهم بنوا بالكتب التي ببغداد الاصطبلات للخيول والمعالف ، كما قيل أيضاً أنهم بنوا بها جسراً مع الطين والماء بدلاً من الآجر [١] .

ويشير المؤرخون المعاصرون إلى أن ما نجا من الكتب من تلك النكبة حصدتها المجاعة التي حلت ببغداد في ذلك الوقت ، ذلك أن المجاعة دفعت كثيراً من الناس لبيع كتبهم ، ونتج عن ذلك أن انتشرت كتب مكتبات بغداد في عدة مدن [٢] .

وبسقوط بغداد تحت سنابك خيول المغول تم قتل الآلاف من العلماء والأدباء والشعراء ، وأحرقت مكتباتها ، وأتلفت ، وخربت المدارس ودور الحديث ، والمعاهد العلمية ، وقضي على الآثار الإسلامية التي كانت تتميز بها بغداد [٣] .

بالإضافة إلى ذلك فقد كان أهم أثر علمي نتج تلقائيا عن نكبة بغداد أن فقدت اللغة العربية المكانة الممتازة التي كانت تتمتع بها قبل الغزو المغولي في مجالات الثقافة و العلوم والآداب ، مما أدى إلى تفوق اللغة الفارسية على اللغة العربية في المشرق الإسلامي ، إذ يشير براون إلى ذلك بقوله " إن تحطيم بغداد كعاصمة للمسلمين وأنزالها إلى مرتبة المدن الأقليمية ، قد أصاب رباط الوحدة بين الأمم والشعوب الإسلامية بلطمة شديدة ، كما أصاب مكانة اللغة العربية في إيران بضربة قاسمة ، فاقتصر استعمالها بعد ذلك على العلوم الفقهية والفلسفية ، فإذا وصلنا إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري ، لم نعد نصادف إلا القليل النادر من الكتب العربية التي تم تأليفها في إيران " [٤] . خلفت القاهرة ودمشق والإسكندرية وقوص بغداد وبخاصة القاهرة التي أصبحت في عصر سلاطين المماليك مركزاً للعلماء والأدباء والتي ساعدت على نقل آراء الشرق إلى الغرب ثم كانت بذلك من بين العوامل في إيقاظ النهضة في أوروبا [٥] .

---

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص٥١ .

(٢) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، بغداد ، ١٣٥١ ، ص٣٣٣-٣٣٤ ؛ الصياد ، المغول ، ص٢٢٢-٢٢٣ ؛

**Cahen, Bagdad au temps de ses derniers calipls, in Arabic , IX , 1962, P.302**

(٣) الصياد ، المغول ، ص٢٧٩-٢٨١ .

(٤) ادوارد براون ، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي ، ترجمة إبراهيم الشواربي ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص٥٦٤ .

(٥) مصطفى بدر ، محنة الإسلام الكبرى ، أو زوال الخلافة العباسية من بغدادي على أيدي المغول ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص٢٢٠ ؛ أحمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص١٤٨ ؛

**Nicholson, Literary History of the Arabs , London, 1914, P.443 .**

وأدت هذه النكبة التي حلت ببغداد إلى فرار العديد من العلماء الذين على قيد الحياة إلى بلاد الشام ومنها إلى الديار المصرية ، بل مع استمرار الزحف المغولي على بلاد الشام فر الكثير من أهل الشام ومنهم علماء الشام أيضاً إلى مصر حيث استقر بعضهم بالقاهرة والبعض بالإسكندرية والبعض الآخر بقوص ، حيث مراكز الثقافة بمصر في تلك الفترة ، وقد توفرت لهم حياة رغدة ورفاهية فضلاً عن الأمن والأمان الذي فقدوه ببلادهم بالمشرق الإسلامي ، وأصبحت مصر ملاذاً لهم (١) .

وحظيت الإسكندرية بقدوم العديد من الأسر العراقية التي عملت بالعلم والتجارة في نفس الوقت مما أدى إلى ازدهار الإسكندرية في هذين الجانبين وقد ارتباطا مع الاقتصاد والثقافة من هذه الأسر آل الكويك التكريتيون وأسرة الغرافي العراقية المشهورون بعلم الحديث وأسرة عبد اللطيف بن رشيد الربعي التكريتي ورضى الدين إبراهيم البرهان عمر الواسطى التاجر وغيرهم . ممن أثروا في الحياة الاقتصادية والثقافية معاً بالإسكندرية وغيرهم (٢)، نتناول ذلك بشيء من التفصيل في مكانه من الدراسة .

## تدهور المراكز الثقافية بالأندلس :- .

في نفس الوقت الذي كانت تتساقط فيه المراكز الثقافية في المشرق الإسلامي ، نجد أن مراكز الثقافة في المغرب الإسلامي – المغرب – والأندلس – على يد الأسبان ، وقد لعبت الأندلس دوراً عظيماً في تاريخ الحضارة الإسلامية ، إذ أصبحت المصباح المنير في أوروبا المظلمة في العصور الوسطى ، وقد استطاع المسلمون بالأندلس من أن يصلوا إلى درجات عالية من التفوق العلمي والثقافي ، وأصبحت مدن الأندلس مراكز ثقافية وعلمية ، وانتشرت المكتبات في ربوع مدن الأندلس ، وقصور ومنازل الأندلسيين .

وعلى الجانب الآخر يقف أعداء المسلمين ، بدء من دولة الفرنجة المدعومة من البابوية في محاربة الدولة الإسلامية بالأندلس ، ثم اشتدت الحرب ضد المسلمين فيما عرف بحركة الاسترداد الأسباني La Reconquista (٣) ولكن كانت الدولة الأموية في الأندلس قوية وقتئذ فاستطاعت الوقوف ضد هذه الحرب الصليبية ، ولكن بسقوط الدولة الأموية بالأندلس في عام ٤٢٢هـ/١٠٣١م ، انقسمت الأندلس إلى مجموعة من الدول عرفت بدول الطوائف حيث أصبح في كل مدينة من مدن الأندلس دولة ، وقد اصطدمت مصالح هذه الدول مما شجع الصليبيين في العمل على الاستيلاء على مدن الأندلس

---

(١) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حيدر آباد ، ١٩٥٥ ، جـ١ ص٣٦٥ ؛ سحر عبد العزيز سالم ، العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري ، الإسكندرية ، ١٩٩١ ، ص١١-١٢ .

(٢) سحر عبد العزيز سالم ، العراقيون ، ص٤٠-٤٢ ؛ ابن الجزري ، تاريخ ابن الجزري ، جـ١ ص١٥٦ .

(٣) عن بداية حركة الاسترداد الأسباني ضد المسلمين ، انظر : عبد المحسن طه رمضان ، تاريخ حركة المقاومة الأسبانية ضد المسلمين في الأندلس ، سعيد رأفت ، القاهرة ، د.ت ، ص١٩٢-٣٠٨

وقد استطاع الفونسو السادس ملك قشتالة الاستيلاء على مدينة طليطلة عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، وهي قاعدة الثغر الأدنى ، ولم يلبث أن سقط خط وادي التاجو Tojo بما فيه من مدن وقرى وضياع ، ولهذا كان سقوط مدينة طليطلة في يد الأسبان كارثة كبرى للإسلام في الأندلس (١) .

وأدى سقوط طليطلة وبعض مدن غرب الأندلس إلى هجرة عدد من الأندلسيين إلى المشرق الإسلامي ومنها الإسكندرية التي استقبلت عدداً كبيراً من هؤلاء المهاجرين ، وقد زخرت كتب التراجم والمصادر التاريخية والأدبية بأسماء العديد من الشخصيات الأندلسية التي وفدت إلى الإسكندرية عقب سقوط طليطلة ، أغلبهم من العلماء وعلية القوم (٢) .

وفي ذلك الوقت استطاع المرابطون (٣) أن يوقفوا هذا الزحف الصليبي الأسباني والأوروبي ثم أكمل الموحدون دور المرابطين في الحفاظ على الأندلس من السقوط في يد الأسبان ، ولكن بهزيمة الموحدين في معركة العقاب Las Navas de Tolosa عام ٦٠٩هـ/١٢١٢م (٤) .

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، القاهرة ، ١٩٤٥، ص١٢٧-١٣٢ ؛ لسان الدين ابن الخطيب ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام ، نشر ليفي بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ ، ص١٤٢-١٤٣ ، ١٨١؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، جـ٤ ص١٦١ ؛ المقرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ص٥٢٢ ؛ أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ، ١٩٧٥ ، ص٢٨٢ ؛ محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، الجزء الثالث دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص١٠٧-١١٥ ؛ صلاح الدين نوار ، نظرات في تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي الإسكندرية ، ١٩٩٤ ، ص٢٩٤-٢٩٨ .

(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص١١٨ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص١٧٧ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص٢١٦-٢١٧ .

(٣) عن المرابطين . انظر: حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، القاهرة ، ١٩٥٧ ؛ أحمد مختار العبادي ، الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، المجلد ٢٠ ، ١٩٨٥ .

(٤) دارت هذه المعركة الفاصلة بالتحديد باتجاه سهل يقع جنوب غربي حصن العقاب إلى الشمال من مدينة جيان وذلك نسبة إلى حصن أموي قائم بالقرب من المكان الذي دارت فيه الموقعة ، انظر ابن الأبار ، التكملة ، جـ١ ص١٠٢ ؛ الحميري الروض المعطار ، ص٤١٦ ؛ مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، ص٢٤ ؛ ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس ، نشر ليفي بروفنسال، جـ٢ ص٤٤٠ ، جـ٣ ص٢٤٠ ؛ محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين وانهيار الأندلس ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص٣٢٠-٣٢١ ؛ عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير في العصر الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص٨٢٥-٨٢٨ ؛ عبد الرحمن علي الحجي ، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٤ ، ص٤٩٠-٤٩٣ .

مما ترتب عليها انهيار قوى الموحدين وتساقطت قواعد الأندلس الواحدة تلو الأخرى في أيدي الأسبان ، وكان لذلك أعمق الأثر في سقوط دولة الموحدين في الأندلس ، واختلال الأوضاع فيما تبقى من دولة الإسلام في الأندلس ، بحيث يمكننا القول بأن هذه الهزيمة كانت بحق بداية النهاية بالنسبة للوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية ، وازدادت حركة الاسترداد ، فأخذت المدن الأندلسية تتساقط تباعاً في أيدي النصارى الأسبان شرقاً وغرباً (١) فسقطت ماردة في سنة ٦٢٧هـ/١٢٣٠م وقرطبة في عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م ، بلنسية في عام ٦٣٦هـ/١٢٣٨م ، ودانية في عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م ، وجيان عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م ، وشاطبة عام ٦٤٤هـ/١٢٤٧م ، أشبيلية عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م ، والجزيرة الخضراء في عام ٧٤٥هـ/١٣٤٤م (٢) .

وظهرت روح التعصب الصليبي تجاه الحضارة الإسلامية من تحويل المساجد إلى كنائس ورفعت الصلبان بدلاً من الهلال على مآذن جوامعها وأحرقت كتب الثقافة الإسلامية في جميع المدن التي سقطت في أيديهم ، فضلاً عن قتل الكثير من العلماء ، واضطر الكثير من الأندلسيين من الهجرة إلى المشرق الإسلامي ، وبخاصة الإسكندرية التي تأثرت بهؤلاء الأندلسيين فضلاً عن المغاربة حتى يمكننا أن نطلق عليها أنها مدينة مغربية أندلسية الثقافة واللغة واللهجة وبنظره الآن لأحياء المدينة سنجد أسماء علماء الأندلس والمغرب في المقدمة كالشاطبي ، أبو العباس المرسي ، والطرطوشي وغيرهم ممن هؤلاء الذين هاجروا إلى الإسكندرية بعد سقوط مدنه أبو عبد الله بن محمد بن سليمان المعافري الشاطبي (٣) وأبو العباس المرسي (٤) وابن وثيق أبو إسحاق إبراهيم الأموي الأشبيلي وغيرهم الكثير .

---

(١) أحمد محمد الطوخي ، نشأة مملكة غرناطة الإسلامية في أسبانيا ، رسالة ماجيستير، آداب الإسكندرية ، ١٩٧٤ ، ص١ ؛ أماني أحمد محمد عبد المجيد ، التاريخ السياسي للأندلس فيما بين موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م وقيام دولة بني الأحمر سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م ، رسالة ماجيستير آداب الإسكندرية ، ١٩٩٦ ، ص٣ ، ٩١ .

(٢) عادل سعيد بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٣٠١ وما بعدها ؛ انطونيو دوميتقيزهورتز وبرمارد بنثت ، تاريخ مسلمي الأندلس ، الموريسكيون حياة ومأساة أقلية ، ترجمة عبد العال صالح طه ، الدوحة ، ١٩٨٨ ، ص٣ ؛ سحر السيد عبد العزيز سالم ، علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبيل وعقب سقوطها ، بحوث مشرقية ومغربية ، الجزء الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ ص١٩٩ ؛ صلاح الدين نوار ، دور المغاربة والأندلسيين في الجهاد ضد الصليبيين والمغول في بلاد الشام ، المؤتمر العلمي الأول ، كلية دار العلوم بالفيوم ، ١٩٩٥ ، ص٦٨-٦٩ ؛أحمد عبد اللطيف حنفي ، الدور السياسي والحضاري للمغاربة والأندلسيين في مصر في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية ، رسالة دكتوراه ، آداب طنطا ، ١٩٩٢ ، ص٣٤١ ؛ عبد المنعم ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص٢٤٠ .

(٣) سحر السيد عبد العزيز سالم ، شاطبة الحصن الأمامي بشرق الأندلس في العصر الإسلامي ، الإسكندرية ، ١٩٩٥ ، ص٢٢٥ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم ، مدينة مرسية موطن الشيخ الزاهد العارف ، القطب الأكبر أبو العباس المرسي ، دراسات أثرية وتاريخية ، مطبوعات جمعية الآثار بالإسكندرية ، العدد ٣ ، عام ١٩٦٩ ، ص١-٣٥ .

## إحياء الخلافة الإسلامية بالقاهرة :-

كان لسقوط الخلافة ببغداد أثره في زيادة الفرقة بين المسلمين آنذاك ، وقد استطاع الظاهر بيبرس البندقداري إحياء الخلافة بالقاهرة عام ٦٥٩هـ/١٢٦١م [١] وعلى الرغم من الهدف الذي دفع بيبرس لهذا العمل ، فإن انتقال الخلافة إلى القاهرة كان له دوره في تحول مركز الثقل السياسي والثقافي في العالم الإسلامي إلى القاهرة عاصمة الدولة المملوكية ، فضلاً عن مدن أخرى مثل الإسكندرية ودمشق وقوص كمراكز ثقافية وتجارية [٢] .

وأشار المؤرخ أبو شامة إلى أهمية نقل الخلافة إلى القاهرة بقوله " لما نقلت الخلافة من بغداد إلى مصر ، فعظم أمر مصر على سائر البلاد ، وتشرف قدر سلطانها على سواه من العباد ، وصارت مصر مسكن العلماء والفضلاء والزهاد ، وعلا فيها قدر السنة ، وعفت منها البدعة ، وهذا سر في بني العباس ، إذا حلوا بأرض تشرفت بهم على غيرها من البقاع ، ألم تر إلى السر الذي كان في بغداد ، كيف انتقل إلى مصر وصارت كدار السلام ؟ وهذا من أسرار الله تعالى في الخلافة النبوية ، حيثما كانت يكون فيها .... " [٣] .

ويؤيده في ذلك السيوطي إذ يذكر " وأعلم أن مصر من حين صارت دار الخلافة

---

(١) عن إحياء الخلافة العباسية في مصر ، انظر :- ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، ص٩٩-١٠٢ ؛ مفضل بن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، نشر بلوشية ، ص١٠٥ ،

Patrologia Orientalis, Tome, XII, XIV, XX,1911-1928 ;

أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، جـ٣ ص٢١٢-٢١٣ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، جـ٣٠ ، ص٢٨-٣٧ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ق٢ ص٤٤٨-٤٥١؛ العيني ، عقد الجمان ، جـ١ ص٢٩٣-٣٠٧ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ص٣٨٢ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ؛ عاشور العصر المماليكي في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٤ ، ص٣٤٢-٣٤٧؛ محمد جمال الدين سرور ، دولة الظاهر بيبرس في مصر ، دار الفكر العربي ، جـ٣٠ ، ١٩٩٣ ، ص٥٢-٦١ ؛

Ayalon, studies on the transfer of the Abbasid caliphate form Bagdad to Caire , in Arabica, vol.XII,1960,PP.41-59 .

(٢) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص٧ ؛ محمد كمال الدين عز الدين ، الحركة العلمية في مصر في عصر المماليك الجراكسة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات - جامعة عين شمس ، ١٩٨٩ ، جـ١ ص٣٦ .

(٣) أبو شامة ذيل الروضتين ، ص ٦٧ ؛ ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ق١ ص٣٧ ، ٣٢١ ؛ Thorau ( Peter ) , The Lion of Egypt , New York , 1987 , PP.110-117 ; Miur (sir William) , The caliphate , its Rise Decline, and Fall , P.593 .

عظم أمرها ، وكثرت شعار الإسلام فيها ... وصارت محل سكن العلماء ، وتمحط رجال الفضلاء والإيمان والعلم يكونان مع الخلافة أينما كانت " [(١)] .

وهكذا كان لسقوط المراكز الثقافية في جناحي العالم الإسلامي ، مشرقه ومغربه وسقوط الخلافة في بغداد وإقامة الخلافة بالقاهرة مرة ثانية ، أثره في أن تتحمل دولة المماليك في مصر والشام عبء حماية وحفظ التراث العربي الإسلامي [(٢)] ، وأصبحت المدن الخاضعة لدولة المماليك مراكز ثقافية ففي الشام كانت دمشق والقدس وحلب وحماه وطرابلس الشام ، وفي الحجاز مكة والمدينة المنورة ، وفي مصر وجدت ثلاث بيئات ثقافية ، الأولى : بيئة القاهرة عاصمة الدولة ، والبيئة الثانية : الإسكندرية والبيئة الثالث : قوص عاصمة الصعيد الأعلى وقتئذ [(٣)] .

ولهذا الوضع دوره في قدوم الكثير من العلماء والأدباء والفقهاء لكي يستقروا في إحدى المراكز الثقافية ، والإسكندرية واحدة من هذه المراكز التي استقطبت العديد من العلماء الذين نزلوا بها ليتعلموا بها ويُعلموا بها مما أحدث رواجاً للحياة الثقافية بها

يتضح لنا مما سبق تعدد العوامل التي أدت إلى ازدهار الحياة الثقافية بالإسكندرية من الموقع الجغرافي المتميز والازدهار التجاري والرحلات ، واهتمام ولاة الإسكندرية ومشاركتهم في الحياة الثقافية ، فضلاً عن مشاركة المنفيين السياسيين بها كذلك في الحياة الثقافية ، وما نتج عن سقوط المراكز الثقافية الإسلامية في المشرق والمغرب الإسلامي وإحياء الخلافة بالقاهرة . كل هذه العوامل مجتمعة تضافرت فيما بينها من أجل جعل الإسكندرية منارة ثقافية في عصر سلاطين المماليك .

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ص٩٤ .

(٢) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، تحقيق قسطنطين رزيق ، بيروت ، ١٩٤٢ ، جـ٨ ص٩٥ ؛ محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، جـ٢ ص٧ ؛ علي السيد علي، الهجرات المغولية إلى مصر وآثارها الثقافية والاجتماعية في العصر المملوكي ، المؤرخ المصري ، عدد ١٥ ، يوليو ١٩٩٥ ، ص٥٣-٥٤ ؛ سحر عبد العزيز سالم ، العراقيون في مصر ، ص٢١ .

(٣) يعد كتاب الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد للأدفوي أهم وأوحد مصدر لدراسة الحياة الثقافية بقوص في عصر سلاطين المماليك ، حققه سعد محمد حسن ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، وأهم المراجع لدراسة الحياة الثقافية بقوص جار سان ، ازدهار وانهيار حاضرة مصرية قوص ، ترجمة بشير السباعي ، القاهرة ، ١٩٩٦ ؛ عبد الفتاح يوسف عرابي ، قوص في عصر سلاطين المماليك ، ماجيستير – كلية الآداب بسوهاج – جامعة أسيوط ، ١٩٩٠ .

# الفصل الثاني

## مراكز الثقافة

### أولا : المراكز الثقافية الدينية

- المساجد
- الخوانق
- الرُبط
- الزوايا

### ثانيا : المراكز الثقافية التعليمية

- المدارس
- دور الحديث
- المكاتب
- المكتبات
- البيمارستانات

### ثالثا : المراكز الثقافية العامة

- حوانيت الوراقة
- منازل العلماء
- حوانيت التجارة والأسواق

# مراكز الثقافة

ازدهرت الحياة الثقافية في الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك ، نتيجة تضافر مجموعة من العوامل منها : الموقع الجغرافي المتميز ، والازدهار التجاري الذي نعمت به المدينة ، ووفود العلماء إليها فضلا عن مشاركة ولاة الإسكندرية والمنفيون واللاجئون السياسيون وغير ذلك من عوامل .

وصحب هذا الازدهار الثقافي تنوع مراكز الثقافة بالإسكندرية إذ ارتباطاً بعلاقة طردية، فكثرة المراكز الثقافية سيؤدي بطبيعة الحال إلى زيادة الانتعاش الثقافي بالمدينة، حيث ضمت بين جنباتها العديد من العلماء وطلاب العلم ، فضلاً عن أن الازدهار الثقافي سيؤدي إلى كثرة الحاجة إلى وجود عدد كبير من مراكز الثقافة لاستيعاب الأعداد الكبيرة من هؤلاء العلماء وطلاب العلم .

والجدير بالذكر أن الإسكندرية في العصر المملوكي تنوعت بها مراكز الثقافة والتي يمكن أن نقسمها إلى ثلاث فئات وهي :-

أولا : مراكز الثقافة الدينية مثل المساجد والخوانق والرُبط والزوايا والأضرحة والترب.

ثانيا: مراكز الثقافة التعليمية مثل المدارس ودور الحديث والمكاتب والمكتبات والبيمارستانات .

ثالثا: مراكز الثقافة العامة مثل : حوانيت الوراقة ومنازل العلماء وحوانيت التجار وغير ذلك .

وعلى الرغم من ذلك فإننا لا نستطيع حصر مراكز الثقافة في الإسكندرية في أماكن محدودة إذ تغلغلت الثقافة في جميع جوانب المجتمع السكندري ومؤسساته وقتئذ .

وسوف نتناول تلك المراكز فيما يلي بشئ من التفصيل حتى يتضح لنا الدور الكبير الذي لعبته في نشر الثقافة في الإسكندرية في العصر المملوكي .

## أولا : المراكز الثقافية الدينية :-

نمت الثقافة أول ما نمت في أحضان المؤسسات الدينية سواء كانت معابد أو كنائس أو مساجد وقام رجال الدين بنشرها ، ومراكز الثقافة الدينية في الإسكندرية المساجد والخوانق والرُبط وغير ذلك .

### ١ - المساجد :-

وجد بالإسكندرية في العصر المملوكي عدد كبير من المساجد بلغت ١٢ ألف مسجد حيث أشار ابن شاهين الظاهري إلى ذلك بقوله " بها اثنتا عشرة ألف قبلة ، وبه أي ثغر الإسكندرية ـ من الجوامع الحسنة والمدارس المرخمة والمنقوشة ما يطول شرح وصفهم " . (١) وقامت هذه المساجد بدور هام في الحياة الثقافية بالمدينة مما تعد بمثابة منارات ثقافية مثل جامع عمرو بن العاص أو الجامع الغربي ، وجامع العطارين أو الجيوشي وجامع صفوان وجامع قداح وجامع أبو العباس المرسى وجامع النبى

---

(١) ابن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص ٤٠ .

دانيال وغير ذلك .

أما جامع عمرو بن العاص فيعد أقدم مساجد الإسكندرية وعرف في العصر المملوكي بعدة أسماء منها جامع عمرو بن العاص أو الجامع العمري أو العتيق واشتهر باسم الجامع الغربي تمييزاً له عن جامع العطارين الذي عرف بالجامع الشرقي . (١)

حمل جامع عمرو بن العاص عبء نشر الثقافة الإسلامية في العصر المملوكي ، وحفل هذا المسجد بالعديد من العلماء الذين قاموا بالتدريس فيه : أبو الفضل بن علي بن يحيي الهمداني المقرئ المحدث والذي تولى مشيخة الإقراء بهذا الجامع وجلس لتدريس علوم للقراءات (٢) ثم خلفه عبد الباري بن عبد الرحمن الصعيدي في مشيخة الإقراء به أيضاً حتى وفاته عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م . (٣) وجلس بعده ابنه عبد الكريم بن عبد الباري الصعيدي يدرس علم القراءات ومشيخة الإقراء بالجامع الغربي وانتهت إليه مشيخة الإقراء بالإسكندرية (٤) وتصدر للإقراء بهذا الجامع عبد الرحمن بن عيسى بن عبد العزيز اللخمي الإسكندراني المتوفى في ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م (٥) ودرس به الشيخ المكين الأسمر علم القراءات وأخذ عنه العديد من طلاب العلم . (٦)

ودرس به الهزبر والذي كان رئيس المؤذنين وسمع عليه محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي مشيخة الرازي عن ابن المصفى . (٧)

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن جامع عمرو بن العاص بالإسكندرية انظر :-

ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٦١ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ٨٥ ؛ الهروي ، الإشارات إلى معرفة الزيارات ، ص ٤٧ ؛ النويري السكندري ، الإلمام ، ١ جـ ٤ ص ٤٠ ؛ ابن رشيد ، ملء العيبة ١ جـ ٣ ص ٩٣ ؛

Combe ( Etien ) , " Notes sur Les forts d'Alexandrie et des Environs " , BSRAA., No 34 , 1941 , PP. 98-99 ; Abouseif ( D.B.) , " Notes Sur l'Architécture musulmane d'Alexandrie" , dans Alexandrie Médiévale 1, (IFAO) , 1998 , P. 104 .

(٢) أبو شامة ، تراجم رجال القرنين ٦، ٧ هـ ، ص ٦٧ .

(٣) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ ٣ ص ١١٦١ ــ ١١٦٢ رقم ١٠٨٥ ؛ ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ ١ ص ٢٣٥٦ رقم ١٥٢٦ .

(٤) ابن الجزري ، غاية ، جـ ١ ص ٤٠٠ ــ ٤٠١ رقم ١٧٠٧ .

(٥) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ ٣ ص ١١٧٤ ــ ١١٧٥ رقم ١١٠٠ ؛ ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ ١ ص ٦٠٩ رقم ٢٤٩٢ .

(٦) ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص ١١٢ .

(٧) الفاسي المكي ت ٨٣٢هـ ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ٧ أجزاء ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب للعلمية ، بيروت ١٩٩٨ ، جـ ٢ ص ٤٤ رقم ٣٨ .

ودرس به عبد الرحمن بن منصور الفكيري ــ بفتح الفاء وكسر الكاف نسبة لقبيلة بالمغرب ــ علم القراءات فضلا على توليه خطابته ، وأخذ عنه العديد من علماء الإسكندرية والقادمين إليها (١) وجلس للتدريس بعده ابنه أحمد عبد الرحمن الفكيري ، والذي تولى إمامة وخطابة هذا الجامع لمدة خمس وثلاثين سنة . (٢)

ودرس بهذا الجامع أيضا علي بن محمد بن يفتح الله السكندري المالكي ت ٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م وتصدى لنفع الطلبة بهذا الجامع من عام ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م حتى عام ٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م ، فكان غالب قراء الإسكندرية تلامذته ، وأخذ عنه بهذا الجامع المؤرخ عبد الرحمن السخاوي ، فذكر أنه " كان إنساناً جليلا فاضلا ، خيراً حسن السمعة كثير التواضع والتودد ، ومكرماً للقراء والوافدين ، مشاراً إليه بالصلاح والمشيخة " (٣) وأخذ عنه أيضاً عبد الوهاب النطوبسي المالكي المتوفى عام ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م . (٤)

فضلا عن ذلك لعب جامع العطارين أو الجيوشي دوراً كبيراً في الحياة الثقافية في الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك ، ويعد من أهم معاهد العلم وينابيع الثقافة بها ، وظل يؤدي رسالته العلمية في تلك الفترة (٥) ، فقام بالتدريس فيه أجلة العلماء والفقهاء ، فكان الرشيد بن ريحانة الواعظ الشافعي ( ٥١٣ ــ ٥٨٩هـ/ ١١١٩ ــ ١١٨٥م ) ويدرس به (٦) ، أما عبد الكريم بن علي القضاعي الملقب بالبارع فكان له حلقة في هذا الجامع يعلم فيها علم النحو حيث ظفرت دراسة النحو في هذا المسجد بعناية كبيرة (٧) ودرس به عمر ابن عيسى السوسى علم النحو أيضاً وعنه أخذ أهل الإسكندرية النحو، وكان يقرأ لهم كتاب سيبويه (٨)

---

(١) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٦ ، ص ١٤٢ ــ ١٤٣ رقم ٤٣٩ ؛ جـ ٤ ص١٥٦ رقم٤٠٦

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ،جـ ١ ، ص ٣٣٥ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ،جـ ٦ ، ص ١٧ ــ ١٨ رقم ٣٨ .

(٤) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ١٠٤ ــ ١٠٥ رقم ٣٨٩ .

(٥) أحمد أحمد بدوي ، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، القاهرة ، جـ٥ ، ص ٦٠٣ .

(٦) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، جـ١، ص ١٩٢، رقم ٢١١؛ المقريزي المقفي، جـ٥ ص ٦٠٣

(٧) السلفي ، معجم السفر ، مكة المكرمة ، د.ت ، ص ١٧٥ ، رقم ٣٠٤ ؛ القفطي ، أنباء الرواة على أنباء النحاة ، ٤ أجزاء ، تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، جـ ٢ ، ص ١٩١ رقم ٤٠٥ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، جـ ١٩ ، ص ٨٢ ، رقم ٨٢ ؛ نكت الهيمان ، ص ١٩٥ .

(٨) أحمد أحمد بدوي ، الحياة العقلية ، ص ٢٠ ؛ عبد العال سالم مكرم ، المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ١٠١ ــ ١٠٢ .

ودرس به الشيخ عبد الباقي بن حسن الدميري الشافعي المعروف بابن النخلة كما ولي الأذان به وأخذ عنه الحافظ المنذري ودرس عليه ووصفه بأنه حسن الأخلاق وله محاضرة ومحفوظ . (١) وحظي علم القراءات بجامع العطارين بمكانة كبيرة فتولى مشيخة الإقراء به أبو الفضل جعفر بن علي الهمداني (٢) ثم تولى المشيخة بعده عبد الباري بن عبد الرحمن الصعيدي حتى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م (٣) ثم خلفه ابنه عبد الكريم بن عبد الباري . (٤) وكان أبو الحسن الشاذلي ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م يجلس يعظ الناس بهذا المسجد ثم جلس بعده تلميذه ورفيقه وخليفته أبو العباس المرسي ت ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م للوعظ أيضاً ، (٥) ودرس بهذا الجامع بهاء الدين أحمد بن أبي بكر بن عرام الأسواني ( ٦٦٤هـ - ٧٢٠هـ / ١٢٦٥م - ١٣٢٠م ) علوم اللغة العربية به . (٦) ودرس به محمد بن سليمان الصنهاجي ت ٧١٧هـ/ ١٣١٧م (٧) ، وتولى التدريس به أيضاً قاضي الإسكندرية أحمد بن المنير ت ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م (٨) ، ودرس به أيضا العلامة إبراهيم بن عبد الواحد بن وثيق (٩) وأخذ عنه به شيخ الإقراء بالإسكندرية المكين الأسمر والذي جلس يدرس علم القراءات بهذا الجامع (١٠).

---

(١) المنذري ، التكملة ؛ جـ ٣ ، ص ٢٩٤ ــ ٢٩٥ ، رقم ٢٣٦٣ .

(٢) أبو شامة ، تراجم رجال القرنين ، ص ١٦٧ .

(٣) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ ٣ ص ١١٦١ ــ ١١٦٢ ، رقم ١٠٥٨ ؛ ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ ١ ص ٣٥٦ ، رقم ١٥٢٦ .

(٤) ابن الجزري ، غاية ، جـ ١ ص ٤٠٠ ــ ٤٠١ رقم ١٧٠٧ .

(٥) ابن الصباغ ، درة الأسرار ، ص ١٨٢ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، جـ ٨ ص ٥٧ ؛ المقريزي ، المقفى جـ ١ ص ٥٤٨ ــ ٥٤٩ رقم ٥٣٨ .

(٦) الإدفوي ، الطالع السعيد ، ص٧٣ ــ ٧٥ رقم ٣٢ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٦ ص٢٧٠ ــ ٢٧١ رقم ٢٧٦٥ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ١ ص١١١ ؛ المقريزي ، السلوك جـ٢ ص٢١٢ ؛ المقفى الكبير ، جـ١ ص٦٨٣ ؛ السيوطي ، بغية الوعاء ، جـ١ ص١٢٩ ؛ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ١ ص١٧٨ .

(٧) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ ٤ ص ٦٧ رقم ٣٧٢٠ ؛ حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ ١ ص ٦٨ .

(٨) الذهبي ، دول الإسلام ، جـ ٢ ص ١٨٥ ؛ العبر ، جـ ٣ ص ٣٥٢ ؛ الداوودي ، طبقات المفسرين جـ ١ ص ٨٩ ــ ٩٠ .

(٩) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ ٣ ، ص ١١٣٢ ــ ١١٣٣ رقم ١٠٥٢ ؛ سير أعلام النبلاء ، جـ ٢٣ ص ٣٠٣ .

(١٠) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ ١٧ ، ص ٦٤٣ رقم ٥٤٠ ؛ ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ ١ ص ٢٤ ــ ٢٥ رقم ١٠١ .

ومن مساجد الإسكندرية التي لعبت دوراً في الحياة الثقافية بها وقتئذ ، جامع صفوان (١) ، والذي كان يجلس به محمد بن سليمان بن حماد السكندري المعروف بابن حماد ت ٥٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م يدرس علم الحديث ويقرأ به صحيح البخاري ويدرس أيضاً علم الفرائض ـ المواريث والحساب وعلم الميقات والشروط . (٢)

وجامع الغمري من مساجد الإسكندرية التي حفلت بتدريس العلم حيث كان لمحمد علي السكندري الحريري المتوفى في عام ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م مجلس إملاء بهذا الجامع على علم الحديث على طلبة العلم . (٣)

ومن مساجد الإسكندرية أيضاً مسجد قداح الذي درس به محمد بن سليمان بن يوسف الصنهاجي المراكشي السكندري المتوفى في عام ٧١٧هـ/ ١٣١٧م وكان يعلم به علم القراءات وأخذ عنه الرحالون وكتب لهم الإجازات . (٤)

ومن مساجد الإسكندرية التي ساهمت في الحياة الثقافية الجامع المنسوب للنبي دانيال بالديماس (٥) ـ شارع النبي دانيال حاليا ـ وكان يدرس به المكين الأسمر شيخ القراء بالإسكندرية . (٦)

يتضح لنا مما سبق أن العلوم الإسلامية من حديث وقراءات وتفسير وعلوم اللغة والنحو تعد عماد الحياة الثقافية داخل مساجد الإسكندرية في العصر المملوكي فضلا عن علوم الفرائض والحساب والميقات والشروط وكل هذه العلوم تخدم العلوم الشرعية والتي تؤهل لتولي الوظائف الدينية والديوانية في تلك الفترة ، وهذا يوضح طبيعة العصر من التركيز على هذه العلوم وعدم الاهتمام بالعلوم التجريبية أو العقلية ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة المسجد المخصص للعبادة وتأدية الشعائر الدينية وقتئذ .

ومع ذلك فأعتقد أن دور الجوامع والمساجد في الإسكندرية لم يقتصر على نشر الثقافة الدينية الإسلامية فقط ، بل عد بمثابة مؤسسة إعلامية لنشر الثقافة السياسية في المجتمع ، ففي المسجد الجامع يتم قراءة مراسيم وقرارات تولية الولاة وعزلهم ، فضلا

---

(١) عن جامع صفوان ، انظر ؛ قوائم سجلات بيوع محكمة الإسكندرية الشرعية ، مصلحة الشهر العقاري ، محكمة الإسكندرية الشرعية ، المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة ، سجل رقم ٤١ ملف ١٧٢ ص ١٠٢ ، سجل ٦٥ ملف ٣١٣ ص ١٧٣ .

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٧ ص ٢٥٨ رقم ٦٤٩ .

(٣) نفسه جـ ٨ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ رقم ٤٧٦

(٤) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ ٣ ص ١٣٨ ، رقم ١٠٨٠ .

(٥) حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ ١ ص ٣٣١ ـ ٣٤١ ؛ علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٧ ص ٧٠ .

(٦) ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص ١٢٢ .

عن أصحاب الوظائف الأخرى مثل نظر الإسكندرية والوكالة السلطانية والقضاء والحسبة وغير ذلك من أرباب الديوانية والدينية بالإسكندرية ، حيث ينص في آخر التوقيع " القرار والمرسوم ، على أن يقرأ هذا المرسوم بالمسجد الجامع بالثغر المحروس . (١)

فضلا عن ذلك فإنه كان يؤخذ البيعة للسلاطين وولاة العهد في المسجد الجامع بالإسكندرية وكان لهذا المسجد السبق في العديد من المناسبات السياسية ، فتم إلغاء الخلافة الفاطمية وإسقاط اسم الخليفة العاضد أخر خلفاء الفاطميين من خطبة الجمعة والدعاء للخليفة العباسي المستضئ بالله في جامع الإسكندرية قبل أن يعلن بالقاهرة بأسبوع مما شجع صلاح الدين بن أيوب على إعلان إلغائها في القاهرة في الجمعة التالية في عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م (٢)

بالإضافة إلى ذلك فإن الظاهر بيبرس البندقداري عندما أراد أن يأخذ البيعة لابنه السعيد بركة أخذها بالمسجد الجامع بالإسكندرية (جامع عمرو بن العاص) أثناء وجوده بها قبل أن يعلن ذلك في القاهرة ، وأمر خطيب الجامع أن يدعو لبركة خان سلطاناً وواليا لعهد أبيه وذلك في عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م . (٣)

وعندما كان يتولى أحد نواب الإسكندرية منصبه ، كان يقرأ تقليد تعيينه فوق منبر جامع العطارين ( الجيوشي ) وذلك بعد صلاة الجمعة حيث يجتمع أكبر عدد من الناس ، من ذلك ما أشار إليه النويري السكندري عند تولية صلاح الدين خليل بن عرام نيابتها " فدخلها في ليلة الجمعة تاسع عشر رجب سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، وقرئ تقليده بمنبر الجيوشي بعد صلاة الجمعة ، زاده الله من فضله وكرمه (٤) .

مما يؤكد دور مساجد الإسكندرية في نشر الثقافة السياسية في العصر المملوكي وتجدر الإشارة إلى أن جدران المساجد لعبت دوراً هاماً في توصيل المعلومات إلى أهل الإسكندرية فكان يتم الصاق الإعفاءات والمراسيم الحجرية على جدران المساجد وأبوابها حتى يسهل وصول تلك المعلومات إلى الناس(٥)

يتضح لنا مما سبق أن مساجد الإسكندرية لعبت دوراً كبيرا في نشر الثقافة الدينية والعلمية ، فضلا عن دورها كمؤسسة إعلامية وسياسية .

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ١٠ ،ص ٤٥٩ ؛ محمد عبد الستار عثمان ، المراسيم الحجرية من وسائل الإعلام في العصر المملوكي ، مجلة كلية الآداب بسوهاج ، جامعة أسيوط ، العدد الثالث ١٩٨٣ ، ص ١٥٧ ، وما بعدها .

(٢) محمد عمارة ، عندما أصبحت مصر عربية الطبعة الثانية دار قتيبة ، دمشق ١٩٨٩،ص١٣٤.

(٣) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ١١٦ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، جـ ٢ ص ١٩٦، المقريزي ، السلوك ، جـ ١ ص ٥٠٠ .

(٤) النويري السكندري ، الإلمام ، ج ١ ، ص ٤١٥ ؛

(5) Wiet, (Gaston), Catalogue Genéral du Musée d l'Art Islamique du Caire, Le Caire 1971.

## الخانقاوات :

ومن المراكز الثقافية الدينية في الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك الخانقاوات ومفردها " خانقاة " وهي كلمة فارسية ومعناها البيت ، وخصصت لإيواء الصوفية لعبادة الله تعالى . (١)

وهي عبارة عن دور للعلم والعبادة قامت بأدوار دينية واجتماعية وثقافية في حياة المجتمع فهي معاهد للمذاهب الفقهية والحديث والقراءات والتصوف وغير ذلك من العلوم الشرعية وما يتصل بها ، فضلاً عن أنها مكان لإيواء كل وافد إلى المدينة ، كما أنها مراكز ثقافية بما أحتوته من مكتبات والكتب المصنفة في كثير من العلوم والمعارف ، بالأضافة إلى ذلك يمكن اعتبارها رمزاً صادقاً للإسلام في أوج روحانيته ، فهي مقر الصوفية ، والصوفية هم المسلمون الذين رقت قلوبهم للتقوى وصفت نفوسهم ، وراعوا الله في أعمالهم الباطنية والظاهرة ، ونفعوا غيرهم بإيمانهم ووجهوا الحياة في المجتمع الذي يعيشون فيه .

وعرفت مصر الخانقاة في العصر الأيوبي على يد صلاح الدين الأيوبي ، فأنشأ الخانقاة الصلاحية المعروفة بخانقاة سعيد السعداء إحدى دور الفاطميين (٢) ، وذلك رغبة منه في محاربةالتشيع بالتصوف السني ، وازدادت أعداد الخانقاوات في العصر المملوكي زيادة كبيرة .

---

(١) لمزيد من المعلومات عن الخانقاوات في تلك الفترة.انظر :-
المقريزي ، الخطط ، جـ ٤ ص ٢٧١ وما بعدها ؛ السيوطي حسن المحاضرة ، جـ ٢ ص ٢٥٦ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص١٦٨ ؛ عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ١٠٤ ؛ محمد نور الدين عبد المنعم ، الألفاظ الفارسية في العامية المصرية ، ضمن كتاب دراسات في الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، د . ت ، ص ٢٠٧ – ٢٤٣ ؛ أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، ص ١٢٣؛ عاصم محمد رزق ، خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ، مدبولي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، حـ١ ص٢٣ وما بعدها ؛ دولت عبد الله ، معاهد تزكية النفوس في مصر ، ١٩٨٠ ، ص٢٩ ؛

Chabbi ( G ) art " Khankah", in EI,vol . iv,pp . 1057 – 1058

(٢) أنشئت الخانقاة الصلاحية في عام ٥٦٩هـ / ١١٧٤ ، واختار دار الأستاذ قنبر الملقب بسعيد السعداء مكاناً لها ، انظر : المقريزى ، الخطط ، حـ٤ ص٣٧٢– ٣٧٥ ؛ عاشور المجتمع المصري ص١٦٨ ؛ محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، ص٢٠٤– ٢٠٥ ؛ دولت عبد الله ، معاهد تزكية النفوس ، ص٣٦–٣٧ ؛ عاصم رزق ، الخانقاوات ، حـ١ ص٣٥ .

وبالنسبة للخانقاوات في الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك ، فلم تمدنا المصادر التاريخية المعاصرة سوى بخانقاة واحدة وهي خانقاة بيلبك المحسني ، وسوف نتناولها فيما يلي :-

## خانقاة بيلبك المحسني : -

أنشأ هذه الخانقاة والي الإسكندرية بيلبك بن عبد الله المحسنى الصالحي المتوفى في عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م والذي وصف بأنه خيراً ، وديناً وسيوساً فاضلاً ، وله مشاركة في الفقة ، وروى عن علماء الإسكندرية كأبن المقير وابن رواج (١) ، ويحتمل أنه أنشأ هذه الخانقاة أثناء ولايته للإسكندرية والتي لم تحدد لنا المصادر التاريخية تاريخها بالضبط ، ولا نعرف تاريخ أنشأ هذه الخانقاة أو أين تقع في الإسكندرية .

ومن حسن الحظ أن المصادر التاريخية المعاصرة أمدتنا ببعض أسماء من تولوا مشيخة هذه الخانقاة فتولاها مجد الدين موسي بن احمد الأقصراني ثم أنتقل منها إلى مشيخة خانقاة كريم الدين بالقرافة ثم مشيخة الخانقاة الناصرية بسرياقوس ، ووصف الشيخ مجد الدين بأنه كان خيراً دينا ، ذاوقار و سكون ، وحسن الشكل والملتقي والأخلاق وتوفي عام ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م (٢)

واستمرت هذه الخانقاة طوال العصر المملوكي ، حيث تولي مشيختها في النصف الأول من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي احمد بن حمزة ، الشهاب الأشليمي الجيّزي المتوفي عام ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م (٣) ، ووظيفتها الإشراف على الخانقاة وعلى صوفيتها ، فضلاً عن مسئولياته الدينية حيال نفسه وحيال صوفية الخانقاة ، ومسئوليات اجتماعية فهو قدوة للصوفية في دينه وخلقه ، وحياته العملية وفي سكناته وحركاته ، لذا وجب عليه أن يديم في تشمير ذيله ، وأن يقيم الصلاة ، وأن يأخذ أهل الخانقاة من الصوفية بمأخذ في الأمور الدينية والدنيوية وعلية تربية من يستجد من الصوفية في الخانقاة

---

(١) ابن الجزرى ، تاريخ ابن الجزري ،حـ١ ص٢٩٦ ؛ ابن ايبك الصفدي ، الوافي ، حـ١٠ ص٣٦٨ رقم ٤٨٦٤ ؛ أبن الفرات ، تاريخ أبن الفرات ، حـ٨ ص ٢١٦ ؛ العيني ، عقد الجمان ، حـ٣ ص٣٣٩-٣٤٠؛ أبن تغزى بردي ، المنهل ، حـ٣،ص٥١١ رقم ٧٤٧ ؛ الدليل ، حـ١ ص٢١١ ؛ النجوم ، حـ٨ ص٧٩ ؛ أبن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ ، حـ٢٣ ص٢٢٠ .

(٢) وثيقة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، رقم ٢٥ محفظة ٤، دار الوثائق القومية سطر ١٢٣٦ ــ ١٢٤١ ؛ أبن رافع السلامي ، الوفيات ، حـ١ ص٣١٢ – ٣١٣ ؛ أبن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، حـ٥ ص٤٧٣ – ٤٧٤ رقم ١٨٨٨ ؛ أبن حبيب ، تذكرة النبية ، حـ٢ ص٣١٨ ؛ درة الأسلاك ، ص٣١٨ ؛ ابن حجر ، الدرر ، حـ٥ ص١٤٣ ، رقم ٤٨٧٥ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ،حـ٢ ص ٨٣٢ رقم ٣٨٢ .

ويساعده على التنقل من حال إلى حال ، ويتدرج مع المريدين على قدر ما تحتمله أفهامهم ، وتشتمله من مطارف القوة أيامهم ، ولا يتعجل النهاية في كل أمر من هذه الأمور (١) .

فضلاً عن ذلك وجد بالخانقاة العديد من الوظائف بخلاف شيخ الخانقاة أمامها وناظر وقفها ومدرسو المذاهب ومعيدوهم وخازن الكتب وكاتب الغيبة والشاهد والمؤذن والمزملاتي و، ومشرف الحمام ومشرف المطبخ والطباخ وخادم الشيخ وخادم الربعات الشريفة والبواب والفراش وسواق الساقية والوقاد ، وبالإضافة إلى مجموعة من الأطباء كالكحال والجرائحي والطبائعي وغير ذلك ، وإن دل هذا الكم من الوظائف على شئ فإنما يدل على حجم ما كان في هذه الخانقاوات من وظائف متنوعة لكل واحد من أربابها عمله الخاص به (٢)

وجرت العادة إذا أتي قادم إلى الخانقاة لكي يقيم بها أن يقف بباب الخانقاة مشدود الوسط ، وعلى كاهله سجادة ، بيمناه العكاز وبيسراه الإبريق ، فيعلم بواب الخانقاة بمكانه ، فيخرج إليه ، ويسأله من أي البلاد أتي وبأي الزوايا نزل في طريقة ومن شيخه ، فإذا عرف صحة قوله أدخله الخانقاة وفرش له سجادته في موضع يليق به وأراه موضع الطهارة ، فيجدد الوضوء ، ويأتي إلى سجادته ، فيحل وسطه ، ويصلي ركعتين ويصافح الشيخ ومن حضر ويقعد معهم (٣)

كما جرت العادة أيضا أن يجلس كل نزيل من نزلاء الخانقاة على سجادة مختصة به، وإذاصلوا الصبح قرأوا سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم ، ثم يأتي خادم الربعات الشريفة بنسخ من القرآن العظيم مجزأة فيأخذ كل فقير جزءاً ويختمون القرآن(٤) ثم تختم التلاوة بشئ من الإستغفار والتسبيح والتهجد ثم تطورت " طريقة الختم " فعهد إلى جماعة من صوفية الخانقاة عرفوا باسم "أهل الصوفية" أن يقرأوا بأصوات مرتفعة مرتبة أذكارا خاصة ، ويعقبهم مادح ينشد بعض القصائد المشهورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم (٥) .

---

(١) ابن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، الطبعة الأولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ص١٦٥ – ١٦٨ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشي ، جـ١١ ص٣٧٠– ٣٧٦ ؛ عبد الرحمن أبو راس ، شيخ الشيوخ ، بالديار المصرية في الدولتين الأيوبية والمملوكية ، الطبعة الأولي ، عالم الفكر ، القاهرة ، ١٩٨٧ ص ٥٠–٥١ .

(٢) عاصم رزق ، خانقاوات الصوفية في مصر ، جـ١ ص ٢٣ . .

(٣) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ص ٢٠ .

(٤) نفسه ، ص ٢٠ .

(٥) دولت عبد الله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٧٤ .

وكان يتم عمل تلك الوظيفة غالباً في إيوان القبلة حيث يجتمع شيخ الخانقاة والصوفية حوله وللشيخ حرية استخدام جميع أروقة الخانقاة في الوظيفة إذا احتاج الأمر ذلك (١)

والجدير بالذكر أن الخانقاة لم تقتصر الدراسة بها على التصوف بل امتدت إلى العديد من العلوم قريبة الصلة بالتصوف كالفقه والتفسير والحديث ، وعلوم أخري لا غني عنها ذات قيمة علمية كالنحو والأصول وعلم الهيئة والطب والفلسفة والقراءات ، وكانت تلك الدراسات تلقي في أوقات محددة وأماكن ثابتة (٢) .

---

(١) دولت عبد الله ، معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٧٤ .

(٢) نفسه ، ص ٢٧٥ .

## الرُبـــط

ومن مراكز الثقافة الدينية في الإسكندرية في عصر سلاطين المماليــك ، الــرُبط : جمع رباط ، والرباط : أصله ما يربط فيه الخيل ، وقيل لكل ثغر يدفع أهله عما وراءهم رباط ، أي ملازمة الثغر رباطاً ، الرباط إذن هو الإقامة بالثغر المعرض للعــدو والــذود عنه . (١)

واتخذ المسلمون عقب فتح الإسكندرية من ثغرها رباطاً ، وورد في فضل الرباط في الإسكندرية أحاديث كثيرة وأقوال مأثورة وكتبت عدة رسائل في فضل الإسكندرية وفضل الرباط بها . (٢) ومن الطبيعي أن يزود ســاحل الإســكندرية ، بالمحــارس والأبــراج والحصون لإقامة هؤلاء المرابطة ، لذا زاد عدد الرُبط بالإسكندرية منذ الفتح الإســلامي وحتى نهاية العصر المملوكي ، وحفظت لنا المصادر التاريخية المعاصرة ، أسماء عــدد كبير من هذه الرُبط وبخاصة في العصر المملوكي . (٣)

---

(١) الرازي ، مختار الصحاح ، مادة " الرباط " ص ٢٢٩ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة "رباط"؛ السهروردي ، معارف المعارف ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص ٧٦ ؛ المقريــزي ، الخطــط ، جـــ ٤ ص ٢٩٢ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، مادة " الرباط " جـ ١٦ ، ص ٥٠٧٩ ــ ٥٠٨٨ ؛ حسن الباشا مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية ، ص ١٢٦ ؛ دولت عبد الله ، معاهد تزكية النفوس ص ٤٣؛ أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، ص ١٢٣ ؛ محمد الصادق عبد اللطيف ، " الرباطات " دورهــا وأهميتها التاريخية مجلة المنهل ، العدد ٥٧١ ، المجلد ٦١ يناير ، فبراير ٢٠٠١ ، ص ٨٢ ــ ٨٣ ؛ سعيد إسماعيل علي ، معاهد التربية الإسلامية ، ص ٥٩٥ ؛

Marcais, (G), art "Ribat" EI. Vol.VIII, PP. 1230; Chabbi, art "Ribat" EI. Vol. VIII. PP. 510-523

(٢) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ ٣ ص ٧١ وما بعدها ؛ ابن دقماق ، الانتصــار ، ق ٥ ص ١١٦ ــ ١٢٢ ، ١٢٤ ــ ١٢٦ وألفت عدة رسائل في فضل الرباط بالإسكندرية مثل ابن الصــباغ ، فضائل الإسكندرية ، نسخة مصورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، محفوظة بكليــة الآداب ــ جامعة الإسكندرية رقم ٧٧٩م ؛ ومحمد بن خزيمة ، فضائل الإسكندرية مخطوط بدار الكتب المصرية وفضائل الإسكندرية للسيوطي ، مخطوط بالمكتبة الأزهرية ؛ والرسالة العوفية في فضل الإسكندرية وفضائل الإسكندرية ، لأبي الفضائل ، انظر السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ عن ذم التاريخ، ص ١٥١؛ روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي ، بغداد ، ١٩٦٣ ، ص ٦١٥

(٣) يذكر ابن رستة ت ٢٩٠هـــ/ ٩٠٢م هذه الرُبط والمحارس المثبتة على ساحل الإسكندرية فقال بالإسكندرية رباطات مع الساحل يضرب ماء البحر حيطانها تسمى المحارس ، انظر الأعلاق النفيسة ليدن، ١٨٨١ ص ١١٨ وأمدنا السلفي ببعض رُبط الإسكندرية مثل محرس ابن أبي موسى التاجر =

وسوف نتناولها بشئ من التفصيل فيما يلي :-

من هذه الرُبط رباط الشاطبي والذي ينسب إلى الشيخ محمد بن سليمان المعافري الشاطبي نزيل الإسكندرية ويعرف به حي الشاطبي حالياً - حيث ولد بمدينة شاطبة بالأندلس عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م وقرأ بها القراءات السبع على أبي عبد الله محمد بن سعادة الشاطبي ثم استقر في الإسكندرية وصاحب الشيخ أبا العباس الرأس ، وجمع الشاطبي بين العلم والعمل والورع والزهد ، والانقطاع إلى الله ، كما نبغ في العديد من العلوم الشرعية مثل التفسير والقراءات والحديث وغير ذلك من العلوم ، وكان هذا الرباط يعرف باسم رباط " سوار " (١)

ثم اشتهر باسم " رباط الشاطبي " ونسبة إلى الشيخ محمد الشاطبي ، وظل الشاطبي في مشيخة الرباط حتى وفاته بالإسكندرية عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م (٢) وزاره الظاهر بيبرس في هذا الرباط عدة مرات وزاره كذلك بعد موته . (٣)

ودفن بهذا الرباط نائب الإسكندرية سيف الدين أراغوان اللالا المعروف بالأحمدي والذي تولى نيابة الإسكندرية في شوال عام ٧٧٥هـ/ ٣٧٣م . (٤)

---

= ومحرس القشميري ، انظر السلفي ، معجم السفر ص ٣٠، ص ١٧٠ ووجد رباط العجيسي وابن حباسة ورباط اللخمي السكندري ورباط ابن أبي شامة ورباط العصاير ورباط عبد الرزاق الكبير ، انظر المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، ج٣ ، ص٥١٢ رقم ٢٨٨٤ ؛ ج٣ ص٥٨٨- ٥٨٩ ، رقم ٣٠٥٠ ؛ منصور بن سليم ، ذيل تكملة الأكمال ، جـ ١ ص ٢٠٢ رقم ٢٠٥ ، جـ ١ رقم ٣٩١ ؛ صفي الدين بن أبي المنصور ، رسالة صفي الدين بن أبي المنصور ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٧٦ .

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج٣ ص١٥٣ ؛ المقفي، جـ١ ص٦١٣-٦١٤ رقم٥٩٥ ؛ صفي الدين بن أبي منصور ، رسالة ، ص٧٦ .

(٢) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان، جـ٣ص٧٢؛ بيبرس الدودار، زبدة الفكرة ، جـ٩ ص١٥١؛ الذهبي ، العبر، جـ٣ ص٣٢٦؛ ابن أيبك الصفدي، الوافي، جـ٣ ص١٢٨ رقم ١٠٧١؛ ابن الجزري، غاية النهاية ، جـ٢ ص١٤٩ رقم٣٠٤٤؛ المقريزي، المقفى، جـ٥، ص٦٩٦-٦٩٧ رقم ٢٣١٠؛ ابن تغري بردى، النجوم، جـ٧ ص٢٤٣، ٢٤٥؛ السيوطي، حسن، جـ١ ص٥٢١؛ الداوودي، طبقات المفسرين، جـ٢ ص١٥٠-١٥١ رقم٤٩٣؛ المقري، نفح الطيب ( نشر أحمد نجاتي ، جـ٧، ص ٣٥-٣٨؛ المناوي، الكواكب الدرية، جـ ٢ ص ١٩٣ .

(٣) ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، ص ٩٧ .

(٤) النويري السكندري، الإلمام، جـ٦ ص٤٢٢-٤٢٣؛ المقريزي، السلوك، جـ٣ ص٢٢٦-٢٢٧؛ ابن حجر ، أنباء ، جـ ١ ص ٦٤ .

ومن ربط الإسكندرية أيضا في العصر المملوكي رباط الواسطى والذي ينسب إلى أبى الفتح الواسطي تلميذ الشيخ الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية بالعراق وقد أرسل أبا الفتح الواسطي إلى الإسكندرية لنشر الطريقة الرفاعية بمصر واتخذ من هذا الرباط مركزاً لنشر هذه الطريقة بالإسكندرية .

ويقع هذا الرباط خارج باب البحر بجزيرة فاروس وحالياً في ميدان المساجد بجوار مسجد أبو العباس المرسي حيث يطل على الميناء الشرقي بالإسكندرية . (١)

وشارك ولاة الإسكندرية في بناء الرُبط من ذلك رباط الهكاري ، والذي بناه والي الإسكندرية شمس الدين محمد بن باخل بن عبد الله بن أحمد الهكاري ، الذي تولى ولاية الإسكندرية في عهد السلطان المنصور قلاوون ، وظل في ولايته حتى توفي بها في عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م ودفن عند رباطه هذا ، ويقع خارج باب رشيد أي في منطقة باب شرق حالياً .

ونال شمس الدين محمد بن الهكاري صاحب هذا الرباط قسطاً من العلم وله نظم واشتغال بعلم الفلك (٢) كما شارك التجار في بناء الرُبط بالإسكندرية من ذلك رباط محمد بن سلام الذي أنشأه محمد بن سلام أحد تجار الكارم بالإسكندرية (٣) عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م ــ وأنفق على بنائه ٨٠٠ دينار، ويقع في خارج الإسكندرية في جزيرة فاروس ، وتعرض هذا الرباط للتخريب على يد القبارصة أثناء غزوهم الإسكندرية عام ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م (٤) ثم عمره محمد بن سلام مرة ثانية سنة ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م، فصار كما كان.(٥) ومن ربط الإسكندرية رباط سيدي داود والذي تولى وظيفة الإمامة به علي بن محمد بن يفتح الله في الفترة من عام ٨٣٣هـ إلى عام ٨٦٢هـ ، ولا نعرف موقع الرباط ولا منشئته . (٦)

---

(١) المقريزي ، المقفي ، ج١ ، ص٤١٤ ، رقم ٤٥٣ ؛ الشعراني ، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٠٢ رقم ٢٩١ ؛ حسن عبد الوهاب ، الإسكندرية في العصر الإسلامي ، ص٣٩٣ .

(٢) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، ج٢ ص٢٤٢، ج٨ ص٨٩ رقم٣٦٢٣؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات ج٨ ص١٥،١٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١ ص١٢٤؛ المقريزي، السلوك، ج١ ق٣ ص٧٤٣ .

(٣) ناصر الدين محمد بن سلام الاسكندري ، سكن القاهرة وأصبح رئيس التجار الكارمية بالقاهرة وله عدة منشآت بالإسكندرية والقاهرة ، منها قصور في الإسكندرية في الجزيرة التي بين الميناءين توفي بالإسكندرية في يوم الثلاثاء ١٦رجب عام ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م ، انظر : المقريزي ، السلوك ، ج٣ ق١ ص٢٦١؛ ابن حجر ، أنباء الغمر، ج١، ص١٢٠؛ السخاوي، الذيل التام ، ص ١٨٧ .

(٤) النويري السكندري، الإلمام، ج٢، ص١٥٠-١٥٢ .

(٥) نفسه ص ١٥٣ .

(٦)السخاوي، الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ١٧ ، رقم ٣٨ .

ومن ربط الإسكندرية الرباط الذي بناه الأمير قجماس الإسحاقي نائب الإسكندرية نائب الإسكندرية في عهد السلطان الأشرف قايتباي المحمودي على شاطئ بحر سلسلة وأودع فيه الأسلحة والأقوات وما يلزم المرابطين فيه على حد قول السخاوي(١) وكما يتضح لنا من وثائق وقف الأمير قجماس الإسحاقي (٢) .

يتضح لنا مما سبق أن الإسكندرية في العصر المملوكي شهدت بناء العديد من الرُبط والمحارس التي قامت بدورها العسكري والثقافي ، ويرجع السبب في كثرة الرُبط في الإسكندرية وقتئذ إلى تعرض الإسكندرية لهجمات واعتداءات صليبية بغرض ضرب دولة المماليك في مقتل بالقضاء على التجارة مصدر الثراء لدولة المماليك بالاستيلاء على الإسكندرية فما تكاد سنة تمر إلا وتعرضت مدينة الإسكندرية لغارة من غارات القراصنة الصليبيين ، لذا كان من الطبيعي أن تنمو ثقافة الجهاد لحماية الإسكندرية مما تتعرض له من غارات ويكثر بها المتطوعون والمرابطون للدفاع عنها فأتى إلى الإسكندرية من كل حدب وصوب هؤلاء المرابطون بنية الرباط في سبيل الله مما جعل العديد من أهل الإسكندرية يقومون ببناء الكثير من الرُبط لإقامة هؤلاء المرابطين الذين كان أغلبهم من العلماء والفقهاء والمتصوفة .

ومع ذلك فلم يكن المرابطون في طوال أوقاتهم في حروب ، بل كان لديهم أوقات فراغ كثيرة قاموا خلالها بالاشتغال بفنون العلم المختلفة ، وفي رحاب الربط قام العلماء بتأليف الكتب في شتى مجالات الثقافة الإسلامية مثل الشيخ محمد بن سليمان الشاطبي الذي له مؤلفات في التفسير والحديث والقراءات والمنطق وغيرها من المؤلفات التي قام بتأليفها أثناء وجوده في الرباط وتدريسها للمقيمين داخل الرباط . (٣)

---

(١) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ٢١٣ ، رقم ٧٠٦ .

(٢) وصلتنا العديد من وثائق وقف الأمير قجماس الاسحاقي ، منها وثيقة وقفه على هذا الرباط وهي بتاريخ ١١ شعبان ٨٧٩هـ تحت رقم ٦٨٣ ج أوقاف ، أرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة ؛ ووثيقة استبدال عقار بظاهر باب رشيد بثغر الإسكندرية بتاريخ ٢٦ ربيع الأول ٨٧٩هـ تحت رقم ٦٧٣ ج أوقاف ، أرشيف وزارة الأوقاف ؛ ووثيقة بيع رقم ٦٧٦ ج أوقاف بتاريخ ربيع الآخر ٨٧٩هـ قام بنشرها محمد محمد أمين في فهرس وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٨٠ ص ٣٨٢-٤٠٦ ؛ فضلا عن وصول عدة نقوش باسم قجماس الإسحاقي .

Wiet, catalogue Général du Musee arbe du Caire, Objets en Cuivre, 1932,PP.30-31 no 242 pl. xv.

(٣) الداوودي، طبقات المفسرين، ج٢، ص١٥٠-١٥١؛ المقري، نفح الطيب، ج٧، ص٣٥-٣٨ .

بالإضافة إلى ذلك فقامت الرُبط بوظيفتها الدينية كدار للعبادة وأصبح يوجد في كل رباط إمام يؤم المقيمين بالرباط في الصلاة (١) ووجد في كل رباط محراب للصلاة ومأذنة للآذان . (٢)

وتشير الوثائق المملوكية إلى مهمة المقيمين في الرُبط بالإسكندرية من الناحية العسكرية ، فوثيقة شاهين بن عبد الله المحسني تذكر بما نصه " ويصرف منه لأربعة نفر من المسلمين الموصوفين بالشجاعة وملاقاة العدو وملائمة الحروب العارفين برماية النفط والشرخ في كل شهر لكل منهم مائة درهم نقرة بشرط أن يرابطوا في سبيل الله تعالى بثغر الإسكندرية المحروس في الليل والنهار والصيف والشتاء يلازمون الرماية في كل يوم ويباشرون ملاقاة العدو بأنفسهم إن وقع ذلك ولا يستنيب أحدهم وعلى كل واحد المبيت ليلة ، بالمينا مع رماة الصناعة ومن غاب منهم عن الثغر المحروس لغير حج أو صلة رحم مقدار شهر قطع وقرر غيره ممن هو معروف بالصفات المشروحة . " (٣)

وهكذا يتضح لنا دور الرُبط كمركز للثقافة في الإسكندرية تجمع بين الثقافة العسكرية المتمثلة في الجهاد في سبيل الله ومقاتلة العدو وما يرتبط بها من التدريب العملي على فنون القتال وصناعة الأسلحة ودراسة كتب الفنون العسكرية والخيل وغيرها من كتب التدريب العملي والنظري فضلا عن ذلك وفرت الرُبط التربية الروحية من خلال تربية النفس بزيادة التعبد وتربية الشيوخ لمريدهم المقيمين معهم في الرباط بالإضافة إلى الثقافة الإسلامية التي تدرس في الرُبط من تفسير وحديث وقراءات وغير ذلك من العلوم .

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٧ رقم ٣٨ .

(٢) ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص ١٠١ .

(٣) وثيقة وقف شاهين بن عبد الله المحسني بتاريخ ٢٧ محرم ٨٠٨هـ/١٤٠٤م رقم ٦٣ محفظة ١٠ دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محمد محمد أمين ، فهرس وثائق القاهرة ، ص ١٥ .

## الزوايـــــا :

من مراكز الإشعاع الثقافي في الإسكندرية الزوايا : جمع زاوية ، والزاويـــة مـــن البيت ركنه ، وتزوي ، وزوي وأنزوي : صار فيها وزواه : نحاه فانزوى (١)، وكانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة الراهب النصراني ، ثم أطلقت على المسجد الصغير ، والزوايا في أول الأمر كانت ملحقة بالمساجد ، ثم تطورت إلى أبنيـــة صـــغيرة للصـــلاة والعبادة يتخذها أحد الشيوخ المشهورين بالتقوى والصلاح سكناً له ولمن يرد عليه من العابرين ويقوم بالوعظ والإرشاد فيها لمن يتردد عليه من الناس وترتبط الزاوية باســم شيخها بصرف النظر هل هو المنشئ لها أم لا ؟ (٢) .

وللزاوية دور في إثراء الحياة الثقافية في الإسكندرية في عصر سلاطين المماليــك وارتبطت الزوايا بشيوخ التصوف بحيث أصبح لكل شيخ الزاوية التي يتعبد فيهـــا هـــو وتلاميذه وأتباعه ومريديه ويتدارسون فيها ما يريد الشـــيخ تدريســـه (٣) أي تخضـــع الدراسة في الزوايا لمشيئة شيخ الزاوية ، والزاوية ترادف في بلاد المغرب الخانقاة في المشرق ، يؤيد ذلك ما ذكره الرحالة ابن بطوطة " وأما الزوايا فهي كثيرة وهم يسمونها الخوانق واحدتها خانقة . (٤)

وعلى الرغم من كثرة الزوايا في الإسكندرية إلا أن المصادر التاريخية المعاصرة لم تمدنا بأي معلومات عن هذه الزوايا إلا قليل ، من ذلك ما أشار إليه ابن حجر العسقلاني في ترجمة علي بن أحمد بن حديدة الأندلسي ، أنه أقام بالإسكندرية وعمـــر بهـــا عـــدة زوايا (٥) مما يوضح كثرة ما أنشأه من زوايا بالإسكندرية .

فضلا عن ذلك أشارت المصادر المعاصرة إلى أن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني انقطع بظاهر الإسكندرية في زاوية على البحر مرابطـــاً وتـــوفي عـــام ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م . (٦)

---

(١) الرازي ، مختار الصحاح مادة زوي ، ص ٢٧٩ ؛ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، مادة زوا ص ١٦٦٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الزاوية ، ج ١٧ ص ٥٢١٩ .

(٢) عاشور ، المجتمع المصري ، ص ١٦٩ ؛ عبد الغني محمود ، التعليم في مصر ، ص ٢٣٥ .

(٣) دولت عبد الله، معاهدة تزكية النفوس ص٥٢-٥٣؛ عاصم رزق، الخانقاوات، ص ١٠٢-١٠٣؛
Arnold (Thomas), Preaching of Islam, London, 1935, P. 295 .

(٤) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٧ .

(٥) ذكر أنه ولد عام ٦٦٥ وأنه حفظ المؤطا وقرأ صحيح مسلم ببجاية ، وأخذ التصوف على خطيب مالقة ، وتعاني الوعظ والكلام على الفاسي وله أتباع ومحبون ، ومات ببيت المقدس فـــي رمضـــان ٧١٩هـ ، انظر ، الدرر الكامنة ج٣ ص٨٠-٨١ رقم ٢٦٥١ .

(٦) الذهبي، معجم محدثي الذهبي، ص ٩١ رقم ١٤٥؛ابن أيبـــك، الـــوافي، ج ١٧ص ٥٩٦ رقـــم ٥٠٣؛الحسيني،ذيل تذكرة الحفاظ ،ص ٤٧؛ المقريزي، السلوك، ج ٣ ص ٥٨؛ابن حجر،أنباء الغمر ، ج ١ ص ١١٤ .

## ثانيا : المراكز الثقافية التعليمية :

تنوعت مراكز الثقافة التعليمية في الإسكندرية في العصر المملوكي من المدارس ودور الحديث والمكاتب ومدارس الطب "البيمارستانات والمكتبات وغير ذلك من مراكز" وسوف نتناول كل منها بشئ من التفصيل :-

### المدارس : (١)

أدى زيادة النشاط الفكري والثقافي وتنوع الدراسات والعلوم التي اشتغل بها المسلمون التي تتطلب الاعتماد على التجريب والملاحظة والقياس وغير ذلك من الأمور بحيث ظهرت الحاجة الماسة إلى نوع جديد من المؤسسات لذا ظهرت المدرسة ، وقد نشأت في أحضان المشرق الإسلامي (٢) وعرفت الإسكندرية المدرسة منذ العصر الفاطمي ، حيث تعد أول مدينة مصرية أنشئت بها المدارس ، فبني بها خمس مدارس في العصر الفاطمي (٣)

---

(١) المدارس ، والمفرد المدرسة والمدارسُ والمدْرَسُ الموضع الذي يُدرس فيه ، انظر ابن منظور، لسان العرب ، مادة درس ، ج٢ ص ٣٥٩-٣٦٠؛ الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٢٠٣ ؛ الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ج ٢ ص ٧٠٢ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٢ ص ١٤٩ ؛ السجستاني، غريب القرآن ، ص ٩٩ ؛ ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ج ٢ ص ٢٦٧-٢٦٨ ؛ ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٢ مادة " درس " ؛ محمد عبد الرحيم غنيمة ، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، ص ٦٣ - ٦٦ .

(٢) عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم ، الحياة الثقافية والعلمية فى نيسا بور منذ ق ٣ حتى أوائل ق ٥ هـ ، دكتوراه ، اداب القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ٨١ ؛ ناجي معروف ، نشأة المدارس المستقلة في الإسلام ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ص ٦ - ٨ ؛

Leiser (G) Notes on the Madrase in Medieval, Islamic Society, MWLXXVI, 1986,P.16;Makdisi (G), The Rise of colleges institution of Learn in Islam and the west Eduiburgh, 1981, P.27; Dodge, Muslim Education in Medieval times, Washington, 1962, P.8; El-art"Masdjed", vol. 3, part. 1, P.354 .

(٣) مدرسة أبو بكر الطرطوشي ومدرسة ابن حديد أوالمكينية ، ومدرسة الحافظية أو العوفية ، مدرسة العادلية أو الحافظ السلفي ومدرسة الصاحبة حيث عرفت الإسكندرية أقدم مدرسة في عام ٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م وهي مدرسة الطرطوشي ، ويرجع ذلك إلى إعتبار الإسكندرية مركز المقاومة السنية في العصر الفاطمي ، انظر : أسامة حسن عبد المنعم ، أهل السنة في العصر الفاطمي ، ماجستير آداب الإسكندرية ، ١٩٩١ ، ص ٦٨ - ٦٩ .

كما وصلنا أسماء ست مدارس أنشئت بها في العصر الأيوبي (١) وأشار الرحالة ابن جبير إلى كثرة المدارس بالإسكندرية في ذلك العصر بقوله " ومن مناقب هذا البلد ومفاخرة العائدة في الحقيقة إلى سلطانه كثرة المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد يفدون من الأقطار النائية فيلقى كل منهم مسكناً يأوي إليه ومدرساً يعلمه الفن الذي يريد تعليمه وأجراء يقوم به جميع أحواله " (٢)

ثم شهد عصر سلاطين المماليك تطوراً كبيراً وازدهاراً عظيماً في بناء المدارس ، وهي السياسة التي انتهجها السلاطين الأيوبيون ثم ورثها المماليك منهم ، لذا تبارى سلاطين وأمراء المماليك في بناء المدارس وكذلك العلماء والقضاء ، بل شاركت النساء في ذلك ، حتى أصبح بناء المدارس سمة من سمات عصر سلاطين المماليك ، ودفعتهم إلى ذلك العديد من العوامل منها السياسية والاقتصادية والدينية والنفسية وغير ذلك من العوامل .

وشهدت الإسكندرية في هذا العصر حركة دائبة في بناء المدارس ويمكن تقسيم ذلك إلى :

١ - مدارس السلاطين والوزراء .
٢ - مدارس التجار .
٣ - مدارس العلماء والقضاة والمتصوفة .

وسوف نتناول كل منها بشئ من التفصيل فيما يلي :-

١ - مدارس السلاطين والوزراء :

اهتم سلاطين المماليك بإنشاء المدارس في دولة المماليك وأن حظيت مدينة القاهرة بأغلبية المدارس التي أنشأها سلاطين المماليك ، ومع ذلك بني في الإسكندرية مدرستان الأولى بناها الأشرف قايتباي ، والأخرى بناها المنصور عثمان بن جقمق فضلا عن المدارس التي استمرت معنا من العصرين الفاطمي والأيوبي كالمدرسة العوفية ومدرسة الحافظ السلفي ، ومدرسة صلاح الدين . فبني السلطان الأشرف قايتباي مدرسة بالإسكندرية (١) حيث حظيت المدينة باهتمام هذا السلطان ، كما حظيت العديد من المدن

---

(١) أمدتنا المصادر التاريخية بأسماء ستة مدارس في العصر الأيوبي فضلا عن الخمسة السابقة ، مثل مدرسة صلاح الدين الأيوبي ، ومدرسة ابن حباسة ، ومدرسة ابن الحافظ المقدسي أو ابن الأنجب ، ومدرسة ابن فياض ، ومدرسة القاضي ابن أبي الفرج ، ومدرسة الزكي التاجر .

(٢) ابن جبير ، الرحلة ص ٣٩ .

(٣) هو سلطان الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين قايتباي المحمودي الظاهري ، المحمودي نسبة للتاجر الذي جلبه ، والظاهري نسبة لمعتقه الملك الظاهر جقمق ، وهو الحادي والأربعون من ملوك الترك في مصر والخامس عشر من ملوك الجراكسة ، تسلطن عام ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م واستمر =

الكبرى في دولة المماليك ، كالقاهرة، ودمياط ، والقدس والمدينة المنورة ، ومكة وغزة وغيرها من المدن ، أما الإسكندرية فأنشأت بها قلعته الشهيرة ، وبنى بها مدرسة وذلك في عام ٨٨٤هـ/١٤٧٩م .

ولكن أين تقع هذه المدرسة بالإسكندرية ؟ وما هو المذهب الذي يدرس بها ؟ لا تمدنا المصادر التاريخية المعاصرة بأي معلومات عن ذلك ، فابن اياس ذكر أنه بنى مدرسة الإسكندرية (١) أما نجم الدين الغزي فذكر " أنه عمر حصناً بالإسكندرية ومدرسة بالقرب منه " (٢)

يدل نص الغزي على وجود هذه المدرسة بالقرب من قلعة قايتباي أي في جزيرة رأس التين ( فاروس ) ولكنني أرجح أن هذه المدرسة تمثل الطابق الأرضي من البرج الرئيسي لقلعة قايتباي وفي نفس الوقت تقوم بوظيفة المسجد ، فالتكوين المعماري للدور الأرضي – المدرسة – يتكون من أربعة أواوين على شكل صليب يمثل القلب صحن تلك المدرسة ويعد ايوان القبلة أكبر تلك الأواوين وكان لها مأذنة وظلت قائمة حتى عام ١٨٨٢م حيث قامت قوات الاحتلال الإنجليزي بضربها بالمدافع أثناء ضرب الإسكندرية تمهيداً لاحتلال مصر (٣) لذا أعتقد أن المسجد الحالي في البرج الرئيسي لهذه القلعة هو مدرسة قايتباي .

ومن مدارس الإسكندرية والتي يمكن أن ندخلها ضمن مدارس السلاطين المدرسة التي أنشأها المنصور عثمان بن الظاهر جقمق (٤) بعد خلعه من السلطنة ونفيه إلى

---

= في السلطنة حتى عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م . انظر ابن تغري بردى ، مورد اللطافة ، ج ٢ ١٨٥ – ١٨٦ ، النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ص ٣٩٤ ؛ ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ج ١ ، ص ٣ ؛ القرماني ، أخبار الدول ، ص ٢١٦ – ٢١٧ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ ص ٣ ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ٢٠١ ؛ ابن العماد ، شذرات ، ج ٧ ، ص ٣١٥ ؛ البكري ، النزهة الزهية ، ص ١٢١ – ١٢٣ ؛ نجم الدين الغزي ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق سليمان جبور ، ٣ أجزاء ، ط١ ، دار الإفاقة الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ج١ ، ص ٢٩٩ .

(١) ابن اياس ، بدائع ، ج ٣ ص ٣٢٩ ، عبد الرحمن عبد التواب ، قايتباي ، ص ١٩٢ .

(٢) الغزي ، الكواكب السائرة ، ج ١ ص ٢٩٩ .

(٣) محمد توفيق بلبع ، آثار السلطان في الإسكندرية ( قلعة قايتباي ) رسالة ماجستير آداب الإسكندرية ، ١٩٥٥ ، ص ١٠٧ ؛ عبد الرحمن زكي ، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٥٠ ؛

Førster, (E.M). Alexandrie, une histoire et un guide, Valtaire, 1990, P. 198 .

(٤) الملك المنصور أبو السعادات فخر الدين عثمان ابن الملك الظاهر جقمق ، تسلطن بعد أن خلع

الإسكندرية ، حيث عاش بها ، وتقع هذه المدرسة خارج بـاب البحـر – جزيـرة فاروس بين الميناءين – [1] .

ومن مدارس الإسكندرية في العصر المملوكي " المدرسة العوفية " والتـي أنشـئت منذ عام ٥٣٢هـ/١١٣٨م على يد الوزير الفاطمي رضوان بن ولخشي في عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله وسميت المدرسة الحافظية نسبة له [2] . ثم غلب عليها اسـم مدرسها الفقيه أبو الطاهر بن عوف الزهري [3] . فعرفت بالعوفية في العصر المملوكي ، وتقع هذه المدرسة في شارع المحجة – الشارع الموصل بين باب رشيد وباب غـرب في الإسكندرية حيث يمثل الشارع الرئيسي في المدينة من الشرق إلى الغرب – بـالقرب من كوم الدكة – الديماس – [4] بوسط الإسكندرية الإسلامية وظلت هذه المدرسة تؤدي دورها الثقافي والتعليمي والتربوي على أقل تقدير حتى منتصـف القـرن ٨هـــ/١٤م حسبما ورد في وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون [5] .

---

= أبوه في يوم الخميس ٢١ المحرم عام ٨٥٧ هـ / ٣ فبراير ١٤٥٣م ، وهو السلطان الخـامس والثلاثون من ملوك الترك ، ثم خلفه السلطان إينال في ٧ ربيع الأول ٨٥٧هـ/ مارس ١٤٥٣ ، ثم سجنه بالإسكندرية حتى عام ٨٦٤هـ/١٤٥٩م ، وعندما تسلطن الظاهر خشقدم رسم بإطلاقه مـن السجن وأذن له في السكن بإحدى دور الإسكندرية . انظر : ابن تغري بردي ، مورد اللطافة ، جـ٢ ص١٦٤-١٦٥ ؛ النجوم الزهرة ، جـ١٦ ص٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٧٦ ؛ منتخبات من حوادث الدهور ، ص١٦٥ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٥ ص١٢٧ ؛ التبر المسبوك ، ص٤٣٣ ؛ ابن إيـاس ، بدائع ، جـ٢ ، ص٣٠١ ، السيوطي ، حسـن ، جـ٢ ص١٢١ ؛ القرمـاني ، أخبـار الـدول ، ص٢١٤؛ ابن الصيرفي ، أنباء الهصر ، ص٢٤٠-٢٤١ ؛ البكري ، النزهة الزهية ، ص١٢٠ .

(١) السخاوي ، الضوء ، جـ١٢ ص٣٨ رقم ٢٢٠ .

(٢) ابن ميسر ، أخبار مصر ، ص١٣٠ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، جـ٢٦ ص٢٩٠ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ص١٦٧ ، ١٩٢ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٥ ص٢٨٩ .

(٣) إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف القرشي الزهري ، ولد بالإسـكندرية عـام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وتوفي بها عام ٥٨١هـ/١١٨٤م . انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢١ ص١٠٩ ، الاعلام بوفيات الأعلام ص٢٣٩ ، ابن فرحون ، الديباج ، جـ١ ص٢٩٢ ، ابـن أيبـك الصفدي ، الوافي ، جـ٩ ص٢٢٨ رقم ٤١٣٢ ؛ المقريـزي ، المقفـى ، جـ٢ ص١٨٣-١٨٤ رقم٧٨٣ ؛ المنستيري شجرة النور الزكية ، جـ١ ص٤٤ رقم ٤٢٥ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٤٥٢-٤٥٣ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٤ ص٢٦٨ ؛ الشيال ، أول أستاذ ، ص٣-٢٩ ؛ أعلام الإسكندرية ص١٠٦ .

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١٠ ص٤٥٨ ؛ درويش النخيلي ، دراسة جديدة في طبوغرافية مدينة الإسكندرية زمن الملك الأشرف شعبان ، دار المعرفـة الجامعيـة ، الإسـكندرية ، ١٩٨٨ ، ص١٧ .

(٥) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون المؤرخة بتاريخ ١٢ جمادى الأولى ٧٢٦هـ/١٦ أبريـل عام ١٣٢٦ ؛ دراسة ونشر وتحقيق محمد محمد أمين ، ملاحق كتاب تذكرة النبيـة لابـن حبيـب الحلبي، الجزء الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص٤٢٨-٤٣٠ ، أسطر أرقام ١٥ ، ١٦ ، ٢٦-٢٨ .

ومن مدارس الإسكندرية في العصر المملوكي واستمرت من العصر الفاطمي المدرسة الحافظية أو السلفية نسبة إلى مدرسها الحافظ السلفي ت ٥٧٩هـ/١١٨٣م [١] وقام ببناها الوزير الفاطمي العادل بن السلار، لذا كانت تسمى في العصر الفاطمي بالعادلية نسبة إليه وذلك في عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م [٢].

وتولى التدريس بها الحافظ منصور بن سليم مؤرخ الإسكندرية ومحتسبها حتى وفاته عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م [٣] وتولى التدريس بها أيضاً أحمد بن محمد بن قيس الأنصاري المتوفي في عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م [٤].

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المدرسة تعد المدرسة الشافعية الوحيدة في الإسكندرية في العصر المملوكي يؤيد ذلك ما ذكره ابن خلكان بقوله " ولم أر بالإسكندرية للشافعية سواها " [٥]، ويؤكد ذلك أيضاً ابن أيبك الصفدي بأنه " ليس بالثغر شافعية غيرها " [٦]

وظلت هذه المدرسة في أداء رسالتها العلمية والتعليمية في الإسكندرية على أقل تقدير حتى أواخر القرن ٨هـ/١٤م حسبما ذكر الأسنوي المتوفي في عام ٧٧٢هـ/١٣٦٩م أنها موجودة في عصره وأنها " تنتسب اليوم له تارة – أي ابن البوري – وللسلفي أخرى " [٧].

---

(١) ابن الصلاح ، طبقات الفقهاء الشافعية ، تحقيق محيي الدين علي بخيت ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ، ١٩٩٢ ، ترجمة رقم ١١٤ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، حوادث عام ٥٧٦ ، ص١٩٦-٢٠٧ ؛ سير أعلام النبلاء ، جـ٢١ ص٥ ؛ ابن كثير ، طبقات الفقهاء الشافعيين ، جـ٢ ص٦٨٣-٦٨٦ ؛ ابن قاضي شهبة ، طبقات الفقهاء الشافعية ، جـ١ ص٣٢٠-٣٢١ ؛ الأسنوي ، طبقات الشافعية ، جـ١ ص٣٣٩ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٤١٦-٤١٩ رقم ٤٨٥ ؛ ابن أيبك الدوادار ، الدرة المضية ، ص٥٥٢ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٢١ ص١٣٨ رقم ٨٢ ؛ ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص٥٧-٥٩ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ص١٩٨ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٥ ص٢٩٩ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٤ ص١٤٩ .

(٣) الأسنوي ، طبقات الشافعية ، جـ٢ ص١٠١ رقم٨٤٨ .

(٤) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ١ ص٣١٦ ، رقم٧٤٦ ، ويبدو أن الدكتور عبد العزيز سالم التبس عليه الأمر فذكر أنه درس بالمدرسة الحافظية على أساس أنها مدرسة ابن عوف ، وهذا خطأ، انظر تاريخ الإسكندرية ، ص٤٧٩-٤٨٠ .

(٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٣ ص٤١٧ .

(٦) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٢١ ص١٣٨ .

(٧) الأسنوي ، طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص١٣٠ والمقصود بابن البوري أبو القاسم هبة الله بن معد الدمياطي ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م أحد مدرسي هذه المدرسة ولذا سميت باسمه.انظر : المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، جـ١ ص٤٥٠ رقم٧١٨ ؛ ابن نقطة ، تكملة الأكمال ، جـ١ ص٥٥٤ رقم ٩٩٥ ؛ منصور بن سليم ، ذيل تكملة الأكمال ، جـ١ ص١٦٥ رقم ١٤٦ ؛ الذهبي ، المشتبه ، ص٩٧ .

ومن المدارس التي استمرت في تأدية رسالتها العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي مدرسة صلاح الدين الأيوبي والتي أنشأها عام ٥٧٧هـ/١١٨١م [١] ، وقام نائب الإسكندرية الأمير سيف الدين ألاكز بتعميرها وتزويدها بما تحتاج إليه ، وجعل على رحبتها سلسلة تمنع الدواب من دخولها وذلك في عام ٧٧٥هـ/١٣٧٣م [٢]

٢ - مدارس التجار :-

لعب تجار الإسكندرية دوراً كبيراً في حياة المجتمع السكندري في العصر المملوكي، وفي الحياة الثقافية بها ، فبالإضافة إلى مشاركتهم في جميع فنون العلم ، قام العديد منهم ببناء الكثير من المدارس بالإسكندرية منها على سبيل المثال مدرسة الدماميني ومدرسة عبد العزيز الكولمي ومدرسة عبد اللطيف الكارمي ، ومدرسة ابن الكويك فضلاً عن مدارس التجار من العصر السابق .

من هذه المدارس مدرسة الدماميني وقام ببناء هذه المدرسة أحد كبار تجار الكارم بالإسكندرية تاج الدين عتيق بن محمد بن سليمان المخزومي الدماميني [٣] نسبة لبلدة دمامين [٤] .

---

(١) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٠ ، ص٤٤١-٤٤٣ رقم ٤٩٣٣ ؛ ابن الدوادار ، كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ٦ الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، ص٦٨؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ق١ ص٧٦ ؛ حسن عبد الوهاب ، الإسكندرية في العصر الإسلامي ، ص٣٨٧ ؛ عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص٢٤٩ ؛

Weit, Repertoire chronologique, Tome 9, P. 156; Catalougue Général du Musée de l'Art Islamique du Caire , P.50.

(٢) النويري السكندري ، الإلمام ، مخطوط نسخة الهند ، ص٢٠٤ ب .

(٣) عتيق بن محمد بن سليمان المخزومي الدماميني ، يرتفع نسبه إلى خالد بن الوليد المخزومي نشأ بالصعيد واشتغل بالتجارة والعلم بمدينة قوص عاصمة الصعيد الأعلى آنذاك ، فسمع بها الحديث والفقه وحفظ التنبيه في الفقه ، كان ذكياً كثير العطاء ، وله مشاركة في التاريخ والأدب ، واستوطن الإسكندرية وأصبح رئيس تجار الكارم بها ، وكان مكرما للعلماء ، فيذكر الأدفوي على أنه " لما قدمت الثغر إضافني ، وأهدى إلى وأحسن جزاه الله الحسنى ، وتوفي عام ٧٣١هـ / ١٣٣١ . انظر: الأدفوي ، الطالع السعيد ، ص٣٥٩ - ٣٦٠ ، رقم ٢٨٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، جـ١٩ ص٤٦٠ رقم٤٦١ ؛ أعيان العصر، جـ٣ ص٢١٠ رقم ١٠٦٦ ؛ ابن حبيب ، تذكرة النبية ، جـ٢، ص١٢٩ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ص٣٤٠ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٣ ، ص٤٨ ، رقم ٢٥٦٢ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٧ ص٤١٠ رقم ١٥١٧ ؛ الدليل الشافي ١جـ٢ ص٤٣٧ رقم ١٥١١ ؛ النجوم الزاهرة جـ٩ ، ص٢٨٩-٢٩٠ .

(٤) دمامين ، بلدة تابعة لإقليم قوص في عصر سلاطين المماليك ، وهي الآن قرية المفرجية التابعة لمركز قوص محافظة قنا . انظر : الوطواط ، مباهج الفكر ، ص٩٧ ، ابن دقماق ، الانتصار ، ق٥ ص٣١ ؛ ابن الجيعان ، التحفة السنية ، ص١٩٣ ؛ علي مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، جـ١١ ص٢٠ ؛ محمد رمزي ، القاموس الجغرافي ، ق٢ جـ٤ ص١٨٥-١٨٦ .

ثم استوطن الإسكندرية وانتهت إليه رئاسة تجارها ، وتوفي بالقاهرة عام ٧٣١هـ/١٣٣١م ، وأوقف ابن الدماميني على هذه المدرسة أوقافاً كثيرة ، وهي تقع بحي المرجانيين في الإسكندرية [١] ، لعله جزءاً من شارع العطارين الشارع التجاري الرئيسي في الإسكندرية وقتئذ ووجد به أيضاً فندق ابن الدماميني .

ومن المدارس التي أنشأها تجار الإسكندرية ، مدرسة عبد العزيز الكولمي [٢] ، إذ أنشأها التاجر السكندري عز الدين عبد العزيز بن منصور الكولمي ، وهو حلبي الأصل ثم استقر في الإسكندرية وكان يتاجر في تجارة الكارم . وزاد ماله حتى صار يضرب به المثل في الثراء حتى عجز عن حصر ماله ، بحيث أنه بلغ مكس ما أحضره إلى مصر في سنة واحدة أربعين ألف دينار ، لذا نجده يكثر من البر والمعروف ، وله عدة أوقاف على مكاتب السبيل بالإسكندرية ، وتوفي بالإسكندرية عام ٧١٤هـ/١٣١٤م ، ووصف ابن بطوطة هذه المدرسة بأنها " المدرسة الحسنة بالإسكندرية " [٣]

ومن المدارس التي بناها تجار الإسكندرية في العصر المملوكي أيضاً مدرسة سراج الدين عبد اللطيف الكارمي [٤] ، وهو من التجار الذين لهم نصيب من العلم بحيث جمعوا بين العلم والتجارة ، وله ديوان مدائح نبوية ، وأخذ عنه الحافظ السلفي وذكره في

---

(١) الأدفوي ، الطالع ، ص٣٦٠ ؛ الصفدي الوافي ١جـ١٩ ص٤٦٠ ؛ أعيان العصر ، جـ٣ ص٢١٠ ؛ ابن حبيب ، تذكرة النبية ، جـ٢ ص١٢٩ ؛ ابن تغري بردي المنهل ، جـ٧ ص٤١٠ ؛ ولكن ابن حجر ذكر اسمها محرفا بالرحابيين بدلا من المرجانيين ، الدرر الكامنة ، جـ٣ ص٤٨ .

(٢) الخواجا عز الدين عبد العزيز الكولمي ، كان أبوه يهودياً من أهل حلب يعرف بالحموي ، فأسلم في عهد الظاهر بيبرس البندقداري ، وتعلق ابنه هذا على التجارة ، وفتح الله عليه وقدم مصر ببضاعة تقدر بأربعمائة ألف دينار ، وله ست خدام بيد كل واحد منهم مائتا ألف دينار للتجارة ، ثم ازداد وصار يضرب به المثل في كثرة المال ، وكان يكثر السفر للتجارة إلى الهند ، حيث كان على علاقة قوية بحكام الهند من بني تغلق ، ويحمل إليهم الهدايا الجليلة من المماليك والجمال والسلاح والثياب وغير ذلك ، وولاة السلطان أبو المجاهد محمد شاه بنت تغلق مدينة كنباية الهند ، وترك بعد موته ألف ألف دينار . انظر :
ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٥٠٩-٥١٠ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي جـ١٨ ص٥٦٣ ، أعيان العصر ، جـ٣ ص١٠٦-١٠٧ ، رقم ٩٩٦ ؛ الذهبي ، ذيل العبر ، ص٧٥ ، الإعلان بوفيات الإعلام ص٣٠٠ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ق١ ص١٣٢ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ،جـ٢ ص٤٩٣-٤٩٤ رقم ٢٤٥٠ ؛ ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ١ ص٤١٧ ، رقم ١٤٣٦ ، النجوم الزاهرة ، جـ٩ ص٢٢٩ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ص٣٥٠ ، جـ٤ ص٢٧٤ ؛الأشقر ، تجار التوابل ، ص٣٨٦ ، ٤٧٣ .

(٣) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٥٠٩ .

(٤) سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سند ( أو مسند ) ، رئيساً وجيهاً فاضلاً ، ذا بر ومعروف وسمع من علماء الإسكندرية ، مثل محمد بن النجيب وأبي محمد بن فارس وغيرهما ، وحدث . انظر : ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٩ ، ص١٢٣ ؛ أعيان العصر ، جـ٣ ص١٥٩-١٦٠ رقم ١٠٣٣ ؛ ابن حبيب تذكرة النبيه ، جـ٢ ص٦٠ ، درة الإسلاك ، ص٢٠٠ ؛ ابن حجر الدرر الكامنة جـ٣ ص٢٣ رقم ٢٥٠٢ ؛ الشيال ، تاريخ مدينة الإسكندرية ، ص٨٩ .

معجم شيوخه [1] ومعجم محدثيه [2] ، وتوفي بالإسكندرية عام ٧١٤هـ/١٣١٤م .

ومن مدارس التجار بالإسكندرية في العصر المملوكي ، المدرسة التي بناها سراج الدين عبد اللطيف بن أحمد بن محمود بن الكويك التكريتي الاسكندراني الشافعي [3] وهو من التجار الذين جمعوا بين العلم والتجارة أيضاً ، وله أثر ملموس في الحياة الثقافية ، فيذكر الذهبي في معجم شيوخه ، "وقدم علينا طالب حديث سنة عشر وسبعمائة ، فسمع من بنت البطاحي وإسحاق الأسدي ، وابن مكتوم خرجت له أجزاء وكتب عنه ، ونعم المرء هو دينا وعقلاً وفضلاً وذكاءً وتودداً " [4] .

وبلغ من الثراء درجة أن منسى موسى حاكم دولة مالي الإسلامية بالسودان الغربي اقترض منه أموالاً أثناء رحلته للحج عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م وهو بمصر ( القسطاط ) على أن يذهب معه إلى بلاده فيعطيه أمواله ، ولكن وافته منيته بتنبكتو عاصمة مالي[5] وذكر ابن بطوطة أثناء حديثه عن مدينة تنبكتو بأن " بها قبر سراج الدين بن الكويك أحد كبار التجار من أهل الإسكندرية كان السلطان منسى موسى لما حج نزل بروض سراج الدين ببركة الحبش خارج مصر وبها ينزل السلطان ، واحتاج إلى مال ، فتسلفه من سراج الدين ، وتسلف منه أمراؤه أيضا ، وبعث معهم سراج الدين وكيله يقبض المال ، فأقام بمالي فتوجه سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله ومعه ابن له ، فلما وصل تنبكتو مات هناك [6] عام ٧٣٤هـ/١٣٣٣م .

وأشار ابن شاهين الظاهري إلى أن هذه المدرسة " بانيها ابن الكويك من أعظم تجار الثغر قد بناها من متحصل فائدة يوم واحد" [7] ويرفض الدكتور عبد العزيز سالم هذه المقولة ويرجح أنه جددها فقط [8]

---

(١) الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص٤٧١ .

(٢) الذهبي ، معجم محدثي الذهبي ، ص١٠٦-١٠٧ رقم ١٨١ .

(٣) ابن أيبك الصفدي ، الوافي جـ١٩ ص١٢٤-١٢٥ ؛ أعيان العصر ، جـ٣ ص١٦١-١٦٢ رقم ١٠٣٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة جـ٣ ص١٨-١٩ رقم ٢٤٩٣؛ ابن العماد، شذرات، ج٦ ص٣١٤

(٤) الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص٣٢٩ رقم ٤٧١ ؛ معجم محدثي الذهبي ، ص١٠٦ .

(٥) المقريزي ، الذهب المسبوك ، ص١١٢ ، السلوك ، جـ٢ ق١ ص٢٥٥ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٥ ص٢٩٧؛ ابن حجر ، الدرر ١جـ٤ ص٣٨٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ص٤٣٤ ؛ زاهر رياض ، اتجاهات مصر الأفريقية في العصور الوسطى ، مجلة كلية الآداب ، مجلد ٢٠، جـ١ ، ١٩٨٠ ص٧٧ ؛ عبد الرحمن زكي ، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص١٠٦-١١٠ ؛ إبراهيم علي طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص١٦٨ ؛ محمد محمد أمين ، علاقات دولتي مالي وسنغاي بمصر ، مجلة الدراسات الأفريقية ، العدد الرابع ، ١٩٧٥ ؛ حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية ص٢٠٨؛ علي السيد علي ، التبادل التجاري بين مصر وبلاد التكرور وانعكاساته على أحوال مصر المملوكية،ندوة العرب في أفريقيا ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص٨٩ .

(٦) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٧٠١ ؛

Bovill, The Golden Trade the Moors,London, 1958, P.83

(٧) ابن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص٤١ .

(٨) عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص٤٧٧-٤٧٨ .

ونبغ من أولاد عبد اللطيف ابن الكويك وأحفاده وأحفاد أولاده عدد كبير والذين ملئت تراجمهم بطون المصادر التاريخية المعاصرة . [١]

ومن مدارس الإسكندرية في العصر المملوكي "مدرسة ابن حباسة " [٢] والتي ترجع إلى أواخر الدولة الأيوبية وقد أنشأها أحد تجار الإسكندرية المشهورين وأصحاب الثروة الكثيرة منصور بن حباسة الأسكندراني [٣] ولم يلتف أحد من الدارسين والباحثين إليها .

ومن الجدير بالذكر أن هذه المدرسة أول مدرسة في الإسكندرية يقوم ببناءها أحد التجار مما يوضح دور التجار في المجتمع السكندري وقتئذ ، ومدى الثراء الذي نعموا به من وراء التجارة وظلت هذه المدرسة في العصر المملوكي حتى غزو القبارصة للإسكندرية عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م حيث تعرضت للتخريب والحريق إذ أحرقوا درابزي هذه المدرسة وأحرقوا أيضاً سقف الإيوان [٤] .

وتولى التدريس بهذه المدرسة العديد من علماء الإسكندرية ، منهم الفقيه المالكي أبو المعالي محمد بن عبد المعطي بن منصور بن نجا بن المُخيلي حتى وفاته عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩ [٥] ثم جلس للتدريس بعده أخوه عبد الرحيم بن نجا المخيلي حتى وفاته عام ٦٤٢هـ/١٢٤٤م [٦] ودرس بها حفيد مؤسسها أبو عبد الله زين الدين محمد بن يحيى بن منصور بن حباسة (٦٣٠-٦٨٤هـ / ١٢٣٣-١٢٨٥ م) [٧] وأخذ عنه

---

(١)**Jacqualine Sablet, " Documents et Nolvles, Abd Al-Latif Al Tekriti et la Famille des Bani Kwuayk " Arbica, XV, May, 1962 .**

(٢) " بضم الحاء المهملة وفتح النون ومثناه تحت ساكنة ونون " ابن سليم ، ذيل تكملة الأكمال اجـ١ ص٢٠٢ .

(٣) القاضي الأجل أبو الفتح منصور بن حباسة الأسكندراني التاجر العدل المنعوت بالوجية وهو أحد التجار المشهورين وذوي الثروة المذكورين وبنى بثغر الإسكندرية مدرسة ورباطا يعرفان به ، وتوفي في الإسكندرية في الثاني من ذي القعدة عام ٦٣٩هـ/٢ مايو ١٢٤٢ م . انظر : المنذري التكملة ، جـ٣ ، ص٥٨٨-٥٨٩ ، رقم ٣٠٥٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام حوادث عام ٦٣٩هـ ، ورقة ٢١٨ ؛ منصور بن سليم ، ذيل تكملة الأكمال ، جـ١ ص٢٠٢ رقم ٢٠٥ .

(٤) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٦٦ .

(٥) الشيخ الفقيه الأجل أبو المعالي محمد بن أبي الفضل يوسف بن سعد الدولة ابن محمد عبد المعطي بم منصور بن نجا بن منصور بن نجا المخيلي الأسكندراني المولد والدار المالكي العدل المنعوت بالتاج ، تفقه على مذهب الإمام مالك وتصدر بثغر الإسكندرية ، ودرس بها في مدرستين وأفتى وتولى الوكالة السلطانية بها ، انظر : المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، جـ٣ ص٥٢٩-٥٣٠ رقم ٢٩٢٦ ؛ منصور بن سليم ، ذيل تكملة الأكمال ، جـ٢ ص٥٩ رقم ٩٠٨ .

(٦) منصور بن سليم ، ذيل تكملة الأكمال ، جـ٢ ص٥٩ رقم ٩٠٩ ؛ الحسيني ، صلة التكملة ، مخطوط ، لوحة ١٧ أ .

(٧) محمد بن يحيى بن منصور بن عبد العزيز بن علي بن حباسة ، التميمي الأسكندراني ، المالكي، ولد بالإسكندرية عام ٦٣٠هـ وتوفي بها ٦٨٤هـ . انظر: المقريزي ، المقفى ، جـ٧ ص٤٥٦-٤٥٧ رقم ٣٥٥١ .

بها الرحالة المغربي العبدري ، وسكن بها أثناء رحلته العلمية عام ٦٨٩هـ/١٢٩٠ [١] وهذه المدرسة مالكية المذهب .

ومن مدارس التجار في الإسكندرية في العصر المملوكي المدرسة الزكوية أو مدرسة الزكي التاجر ولا نعرف عن منشئها أي معلومات سوى لقبه زكي الدين (الزكي) وأنه من تجار الإسكندرية ، ومن حسن الحظ أنه وصلتنا أسماء بعض مدرسيها ، فدرس بها أبو الحسن علي بن إسماعيل بن عطية الصنهاجي التلكائي الأبياري المالكي نزيل الإسكندرية والمتوفى بها في عام ٦١٦هـ/١٢١٩م [٢] .

ودرس بها في عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م جمال الدين محمد بن حسن بن علي المعروف بابن التونسي [٣] ت ٧١٦هـ/١٣١٦م ، والذي أخذ عنه الرحالة المغربي ابن رُشيد السبتي أثناء رحلته بهذه المدرسة والتي سكن بها أيضاً ، ووصفه بأنه أديب له نظم وله سماع وإجازات وحظ بارع [٤] .

ودرس بها أيضاً الفقيه أبو زيد عبد الرحمن المقرىء بالمدرسة الزكوية كما سماها ابن رشيد السبتي [٥]

٣ - مدارس العلماء والقضاة والمتصوفة :-

شاركت فئات المجتمع السكندري الأخرى في بناء العديد من المدارس بها ويأتي في المقدمة علماء المدينة الذين أنشأوا العديد من المدارس وكذلك قضاة الإسكندرية ، وشارك بعض المتصوفة في ذلك .

فمن هذه المدارس ، مدرسة ابن بصاصة ، والتي عرفت أيضاً باسم " البصاصية " وبنى هذه المدرسة ناظر الإسكندرية جمال الدين الحسين بن زكي الدين أبو القاسم بن بصاصة لذا عرفت به ، وتولى نظر الإسكندرية في عام ٦٧٨هـ/١٢٧٩م حينما جاء في التوقيع الذي أورده القلقشندي [٦] وظل في تلك الوظيفة حتى وفاته عام ٦٨٠هـ/١٢٨١م [٧] .

---

(١) العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢١٦-٢١٧ .

(٢) المنذري ، التكملة ، جـ١ ص٤٧٧-٤٧٨ رقم ١٦٩٥ .

(٣) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٤ ، ص٤٢ ، رقم ٣٦٤٢ ؛ ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ٢ ص٢٢ رقم ٤٦٢ .

(٤) ابن رشيد السبتي ، ملء العيبة أو رحلة ابن رشيد ، نشر نجاح صلاح الدين السبتي ، دكتوراه آداب عين شمس ، ١٩٧٨ ، ص٥-٦ .

(٥) ابن رشيد ، ملء العيبة ، ص٦-٧ .

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١١ ، ص٤٠-٤٢ ، ص٤١٩ .

(٧) ذكر ابن الفرات اسمه محرفاً باسم " ابن بصافة " ، تاريخ ابن الفرات ، جـ٧ ص٢١١ ، ثم ذكره سليمان ابن بصاصة في جـ٧ ص٢٤٤ ، أما المقريزي فذكره رشيد الدين بن بصافة ، انظر السلوك جـ١ ق٣ ص٦٨٩ .

وتولى أمامة وتدريس هذه المدرسة عبد المحسن بن هبة الله أبي المنصور البُدي ، ودرس عليه بها الرحالة الأندلسي محمد بن جابر الواداياشي [1] ، ودرس عليه أيضاً الحافظ الذهبي وذكره في معجم شيوخه بأنه " ذو علم وزهد وله مقامات أدبية " [2] .

بالإضافة إلى ذلك درس بها أبو بكر بن عبد الله بن عمر بن خضر بن إلياس الزكي المناوي الضرير الأديب (٧٧٠ - بعد عام ٨٤٠هـ/١٢٦٨-١٤٣٦م ) ودرس عليه بها المؤرخ الشهير البقاعي [3] ، ودرس بها الشهاب أحمد بن محمد بن عمر بن هاشم الصفهاجي السكندري المالكي (٧٨٠ - ت ٨٥٥هـ ) وتولى مشيختها [4] وسمها السخاوي بالبصاصية [5] البساصية [6] .

ومن مدارس العلماء بالإسكندرية مدرسة النابلسي والتي أنشأها أبو بكر بن عمر الأسكندري المعروف بابن النابلسي . لذا عرفت المدرسة بالنابلسية ، ولا نعرف عن منشئها أي معلومات أو تاريخ أنشائها أو موقعها . وكل ما أمدتنا به المصادر المعاصرة عن تلك المدرسة هو حديثها عن ابن منشئها جمال الدين عبد الله بن أبي بكر بن عمر [7] والذي قتلته القبارصة أثناء هجومهم على الإسكندرية عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م ، فيذكر النويري السكندري " وصعدوا صومعة – مأذنة – المدرسة النابلسية ، فوجدوا فيها جمال الدين ابن بانيها مختفيا منهم بها ، وكان شيخا كبيرا ، ضعيف البنية ، فألقوه على رأسه من أعلاها إلى الأرض ، فاندقت عنقه ، فمات شهيداً رحمه الله " [8]

---

(١) الواداياشي ( محمد بن جابر ) برنامج الواداياشي ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، تونس ، ١٩٨١ ، ص١٥١-١٥٢ ؛ ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ٣ ص١٦٤ .

(٢) الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص٣٣١ ، رقم ٤٧٤ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ١١ ص٣٩-٤٠ .

(٤) ولد في يوم الجمعة ١٣ شهر رجب ٧٨٠هـ/١٣٧٨م بالاسكندرية ، ونشأ بها فحفظ القرآن والشاطبية والرائية وابن الحاجب الفرعي والألفية وتلا بالسبع ، وكان مقرا فاضلا جيدا ناظما مات في ليلة السابع والعشرين من ذي القعدة ٨٥٥هـ/١٤٥١م . انظر: السخاوي ، التبر المسبوك ، ص٣٥٥-٣٥٦ ؛ وجيز الكلام ، جـ٢ ص٦٦١-٦٦٢ ؛ الضوء اللامع ، جـ٢ ، ص١٦٠ ، رقم ٤٥٨ ؛ ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ص٢٨٩ .

(٥) السخاوي ، التبر المسبوك ، ص٣٥٦ ؛ وجيز الكلام ، جـ٢ ص٦٦٢ .

(٦) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٢ ص١٦٠ .

(٧) الشيخ المسند جمال الدين عبد الله بن أبي بكر بن عمر الأسكندري الشهير بابن النابلسي ، ولد في ١٧ شوال عام ٦٩١هـ/أكتوبر ١٢٩٢م ، وسمع من الحافظ السيد تاج الدين علي بن أحمد بن عبد المحسن الغرافي جميع فوائد الخلعي وسمع من جماعة من أصحاب ابن رواج والسبط ، وحدث وسمع منه الرحالون والطلبة . انظر :- زين الدين العراقي ، ذيل العبر ، ٣ أجزاء ، تحقيق صالح مهدي عباس ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩ ، جـ١ ص١٩٤-١٩٥ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٢ ص٣٥٦ ، رقم ٢١٢٧ .

(٨) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٧٣ .

في حين يذكر زين الدين العراقي أنه طلع إلى المنارة ليؤذن ، فشرع في الأذان فطلع إليه بعض الفرنج فرماه إلى أسفل المنارة فمات رحمه الله [١] ويؤيده في ذلك ابن حجر العسقلاني [٢] .

ومن مدارس الإسكندرية مدرسة البلبيسي وتقع هذه المدرسة في شارع رماة قاعة القرافة بالقرب من باب الإسكندرية الغربي [٣] ، واعتقد أن منشىء هذه المدرسة قاضي الإسكندرية عماد الدين محمد بن إسحاق بن محمد المرتضى البلبيسي الشافعي ، وأنها تنسب له ، توفي في طاعون عام ٧٤٩هـ/١٣٥٠م .(٤)

ومن مدارس الإسكندرية في العصر المملوكي أيضاً " مدرسة الفخر " . وتقع هذه المدرسة في شارع المحجة بالقرب من باب رشيد ، وتعرضت للتخريب من جانب القبارصة عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م ، وأشار النويري السكندري إلى أنهم أحرقوا بابها [٥] وهو ينفرد بذكر هذه المدرسة ولا نعرف أي شيء عن منشئها ومتى أنشئت .

ومن المدارس الموجودة في الإسكندرية وقتئذ المدرسة الخلاصية وبنى هذه المدرسة نور الدين علي بن خلاص ، وتقع خارج باب البحر بجزيرة فاروس بجوار تربة الأمير طغية والأمير بلاط . وتعرضت للتخريب والتدمير من جانب القبارصة وأشار النويري السكندري إلى أنهم " قلعوا باب المدرسة الخلاصة التي عمرها نور الدين بن خلاص ، وكانا من النحاس المخرم ، فعمل لباب المذكورة غيرهما بعد أشهر من الوقعة، وأخذوا منها كرسي الربعة وبيتها وكانا من النحاس الأندلسي المخرم ، المنزل فيها اليقات الفضة بدائرها ، لم ير مثلها حُسن صنعة وتدقيق تخريم ، وتركوا أجزاء الربعة المذكورة الثلاثين جزءا ، مطروحة بالمدرسة المذكورة ، لا يأخذوا جزءا واحدا " [٦]

يستفاد من نص النويري السكندري أنها عمرت بعد واقعة القبارصة بعدة أشهر مرة أخرى مما يدل على استمرارها في تأدية رسالتها العلمية والتربوية والتعليمية والثقافية في الإسكندرية في العصر المملوكي .

ومدرسة القمنى والتي تنسب إلى الشيخ أبو الفتح محمد بن الحسن بن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن الحسن بن موسى بن الحسن القمنى المتوفي في عام

---

(١) العراقي ، ذيل العبر ، ج ١ ، ١٩٥ .
(٢) ابن حجر ، الدرر ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ .
(٣) النويري السكندري ، الإلمام ، نسخة الهند ، ص٨٠ ب .
(٤) تولى قضاء الإسكندرية في عهد الناصر محمد بن قلاوون ، وسعى فيه النشو لأنه عارضه في أخذ أموال الأيتام ، انظر :- الأسنوي ، طبقات الشافعية ، جـ١ ص١٤١ رقم ٢٧١ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٣ ص٤٧٢ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ص٤٣٢ ، ق٣ ص٧٩٦ ؛ المقفى ، جـ٥ ص٣٠٠-٣٠١ رقم ١٨٨٨ ؛ ابن فهد المكي ، لحظ الألحاظ ص١٢١ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٤٢٨ ، ابن العماد ، شذرات ، جـ٦ ص١٦٤ ؛ ابن قاضي شهبة ، طبقات الفقهاء الشافعية، جـ٢ ص١٣٣-١٣٤ ؛ تاريخ ابن قاضي شهبة ، جـ٢ ص٦٣٤ .
(٥) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٦٦ .
(٦) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص٧٣ .

٧٤٠هـ/١٣٣٩م [١] .

ومما أخذ عنه بهذه المدرسة الرحالة خالد البلوي ، في عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م " لقيته بالمدرسة المعدة لتدريسه بالإسكندرية ، فسمعت عليه بها " [٢] وسمع عليه أيضاً ابن أيبك الصفدي أثناء رحلته العلمية إلى الإسكندرية عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م فقال " سمعت عليه بثغر الإسكندرية في صفر سنة ثمان وثلاثين وسبع ماية جميع الحديث المسلسل بروايته عن النجيب عبد اللطيف الحراني ، وأجاز لي جميع ما يجوز لي روايته وكتب لي بخطه " [٣] ومن تلامذته أيضاً المؤرخ ابن حبيب الحلبي الذي ذكر " سمعت عليه نبذة مما يرويه ... بثغر الإسكندرية سنة ست وثلاثين وسبعمائة/١٣٣٥م[٤] .

ومن مدارس الإسكندرية والتي انفرد الرحالة خالد البلوي بذكرها " المدرسة العلمية " حيث سكن بها أثناء وجوده في الإسكندرية فذكر " إلى أن وصلنا إلى الإسكندرية فدخلناها في صبيحة يوم الأحد الرابع والعشرين لصفر المذكور ( عام ٧٣٨هـ ) ، ونزلنا بالمدرسة الموسومة بالعلمية منزلا تشتهيه الأنفس وتلذ له الأعين، وتسبح من حسنة الأفواه والألسن " [٥]

وبعد أن ترك البلوي الإسكندرية عائدا إلى بلاده ، خدعه صاحب المركب ، وأنزله مع بقية الركاب في برقه مما جعله يعود إلى الإسكندرية مرة أخرى مشياً على قدميه إلى أن وصلنا الإسكندرية المحروسة ، وقد فنينا بؤساً ، وعرينا ملبوساً ، وتبدلنا صورا ونفوسا ، وحملنا حشي كفؤادا أم موسى ، حتى كأنا أخرجنا من القبور ، نخبر عن النفخ في الصور ، وهول يوم النشور فدخلناها عشية يوم السبت الرابع لجمادى الثانية من العام المذكور (٧٣٨هـ) ، فنزلنا منها بالمدرسة العلمية المتقدمة الذكر منزلا مرتضى عقب بالرضى وأنس وأنسى ما مضى ، فانبسطت نفسي ورجع إلي عقلي وحسي ، وعاد يومي أحسن من أمسي [٦]

---

(١) سمع القمنى من علماء الإسكندرية منهم النجيب أبي الفرج عبد اللطيف الحراني وغيره ، وحدث وكان معتدلا ، مات بالإسكندرية . انظر :-
ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٢ ص٣٣٩ ؛ أعيان العصر ، جـ٤ ص٣٩٦-٣٩٧ ، رقم ١٥٤٥ ؛المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص٥٣٣ ، رقم ٢٠٣٦ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٤ ، ص٣٩ ، رقم ٣٦٣١ ؛ ابن رافع السلامي ، الوفيات ، جـ١ ، ص٣١٤-٣١٥ ، رقم ١٩٥ ؛ ابن حبيب ، تذكرة النبية ، جـ٢ ، ص٣١٩ ؛ درة الأسلاك ، ص٣١٧ .
(٢) البلوي ، تاج المفرق ، جـ٢ ، ص٣٩ .
(٣) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٢ ، ص٣٣٩ ؛ أعيان العصر ، جـ٤ ص٣٨٧ .
(٤) ابن حبيب ، تذكرة النبية ، جـ٢ ص٣١٩ ؛ درة الأسلاك ، ص٣١٧ .
(٥) البلوي ، تاج المفرق ، جـ٢ ، ص٢٨ .
(٦) البلوي ، تاج المفرق ، جـ٢ ، ص٣٥ .

ومن مدارس الإسكندرية التي انفرد بذكرها أيضاً الرحالة خالد البلوي المدرسة السراجية والتي نزل بها في يوم السبت ١٦ ذو القعدة ٧٣٨هـ/٢٨ مايو ١٢٣٨م، فذكر " ثم حللت من المدينة بالمدرسة السراجية ساكناً وقد نال مني نصب البحر ظاهراً وباطناً " (١)

ويضيف البلوي أيضاً " ولما نزلنا بالمدرسة السراجية الحافلة، وجمعت بين الفريضة والنافلة، صادف نزولي بها قدوم مدرسها الأكبر وإمامها الأشهر الشيخ الفقيه العالم مفتي المسلمين شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه الصالح المرحوم شرف الدين أبي الروح عيسى بن أبي الحسن علي بن أبي الحسن .. واستقررت منها بمسكن مجاور لمسكنه، حيث مأوى تدريسه وخزانة كتبه، فكان فيه جاري بيت بيت، والمهدي لو جاري حتى الخل والزيت، فسقاني حتى أروى كل ظما ... "(٢)

يتضح لنا مما سبق أن البلوي نزل في المدرسة السراجية بالإسكندرية مرتين حيث توفر له السكن والمأوى، وجاور مدرس المدرسة السراجية في مسكنه واستفاد من علمه وخزانة كتبه.

ومن مدارس الإسكندرية في العصر المملوكي " المدرسة العمادية " وجاء ذكرها في نص نادر في وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون المؤرخة في ١٢ جمادى الأولى ٧٢٦هـ/١٦ أبريل ١٣٢٦م، وهي تجاور معصرة الشيرج فجاء في الوثيقة " ويحيط بهذه المعصرة حدود أربعة .. والغربي إلى المدرسة العمادية وجميع المسلخ المرسوم لذبح الأغنام بثغر الإسكندرية بناحية السوق الكبيرة في الصف القبلي من الشارع المسلوك مشرقاً إلى جهة ... " (٣)

ومن مدارس الإسكندرية والتي انفرد بذكرها ابن رافع السلامي في وفياته "المدرسة النجارية " وتولى التدريس بها وجيه الدين أبو زكريا يحيى بن يحيى الصنهاجي الأسكندري المالكي، وناب في قضاء الإسكندرية، وأقرأ الناس العلم والنحو(٤). وتوفي عام ٧٣٩هـ/١٣٤٠م (٥).

ومن المدارس التي بناها بعض المتصوفة " المدرسة الخضراء " والتي بناها الشيخ خضر بن موسى المهراني العدوي الكردي، شيخ الظاهر بيبرس البندقداري، وكان له فيه اعتقاد كبير، حيث أخبره وهو هارب في دمشق بأنه سيتولى سلطنة دولة المماليك، وعندما تولها قربه له، وأخذ في تعظيمه، ونزل لزيارته المرة والمرتين في الأسبوع،

---

(١) البلوي، تاج المفرق، جـ٢، ص٦٨.
(٢) البلوي، تاج المفرق، جـ٢، ص٦٨.
(٣) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون رقم ٢٥ محفظة ٤ دار الوثائق القومية سطر ٧٧-٨٠ ملاحق تذكرة النبية لابن حبيب، جـ٢ ص٤٣٦.
(٤) ابن رافع السلامي، الوفيات، جـ١ ص٢٧٦.
(٥) ابن رافع السلامي، الوفيات، جـ١ ص٢٧٦؛ الذهبي، ذيل العبر، جـ٤ ص١١٦؛ ابن حجر، الدرر، جـ٥، ص٢٠٣؛ ابن العماد، شذرات، جـ٦ ص١٢٤؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٥٦.

ويطلعه على نحو أمضى أسراره ويستصحبه معه في أسفاره ، ومتى فتح مكاناً فرض له منه شيئاً من فيئه وغنيمته ، فامتدت، لذلك يده في سائر دولة الظاهر بيبرس ، وظل على ذلك حتى ساءت العلاقة بينهما ويرجع ذلك إلى سوء أخلاق هذا الشيخ الذي اتهم في دينه ، وأنه يفعل الفاحشة مع الأولاد الصغار ( أي فعل قوم لوط ) لذا حبسه في محبس بقلعة الجبل حتى موته عام ٦٧٦هـ/١٢٧٧م [(١)]

وأصل هذه المدرسة كنيسة من أهم كنائس الإسكندرية فقام الشيخ خضر بنهبها وتحويلها إلى المدرسة ، فأشار ابن شداد إلى أنه " قصد بالإسكندرية كنيسة للروم كانت كرسياً من كراسيهم التي يعتقدون فيها البتركية ( البطريركية ) ويزعمون أن رأس يحيى ابن زكريا فيها ، وهو عندهم يحيى المعمداني وصيرها مسجداً وبنى فيها المحاريب وسماها المدرسة الخضراء وفتح لها شباكاً إلى الطريق ، ورتب فيها فقراء ، كل ذلك والسلطان موافق له على جميع ما يعتمده " [(٢)] وانفق في تغيير هذه الكنيسة إلى المدرسة مالاً كثيراً من بيت المال ، ولم تكن هذه أول كنيسة يفعل بها هذا الفعل فقام بنهب كنيسة القيامة بالقدس وذبح قسسها بيده ، ودخل كنيسة مريم بدمشق وحولها إلى مسجد بعد نهبها وأخذ ما بها ، وكان فيها ما لا يعبر عنه من الفرش والأواني ، وعمل بها سماعا ومد بها سماطا [(٣)] .

أما موقع هذه المدرسة فيذكر المرحوم محمد رمزي في تحقيقاته لهوامش النجوم الزاهرة ، أنه تبين له من البحث أن هذا المسجد هو بذاته المدرسة الخضراء والتي تعرف اليوم بزاوية سيدي خضر الكائنة تحت رقم ١٠ بشارع رأس التين بالإسكندرية[(٤)]

ويضيف المرحوم الدكتور عبد العزيز سالم بأنها تقع بالقرب من جامع تربانة بالإسكندرية [(٥)]

---

(٤) الصقاعي ، تالي وفيات الأعيان ، ص٦٩-٧٠ رقم ١٠٦ ؛ ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ١ ص٤٠٤-٤٠٦ رقم ١٤٧ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، جـ٧ ص١٠٣ ؛ ابن أيبك الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ٨ الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية ، تحقيق أولرخ هارمان ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص٢٢٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ص٢٨٠ ، ص٢٩٣-٢٩٤ ؛ ابن أيبك الصفدي الوافي جـ١٣ ، ص٣٣٣ رقم ٤١٣ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٣ ص٧٥٠-٧٥٦ رقم ١٣٦٥ ، السلوك ، جـ١ ص٥٣٣ ، ٦٠٨ ؛ ابن حبيب ، تذكرة النبية ، جـ١ ص٣٣٩ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، جـ٣٠ ، ص١٩٨-٢٠٠ ، ص٣٧٦-٣٨٠ ؛ ابن تغري بردي المنهل الصافي ، جـ٥ ، ص٢١٨-٢٢٠ رقم ٩٩٠ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ص٢٨٨ ؛ النجوم ، جـ٧ ص٢٦٢-٢٦٣ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، جـ٣ ص٢٦٤ ؛ ابن طولون ، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، تحقيق ، محمد أحمد دهمان ، دمشق ١٩٧٠-١٩٨١ ، جـ١ ص٣٦٣ ؛ السخاوي الحنفي ، تحفة الأحباب ، ص٢٩-٣٠ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ص٥٢١ ؛ المناوي ، الكواكب الدرية ، جـ٣ ص٢٠-٢١ رقم ٦٣٠ ؛ النبهاني ، جامع كرامات الأولياء ، جـ٢ ، ص٣-٤ ؛ الشعراني ، الطبقات الكبرى ، جـ٢ ص٢ .

(١) ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، ص٢٧٢-٢٧٤ .

(٢) ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، ص٥٨-٥٩ .

(٣) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص١٦٢ ، هامش رقم ٣ .

(٤) عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص٤٧٩ .

من مدارس الإسكندرية والتي وصلتنا في عصر المماليك الجراكسة "مدرسة الجرارة" ، وانفرد بذكرها المؤرخ السخاوي ، وتولى وظيفة الأمامة بها عمر بن علي بن عمر البحيري الخراشي السكندري المالكي المتوفى في عام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م [١] .

ومن مدارس الإسكندرية في العصر المملوكي " مدرسة الوشاقي " ويحتمل أن الذي بناها نائب الإسكندرية بكتمر الوشاقي ، وتولى التدريس بها محمد بن عمر الخصوصي المتوفي في عام ٨٤٣هـ/١٤٣٩م [٢]

ومن مدارس الإسكندرية في العصر المملوكي أيضاً " مدرسة فائد " وتولي الأذان بها أبو بكر بن عبد الله بن عمر بن خضر بن إلياس الزكي المناوي الضرير الأديب نزيل الإسكندرية ، وظل يؤذن في تلك المدرسة لمدة ستة وثلاثين عاماً ، وأخذ عنه بها المؤرخ البقاعي ، ودرس بعدها في مدرسة ابن بصاصة أو البصاصية ، وذلك في عام ٨٣٨هـ/١٤٣٤م ، وتوفي بعد عام ٨٤٠هـ/١٤٣٦م [٣] .

ومن المدارس التي أنشأها القضاة بالإسكندرية " مدرسة القاضي ابن أبي الفرج الأسكندراني " والتي تنسب إلى الفقيه علي بن عبد الوهاب بن محمد بن أبي الفرج قاضي الإسكندرية حيث درس بها ثم خلفه في التدريس بها ابنه محمد بن علي والذي تولى قضاء الإسكندرية وخطابتها أيضا وذلك حتى وفاته عام ٦٦٢هـ/١٢٦٤م (٤) .

هذا ما استطعنا التوصل إليه من مدارس الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك سواء التي بنيت في العصر المملوكي أو التي بنيت في العصر السابق له واستمرت في آداء رسالتها العلمية خلال العصر المملوكي .

وفي الجدول التالي توضيح لأهم الفئات التي شاركت في بناء المدارس في الإسكندرية .

(١) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٦ ص١٠٧-١٠٨ .
(٢) الضوء ، جـ٨ ، ص٢٥٦-٢٥٧ ، رقم ٦٥٦ .
(٣) الضوء ، جـ١١ ، ص٣٩-٤٠
(٤) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص٣٠٤ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، جـ٦ ، ص٣١٩ رقم ٢٧٨٥ ؛ العيني ، عقد الجمان ، جـ١ ، ص٣٩٢ ؛ بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة ، جـ٩ ص١٢٦ .

| الفئات / العصر | السلاطين والوزراء | القضاة والنظار | العلماء | التجار | غير معروفة المنشيء | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الفاطمي | العوفية الحافظية (السلفية) | ابن حديد أو (المكينية) | الطرطوشي | | الصاحبة | بلغ عدد مدارس العصر الفاطمي خمس مدارس |
| الأيوبي | صلاح الدين | ابن أبي الفرج | المقدسي ، ابن فياض | ابن حباسة الزكوية | | بلغ عدد مدارس العصر الأيوبي ست مدارس |
| المملوكي | قايتباي المنصور عثمان | ابن بصاصة البلبيسي | النابلسية القمنى الخضراء | الدماميني الكولمي عبد اللطيف الكارمي ابن الكويك | الفخر ، الخلاصية العلمية والسراجية والعمادية والنجارية والجرارة والوشاقي فائد | عدد المدارس التي وصلتنا من العصر المملوكي ٢٠ مدرسة فضلاً عن المدارس التي استمرت عن العصرين الفاطمي والأيوبي |
| الإجمالي | ٥ مدارس | ٤ مدارس | ٦ مدارس | ٦ مدارس | ١٠ مدارس | ٣١ مدرسة |

جدول رقم (١) الفئات التي شاركت بناء المدارس في الإسكندرية

من دراسة الجدول السابق يتضح لنا عدة ملاحظات نجملها فيما يلي :-

تعد الإسكندرية أول مدينة مصرية عرفت نظام المدارس وذلك منذ أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وتعتبر مدرسة الفقيه أبو بكر الطرطوشي أول مدرسة في الإسكندرية وأن أبا بكر الطرطوشي يعتبر أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية .

فضلا عن ذلك يتضح لنا أن العصر الفاطمي شهد بناء خمس مدارس في الوقت الذي لم تبن بالقاهرة مدرسة واحدة ، ويرجع ذلك إلى اعتبار الإسكندرية مركزاً للمقاومة السنية في تلك الفترة وإن هذه المدارس كلها فيما عدا مدرسة الحافظ السلفي تتمذهب بالمذهب المالكي ويرجع ذلك إلى قوة المذهب المالكي بالإسكندرية بسبب قوة تأثير المغاربة والأندلسيين في المجتمع السكندري والذين تمذهبوا كلهم بالمذهب المالكي مما ترك أثره على مدارس الإسكندرية .

بالإضافة إلى ذلك استمرت حركة بناء المدارس في العصر الأيـوبي وقـد أمـدتنا المصادر التاريخية بست مدارس منها فقط واستمرت حتـى العصـر المملـوكي وأدت رسالتها العلمية والثقافية في الإسكندرية .

ويعد العصر المملوكي العصر الذهبي في بناء المدارس في الإسكندرية حيث وصلنا عشرون مدرسة بنيت بالإسكندرية في تلك الفترة .

بالإضافة إلى استمرار إحدى عشرة مدرسة من العصرين الفاطمي والأيوبي أي أن إجمالي المدارس التي استطعنا التوصل إليها في الإسكندرية في العصر المملوكي إحدى وثلاثين مدرسة تدين كلها بالمذهب المالكي عدا مدرسة الحـافظ السـلفي التـي تـدين بالمذهب الشافعي .

ونلاحظ أن فئات الحكام من السلاطين والـوزراء قـاموا ببنـاء خمـس مـدارس بالإسكندرية اثنين في العصر الفاطمي وواحدة في العصر الأيوبي واثنين فـي العصـر المملوكي أما أرباب الوظائف من النظار و القضاة فبنـوا أربـع مـدارس ، والعلمـاء والفقهاء والمتصوفة فبنوا ست مدارس .

ومن ناحية أخرى نجد أن التجار بنوا ست مدارس مع الأخذ في الاعتبار أن أغلـب المدارس الأخرى غير معروفة المنشيء وعلى الأرجح أن منشئها تجـار الإسـكندرية ، ويرجع ذلك إلى مدى الثراء الذي نعم به هؤلاء التجار ، وإلى مدى الازدهار التجـاري الذي نعمت به الإسكندرية في العصر المملـوكي ومـدى حـب هـؤلاء التجـار للعلـم ومشاركتهم في العديد من فنونه .

وتجدر الملاحظة أن المصادر التاريخية المعاصرة صمتت عن إمدادنا بالمعلومـات الكافية عن مدارس الإسكندرية بحيث وصلنا إحدى عشرة مدرسة من خلال ذكر إحـد. مدرسيها أو مؤذنها أو شيخ المدرسة أو إمامها بما يعد صعوبة كبيـرة للكشـف عـن مدارس الإسكندرية وعددها وأهم النظم المتبعة بها وقتئذ .

بالإضافة إلى ذلك نلاحظ أن هذا العدد الكبير من المدارس في الإسكندرية يدل دلالة واضحة على مدى الازدهار الثقافي بها ، فمن مظاهر الازدهار الثقافي في كثرة مراكزه وبخاصة المدارس ، فوجود إحدى وثلاثين مدرسة في مدينة محـدود المسـاحة وقتئـذ يكشف عن كثرة علماء المدينة وغيرهم من الفقهاء والمتصوفة .

## دُور الحديث :-

ومن مراكز الإشعاع الثقافي التعليمية دُور الحديث أو دُور السنة النبوية المحمدية ، وهي نوعاً من المدارس المتخصصة في علم واحد وهو علم الحديث وعلومه المختلفة وهي مستقلة بذاتها أو مرتبطة بمدرسة مذهبية .

يعد نور الدين محمود أول من بنى داراً للحديث في دمشق . فيذكر المقريزي في خططه " أن أول من بنى دار للحديث على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق " فأنشأ دار الحديث النورية وتبعه ملوك بني أيوب ببلاد الشام " (١) .

أما في مصر فتعد دار الحديث الكاملية بالقاهرة التي أنشأها الملك الكامل محمد بن العادل أبو بكر بن أيوب في عام ٦٢١هـ/١٢٢٤م ، أول دار حديث بالديار المصرية حيث كان الكامل مشغوفاً بسماع الحديث النبوي (٢) .

ولم تقتصر دار الحديث على القاهرة بل وجد في مدينة قوص في الصعيد الأعلى داران للحديث ، ووجد بالإسكندرية داران للحديث بنيتا في العصر المملوكي ، وهما دار الحديث النبيهية ودار الحديث التكريتية وسوف نتناولهما بالتفصيل فيما يلي :-

دار الحديث النبيهية :-

أنشاء هذه الدار نبية الدين الأبزاري (٣) ، لذا عرفت بالنبيهية نسبة لـ نبيه الدين وعرفت أيضاً بالأبزارية نسبة للأبزاري أو ابن الأبزاري مما أوقع بعض الباحثين في الخطأ باعتبارهما مدرستين أو ثلاث ، ولكنهما اسم لدار حديث واحدة .

وتولى مشيخة دار الحديث النبيهية أسرة علمية عراقية الأصل استقرت في الإسكندرية ، نبغ أبناؤها في علم الحديث ، وهي أسرة ابن الغرافي ، نسبة للغراف بلدة قريبة من واسط بالعراق .

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٩ ص١٢٤ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ص٢٨٤ ؛ المقريزي الخطط ، جـ٤ ص٢١١ ؛ النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، جـ١ ص١٠٠ ؛ عبد الغني محمود عبد العاطي ، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص٧٩ ؛ عفاف محمد صبره ، " المدارس في العصر الأيوبي " ، ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص١٧٥ .

(٢) ابن واصل . مفرج الكروب ، جـ١ ، ص٢٨٤ ؛ النويري ، نهاية الآرب ، جـ٢٩ ص١٢٩ ؛ المقريزي ، الخطط ، جـ٤ ص٢١١ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ٦ ص٢٥٨ .

(٣) ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٣ ص٢٥٤-٢٥٥ ، جـ٤ ص٥٥٦ رقم ١٦٤٣ .

ويعتقد الباحث أن صاحب هذه الدار نبية الدين الأبزاري هو الشيخ أبو أحمد عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله الأبزاري التمار المعروف بالحكمة ، وذكره المنذري بأنه " سمع معنا الكثير من جماعة من شيوخنا ، وحصل كتباً حسنة ، ومشى كثيرا في طلب الحديث ، وكان يؤثر الحضور عند الشيوخ على طلب معاشه ، ويبالغ في ذلك وكان على طريقة حسنة ، والأبزاري ، بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح الزاي وآخره راء مهملة نسبة إلى بيع الأبزار ، وولد عام ٥٦٠هـ/١١٦٤م ، وتوفي عام ٦٣٦هـ/١٢٣٨م بمصر ودفن بسفح المقطم ، انظر :- المنذري، التكملة ، جـ٣ ص٥٠٩ رقم ٢٨٧٦ ؛ ابن الصابوني ، تكملة إكمال الأكمال ، ص٣٧٤ .

فتولى مشيختها تاج الدين علي بن أحمد بن عبد المحسن الغرافي (٦٢٨-٧٠٤هـ/١٢٣٠-١٣٠٤م) (١) ودرس عليه بها الرحالة ابن رُشيد السبتي في عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م (٢) ، ودرس عليه بها الرحالة العبدري عام ٦٨٩هـ/١٢٩٠م (٣) ، ودرس عليه أيضا بها الرحالة القاسم التجيبي عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م (٤) ، وأخذ عنه بهذه الدار الحافظ الذهبي أثناء رحلته العلمية إلى الإسكندرية عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م (٥) وذكره الوادياشي في برنامج شيوخه (٦) .

وتولى مشيخة هذه الدار بعد وفاة تاج الدين علي بن الغرافي أخوه عز الدين إبراهيم بن الغرافي ، وذلك منذ عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م وحتى عام ٧٢٨هـ/١٣٢٨م أي ظل في مشيختها ٢٤ عاما (٧) وأخذ عنه ودرس عليه الحافظ الذهبي وذكر أنه " شيخ

---

(١) علي بن أحمد بن عبد المحسن بن أحمد بن محمد بن علي بن حسن بن علي بن محمد بن جعفر بن إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن موسى الكاظم ، الإمام المحدث ، تاج الدين ، أبو الحسن الهاشمي ، الحسيني الواسطي الغرافي الأسكندراني ، ولد ببغداد عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م ، وأخذ عنه الرحالة من المشارقة والمغاربة ، ولم يتزوج حيث فرغ نفسه لعلم الحديث وتدريسا، حتى وافته المنية في ذي الحجة عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤ بالأسكنرية . انظر :- الذهبي ، ذيل العبر ، جـ٤ ص١١ ؛ دول الإسلام ، جـ٢ ص٢١١ ؛ الإعلان بوفيات الإعلام ، ص٢٩٥ ؛ المعين في طبقات المحدثين ، ص٢٢٦ ؛ معجم شيوخ الذهبي ، ص٣٥٦ رقم ٥١٢ ؛ معجم محدثي الذهبي ، ص١١١-١١٢ رقم ١٩٢ ؛ ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٣ ص٢٥٤-٢٥٥ ، رقم ١١٠٧ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ق١ ص١٣؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، جـ٣ ص٨٥-٨٦ رقم ٢٦٦١ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ٨ ص١٦٨ ؛ ابن فهد المكي ، لحظ الألحاظ ، ص٩٥ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ص٣٨٧ ؛ الوادياشي ، برنامج محمد بن جابر الوادياشي ص١٥٩ رقم ٢٣٠ ؛ العبادي ، ذيل طبقات الشافعية ، ص١٩٢ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٦ ص١٠-١١ ؛ ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ٣ ص٢١٥ رقم ١٢٢٤ .

(٢) ابن رشيد ، ملء العيبة ، جـ٣ ص٧١ ، ٩١ ؛ محمد الحبيب بن الخوجة ، " الحياة الثقافية بمصر والقاهرة والإسكندرية في سنة ٦٨٤ ، ٦٨٥هـ من خلال رحلة ابن رشيد " ، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، جـ٣ ، ص١٠٢٨ .

(٣) العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢٤٥-٢٦٧ .

(٤) التجيبي ، مستفاد الرحلة والاغتراب ، ص٢٧ ؛ أحمد عبد اللطيف حنفي ، " مصر في عين الرحالة المغربي التجيبي السبتى " ، ص٥٠٧-٥٣٨ .

(٥) الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص٣٥٦ رقم ٥١٢ ؛ معجم محدثي الذهبي ، ص١١١-١١٢ رقم ١٩٢ .

(٦) الوادياشي ، برنامج ابن جابر الوادياشي ، ص١٥٩ رقم ٢٣ .

(٧) عز الدين إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن أحمد بن محمد ، الإمام الفقيه المعمر ، أبو إسحاق الحسيني الغرافي ثم الأسكندراني ، ولد بالإسكندرية عام ٦٣٨هـ/١٢٤٠م ، وتوفي بها في ١٥ المحرم ٧٢٨هـ/١٣٢٨م ، انظر :- الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص١٠٠-١٠١ ، رقم ١٢٣ ؛ معجم محدثي الذهبي ، ص٤٢ رقم ٥٦ ؛ ذيل العبر ، جـ٤ ص٨٣ ؛ دول الإسلام ، جـ٢ ص٢٣٦ ؛ تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ص١٤٩٧ ؛ المعين في طبقات المحدثين ص٢٢٢ ؛ الإعلان ، ص٣٠٧ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٥ ص٣١٢؛ أعيان العصر، جـ١ ص٤٩-٥١ رقم ٦=

الإسكندرية ومسندها " (١) ودرس عليه ابن جابر الوادياشي وذكره في برنامج شيوخه(٢)

فضلاً عن ذلك وجد بدار الحديث النبيهية وظيفة قاري الحديث حيث يجلس بين يدي شيخها يقرأ الحديث لجمهور الطلبة فمن قراء الحديث بهذه الدار محمد بن عبد الوهاب بن عطية الأسكندراني (٦٦٠-٧١٢هـ/١٢٦٢-١٣١٢م ) (٣) .

دار الحديث التكريتية :-

ودار الحديث الثانية الموجودة في الإسكندرية دار الحديث التكريتية ، التي أسسها عبد اللطيف بن رشيد بن محمد بن سديد الربعي التكريتي نزيل الإسكندرية الشافعي المتوفي بها عام ٧١٤هـ/١٣١٤م (٤) فذكر ابن أيبك الصفدي " كان المذكور شيخاً له مكارم وإحسان ، مقيماً بالإسكندرية ، أنشأ فيها مدرسة للشافعية ، وهو مقصد لمن يرد عليه من الفضلاء " (٥)

وبنيت دار الحديث التكريتية بالإسكندرية عام ٦٧٨هـ/١٢٧٩م حسبما جاء في اللوحة التأسيسية لهذه الدار ، ومن حسن الحظ أنه وصلتنا هذه اللوحة والتي جاء فيها(٦) :-

" بسم الله الرحمن الرحيم أن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا (٧) أوقف هذا

= ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ص١٤٦ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ١ ص٤٣-٤٤ رقم ٢٢؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ١ ص١٠-١١ رقم ١٢ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ١ ص٤٠-٤١ رقم ٩ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ص٧ رقم ٩ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٣٩٣ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٦ ص٨٠ ؛ ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ١ ص١٨٧ .

(١) الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص١٠٠-١٠١ رقم ١٢٣ ؛ معجم محدثي الذهبي ، ص٤٢ رقم ٥٦ برنامج الذهبي ، ص٧٦ .

(٢) الوادياشي ، برنامج الوادياشي ، ص٧٦ رقم ٣٨ .

(٣) محمد بن عبد الوهاب بن عطية ، الفقيه المحدث ناصر الدين الأسكندراني ، ذكر الذهبي أني صحبته بالثغر وسمعت بقراءته على الغرافي وكان قاري للحديث عنده بالأبزارية وكان ديناً عاقلاً مليح الخط ، كتب لي أحاديث ، ولد بالإسكندرية عام ٦٦٠ هـ/١٢٦٢م ، وتوفي بها عام ٧١٢هـ/١٣١٢ . انظر :- الذهبي ، معجم محدثي الذهبي ، ص١٦٣ رقم ٣٠١ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات جـ٤ ص١١٧ ؛ أعيان العصر ، جـ٤ ص٥٥٦ رقم ١٦٤٣ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ، جـ٤ ص١٥٥ رقم ٣٩٦٥ .

(٤) ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٢ ص١١٩-١٢٠ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٣ ص٢٠ رقم ٢٤٩٦ .

(٥) ابن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، جـ١٩ ص١٢٣ رقم ١٠٩ .

(٦) حسن عبد الوهاب ، الإسكندرية في العصر الإسلامي ، ص٣٩٢ ؛ طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر مجلة المجمع العلمي المصري ، مج ٣٨ الجزء الثاني ، عام ١٩٥٦-١٩٥٧ ، ص٢٧

(٧) سورة الجن ، الآية رقم ١٨ .

المسجد المبارك ودار الحديث العبد الراجي رحمه ربه عبد اللطيف بن رشيد التكريتي لتلاوة الكتاب العزيز وقراءة الأحاديث النبوية وطلب العلم الشريف على مذهب الإمام أبي عبد الله محمد بن أدريس الشافعي رحمه الله عليه في شهر المحرم سنة ثمان وسبعين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه " (١)

يتضح لنا أن هذه الدار متعددة الوظائف فهي مسجد تقوم بدورها في أداء الصلاة بها ، وخطبة الجمعة ، فضلا عن أنها مدرسة للمذهب الشافعي وهو المذهب الذي يعتنقه مؤسسها وهي عادة ذلك العصر بالإضافة إلى دار للحديث الشريف ، واستمرت هذه الدار طوال عصر سلاطين المماليك في أداء رسالتها الثقافية .

ويبدو أنها تعرضت للتدهور ، لذا تم تجديدها في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي ، إذ أشار الأثري الكبير حسن عبد الوهاب أنها جددت على مثال الصهاريج وهي عبارة عن أربعة قباب صغيرة يحملها عامود رخامي (٢) .

ويرى الدكتور عبد العزيز سالم أنها تحولت إلى زاوية صغيرة تقع في شارع البلقطرية بقسم الجمرك (٣) في حين يذكر الدكتور الشيال أنها معروفة الآن "بمسجد أبو علي " (٤) ولكنها اندرست تماما (٥) .

يتضح لنا من دراسة داري الحديث بالإسكندرية عدة أمور منها :-

أن هذين الدارين قام بإنشائهما تجار الإسكندرية ، على عكس دار الحديث النورية بدمشق التي أنشأها نور الدين محمود ودار الحديث الكاملية التي أنشأها الملك الكامل محمد وهما سلطانان ، في حين إن دارا الحديث بالإسكندرية أنشأهما اثنان من تجارها مما يوضح مكانة التجار في مجتمع الإسكندرية ، وأنهم أصحاب السيادة في الإسكندرية والمكانة العالية . ويؤكد لنا مدى اهتمام هؤلاء التجار بالعلم ومشاركتهم فيه وبخاصة علم الحديث الذي خصصت له مدرستان لدراسته ، فضلاً عن أنه يوضح ازدهار علم الحديث بالإسكندرية وقتئذ وكثرة علماء الحديث بها .

---

(1) Weit, Repertaire chronologique d'epigraphie Aarabe, T.12, P.248.

(٢) حسن عبد الوهاب ، طرز العمارة الإسلامية ، ص٢٨ .

(٣) عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص٤٧٨ .

(٤) الشيال ، الإسكندرية ، ص٢٢٨ ؛ تاريخ مدينة الإسكندرية ، ص٨٩ .

(٥) سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ الإسكندرية الإسلامية ، ص٣٠٩ ؛ الأشقر ، تجار التوابل ، ص٣٨٧ .

## الكتاتيب :-

تعد الكتاتيب أو المكاتب والتي عرفت أيضاً باسم مجالس الأدب أو الحوانيت أول مركز ثقافي يتلقي فيه النشىء معارفهم وتعلم القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم وتعلم الأخلاق العامة (١) وغير ذلك من الأمور ، لذا تعد بمثابة أول مركز ثقافي للصبيان في المجتمع الإسلامي ، ثم ينطلق بعدها الفرد إلى مراكز الثقافة الإسلامية الأخرى كالمساجد والمدارس وغيرها أي أن الكتاب يعد معهد لإعداد المثقف المسلم ثم يقوم بعد ذلك بعملية التعلم الذاتي أي تعليم نفسه والقراءات الحرة .

وخصصت هذه المكاتب لتعليم أولاد المسلمين منعاً لهم من حضورهم المساجد ، ولأنهم يسودون حيطانها ، وينجسون أرضها ، ويمشون على البول والنجاسات ، وقد أمر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : " جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم " ، لذا فقد أتخذت هذه المكاتب أو الكتاتيب لهذا الغرض (٢)

واشترطت كتب الحسبة أن يقع المكتب في مكان مكشوف يسهل الوصول إليه ، كالسوق أو الشارع المسلوك للناس ، أو في الدكاكين ، وذلك كنوع من الأمان على الصبيان ، ومن ناحية أخرى فيه إظهار للشعائر الإسلامية (٣) .

وو<u>جد في العصر المملوكي نوعان من المكاتب</u> :-

<u>النوع الأول : المكاتب الخاصة أو الأهلية</u> : وهي التي أقامها من وجد في نفسه القدرة على احتراف هذه المهنة ، ويعلم فيها الصبيان في مقابل أجر معلوم يدفعها ولي أمر الصبي لصاحب المكتب .

<u>النوع الثاني : المكاتب العامة أو مكاتب الأيتام أو مكاتب السبيل</u> : وهي التي أقامها أهل الخير سواء من السلاطين أو الأمراء أو الأثرياء ، والتي أوقفوا عليها الأوقاف رغبة في الثواب (٤) .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٥٣٩ ؛ أحمد عبد الرازق ، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، العلوم العقلية ، ص١٨ .

(٢) القابسي ، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين ، نشر وتحقيق أحمد فؤاد الأهواني ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص٣٢٤ ، الشيرزي ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص١٠٣ ؛ ابن بسام ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائي ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص١٦١ ؛ ابن الأخوة ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص٢٦٠ ؛ الزركشي ، إعلام الساجد بأحكام المساجد ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص٣١٢ .

(٣) ابن الحاج ، المدخل ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨١ ، جـ٢ ، ص٣١٣ .

(٤) ابن الحاج ، المدخل ، جـ٢ ص٣٢١-٣٢٢ ؛ عاشور ، المجتمع المصري ، ص١٥٠ ؛ العصر المماليكي ، ص٣٤٣ ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، ص١٩٠ ؛ عبد الغني محمود عبد العاطي ، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، دار المعارف ، القاهرة د.ت ، ص٩٧ ؛ محمد كمال الدين عز الدين ، الحركة العلمية في مصر ، رسالة دكتوراة ، كلية البنات – جامعة عين شمس، ١٩٨٨ ، ج ١ ص ٣٧ ؛

Dodge ( Bayaed ), Muslim Education, P.5.

خُصصت لتعليم الأيتام وأبناء الفقراء ، وأولاد الجنود المتقاعدين حتى لا يضلوا الطريق في الحياة ، وساعدت الأوقاف على الاهتمام بهم ورعايتهم ، والمحافظة عليهم من التشرد ، وكانت هذه المكاتب تبنى بجوار المساجد أو المدارس ، فوق السبيل ، لذا فقد عُرفت باسم " مكاتب السبيل " أو " كُتاب السبيل " [1] .

فضلاً عن ذلك وجد بالإسكندرية في عصر سلاطين المماليك ، العديد من المكاتب الخاصة لتعليم الصبيان ، حيث أشارت وثيقة وقف السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون على الخانقاه الناصرية بسرياقوس بتاريخ ١٢ جمادى الأولى عام ٧٢٦هـ/١٣٢٦م إلى مكتب لتعليم القرآن العظيم بناحية القمرة بالإسكندرية وذلك أثناء الحديث على الأوقاف الخاصة بتلك الخانقاة والموجودة بثغر الإسكندرية فتذكر : " جميع المصبغة التي بثغر الإسكندرية بناحية القمرة ........ ويحيط بذلك حدود أربعة : القبلي إلى فندق الحرير المقابل لتربة المعلم فضول ، والبحري إلى الشارع المسلوك ، وفيه بابها الشرقي إلى العلو الذي ذكر أنه في ملك سيف الدين خلف بن فراج ، والغربي إلى المكتب المرسوم لتعليم القرآن العظيم ........ " [2] ويستفاد من نص الوثيقة النادرة ، أن مكتب تعليم القرآن يقع في مبنى مستقل بذاته إذ يحد المصبغة من الناحية الغربية وليس ملحقا بمسجد أو مدرسة ، أو غير ذلك من منشآت .

أما صبيان المكتب : فبالنسبة للمكاتب الخاصة فلم يكن هناك سن معينة لدخول الصبي المكتب ، حيث كان المؤدب ، يرغب في أن يكون عنده أكبر عدد ممكن من الصبيان ، بصرف النظر عن سنهم ، حتى إن كثيراً من الأطفال كانوا يدخلون المكتب في سن لا تؤهلهم لذلك ، فقد جرى العرف في تلك الفترة على أن يُسمح للصبي دخول المكتب بعد سن الخامسة وحتى سن المراهقة [3] .

أما في مكاتب الأيتام ، أو السبيل : فيظل الطفل من سن الخامسة حتى أن يبلغ الحلم ، فهنا ينزل الناظر على وقف مكتب الأيتام غيره ، وكذلك إن كان من أولاد الفقراء عند تعذر الأيتام ، اللهم إلا أن يظهر أحدهم نبوغاً وميلاً للدرس ، وكان يرجى فلاحه ، فإنه يستمر بالمكتب ويسمح له بالاشتغال بالعلم [4] .

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم ، دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغوري ، دكتوراة آداب القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص١٤٥ ؛ نصان جديدان من وثيقة صرغتمش ، مجلة الآداب – جامعة القاهرة، مج ٢٨ ، ١٩٦٦ ، ص٥١ ؛ وثيقة المؤيد شيخ المحمودي ، نشر عبد الغني محمود ، ملحق كتاب التعليم في مصر ، ص٣٤٣ ؛ وثيقة وقف السلطان حسن ونشر محمد محمد أمين ملحق كتاب تذكرة النبية ، جـ٣ ص٤٠٨ ؛ عبد الغني محمود ، التعليم في مصر ، ص١٢٠-١٢٥ .

(٢) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون ، نشر ودراسة وتحقيق محمد محمد أمين ، تذكرة النبية ، جـ٢ ص٤٣٣ ، وهي رقم ٢٥ محفظة ٤ ، ووثيقة ٣١ محفظة ٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، أسطر ٥٢-٧٥ .

(٣) ابن الحاج ، المدخل ، جـ٢ ، ص٣١٥ .

(١) وثيقة وقف الغوري رقم ٨٨٢ أوقاف ، نشر عبد اللطيف إبراهيم ، ملحق دراسات تاريخية وأثرية ، جـ١ ص١٤٦ ، عبد الغني محمود ، التعليم ، ص١٢٤ ؛

**Dodge ، Muslim Education ، P.5.**

وتجدر الإشارة إلى أن عدد الصبيان اختلف بين المكاتب الخاصة ومكاتب الأيتام ، فالنسبة للمكاتب الخاصة ، فليس له عدد محدد ، أما مكاتب الأيتام ، فخضع العدد بشرط الواقف ، حيث أن الواقف يحدد عدد الصبيان في المكتب ، إذ يتراوح العدد ما بين خمسة صبيان وهو أقل عدد وجد في الوثائق المملوكية ، ومائة صبي في المكتب الواحد[١] .

وتفرش هذه المكاتب بالحصير ، حيث يجلس الصبيان حول معلمهم ، ووجد في حوائط بعض المكاتب " كتيبات " أي دواليب توضع فيها المصاحف والأجزاء والأقلام والألواح والدُوى [٢] .

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن اليوم الدراسي بالمكتب يبدأ مع طلوع الشمس إلى صلاة العصر ، مع استثناء يومي الثلاثاء والخميس ، أو أيهما ، حيث تكون الدراسة فيهما أو في إحدهما حتى الظهر ، وجعل الجمعة عطلة رسمية ، فضلاً عن أيام الأعياد والمواسم [٣] .

بالإضافة إلى ذلك فإن الذي يقوم بالتدريس في المكتب معلم يطلق عليه " المؤدب " أو معلم الكتاب ، وفي بعض الأحيان يطلق عليه " الفقيه " [٤] والمؤدب يخضع لإشراف المحتسب ، لذا يشترط فيه بعض الشروط الخلقية والإجتماعية والعلمية ، كأن يكون متزوجا صحيح العقيدة متدينا عاقلا ، من حملة كتاب الله العزيز ، عالما بالقراءات السبع وروايتها وأحكامها ، صالحاً لتعليم القرآن والحديث والخط والآداب والاستخراج ، ممن اشتغل بالحديث والعلوم الشرعية [٥] .

يرجع ذلك إلى عدم أهلية بعض معلمي المكاتب الذي وصفتهم بعض المصادر بالحمق والبلادة ، حتى قيل في المثل " أحمق من معلم كتاب " [٦] والذي يتباهى بعضهم بوقوع الحبر على ثيابه دلالة على اجتهاده في تعليم الصبيان [٧] .

والجدير بالذكر أن المصادر التاريخية المعاصرة أمدتنا بأسماء العديد من المؤدبيين بالإسكندرية .منهم على سبيل المثال لا الحصر أبو محمد عبد الله بن عبد الأحد بن الربيب المؤدب ، الذي حدث بالإسكندرية عن الحافظ السلفي ، ويعد من كبار الصالحين، وتوفي بالإسكندرية عام ٦٢١هـ/١٢٢٤م [٨] .

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم ، نصان جديدان ، ص٣٢ ؛ وثيقة وقف المؤيد شيخ ص٣٤٣ ، عبد الغني محمود ، التعليم ، ص١٢٢ .

(٢) عبد اللطيف إبراهيم ، نصان ، ص٥١ .

(٣) محمد كمال الدين ، الحركة العلمية ، جـ١ ص٤٥ .

(٤) محمد محمد أمين ، الأوقاف ، ص٢٦٤ .

(٥) السبكي، معيد النعم، ص١٣٠؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٦١، ابن الحاج ، المدخل ، ج٢ ص٣٢٩ .

(٦) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ١ ص١٧٣ .

(٧) أحمد عبد الرازق ، الحضارة الإسلامية ، ص١٩ .

(٨) ابن الصابوني ، تكملة أكمال الأكمال ، ص١٧٨ رقم ١٣٧ ؛ منصور بن سليم ، ذيل تكملة الأكمال ، جـ١ ص٣٢٠ رقم ٤١٧ ؛ المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، جـ٣ ص١١٩ رقم ١٩٧٤.

وعمل أبو عبد الله محمد بن عمر المرسي ، أخو أبو العباس المرسي الصوفي الشهير ، مؤدباً يعلم الصبيان القرآن بالإسكندرية ، وذلك بعد قدومه من مرسيه بالأندلسي مع أخيه أبو العباس ، وظل على ذلك حتى وفاته بالإسكندرية (١) ومنصوربن سرار المقرىء المؤدب المعروف بالمسدي ت ٦٥١هـ/١٢٤٩م (٢) .

ومن المؤدبيين في الإسكندرية أيضا شهاب الدين أحمد بن عبد الباري بن عبد الرحمن بن عبد الكريم الصعيدي المقرىء المؤدب ، وكان من الصالحين الأتقياء ، يؤم بمسجد يقرىء ويؤدب فيه ، وهو أحد شيوخ الإسكندرية ، ولد بها عام ٦١٢هـ/١٢١٥م ، ومات أيضاً بها عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م (٣)

ومن المؤدبيين فخر الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الحسين يحيى الأسكندري المعروف بابن السيوري المؤدب ، ولد بها عام ٦٥٣هـ/١٢٥٥م ، وتوفي بها في ربيع الآخر عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م (٣) .

وأشار النويري السكندري إلى أن الفقيه محمد بن الطفال ، اشترك في قتال القبارصة في غزوتهم على الإسكندرية عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م ، فذكر " ورئى بعض فقهاء المكاتب ويعرف بالفقيه محمد بن الطفال ، وهو قاصد الفرنج بسيفه ، فقيل له : تموت يا فقيه محمد ! فقال : إذا أسعد وأصير مجاورا للنبي محمد ، وأي موتة أحسن من الجهاد في سبيل الله لأصير إلى الجنة ، وهجم فيهم فصار يضربهم ، ويضربونه إلى أن رزق الشهادة ، وختم له بالسعادة " (٤)

ومن الجدير بالذكر أن المؤدب يعاونه شخص يسمى بـ " العريف " ، ويقوم هذا العريف بوظيفة الإعادة على الصبيان ، مثل وظيفة المعيد في المدرسة ، ولم يكن هذا العريف سوى صبي متقدم على أقرانه ، وكان يشترط في العريف نفس الشروط التي يجب توافرها في المؤدب ، وكان يقوم بمعاونة الأطفال المتخلفين عن غيرهم ، كما كان يراجع ألواح الصبيان في غيبة المؤدب (٥) .

---

(١) المقريزي ، المقفى ، جـ١ ، ص٥٤٨-٥٤٩ ، رقم ٥٣٨ .

(٢) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ٣ ص١١٦١ رقم ١٠٨٤ ؛ معرفة القراء الكبار ، جـ٢ ص٦٧٠-٦٧١ ، السيوطي ، طبقات المفسرين ، ص٤٢ ؛ حسن ، جـ١ ص٥٠١ ؛ الداوودي ، طبقات المفسرين جـ٢ ص٣٣٨ .

(٣) الذهبي ، العبر ، جـ٣ ص٣٨٥؛ طبقات القراء ، جـ٣ ، ص١١٩٤ رقم ١١٢٠ ؛ ابن الجزري، غاية النهاية ، جـ١ ص٦٥ رقم ٢٨٠ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٧ ص١٢ رقم ٢٩٥٥ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ١ ص٤٥٣ ، رقم ٤٦٠ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ١ ص٣٢٩ رقم ١٧٧ .

(٤) ابن رافع السلامي ، الوفيات ، جـ١ ص٣١٥-٣١٦ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٣ ص٤٦١ رقم ٣٤٩٨ .

(٥) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٤٩ .

(٦) عبد اللطيف إبراهيم ، نصان جديدان ، ص٧٢ ، تحقيق رقم ٨٢ ؛ دراسات تاريخية وأثرية ، جـ١ ص١٤٦ ؛ عاشور ، المجتمع المصري ، ص١٥١ ؛ التعليم العالي ص٤٣٧ ؛ محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الإجتماعية ، ص٢٦٥ .

فضلاً عن ذلك فقد أشارت المصادر المعاصرة إلى وجود وظيفة " السائق " في بعض المكاتب وهو الذي يقوم بتوصيل الصبيان الصغار من منازلهم إلى المكتب ، والعكس وقد اشترط فيه " أن يكون أميناً ، ثقة ، متأهلاً ، فإنه يتسلم الصبيان في الغدو والرواح ، وينفرد بهم في الأماكن الخالية ، ويدخل على الصبيان في بيوتهم [١].

أما المناهج وطرق التدريس والتربية بهذه المكاتب . فتدور حول تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، لذا فقد اشترط على المؤدب أن يترفق بالصغير ، وأن يعلمه السور القصار من القرآن الكريم بعد حذاقته بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل ، ويدرجه بذلك حتى يألفه طبعاً ، ثم يعرفه عقائد السنن ، ثم أصول الحساب ، وما يستحسن من المراسلات ، ويأمرهم بتجويد الخط على المثال ، ويكلفهم عرض ما أملاه عليهم حفظاً غائباً لا نظرا ، ولم يقتصر دور المؤدب على ذلك بل كان يقوم بتأديب الأطفال وتربيتهم ، والعمل على تنشئتهم نشأة صالحة ، مع مراعاتهم في جميع أحوالهم بالمكتب وخارجه . ويعلمهم البر بالوالدين ، وإذا بلغ الصبي سبع سنوات يأمره بالصلاة، ويعلمه الطهارة والوضوء وأحكام الصلاة ، ويضربهم على تركها عند بلوغه عشر سنوات .

ويضرب على إساءة الأدب والفحش من الكلام وغير ذلك من الأفعال الخارجة ، ولا يضرب صبياً بعصا غليظة تكسر العظم ، ولا رقيقة لا تؤلم الجسم بل تكون وسطاً ويتخذ مجلداً عريض السير ، ويعتمد بضربه على الألايا والفخاذ وأسافل الرجلين لأن هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة [٢] وألا يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه ، على ثلاثة أسواط شيئا [٣] .

وسئل فقهاء ثغر الإسكندرية ، هل لضرب صبيان المكتب حد ؟ فاختلفوا في تحديده وأجاب الفقيه أبو الطاهر إسماعيل بن عوف الزهري قال : " الضرب للصبيان كالغيث للنبات " [٤] .

وعندما يختم الصبي القرآن الكريم . كان يحتفل به احتفالاً كبيراً ، يدعى إليه الفقهاء والعلماء والمؤدب وتمد الأسمطة ، وتفرق الحلوى ، وغالباً ما كانت تقام هذه الاحتفالات في شهر رمضان ، ومن مظاهر ذلك أن يصلي الصبي بالناس صلاة القيام " التراويح " كنوع من إظهار قدرة الصبي على الحفظ ، مما يعد اختباراً علنيا له في حضور هذا الجمع الغفير [٥] .

---

(١) ابن الأخوة ، معالم القربة ، ص١٦١ ؛ ابن الحاج ، المدخل ، جـ٢ ص٣١٥ .
(٢) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص١٠٣-١٠٤ ؛ ابن الأخوة ، معالم القربة ، ص١٦٠-١٦١ ؛ ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص١٦١-١٦٢ ؛ ابن الحاج ، المدخل ، جـ٢ ، ص٣١٣-٣١٤ ؛ أحمد عبدالرازق ، الحضارة الإسلامية ، ص١٩ .
(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٥٤٠ .
(٤) العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢٢٦ .
(٥) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ١٠ ص٢٥٢-٢٥٤ ؛ التبر المسبوك ، ص٩٨ .

بالإضافة إلى ذلك فيحتفل به احتفالاً آخر يسمى " الإصرافة " فتزين أرض المكتب وحيطانه وسقفه بالحرير ، ويقوم أهل الصبي صاحب الإصرافة بتزينة كما يزينون النساء فيحلونه بقلائد الذهب والعنبر ، ثم يركبونه على فرس أو بغلة مزينة ، ويحملون أمامه أطباقاً فيها ثياب من حرير وعمائم ، ويسير بين يديه بقية صبيان المكتب ، وينشدون طوال الطريق إلى أن يوصلوه إلى بيته ، وعندئذ يدخل المؤدب إلى أمه ويعطيها لوح ابنها صاحب الإصرافة ، فتعطيه ما تقدر عليه من مال [1] .

**المكتبات :-**

من مراكز الإشعاع الثقافي التعليمية في الإسكندرية المكتبات ، والتي لم تكن مخزناً منعزلاً للكتب ، ولا نبالغ في قليل أو في كثير إذا قلنا أن المكتبات هي القاعدة الصلبة التي يمكن أن تقوم عليها مختلف الجهود الثقافية في مجتمع من المجتمعات ، وهي مؤسسة وثيقة الصلة بروح العلم والثقافة ، ومكاناً للرقي الفكري والإشعاع الروحي ، ومركزاً للمعرفة ، ووحدة وظيفية لها غاية علمية ، أكثر مما هي مكان به مجموعة من الكتب محبوسة عن الطلبة ، بل هي في خدمة جمهور المثقفين ، مما لم يكن موجوداً في أوروبا آنذاك حيث تسلسل الكتب ولا يستطيع أحد من الطلبة الإطلاع عليها فضلاً عن قلة هذه الكتب ، حتى ما وجد في الأديرة من كتب يعد ضئيلا جداً مقارنة بالكم الهائل الذي زخرت به مكتبات المدارس والزوايا والربط وغيرها من المؤسسات التعليمية عند المسلمين [2]

ويؤكد هذه الحقيقة آدم متز قوله إن مكتبة الكاتدارئية في مدينة بامبرج Bamberg لم يكن بها إلا ستة وتسعون كتاباً فقط [3] .

واشتهرت الإسكندرية قديماً بمكتبها الشهيرة التي تعد أعظم مكتبات العالم وقتئذ والتي أحرقت أثناء الصراع بين يوليوس قيصر وبومبي بالإسكندرية عام ٤٨ ق.م ، ثم أكمل المسيحيين بعد ذلك تدميرها على اعتبارها رمزاً من رموز الوثنية التي يجب تدميرها [4] .

---

(١) ابن الحاج ، المدخل ، جـ٢ ص٣٣١-٣٣٣ ؛ عاشور ، المجتمع المصري ، ص١٥٣ ؛ مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، ص١٩٢ ؛ العصر المماليكي ، ص٣٤٤-٣٤٥ ؛ أحمد عبد الرازق ، الحضارة الإسلامية ، ص٢٠ ؛ علي السيد علي ، الحياة الثقافية ص٨٩ .

(٢) عبد اللطيف إبراهيم ، المكتبة المملوكية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص٣٧ .

(٣) آدم متز ، الحضارة الإسلامية ، جـ١ ص٢٨٨ ؛ علي السيد علي ، الحياة الثقافية في المدينة المنورة ، ص٢٣٦ .

(٤) لمزيد من التفاصيل عن مكتبة الإسكندرية القديمة . انظر :-

محمد حسين ، مكتبة الإسكندرية في العالم القديم ، القاهرة ، ١٩٤٧ ؛ مصطفى العبادي ، مكتبة الإسكندرية القديمة ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ؛ عبد الستار الحلوجي ، لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٣ ؛

Persons (Edward), The Alexandrian Library , London , 1952 .

كان للازدهار الثقافي الضخم الذي شهدته الإسكندرية في العصر المملوكي أثره فيما شهدته من ثراء ثقافي رائع مما جعل من الطبيعي أن تتنوع الأغراض وتتعدد الأهداف التي من أجلها أنشئت المكتبات ، وعرف نوعان من المكتبات ، النوع الأول المكتبات الموجودة في المؤسسات العلمية والدينية والإجتماعية مثل مكتبات المساجد والجوامع والمدارس والربط والزوايا والبيمارستانات ، والنوع الثاني المكتبات الخاصة بالعلماء وغيرهم من محبي العلم واقتناء الكتب .

فأما النوع الأول ، مكتبات المؤسسات الثقافية ، منها مكتبات الجوامع والمساجد ، فمن الطبيعي مادام المسجد يعد المعهد الثقافي الأول للمسلمين ويعقد فيه من حلقات دراسية وعلمية ، أن تودع فيه كتب حتى يمكن أن تتم له هذه الوظيفية الثقافية [١] .

ومنها مكتبات المدارس التي تعد أسعد حظاً من المساجد في الظفر بأكبر عدد ممكن من الكتب فقيام الأساتذة بواجبات التدريس المختلفة يستتبعه توفر عدد من الكتب داخل المدارس ، التي احتوت على مكتبات أو بمصطلح العصر " خزانات الكتب " فقلما نجد مدرسة لا توجد بها مكتبة [٢] . بل الأكثر من ذلك وجد في بعض المكاتب أو الكتاتيب مكتبات تسمى " كتيبات " أو " دواليب " توضع فيها المصاحف والأرباع والألواح وغير ذلك [٣] .

ولعل أول إشارة وصلت إلينا عن مكتبة المدرسة بالإسكندرية ، هي مكتبة مدرسة الحافظ السلفي المعروفة بالعادلية ، والتي حوت الكثير من الكتب ، ومن كثرتها وجدت ملتصقة ومتعفنة لذا كانوا يستخلصونها بالفاس مما أدى إلى تلف الكثير منها [٤] .

ووجد بالمدرسة الخلاصية بالإسكندرية والتي أنشأها نور الدين علي بن خلاص مكتبة ، ودمر هذه المكتبة القبارصة أثناء غزوهم للاسكندرية عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م ، فأشار النويري السكندري إلى أنهم " أخذوا كرسي الربعة وبيتها ، وكانا من النحاس الأندلسي المحزم ... وتركوا أجزاء الربعة المذكورة الثلاثين مطروحة بالمدرسة المذكورة ، لا يأخذوا جزءاً واحداً [٥] .

وأشار الرحالة البلوي إلى أن المدرسة السراجية حوت مكتبة كبيرة ، فضلاً عن مكتبة خاصة لشيخ هذه المدرسة توجد بغرفته فذكر " واستقررت منها بمسكن مجاور لمسكنه ، حيث مأوى تدريسه وخزانة كتبه ، فكان فيه جاري بيت بيت " [٦] .

---

(١) سعيد إسماعيل علي ، معاهد التربية الإسلامية ، ص٤٠٨ .

(٢) عبد اللطيف إبراهيم ، المكتبة المملوكية ، ص١١ ؛ السيد السيد النشار ، تاريخ المكتبات في مصر العصر المملوكي ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص٧٢ ؛ زبيدة عطا ، مكتبات المدارس في العصرين الأيوبي والمملوكي ، ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص٢١٧ .

(٣) عبد اللطيف إبراهيم ، نصان جديدان من وثيقة وقف الأمير صرغتمش ، ص٥١ .

(٤) المقريزي ، المقفى ، جـ٧ ص٣٥٤ .

(٥) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٧٣ .

(٦) البلوي ، تاج المفرق ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

والنوع الثاني من المكتبات الموجودة في الإسكندرية ، المكتبات الخاصة بالعلماء وغيرهم من محبي العلم التي عني الكثير من العلماء في تكوينها والحصول على الكتب العلمية والسفر إلى كثير من البلاد من أجل الحصول عليها ودفع المبالغ الباهظة لشرائها أو القيام بنسخ هذه الكتب ، مما أدى إلى تكوينهم لمكتبات كبيرة .

وأشارت المصادر التاريخية المعاصرة إلى وجود العديد من المكتبات الخاصة بالإسكندرية ، من ذلك أن ناظر الإسكندرية عبد الكريم بن علي بن الحسن البيساني أخوه القاضي الفاضل " كان كثير الرغبة في تحصيل الكتب ، مبالغاً في ذلك إلى الغاية القصوى ، ملك منها جملة عظيمة ، لم يبلغنا عن أحد من الرؤساء أن كتبه وصلت إلى مبلغ كتب عبد الكريم ، ولا قريباً منه إلا ما ذكر عن أخيه ، ولم يُقارب هذا عبد الكريم ، حتى قيل أنها مايتا ألف مجلدة ، قال الموفق عبد اللطيف : كان له هوس في تحصيل الكتب ، وكانت عنده منها زهاء مايتي ألف كتاب من كل كتاب نسخ ، قلت : وهي موجودة إلى عصرنا هذا – عصر ابن أيبك الصفدي – نُشاهد اسمه عليها بقلم دقيق طويل الألفات على أعلى الكتاب مما يلي يسار الناظر في أوله فوق اسم الكتاب " (١) .

ويستفاد من النص السابق مدى كثرة الكتب الموجودة في مكتبة ناظر الإسكندرية عبد الكريم البيساني منذ العصر الأيوبي إلى النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، والتي بلغ عددها ٢٠٠ ألف كتاب ، بل وجد من كل كتاب أكثر من نسخة مما يضاعف هذا العدد من الكتب بتلك المكتبة .

فضلاً عن ذلك فأشار ابن أيبك الصفدي أيضاً إلى مكتبة خاصة أخرى يملكها عبد الله بن محمد المرجاني الواعظ السكندري المتوفي في عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م فذكر أنه " خلف كتباً كثيرة " (٢) .

ومن أصحاب المكتبات الخاصة بالإسكندرية القاضي محمد بن علي بن عبد الوهاب بن أبي الفرج الأسكندري المتوفي في عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م فذكر المقريزي أنه بعد موته " وجد له من الكتب ألف مجلد وسبعة عشر مجلداً " (٣) .

وتجدر الإشارة أن المكتبات الخاصة لم تقتصر على علماء الإسكندرية فقط ، بل نجد أن بعض ولاة الإسكندرية يمتلك مكتبات خاصة كبيرة ، مثال ذلك والي الإسكندرية بيبرس الجمدار المتوفي في عام ٧١١هـ/١٣١١م الذي امتلك مكتبة خاصة كبيرة وبيعت هذه المكتبة بعد وفاته ، ومن أشهر الكتب التي اقتنتها هذه المكتبة كتاب العوفية في الفقه المالكي لنفيس الدين أبو الحرم مكي بن عوف حفيد الفقيه أبو طاهر بن عوف الزهري السكندري المتوفي عام ٦٠٦هـ/١٢٥٨م وهي بخط المؤلف وتقع في ستة وثلاثين مجلداً ثم بيعت في القاهرة لقاضي القضاة المالكية الأخناني ثم أخذت إلى بلاد

---

(١) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٩ ص٨٢ رقم ٨١ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٣ ص٨٤-٨٥ .

(٢) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٧ ص٥٩٥ رقم ٥٠٢ .

(٣) المقريزي ، المقفى ، جـ٦ ص٣١٩ .

المغرب واستقرت في خزانة سلطان فاس " بني مرين " (١) .

الخلاصة أن المكتبة مؤسسة ثقافية تعليمية اجتماعية ، لا تتقيد بمنهج مرسوم أو برنامج معين ، حيث يغلب عليها الصبغة الحرة بدلا من الصيغة الرسمية في مؤسسات التعليم ، حيث يقوم الطالب بالقراءة الحرة بعيداً عن منهج محدد ، حيث ينال بنفسه في جو تسوده الحرية والرغبة في العلم ، ويتعود على البحث بنفسه المعروف بالتعلم الذاتي(٢) .

مما ساعد على نبوغ الكثير من طلبة العلم في مختلف ميادين المعرفة آنذاك ، مما لا يمكن معه إنكار دور المكتبة في إثراء الحياة الثقافية ، وزاد من أهميتها أن الحصول على الكتب لم يكن متيسر لطلبة العلم ، فالكتب كلها مخطوطة ، وباهظة الثمن مما لا يستطيع معه طلبة العلم من شرائها ، فضلاً عن قلة تلك الكتب (٣) .

وتزود هذه المكتبات عن طريق عدة طرق منها :-

الواقف : الذي يحبس على خزانة المؤسسة الثقافية مجموعة كبيرة من الكتب والمصاحف ، وغيرها من أدوات الكتابة ، والهدايا والهبات التي يقدمها بعض السلاطين والأمراء والعلماء والفقهاء ، والنسخ الذي يعد بلاشك أهم وسائل تزويد المكتبة بالكتب، أو الشراء من الوراقة وتجار الكتب وذلك من خلال ريع وقف المدرسة الموجود بها المكتبة (٤) .

وقام على إدارة هذه المكتبات مجموعة من الإداريين يأتي على رأسهم خازن الكتب أو أمين المكتبة : الذي يشرف على الناحية الفنية والعلمية بالمكتبة ، لذا ينبغي أن يكون من رجال العلم ، واسع المعرفة بشئون الكتب ، وأن يكون كفئاً نشيطاً قادراً على شغل وظيفته ، وأن يكون ثقة يقظا عاقلا ، مأمونا بالغ الأمانة والثقة ، ونزاهة النفس مع قلة الطمع ، حيث ألقى على عاتقه عدة واجبات منها أن يحافظ على الكتب ، وترميم شعثها ، وحبكها عند احتياجها للحبك ، الضنة بها على من ليس من أهلها وبذلها للمحتاج إليها ، وأن يقدم عند الاستعارة الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء ، وألا يخرج الكتب من المكتبة إلا بأخذ رهن كضمان الحفاظ عليها (٥) .

فضلا عن ذلك وجدت وظيفة المناول وهو في الغالب مساعد لخازن الكتب ، حيث يقوم بإحضار الكتب من المكتبة وتوصيلها إلى طالبها ، لمعرفته بأماكن الكتب ، ثم إرجاع الكتب مرة أخرى إلى مكانها بعد انتهاء طالبها من حاجته إليها (٦) .

---

(١) ابن فرحون المالكي ، الديباج ، جـ١ ص٢٩٣ ؛ المنستيري ، شجرة النور الزكية ، جـ١ ص١٦٥ رقم ٥١٦ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، جـ٢ ص٥٢٧ ، رقم ٩٩٥ .

(٢) عاشور ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، ص١٩٥؛ أحمد شلبي ، تاريخ التربية الإسلامية ، ص١٥٨ .

(٣) عبد اللطيف إبراهيم ، المكتبة المملوكية ، ص٣٩ .

(٤) عبد اللطيف إبراهيم ، المكتبة المملوكية ، ص٤٩ .

(٥) السبكي ، معيد النعم ، ص١١١ ؛ عبد العاطي ، التعليم في مصر ، ص٢٥٢-٢٥٩ .

(٦) عبد اللطيف إبراهيم ، المكتبة المملوكية ، ص٧٨ ؛ أحمد شلبي ، تاريخ التربية ، ص١٤٣ ؛ عبد العاطي ، التعليم في مصر ، ص٢٥٩-٢٦١

بالإضافة إلى ذلك وجدت وظيفة الناسخ الذي يقوم بنسخ الكتب التي تحتاجها المكتبة مما لا يوجد بها من كتب نادرة أو مما يتعذر تحصيله منها عن طريق النسخ [1]

كذلك المجلد : الذي يقوم بتجليد الكتب بالمكتبة التي ينسخها النساخ أو التي تعرضت للتلف ووجد أيضا المذهب الذي يذهبُ جلود تلك الكتب [2] .

البيمارستانات :-

البيمارستان : بفتح الراء وسكون السين ، كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) مريض أو عليل أو مصاب . و(ستان) بمعنى مكان أو دار ، وبذا يكون المعنَى الكلي دار المرضى أو موضع المرض وعرفت أيضاً باسم المارستان [3] .

وعرفت مصر البيمارستان منذ عصر الدولة الأموية حيث اتخذ دار أبي زبيد بزقاق القناديل بالفسطاط بيمارستانا ثم بيمارستان الفتح بن خاقان ومارستان أحمد بن طولون ومارستان كافور الأخشيدي .

وعندما أقام صلاح الدين دولته في مصر اهتم بالرعاية الصحية بها فأقام ثلاث بيمارستانات الأول في القاهرة والثاني في الفسطاط ، والثالث في الإسكندرية وأنشأه صلاح الدين في عام ٥٧٧هـ/١١٨٢م وذلك أثناء زيارته الثانية للمدينة ، فقام ببناء مجمعا علميا يشتمل بيمارستان ودار لإيواء النزلاء من المغاربة والأندلسيين ومدرسة[4]

وزار هذا البيمارستان الرحالة ابن جبير البلنسي فذكر " ونصب لهم مارستاناً لعلاج من مرض منهم ، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم جذام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم ، التي يشيرون بها من علاج وغذاء ، ورتب أيضاً فيه أقوام برسم الزيارة للمرضى الذين يتنزهون عن الوصول للمارستان المذكور من الغرباء خاصة ، وينهون إلى الأطباء أحوالهم ، ليتكفلوا بمعالجتهم " [5] .

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم ، المكتبة المملوكية ، ص٧٦ ، عبد العاطي ، التعليم ، ص٢٦١ .

(٢) عبد اللطيف ، التجليد في مصر الإسلامية ، ضمن كتاب دراسات في الكتب المكتبات ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص٣٥ ؛ المكتبة المملوكية ، ص٧٧ .

(٣) السيد آدي شير ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة ، ص١٥ ؛ أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، دمشق ، ١٩٣٩ ، ص٤ ؛ محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الإجتماعية في مصر ، ص١٥٥؛ أحمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، العلوم العقلية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص١٦٩ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، مادة " بيمارستان " جـ٩ ص٧٤ ؛

**Ahmed Isaa Bey, Histoire des Bimaristans a l'époque Islamique le Caire , 1982 , P.1.**

(٤) المقريزي ، السلوك ، جـ١ ، ص٧٦ ؛ محمد محمد أمين ، تاريخ الأوقاف في مصر في عصر سلاطين المماليك ، دكتوراة آداب القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص٦٧-٦٨ ؛ الأوقاف والحياة الإجتماعية ، ص١٥٧ ؛ عبد العزيز عبد الدائم ، الرعاية الطبية في عصر المماليك ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص١٦٤ ؛ أحمد عبد الرازق ، الحضارة الإسلامية ، ص١٧٣ .

(٥) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص٤٠ .

والمارستان لم يكن مجرد مستشفى يقصدها المرضى أملاً في الشفاء ، وإنما داراً علمية يعلم فيها الأساتذة الطب ويدرسون الحالات التي تعرض عليهم ، فيوجد إيوان كبير أو قاعة كبيرة في البيمارستان للمحاضرات يجلس فيها كبير الأطباء ومعه الأطباء والطلاب وبجانبهم الآلات والكتب فيقعد الطلبة بين يدي معلميهم بعد أن يتفقدوا المرضى وينتهوا من علاجهم ، ثم تجرى المباحث الطبية والمناقشات العلمية بين الطلبة وأستاذهم ، والقراءة في الكتب الطبية ، وكثيراً ما كان الأستاذ يصحب معه طلبته إلى داخل البيمارستان ليقوم بإجراء الدروس العملية لطلبته على المرضى بحضروهم ، حيث الحالات المرضية ماثلة أمام أعين المتعلمين ، والأدوية والعلاجات قريبة متوافرة ، مما جعل البيمارستان بمثابة كلية للطب العملية الحديثة ( الإكلينيكية ) أو المستشفيات التعليمية الملحقة بكليات الطب حالياً (١) .

لذا يعد هذا البيمارستان بمثابة مدرسة للطب في الإسكندرية يدرس بها علم الطب وتعد به الكوادر الطبية من الأطباء الذين تحتاجهم المدينة (٢) .

ومن الجدير بالذكر أن هذا البيمارستان الصلاحي بالإسكندرية ظل قائماً طوال العصر المملوكي ويؤدي دوره الصحي ورعاية المجتمع السكندري الصحية ونشر الثقافة الصحية ، وقام نائب الإسكندرية الأمير سيف الدين الأكز بتعميره وتزويده بما يحتاج إليه من أدوية وآلات للجراحة وجعل على رحبته سلسلة مانعة للدواب حسبما ذكر النويري السكندري (٣) .

---

(١) محمد عبد الرحيم غنيمة ، تاريخ الجامعات الإسلامية ، ص١١٨ ؛ مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا ، دار الإرشاد ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص١٤٦ .

(٢) حسن عبد الوهاب ، الإسكندرية في العصر الإسلامي ، ص٣٨٧ .

(٣) النويري السكندري ، الإلمام ، ص٢٠٤ ب مخطوط الهند ؛ عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية، ص٤٨٠ ؛ درويش النخيلي ، دراسة جديدة في طبوغرافية مدينة الإسكندرية ، ص٦٧ .

**ثالثاً : المراكز الثقافية العامة :-**

بالإضافة إلى مراكز الإشعاع الثقافي الدينية والتعليمية وجدت العديد من مراكز الإشعاع الثقافية في الإسكندرية من حوانيت الوراقين ومنازل العلماء والأسواق العامة وغير ذلك وسوف نتناولها بشيء من التفصيل فيما يلي :-

**حوانيت الوراقين :-**

تعد حوانيت الوراقين من الوسائط الثقافية التي لا يمكن أغفالها في دراسة مراكز الإشعاع الثقافي في الإسكندرية لما لها من أثر بعيد في التكوين العلمي لعدد غير قليل من مفكري الإسلام وعلمائه ، ومما يرفع من شأنها ويبرز دورها الثقافي ، براءتها من شوائب التعصب التي شابت عديداً من المراكز والمؤسسات الثقافية الأخرى ، فالمدارس في كثير من الأحيان خصصت للدعوة لمذهب معين ومحاربة مذهب آخر ، حتى المساجد لم تسلم من ذلك مع الأسف الشديد ، أما حوانيت الوراقين فبرئت من هذه العصبية ، وحطمت هذه الحدود المضروبة ، ووصلت بين البلاد المختلفة فكانت بذلك من أول الأسباب التي قاربت بين العقلية المسلمة على اختلاف مكانها ، فالكتاب ما يكاد يظهر في بلد حتى تجتذبه إلى بلد أخرى روحها العلمية القوية فيقبل عليه الوراقون نسخاً وإذاعة ويقبل عليه الطلاب والعلماء دراسة وقراءة [(١)] .

وفي معظم الأحيان يكون بائعوا الكتب والوراقون مثقفين ثقافة علمية وأدبية ودينية يشاركون العلماء والأدباء والفقهاء في بحثهم وأطلاعهم وتأليفهم ونقاشهم ، فهم يسعون للذة العقلية من وراء هذه الحرفة ولم يكونون مجرد تجار ينشدون الربح ، كما لم تقف مهنة الوراقة عند حد الصفقات التجارية وبيع الكتب ، وإنما تعدت إلى مهام ثقافية بالغة الأهمية في ذلك الحين [(٢)] .

ووصفت الوراقة بأنها " من أجود الصنائع ، لما فيها من الإعانة على كتابة المصاحف وكتب العلم ، ووثائق الناس وعُهدهم " لذا وجب على الوراق أن يرفق بطالب العلم وغيرهم ، ويرجح جانب من يعلم أنه يشتري الورق لكتابة كتب العلم ، وأن يمتنع عن بيعه لمن يعرف أنه يكتب مالا ينبغي من البدع والأهواء ومن شهادات الزور والمرافعات وغير ذلك [(٣)] .

وما برح سوق الوراقة مجمعاً لأهل العلم والثقافة يترددون إليه ، لذا أنشد أحد الشعراء في ذلك :

مجالسة السوق مذمومة ومنها مجالس قد تحتسب

---

(١) محمد عطية الأبراشي ، التربية الإسلامية وفلاسفتها ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٩ ص١٠٤ ؛ عبد اللطيف إبراهيم ، المكتبة المملوكية ، ص١٢ ؛ سعيد إسماعيل علي ، معاهد التربية الإسلامية ، ص٤٧٧ .

(٢) أحمد شلبي ، تاريخ التربية الإسلامية ، ص٥٠-٥١ .

(٣) السبكي ، معيد النعم ، ص١٣٢ ؛ ابن الحاج ، المدخل ، جـ٢ ، ص٢٩٥-٢٩٨ .

فلا تقربن غير سوق الجياد وسوق السلاح وسوق الكتب
فهاتيك آلة أهل الوغى وهاتيك آلة أهل الأدب [١]

والوراقون هم الذين ينسخون الكتب الهامة ويعرضونها للراغبين فيها ، ويتقاضون على ذلك الأجر ، لذا وضع السبكي على عاتق هؤلاء النساخ عدة واجبات بحيث لا يكتب شيئاً من الكتب المضلة ككتب أهل البدع والأهواء ولا يكتب الكتب التي لا ينفع الله تعالى بها ، وكشف السبكي أيضاً عن أساليب غش هؤلاء النساخ مثل الكتابة على عجلة وحذف أجزاء من الكتاب الذي ينسخ رغبة منهم في نجازة أو تغير ترتيب أبواب الكتاب، وغير ذلك من أساليب الغش [٢] .

فضلاً عن ذلك قام الوراقون بتجليد الكتب على اعتبار أن التجليد عنصراً فنياً أساسياً من عناصر صناعة الكتاب عند المسلمين ، لذا اعتبر عمل المجلد في صناعة الكتاب متمماً لعمل كل من الخطاط والرسام والمذهب ، ووقعت على كاهل المجلد مسئولية حفظ أوراق الكتاب من التلف ، والعناية بمظهره الخارجي بحيث يتلاءم ذلك مع قيمة الكتاب ومحتوياته ، وخاصة المصاحف الكريمة ، والربعات الشريفة والتي تعد من أهم مجموعات الكتب في المكتبات الإسلامية [٣] .

وتجدر الإشارة إلى أن أسواق الوراقة في الإسكندرية من أنشط أسواق الوراقة بحيث نبغ عدد كبير من الوراقين والمجلدين والنساخ وغير ذلك من الأعمال المرتبطة بالوراقة وأمدتنا المصادر التاريخية بأسماء العديد من الوراقين بالإسكندرية من ذلك أحمد بن سرور بن سليمان بن علي بن أبي الرُشد الكتبي السمسطاوي وكان عارفاً بالكتب وأثمانها ، وتوفي بالإسكندرية في عام ٥١٧هـ/١١٢٣م [٤] ، وأبى الحسن أحمد بن علي بن هاشم الكتبي المعروف بابن الموقعي ، والذي ولد بالإسكندرية عام ٤٦٤هـ/١٠٧١م ، وتوفي أيضاً بها في عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م [٥] ومحمد بن حيدرة بن جعفر بن لقمان البغدادي الأصل ، الكتبي المالكي ، وحدث بالإسكندرية عن أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال وغيره واستقر بها وكتب عنه السلفي [٦] . وأبو الرضا زيد بن محمد بن عبد الحميد الطرابلسي المجلد بالثغر ، الذي يجلد الكتب ويبيعها بثغر الإسكندرية [٧] .

---

(١) المقريزي ، الخطط ، جـ٣ ص١٦٦ .
(٢) السبكي ، معيد النعم ، ص١٣١-١٣٢ ؛ ابن الحاج ، المدخل ، جـ٤ ، ص٢٩٨-٣٠٤ .
(٣) السبكي ، معيد النعم ، ص١٣٢-١٣٣؛ عبد اللطيف إبراهيم ، التجليد في مصر الإسلامية ، ص٦ ؛ سهام محمد المهدي سليم ، تجليد الكتب في مصر في العصر المملوكي ، رسالة ماجيستير غير منشورة كلية الآداب – قسم الآثار الإسلامية ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ ، المقدمة ص أ .
(٤) السلفي ، معجم السفر ، ص٢٥ .
(٥) السلفي ، معجم السفر ، ص٣٠ .
(٦) المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص٦١٧-٦١٨ رقم ٢١٨٨ .
(٧) السلفي ، معجم السفر ، ص١٠٠ .

وأبو المجد صمصام بن عساكر بن يعقوب الكاتب ، وهو من أكتب الوراقين للوراقة وأحسنهم خطاً وأجودهم عبارة ، شافعي المذهب [1] ، ومحمد بن الحسن بن صدقة بن سليمان البوصيري الناسخ فضلاً عن اهتمامه بعلم الحديث وهو من محدثي الإسكندرية ، وتوفي بها عام ٥١٩هـ/١١٢٥م [2] .

ومن الوراقين في الإسكندرية أيضاً الشيخ الأديب أبو الفضل جعفر بن أحمد اللخمي الظالمي الأسكندراني المولود في الإسكندرية عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م ، وهو شاعرٌ وعالما في النحو فضلاً عن عمله الوراقة بالإسكندرية أو توفي بمصر ودفن بسفح المقطم عام ٦١٣هـ/١٢١٦م [3] والشيخ أبو الربيع سليمان بن الحسين بن سليمان المليجي الأصل الأسكندراني المولد والدار والوفاة والذي يتاجر في الكتب حتى لقب بالكتبي وعمل أيضا في تجارة البز والأقمشة ، وكان مولده عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م وتوفي عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م [4] والشيخ الأجل أبو علي الحسن بن عيسى بن سراج والذي يعمل في نسخ الكتب ولقب بالناسخ وتوفي بالإسكندرية في عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م [5] والشيخ أبو حفص عمر بن علي بن أبي سعد الكتبي وله عناية بعلم الحديث المتوفي في الإسكندرية عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م [6] ومحمد عبد الرحمن بن عبد العزيز اللخمي الأسكندراني الوراق المعروف بابن الأعمى وذكر المقريزي أنه كان شيخا حسنا ، وروى عن أبي الحرم مكي بن إسماعيل بن عوف وأنه توفي بالإسكندرية في عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م [7] والحسين بن يوسف بن عبد الحق الصنهاجي الشاطبي الأسكندراني الناسخ وولد في الإسكندرية عام ٥٦١هـ/١١٦٥م وسمع من حافظ الإسكندرية السلفي وغيره وحدث بالإسكندرية مع عمله بنسخ الكتب وتوفي عام ٦٣٧هـ/١٢٤٠م [8] .

ومن الوراقين بالإسكندرية الشيخ الصالح أبو الحرم مكي بن أحمد بن علي بن عبد الله المكناسي الوراق كما سمع من أصحاب الحافظ السلفي بالإسكندرية وتوفي في عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م (٩) .

---

(١) السلفي ، معجم السفر ، ص١٢٢ .

(٢) المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص٥٤٣-٥٤٤ رقم ٢٠٥٧ .

(٣) المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، جـ٢ ، ص٣٨٥ رقم ١٤٩٩ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٣ ، ص١٥ رقم ١٠٥٩ ؛ السيوطي ، بغية الوعاء ، جـ١ ، ص٤٨٥ ، رقم ٩٩٩ .

(٤) المنذري ، التكملة ، جـ٣ ، ص٢٥٠-٢٥١ ، رقم ٢٢٥٨ .

(٥) المنذري ، التكملة ، جـ٣ ، ص٢٥٥ رقم ٢٢٧١ .

(٦) المنذري ، التكملة ، جـ٣ ص٤٧٥ رقم ٢٧٩٩ .

(٧) المقريزي ، المقفى ، جـ٦ ص٣٤-٣٥ رقم ٢٤٢٤ .

(٨) المنذري ، التكملة ، جـ٣ ص٥٤٦ رقم ٢٩٥٦ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٣ ص٨٥ رقم ٨٠ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٣ ص٦٤٨-٦٤٩ رقم ١٢٧٢ .

(٩) المنذري ، التكملة ، جـ٣ ، ص٥٩٥ رقم ٣٠٦٣ .

والحسن بن علي بن منتصر الأسكندراني الكتبي وتوفي بها عام ٦٦١هـ/١٢٦٣م(١) . ومحمد بن منصور الأنصاري الأسكندري الوراق فضلاً عن عدالته عند قضاة الإسكندرية واهتمامه بالعلوم الشرعية ودرس على علماء الإسكندرية من أمثال أبي القاسم الصفراوي وابن رواج وجلس يحدث الناس (٢) ومحمد بن فتوح المصغوني الأسكندري المالكي محدث الإسكندرية ومفيدها ، كان عدلاً ثقة ضابطاً ، يكتب خطاً حسناً ، وله طريقة حسنة في ذلك وعليه عمدة أهل الثغر في وراقته ومعرفته بها ، سمع على علماء الإسكندرية والقاهرة ، وحصل الأصول وكتب بخطه ، مولده ووفاته بالإسكندرية (٦٤٥-٦٨٢هـ/١٢٤٧-١٢٨٣م )(٣) . ومحمد بن أحمد بن علي الأنصاري الكتبي المتوفي بالإسكندرية في عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م (٤) .

ومن علماء الإسكندرية الذين احترفوا مهنة الوراقة مع اشتهارهم بالعلم . علي بن أحمد بن عبد المحسن الغرافي الأسكندراني (٦٢٨-٧٠٤هـ/١٢٣٠-١٣٠٤م ) المولد والدار والوفاة شيخ دار الحديث النبيهية ، كان يتكسب بالوراقة ، إذا حصل قوته لا يتجاوزه ، وله معرفة بالفن ، وكتابته حسنة سريعة ، وإذا ألقى الطرس من يده تراه روضة مريعة (٥) .

واحترف الوراقة أيضا أخوه عز الدين إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن الغرافي الأسكندراني (٦٣٨-٧٢٨هـ/١٢٤٠-١٣٢٨م ) الشافعي الناسخ ، حيث كان يرتزق بالنسخ وعنده في ذلك ثبوت ورسخ مع زهد ونزاهة وتقدم عند أهل الخير ووجاهة ، وتولى بعد أخيه مشيخة دار الحديث النبيهية (٦) ، وشمس الدين محمد بن نمير بن السرح المقرىء ت ٧٤٩هـ حيث " كتب الخط المنسوب " (٧) .

---

(١) الذهبي ، العبر ، جـ٣ ص٣٠١-٣٠٢ ، ابن العماد ، شذرات ، جـ٥ ص٣٠٥ .
(٢) المقريزي ، المقفى ، جـ١٧ ص٢٩٧ رقم ٣٣٦٩ .
(٣) المقريزي ، المقفى ، جـ٦ ص٥٠٤ رقم ٣٠٠٦ .
(٤) المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص٢٣٦-٢٣٧ رقم ١٧٩٤ .
(٥) الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص٣٥٦ ، رقم ٥١٢ ؛ المعجم المختص ، ص١١١-١١٢ رقم ١٩٢ ؛ الوادياشي ، برنامج الوادياشي ، ص١٥٩ رقم ٢٣٠ ؛ ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٣ ص٢٥٤-٢٥٥ ، رقم ١١٠٧ ؛ العبادي ، ذيل طبقات الشافعية ، ص١٩٢ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ق١ ص١٣ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٣ ، ص٨٥-٨٦ رقم ٢٦٦١ ؛ ابن فهد المكي، لحظ الألحاظ ، ص٩٤-٩٥ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٦ ، ص١٠-١١ ؛ محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، مج ٤ ص٥٩ .
(٦) الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص١٠٠-١٠١ رقم ١٢٣ ؛ المعجم المختص ، ص٤٢ رقم ٥٦؛ ذيل العبر ، جـ٤ ص٨٣ ؛ تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ص١٤٩٧ ، ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ١ ص٤٩-٥١ رقم ٦ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ١ ص٤٣-٤٤ رقم ٢٢ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ١ ص١٠-١١ رقم ١٢ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ١ ص٤٠-٤١ رقم ٩؛ محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، مج ٤ ص٨٥ .
(٧) ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ٢ ص٢٥٦ رقم ٣٤٤٦ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٧ ص١٤٨ رقم ٣٢٤٦

ومن أهم الوراقين بالإسكندرية محمد بن قاسم النويري السكندري مؤرخ الإسكندرية ، الذي قدم من النويرة بالبهنسا رغبة في زيارة الإسكندرية ولكنها أعجبته واستقر بها وعمل بمهنة النسخ حيث نسخ لعلمائها الكتب ، وانتفع من وراء عمله بالوراقة والنسخ وظهر أثر ذلك عند تأليفه لكتاب الإلمام ، والذي يعد موسوعة شاملة للعديد من فنون العلم من التاريخ والفقه والتصوف والإجتماع والفلك وتعبير الرؤيا والأدب وفنون الشعر وغير ذلك (١) .

ومن الوراقين أيضا عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز بن موسى البشبيشي ، حيث تكسب بالوراقة وكتب الخط الجيد المنسوب ، وبرع في معرفة الورقة ونسخ بخطه كثيراً من الكتب وتوفي بالإسكندرية في عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م (٢) . ومن الوراقين أيضاً محمد بن محمود السكندري الحريري المولود بالإسكندرية عام ٨٣٠هـ/١٤٢٧م ، وعمل دلالاً بالوراقين ويعلمهم بأوقات الصلاة أي له معرفة بعلم الميقات (٣) .

بالإضافة إلى ذلك قام طلبة العلم بنسخ ما يحتاجون إليه من الكتب بأيديهم أو يستأجرون من يقوم بنسخها لهم ، أو يقوم أحد التلامذة بنسخ الكتب لأساتذتهم كنوع من الأهداء والتقرب إليهم (٤) .

وهكذا قام الوراقة وأسواقها بدور هام في ازدهار الحياة الثقافية في الإسكندرية ، وأصبحت أسواق الوراقة بحق مركز إشعاع للثقافة في الإسكندرية وقتئذ .

---

(١) النويري ، السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ، ص٢٢٠ .

(٢) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ٣ ص١٤٩ ؛ ذيل الدرر ، المعروف بتاريخ المائة التاسعة ، تحقيق عدنان درويش نشر معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، ١٩٩٢ ، ص٢٥٨ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٧ ص٦٦ رقم ١٣١٠ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ص٣٨١ رقم ١٣٠٧ ؛ السخاوي، الضوء اللامع ، جـ٥ ، ص٧ ، رقم ١٨ ؛ وجيز الكلام ، جـ٢ ص٤٥٠ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٧ ، ص١٤٦ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ١٠ ، ص٤٤ رقم ١٤٩ .

(٤) من ذلك ما رواه ابن عطاء الله السكندري أنه أستاذه أبو العباس المرسي يريد أن يستنسخ كتاباً لابنه ، فقام ابن عطاء الله السكندري بنسخة له وأهداه إليه فيذكر سمعته يقول أريد استنسخ كتاب التهذيب لولدي جمال الدين ، فذهبت أنا استنسخه من غير أن أعلم الشيخ ، وأتيته بالجزء الأول ، فقال : ما هذا ؟ قلت : كتاب التهذيب استنسخه لكم ، فأخذه فلما نهض ليقوم قال : اجعل بالك ، الولي لا يتفضل عليه أحد تجد هذا إن شاء الله في ميزانك ، فلما أتيته بالجزء الثاني لقيني بعض أصحابي بعد نزولي من عنده . وقال : قال : الشيخ عنك والله لأجعلنه عينا من عيون الله يقتدى به في العلم الظاهر والباطن ، فلما أتيته بالجزء الثالث ، ونزلت من عنده لقيني بعض أصحابي وقال : طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمراء ، فقال : هذا كتاب استنسخه لي ابن عطاء الله ، فوالله ما أرضى له يجلسه جده ، ولكن بزيادة التصوف . انظر :- ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن، ص١٠٣ .

منازل العلماء :-

على الرغم من توفر مراكز الإشعاع الثقافي في الإسكندرية من مساجد ومدارس وربط وغيرها من مؤسسات الأمر الذي أتاح الفرصة لعديد من المفكرين والعلماء من أن يبثوا من خلالها أفكارهم وينقلوا عن طريقها آخر ما أنتجه الفكر الإسلامي وأنتجته عقولهم ، فيبدو أن العلماء لم يقنعوا بذلك ، بل وجدناهم يتخذون من منازلهم أيضاً أماكن يجتمع فيها حولهم مريدوا العلم وطلاب المعرفة لينهلوا المزيد (١) .

لذا تعد منازل العلماء بمثابة مراكز ثقافية يلتقي فيها الطلبة مع علمائهم للأخذ عنهم ، فضلاً عما يثار بها من القضايا أي تعد بمصطلح العصر بمثابة " الصالونات الأدبية " (٢) .

ففتح علماء الإسكندرية منازلهم لتلاميذهم ، وأغلب هؤلاء التلاميذ من الرحالة ، وأمدتنا المصادر المعاصرة ببعض الأمثلة على ذلك ، فذكر الرحالة ابن رُشيد السبتي من أنه أخذ عن شيخ الإسكندرية المكين الأسمر " وقرأت بدكان منزله عمره الله ببقائه ضحى يوم السبت الحادى والعشرين لجمادى الأخرى من عام أربعة المذكور " جميع المجالس السلماسية التي أملاها الحافظ السلفي "(٣) الأمر الذي يوضح أن هذا العالم خصص جزءاً من منزله ليلتقي فيه مع الطلبة " دكان منزله " وكان شيخ العربية والنحو بالإسكندرية محمد بن عبد الله التلمساني الأسكندراني المشهور بحافي رأسه النحوي يقرىء النحو بداره (٤) .

فضلاً عن ذلك أشار الحافظ الذهبي إلى أنه درس بالإسكندرية على شيخ القراء ابن الصواف (٥) بمنزله " ورحلت إليه فأدخلت عليه في سنة خمس وتسعين (وستمائة) فوجدته قد أضر وأصم ، ولكنه فيه جلادة وشهامة ، وهو في سبع وثمانين سنة ، فقرأت عليه جزءاً ورفعت صوتي فسمع ، وكلمته في الجمع عليه بالسبع ، ... وزاهدني فيه أني كنت لا أدخل إليه إلا بمشقة ، وأمنع مرة ويؤذن لي أخرى (٦) .

بالإضافة إلى ذلك أخذ الرحالة البلوي الذي زار الإسكندرية عام ٧٣٧هـ/١٣٣٨م، عن العديد من علمائها بمنازلهم ، ودون ذلك في رحلته ، فيذكر " أول من لقيته بها من الأئمة وحاملي الآثار والسنة الشيخ الفقيه الإمام قاضي المالكية وجيه الدين أبو زكريا يحيى بن محمد الصنهاجي المالكي ... سمعت عليه تآليف كثيرة بمنزله من الإسكندرية

---

(١) عثمان الكعاك ، مراكز الثقافة في المغرب ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، د.ت ، ص٥٣ ؛ سعيد إسماعيل علي ، معاهد التربية الإسلامية ، ص٥١٣ .

(٢) محمد كمال الدين ، الحركة العلمية ، جـ١ ، ص٩٣ ؛ السيد النشار ، تاريخ المكتبات ، ص٧٦.

(٣) ابن رُشيد السبتي ، رحلة ابن رشيد ، ص١٤ ؛ ( نشر نجاح صلاح الدين ) .

(٤) الوافي ، جـ٣ ، ص٣٦٤ رقم ١٤٤٢ .

(٥) يحيى بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن علي بن عبد الباقي الأسكندراني المالكي المقرىء المعروف بابن الصواف ، ولد عام ٦٠٩هـ وتوفي عام ٧٠٥هـ . انظر: ابن الجزري ، غاية النهاية، جـ٢ ، ص٣٦٦ .

(٦) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ٣ ص١١٩٢-١١٩٣ رقم ١١١

وأجازني الإجازة التامة المطلقة وكتب لي بخطه " [1] .

وأخذ البلوي بالإسكندرية عن أبو العباس أحمد الكتامي الشافعي الشهير بابن المصفى ، فذكر " لقيته بمنزله من الإسكندرية ، فسمعت عليه تصانيف جملة ، وتلقيت منه فوائد جمة ، وقرأت عليه بلفظي .... وألبسني خرقة التصوف ... وقد قرأت جميع ذلك عليه بلفظي بمنزله المذكور ، وقرأت وسمعت عليه ذلك ، وأجازني وكتب لي بخطه" [2] .

وممن لقيه البلوي أيضاً بالإسكندرية سديد الدين أبو عبد الله محمد اللخمي الأسكندري المشهور بابن عطية ، فيقول : " لقيته بمنزله من الإسكندرية ، وسمعت منه ... وحدثني فيه في غير هذا " [3] .

من هذه النماذج السابقة يتبين لنا بوضوح ، أن منازل علماء الإسكندرية تعد بمثابة مراكز إشعاع ثقافي بها ، حيث أسهمت بنصيب كبير في نشر العلم والثقافة .

## حوانيت التجارة والأسواق :-

لم تكن الثقافة العلمية والأدبية والدينية مقصورة على الأساتذة والطلاب ، وأصحاب المكتبات بل كانت عامة بين المسلمين ، فانتقل النشاط العلمي والأدبي والثقافي من حوانيت بائعي الكتب والوراقة إلى حوانيت التجارة والأسواق ، وكان كثيرا من العلماء يمتهنون الكثير من المهن وكانوا يلتقون مع طلبتهم ومريديهم بحوانيتهم ليأخذوا عنهم[4] .

فأشار الذهبي إلى أن حمزة بن عمر بن عتيق بن أوس الأسكندراني المالكي المشهور بالغزال له حانوت بقيسارية الغزل بالإسكندرية ، وأخذ عنه العديد من الطلبة بحانوته هذا ، منهم ابن الحلوانية وأبو حامد بن الصابوني ، وأبو محمد الدمياطي ، والضياء السبتي ، وآخرون وتوفي بالإسكندرية عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م [5] .

والتقى الرحالة ابن رشيد السبتي في أثناء رحلته بالإسكندرية العديد من العلماء في دكاكين أعمالهم فذكر أن " ممن لقيته بالإسكندرية مثقال الحبشي البزاز بقيسارية العجم وهو متقال بن عبد الله الفرجوني في مولى أبي الفضائل عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فرجون الأسكندري وهو أشهر شيخ أمي ولكن له رواية ، أجاز لي جميع رواياته مشافهة .. " [6] .

---

(١) البلوي ، تاج المفرق ، جـ١ ص٢٠٠-٢٠١ .
(٢) البلوي ، تاج المفرق ، جـ١ ، ص٢٠٣-٢٠٤ .
(٣) البلوي ، تاج المفرق ، جـ٢ ص٢٠٥ .
(٤) سعيد إسماعيل علي ، معاهد التربية الإسلامية ، ص٤٧٨ .
(٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ص١٢١ رقم ٩٣ .
(٦) ابن رشيد ، ملء العيبة ، ص٩-١٠ ( نشر نجاح صلاح الدين ) .

يتضح لنا من نص ابن رشيد أن هذا العالم كان تاجراً للقماش الحرير " البز " والمفاجأة أن هذا العالم رغم شهرته فهو أمي لا يعرف القراءة والكتابة ورغم ذلك يعد عالم من علماء علم الحديث وأملى رواياته مشافهة علي ابن رشيد ، ويضيف ابن رشيد أيضاً " وممن لقيته بثغر الإسكندرية الشيخ الأديب يوسف بن عبد العالي بن هلال التميمي القماح البيع لقيته بدكانه من الثغر المحروس فأنشدني قطعاً من شعره " (١) .

وذكر الحافظ الذهبي في معجم شيوخه الذين أخذ عنهم أنه درس في الإسكندرية إبراهيم بن عبد الرحمن بن مغنين المنبجي الأسكندراني النجار في حانوته بالإسكندرية " وسمع منه قبلنا أبو محمد البرزالي وأبو الفتح اليعمري " " أخبرني إبراهيم بن مغنين بحانوته ، أنا جعفر بن علي أنا السلفي أنا أبو طالب أحمد بن محمد بن أحمد المعلم بأصبهان " (٢) .

أما الرحالة أبو البقاء خالد البلوي ، فالتقى وهو بالإسكندرية بالعديد من علمائها بدكاكين تجارتهم منهم " شرف الدين أبو البركات محمد بن الشيخ الإمام العدل المرحوم فخر الدين أبو بكر محمد ابن الشيخ الإمام العالم المصنف شهاب الدين أبي محمد عبد الكريم بن عطاء الله الجزامي الأسكندري ... لقيته بدكانه من الشهود بالإسكندرية ، وجالسته كثيرا مغتنماً لفوائد مجالسته ، متنعماً مما في حدائق مؤانسته وسمعت عليه وأجازني أجازة تامة مطلقة عامة وكتب لي بخطه " (٣) .

والتقى أيضاً البلوي بالشيخ شمس الدين أبو عبد الله بن كمال الدين محمد بن عبد الرحمن القرشي بالإسكندرية بحانوت الوثيقة ، حيث تاثلت معارفه تأثل الروضة الأنيقة، فسمعت عليه أجزاء كثيرة وكبيرة (٤) .

وأشار السخاوي إلى أن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن طريف النشاوي (٧٩٤-٨٨٤هـ/١٣٩١-١٤٧٩م ) يتكسب بعمل السرايج ، وجلس بذلك ببعض الحوانيت وصار وجيهاً بين أربابها سيماً حين يقصده الطلبة " (٥) مما يدل على أن الطلبة تقصده في حانوته للأخذ عنه والسماع منه .

يتضح لنا مما سبق كثرة مراكز الثقافة في الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك، حيث تكاملت وتعاونت في أداء رسالتها الثقافية ،وقامت المساجد بنشر الثقافة الدينية والعلمية ، فضلاً عن نشر الثقافة السياسية في المجتمع السكندري ، كما أن جدران المساجد لعبت دورا هاما في نشر الأخبار والمعلومات الخاصة بالشئون الإدارية الخاصة بالدولة أي قامت بدور وسيلة الإعلام وقتئذ .

---

(١) ابن رشيد ، ملء العيبة ، ص٣١ .
(٢) معجم شيوخ الذهبي ، ص١١٠-١١١ رقم ١٣٨ .
(٣) البلوي ، تاج المفرق ، جـ١ ، ص٢٠٢-٢٠٣ .
(٤) البلوي ، تاج المفرق ، جـ١ ص٢٠٩-٢١٠ .
(٥) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ١ ، ص٣٥١-٣٥٢ .

أما المدارس فتعد الإسكندرية أول مدينة مصر عرفت المدارس منذ العصر الفاطمي وزاد انتشارها مع قيام الدولة الأيوبية وبلغت ذروة ازدهارها في العصر المملوكي زمن الدراسة – حتى وصل إلينا إحدى وثلاثون مدرسة في المدينة ، هذا بخلاف المدارس التي لم يؤرخ لها أحد من المؤرخين ولم تصلنا عنها أية معلومات ، وقامت المدارس بتقوية المذاهب السنية ضد سياسة الدولة الفاطمية في نشر التشيع في الإسكندرية وقامت الخوانق والربط والزوايا بنشر الثقافة العسكرية. والثقافة الصوفية في آن واحد بين مثقفي الإسكندرية ، فضلاً عن المؤسسات الأخرى من المكتبات والبيمارستانات التي قامت بدورها في نشر الثقافة في الإسكندرية ، وكذلك منازل العلماء وحوانيت الوراقين التي ساهمت بنصيب كبير في نشر الثقافة والعلم .

وهكذا تضافرت جهود هذه المراكز الثقافية في نشر الثقافة الإسلامية في الإسكندرية في العصر المملوكي .

# الفصل الثالث

## العلوم

أولاً : العلوم النقلية :-

- علم التفسير .
- علم القراءات .
- علم الحديث .
- علم الفقـــه .
- علوم اللغـــة .

ثانياً : العلوم العقلية :-

- علم الطب .
- علم الحساب .
- علم الفرائض .
- علم المواقيت .
- علم الهيئة والكيمياء .
- علم الحيوان .
- علم المنطق .
- علم الكلام .

# العلـــــوم

تعددت أوعية التكوين الثقافي في الإسكندرية فترة الدراسة وإن كانت في معظمهـا تدور حول الدراسات الشرعية الإسلامية ، كعلوم القرآن من تفسير وقراءات ، وعلـوم الحديث من الرواية والدراية والناسخ والمنسوخ والرجال والأسـانيد ، وعلـوم الفقـه وأصوله ، واللغة العربية وفروعها وبخاصة النحو والصرف ، وعلم التـاريخ والسـير وبخاصة السيرة النبوية وغير ذلك من العلوم المرتبطة بالثقافة الإسلامية .

في حين أن العلوم العقلية من الحساب ، والهيئة " الفلك " والطـب ، والصـيدلة ، والفلسفة ، والمنطق فكان الإهتمام بها قليلاً من قبل علماء تلك الفترة وبخاصة الفلسفة وإن كانت الفلسفة أخذ طريق آخر للظهور عن طريق الطرق الصوفية الفلسفية ورجالها كابن عربي وابن الفارض والسهروردي المقتول أصحاب آراء الإتحاد والحلول ، بل لجـأ بعض من اهتم بالعلوم العقلية بالإنحراف بها عن مسيرتها باللجوء إلى أسـاليب غيـر مشروعة للعمل بها مثل العمل بالسحر بدلاً من الفلك وعلم الرمل والسيميا وغير ذلـك من الجهالات التي سادت العصر المملوكي .

وفي تلك الفترة نجد أن العلوم الإسلامية وصلت إلـى درجـة الانحطـاط ، حيـث تأسست في العصور السابقة ووضعت الركائز التي تقوم عليها ، وأصبح دور العلماء في تلك الفترة وضع المختصرات والشروح على أمهات الكتب في كل العلوم سـواء أكانـت نقلية أم عقلية ، فضلاً عن جميع العديد من هذه الكتب في موسوعة تشـمل كـل هـذه الكتب ، وذلك للحفاظ على تلك العلوم من الضياع نتيجة للأخطار التي تعرضت لها الأمة الإسلامية وقتئذ .

وتنقسم العلوم في الإسكندرية الى مجموعتين :-

الأولى : العلوم النقلية وهي العلوم التي ترتبط بنصوص القـرآن الكـريم والسـنة النبوية ، كعلم التفسير والقراءات والحديث والفقه وأصوله واللغة .

والثانية : العلوم العقلية ، وهي التي تعتمد على الأدلة العقليـة وتـرتبط بالحيـاة الدنيوية ، مثل علم الطب والحيوان والفلك والهندسة والحساب والمنطق وغيرهـا مـن العلوم .

وسوف نتناول كلا منهما بالتفصيل فيما يلي :-

## أولاً : العلوم النقلية :-

### علم التفسير :-

يعد تفسير القرآن الكريم [1] أحد فروع العلوم النقلية الإسلامية التي ساهم فيها علماء الإسكندرية ، وهو مادة أساسية من مواد التكوين الثقافي في المساجد والمدارس وغيرها من مراكز الثقافة ليس في الإسكندرية وحدها بل في كثير من المدن الإسلامية المعاصرة .

ووضع العلماء برنامجاً ثقافياً لمن يتصدى لتفسير كتاب الله ، إذ يجب عليه أن يتقن خمسة عشر علما مثل علوم اللغة والنحو والتصريف والمعاني والبيان والبديع والقراءات ومعرفة أسباب النزول ، وأحكام الناسخ والمنسوخ وأخبار أهل الكتاب ، وأصول الفقه وعلم الجدل وأصول الدين والأحاديث ، فضلاً عن الموهبة مما ينير السبيل لفهم كتاب الله [2] .

وتجدر الإشارة إلى أن المفسر يُظهر ظلاً من ثقافته وشخصيته بما يضيفه على التفسير من آراء فإذا كان لغوياً نجد ذلك في تفسيره من إدخال الإعراب والمعاني المتعددة ، وينقل قواعد النحو وأصوله وفروعه وخلافياته كأبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ، وإن كان فقيهاً تظهر آراؤه واستدلالاته ويورد في تفسيره الفقه وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا علاقة لها بالآية ، مثل تفسير القرطبي ، وإذا كان مقرئاً ترك أثره فيما ذكره لطرق قراءة الآيات التي يفسرها ، بل وجد من جمع كل ذلك في تفسيره [3] .

---

(١) التفسير : لغة : بمعنى الإيضاح والتبيين ، وهو مأخوذ من ( القسرّ ) بمعنى الإبانة والكشف ، انظر ، القاموس المحيط ، ترتيب الطاهر أحمد الزاوي ، جـ٣ ص٤٩٠ ؛ الرازي ، مختار الصحاح، ص٥٠٣ ، أما اصطلاحاً فهو "العلم الذي يُفهم به كتاب الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه فعرفه التهانوي بأنه " علم يعرف به نزول الآيات ، وشئونها ، وأقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها ، وحلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها ، وأمرها ونهيها ، وأمثالها وغير ذلك" .
التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق لطفي عبد البديع ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص٣٣ ؛ وعرفه ابن الأكفاني بأنه من "علم يشتمل على معرفة فهم كتاب الله المنزل على نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه " ارشاد القاصد ، ص٤٢ ؛ الزركشي البرهان في علوم القرآن ، جـ١ ، ص١٣ ؛ أما السيوطي فعرفه بأنه " علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز وأنه يشتمل على مقدمة وخمسة وخمسين نوعاً " انظر : كتاب النقاية ، ص٢٦١-٢٦٦ ، اتمام الدراية ، ص٢٢-٥٣ ؛ الاتقان في علوم القرآن ، جـ١ ص٨ .

(٢) ابن الأكفاني ، ارشاد القاصد ، ص٤٢ .

(٣) أحمد أحمد بدوي ، الحياة العقلية ، ص١٠٨ ؛ عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية ص١٨٧ .

فضلاً عن ذلك نلاحظ أن نشاط علماء الإسكندرية لم يقف عند تفسير القرآن الكريم كله بل اكتفى البعض بتفسير بعض السور ، والبعض فسر بعض الآيات وبخاصة آية الكرسي وظهر في الإسكندرية العديد من المفسرين الذين يمثلون كل اتجاهات التفسير ، من هؤلاء المفسرين .

ناصر الدين أبو العباس بن المُنير ( بضم الميم وفتح النون وياء متناة من تحت ، مشدد مكسورة )[١] الاسكندراني ، ولد بها في عام ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م ، أحد الأئمة المتبحرين في العديد من العلوم مثل التفسير والفقه والحديث والأدب نثراً و شعراً فضلاً كونه خطيباً مصقعاً [٢] له عدة مؤلفات في التفسير منها تفسيراً القرآن سماه " البحر الكبير في نخب التفسير " [٣] وأعترض عليه في هذه التسمية بأن البحر الكبير مالح ، فأجاب عن ذلك بأن البحر محل العجايب والدرر ، وظهرت ثقافة ابن المنير في تفسيره فنجده يتحدث عن المعاني اللغوية والنواحي النحوية والصرفية ، ووجوه القراءات وآراء العلماء في التفسير [٤] .

وله " كتاب الانتصاف من الكشاف " ألفه في مناقشة آراء الزمخشري[٥] الاعتزالية في تفسيره ، وبين ما تضمنه من الاعتزال ورد عليه ، مما يوضح الجانب العقائدي عند ابن المنير الذي وقف معارضاً للآراء الاعتزالية مؤكداً على آراء أهل السنة [٦] . وكتب له بالثناء عليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ شمس الدين الخسروشاهي وغيرهما من العلماء ومدحه ابن عبد السلام بقوله " إن الديار المصرية تفتخر برجلين في طرفيها ابن دقيق العيد في قوص ، وابن المنير في الإسكندرية " [٧] .

وله تفسير آية سورة الإسراء سماه " المقتفى في آية الإسراء " ووصفه الداوودي بأنه " كتاب نفيس ، فيه فوائد جليلة ، واستنباطات حسنة على طريقة المتكلمين لا طريقة السلف " [٨] ويسميه ابن فرحون " المقتفى في آيات الإسراء " وهو كتاب نفيس فيه فوائد " [٩] .

---

(١) منصور بن سليم ، ذيل تكملة أكمال الأكمال ، جـ٢ ص٥٩٩ ، رقم٩٢٦ .

(٢) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٨ ، ص١٢٨ ، رقم ٣٥٤٨ ؛ ابن شاكر الكتبي ، فوات ، جـ١، ص١٤٩ رقم ٥٥ .

(٣) الداوودي ، طبقات المفسرين ، جـ١ ، ص٨٩ ، رقم ٨٢ .

(٤) أحمد أحمد بدوي ، الحياة العقلية ، ص١١٩-١٢٠ .

(٥) محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، الإمام الكبير في التفسير والنحو واللغة والبيان،توفي عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م ، انظر : المقري ، أزهار الرياض ، جـ٣ ص٢٩٨-٢٩٩ .

(٦) مصطفى الصاوي الجويني ، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ، الطبعة الثالثة، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص٢٧٢ .

وطبع كتاب الانتصاف من الكشاف على هامش تفسير الكشاف ، الطبعة الأولى ، المطبعة العامرة الشرقية ، القاهرة ، ١٣٠٧هـ .

(٧) ابن فرحون ، الديباج ، جـ١ ص٢٤٣-٢٤٤ .

(٨) الداوودي ، طبقات المفسرين ، جـ١ ، ص٩١ .

(٩) ابن فرحون ، الديباج ، جـ١ ص٢٤٥-٢٤٦ .

وأما ابن أيبك الصفدي فذكر أنه له " تفسير حديث الإسراء " في مجلد على طريقة المتكلمين لا السلف " (١) ويسميه السيوطي بـ " أسرار الإسرار " (٢) وهذا يوضح أيضاً ثقافة ابن المنير وتأثره بأستاذه ابن الحاجب في الاعتماد على الآراء العقلية وعلوم الكلام والمنطق في دراسة العلوم الشرعية ولكنه لم يصل إلى الاعتماد على العقل فقط مثل المعتزلة بل وقف موقفاً معادياً لهم كما ظهر في الرد على الزمخشري في تفسيره(٣)

ويرجع ذلك إلى أنه كان بارعاً في علم أصول الدين وعلم أصول الفقه ، لذا ذكر ابن فرحون بأن له " اليد الطولي في علم النظر والباع الطويل في علم التفسير والقراءات " (٤) وله أيضاً كتاب " التيسير العجيب في تفسيره الغريب " (٥) وتوفي في عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م بالإسكندرية .

ونبغ في التفسير أيضاً من أسرة ابن المنير ابن أخيه عز القضاة عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير الأسكندراني المولد والدار والوفاة ، الفقيه العالم ، الأديب ، شارك في العديد من العلوم ، وله في علم التفسير كتاباً يقع في عشر مجلدات ، وتوفي بالإسكندرية عام ٧٣٣هـ/١٣٣٣م (٦) .

---

(١) الوافي ، جـ٨ ص١٣٠ ؛ ونقل عنه ذلك ابن تغري بردي ، المنهل ، جـ٢ ، ص١٨٥-١٨٦ رقم ٣٠٤ .

(٢) حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٣١٦-٣١٧ .

(٣) من مظاهر عداء ابن المنير للزمخشري في رده عليه وهو يعرض بأهل السنة والجماعة قول الزمخشري :

لجماعة سموا هواهم سنة — وجماعة حمر لعمري موكفة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا — شنع الورى فتستروا بالبلكفة (بلاكيف)

وتصدى ابن المنير بالرد عليه بقوله :-

وجماعة كفروا برؤية ربهم — هذا ووعد الله ما أن يخلفه
وتلقبوا عدليه قلنا أجـل — عدلوا بربهم فحسبهم سفه
وتلقبوا الناجين كلا إنهم — إن لم يكونوا في لظى فعلي شفه

المقري ، أزهار الرياض ، جـ٣ ، ص٢٩٨-٢٩٩ .

(٤) ابن فرحون ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .

(٥) قام بتحقيقه سليمان ملا إبراهيم أوغلو ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٤ .

(٦) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، ص٤٣٢ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٩ ، ص٢٧٧ ، رقم ٢٥٧ ؛ أعيان العصر ، جـ٣ ، ص١٨٧ رقم١٠٥٣ ؛ المنستيري ، شجرة النور ، جـ١ ص٢٠٥ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، جـ٢ ص٦٢ ، ابن حجر ، الدرر ، جـ٣ ص٣٦ ؛ الداوودي ، طبقات المفسرين ، جـ١ ص٣٦٥ رقم٣١١ ؛ ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ٣ ، ص١٤٦ ، رقم ١١٠٣ .

حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ١ ، ص٤٤٠ ؛ ولكن يذكر ابن كثير أن هذا التفسير يقع في ست مجلدات . انظر : البداية ، جـ١٤ ص١٧١ .

ومن المفسرين بالإسكندرية عماد الدين أبو الحسين بن أبي بكر الكندي المالكي قاضي الإسكندرية (٦٥٤-٧٤١هـ) والذي جمع تفسيراً للقرآن في عدة مجلدات ، وعنوانه " كفيل بمعاني التنزيل " وهو تفسير ضخم يقع في ثلاثة وعشرين مجلداً كباراً ومنهجه في التفسير أن يتلوا الآية أو الآيات فإذا فرغ منها قال : قال الزمخشري ويسوق كلامه فإذا انتهى أتبعه بما عليه من مناقشة ، وما يحتاج إليه من توجيه ، وما يكون هناك من الزيادات الواقعة في غير الكشاف من التفاسير ، وأكثر نظره في النحو ، فإنه كان متقدماً في معرفته (١) .

وهذا يوضح ثقافة الكندي الذي يغلب عليها تفوقه في اللغة واعتماده على تفسير الزمخشري والذي يعد إماماً في التفسير اللغوي والعقلي المعتمد على الفكر المعتزلي .

ومن علماء التفسير في الإسكندرية عبد الله بن محمد المرجاني المتوفي عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م الذي كان مفتيا عالما مفسرا ، وعلى الرغم أنه لم يترك لنا كتبا في التفسير إلا أن ابن أيبك الصفدي يذكر أنه " لا كان أحد يقدر يعيد ما يقوله لكثرة ما يقول على الآية ولربما فسر في الآية الواحدة على لسان القوم ثلاثة أشهر " (٢) مما يدل على أنه كان من أصحاب التصوف والذين وضعوا الكثير من آرائهم الصوفية في تفاسيرهم .

وشارك في علم التفسير محمد بن أبي القاسم بن جميل الربعي المالكي التونسي الأسكندراني المتوفي في عام ٧١٥هـ/١٣١٥م ، حيث كان مدرسا للتفسير واختصر تفسير ابن الخطيب (٣) ، ويحيى بن محمد بن موسى التجيبي التلمساني نزيل الإسكندرية، وله تصانيف في التفسير والرقائق وذكره السيوطي في طبقات المفسرين(٤) وابن سرايا منصور بن سرار – بالتشديد – بن عيسى بن سليم الأسكندراني المالكي المعروف بالمسدي ، الذي يعد من حذاق المقرئين ، وله أرجوزه في القراءات وتفسيراً للقرآن(٥)

---

(١) ابن رافع السلامي ، الوفيات ، جـ١ ص٣٨٧-٣٨٨ رقم ٢٧٩؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٦ ص١٣٠ ؛ ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ١ ص٢٤٥ رقم ٢٧٥ ؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون جـ١ ص٤٤٢ ؛ البغدادي ، هدية العارفين جـ١ ص٣١٤ .

(٢) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٧ ، ص٥٩٥ رقم ٥٠٢ .

(٣) ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٥ ، ص٧٠-٧١ رقم ١٧١٧ ؛ الداوودي ، طبقات المفسرين ، جـ٢ ص٢٣٢-٢٣٣ رقم ٥٦٤ .

(٤) السيوطي ، طبقات المفسرين ، تحقيق Meursinge ، ليدن ، ١٨٣٩ ، طهران ١٩٦٠ ، ص٤٢ .

(٥) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ٣ ، ص١١٦١ رقم ١٠٨٤ ؛ منصور بن سليم ، ذيل تكملة ، جـ١ ، ص٣٣٥ ، رقم ٤٤٥ ؛ ابن الجزري ؛ غاية ، جـ٢ ، ص٣١٢ ؛ الداوودي ، طبقات المفسرين ، جـ٢ ، ص٣٣٨-٣٣٩ ، رقم ٦٥٠ ؛ السيوطي ، طبقات المفسرين ، ص٤٢ ، رقم ١٣١ ؛ عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية ، ص١٩٢ .

ومن نزلاء الإسكندرية الذين ساهموا في علم التفسير أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو العباس العشّاب المرادي القرطبي وزير أبو يحيى اللحياني سلطان دولة الحفصيين اللاجىء السياسي بالإسكندرية ، فشارك العشاب في العديد من العلوم ، فكان إمام كامل مقرىء فقه وألف تفسيراً للقرآن ، وتوفي في الإسكندرية عام ٧٣٦هـ/١٣٣٦م (١) .

وجملة القول أن علم التفسير في الإسكندرية وقتئذ نبع من ثقافة المفسر ، والعلم الذي ينفوق فيه ، مع سيطرة علوم اللغة على التفسير بصفة خاصة وبخاصة علم النحو مع ظهور بعض التفاسير الصوفية وإن لم يدون أغلبها .

## علم القراءات (٢) :-

من علوم القرآن الكريم والتي تعد من علوم التكوين الثقافي لعلماء العصر المملوكي ، وهذا العلم يبحث في كيفية قراءة القرآن حسب طرق القراءة المشهورة لدى القراء (٣) .

---

(١) ابن حجر ، الدرر ، جـ١ ص٢٥٦ ؛ ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ١ ص١٠٠ ؛ الداوودي، طبقات المفسرين ، جـ١ ، ص٦٧ ، رقم ٦٠ .

(٢) عرف طاش كبري زاده علم القراءات بأنه " علم يبحث في صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة ، وهو يعتمد على العلوم العربية التي تعين على تحصيل هذه الملكة ، وفائدة ذلك صون كلام الله تعالى من التغيير والتحريف ، وقد يبحث أيضاً في الاختلافات غير المتواترة بما وصل إلى حد الشهرة ".انظر: مفتاح السعادة ، ص٣٤٧ ؛

وعرفه ابن السنجارى بأنه " علم بنقل لغة القرآن وإعرابه الثابت بالسماع المتصل ".انظر: أسنى المقاصد ، ص٤١ .

(٣) أدى تباين لهجات العرب والمسلمين من الشعوب المفتوحة ، إلى إيجاد اختلاف في النطق بحروف القرآن ، لذا ظهرت للقراءات عدة طرق للقراءة ، وترجع هذه القراءات إلى الصحابة الذين اختلفوا فيما بينهم حول قرّاءة ألفاظ القرآن ، فذكر ابن خلدون أن " الصحابة رووا القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه ، وكيفيات الحروف في أدائها ، وتنوقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضاً بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراء ، وربما زيد بعد ذلك قراءات أخرى ألحقت بالسبع إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل " المقدمة ، جـ٣ ، ص١٠٢٨ .

وأصبح يعرف أصحاب القراءات السبع بأصحاب القراءات وهي نافع من المدينة ، وابن كثير من مكة ، وابن عامر من الشام ، وأبي عمر من البصرة ، وعاصم وحمزة والكسائي من الكوفة وورش من مصر ، ثم زيدت القراءات إلى عشرة وهم حفص وأبو جعفر ويعقوب ، ثم وجد أربعة قراءات اعتبرت شاذة ، مثل قراءة الحسن البصري وابن مسعود وأبي بن كعب عن هذه القراءات انظر : الداني ، التيسير في القراءات السبع ، نشر Pretzl استنابول ١٩٢٠؛ ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، دمشق ، ١٣٤٥هـ ؛ ابن خالوية ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، تحقيق Bergstrasser ، القاهرة ، ١٩٣٤ .

وعرفت الإسكندرية علم القراءات مثل غيرها من المدن الإسلامية منذ أواخر القرن الأول الهجري حيث نزلها العديد من القراء مثل عبد الله بن مالك أو تميم الجيشاني المتوفي في عام ٧٧هـ/٦٩٦م الذي قرأ القرآن الكريم بها حتى وفاته بها (١) وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج أحد علماء القراءات واللغة والتي أخذها عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن ربيعة ، وأصبح أحد شيوخ نافع بن أبي نعيم أحد أصحاب القراءات المشهورين ، وروى عنه الحروف أسيد بن أبي أسيد ، وظل يقرأ بالإسكندرية حتى وفاته بها عام ١١٧هـ/٧٣٦م (٢) وكثر القراء بالإسكندرية وأصبح يدرس في جوامع المدينة .

وأصبح في الإسكندرية في العصر الفاطمي مدرسة للإقراء يأتي على رأسها الحسن بن خلف بن بليمة ت ٥١٤هـ/ ١١٢٠م (٣) وأبو القاسم عبد الرحمن بن الفحام الصقلي ت ٥١٦هـ/ ١١٢٢م (٤) ، وأصبحت هذه المدرسة أساس مدرسة الإقراء بالإسكندرية في العصرين الأيوبي والمملوكي .

واشتهر في الإسكندرية في العصر الأيوبي العديد من علماء القراءات أمثال عبد الرحمن بن خلف الله بن عطية ت ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م (٥) ، وعيسى بن عبد العزيز الأسكندراني ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م (٦) وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد الصفراوي الاسكندراني ت ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م (٧) .

---

(١) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ٤ ، ص١٨٠ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٤ ، ص٧٣-٧٤ ، دول الإسلام ، جـ١ ، ص٥٥ ، العبر ، جـ١ ص٨٨ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ١ ، ص٨٤

(٢) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ١ ص١٩ ، ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ١ ص٣٨١ ، رقم ١٦٢٢ ، ابن الأنباري ، نزهة ، جـ١٣ ص١٨-١٩ ؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، جـ٢ ، ص٥٦٢ .

(٣) ابن الجزري ، غاية ، جـ١ ص٢١١ رقم ٩٧٠ ، ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١١ ، ص٤٣٠ رقم ٦١٥ ، المقريزي ، المقفى ، جـ٣ ص٣٦٢ رقم ١١٨٣ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٤٩٤ ، خليفة ، كشف الظنون ، جـ١ ص٤٧٣ .

(٤) ابن الجزري ، غاية ، جـ١ ص٣٧٤ ، رقم ١٥٩٠ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ٥ ، ص٢٢٥ ، السيوطي ، حسن ، جـ١ ، ص٤٩٥ .

(٥) الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، جـ٢ ص٤٣٢-٤٣٣ ؛ ابن الجزري ، غاية ، جـ١ ص٢٦٧-٢٦٨ .

(٦) المنذري ، التكملة ، جـ٣ ص٣١٢ رقم ٢٣٩٨ ؛ الذهبي ، نفسه ، جـ٢ ص٢٨٩ ؛ ابن الجزري ، غاية ، جـ١ ص٦٠٩-٦١١ رقم ٢٤٩٢ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ٦ ، ص٢٧٩ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٤٩٩ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٥ ، ص١٣٣ .

(٧) المنذري ، التكملة ، جـ٣ ص٥٠٣-٥٠٤ رقم ٢٨٦٣ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ص١٤٢٤ ؛ معرفة القراء ، جـ٢ ، ص٤٩٨-٤٩٩ ؛ سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ص٤١-٤٢ رقم ٢٨ ؛ الإعلام ، ص٢٦٣ ؛ دول الإسلام ، جـ٢ ص١٤١ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٨ ص١٧٤ رقم ٢١٨ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ٦ ص٣١٤ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ص٤٥٦ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٥ ص١٨٠ ؛ خليفة ، كشف الظنون ، جـ١ ص١٢٨ .

وجعفر الهمداني ت ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م [١] ، وتتلمذ على هؤلاء العلماء ، جميع علماء الإقراء في الإسكندرية في العصر المملوكي وأصبحت مؤلفاتهم في هذا العلم هي التي تدرس فضلاً عن الكتب الأخرى المشهور في هذا العلم مثل كتاب " حرز الأماني ووجه التهاني " المشهورة بالشاطبية " لألقاسم بن فيره الشاطبي ت ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م [٢] وكتاب " التيسير في القراءات السبع " لأبي عمرو الداني ت ٤٤٤هـ/ ١٠٤٥م [٣] .

وأصبح علم القراءات في الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك من أكثر العلوم دراسة وأصبح عدد العلماء في هذا العلم أكثر مما يحصى ولكننا سنأخذ نماذج لهؤلاء العلماء والذين تركوا أثرهم في هذا العلم مثل :-

منصور بن سرار بن عيسى الأنصاري الأسكندراني المالكي المقرىء المعروف بالمسدي (٥٧٠-٦٥١هـ/ ١١٧٤ - ١٢٥٣م) وهو من حذاق القراء ونظم أرجوزه في القراءات [٤] ويذكر منصور بن سليم بأن من له تصانيف في القراءات [٥] .

وابن وثيق الأشبيلي المقرىء نزيل الإسكندرية (٥٦٧-٦٥٤هـ/ ١١٧١ - ١٢٥٦م)وشيخ القراء بها وصنف كتاب"التقريبّ لكل طالب منيب في مخارج الحروف"[٦]

(١) أبو شامة ، ذيل الروضتين ، ص١٦٧ ؛ المنذري ، التكملة ، جـ٣ ص٥٠١ رقم ٢٨٥٥ ؛ الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، جـ٢ ص٤٩٧-٤٩٨ رقم ٥٨ ؛ تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ص١٤٢٤ ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ، ص٣٦-٣٧ رقم ٢٦ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١١ ص١١٧ رقم ١٩٧ ؛ ابن الجزري ، غاية ، جـ١ ص١٩٣ رقم ٨٩١ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ٦ ص٣١٤ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٤٥٥ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٥ ص١٨٠ .

(٢) وهي قصيدة مشهورة في القراءات وعدتها ١١٧٣ بيتاً ، ولقد أبدع فيها كل الإبداع ، وهي عمدة القراء وكثرة الشروح عليها ، وهي لأبي محمد القاسم بن فيرة بن خلف الرعيني الشاطبي ، انظر :- ياقوت ، ارشاد الأريب ، جـ٦ ص١٨٤ ؛ المراكشي ، الذيل والتكملة ، جـ٥ ، ص٢ رقم ٥٤٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٤ ص٧١ ؛ الأسنوي ، طبقات الشافعية ، جـ٢ ص٢٧ رقم ٧١٢ ؛ ابن قاضي شهبة ، طبقات الفقهاء الشافعية ، جـ١ ص٣٤٩-٣٥١ رقم ٣٣٦ ؛ ابن أيبك الصفدي ، نكت الهميان ، ص٢٢٨ ؛ ابن الجزري غاية ، جـ٢ ، ص٢٠ رقم ٢٦٠٠ ؛ الذهبي، معرفة القراء ، جـ٢ ص٥٧٣ ؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ١ ص٦٤٦ .

(٣) عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبي ، نزيل دانية . انظر : ابن بشكوال ، الصلة ، جـ٢ ص٣٨٧ رقم ٨٧٦ ، السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص٤٢٨-٤٢٩ ، رقم ٩٧١ ؛ المقرىء ، نفح الطيب ، جـ٧ ص٢١-٢٥ ؛ البغدادي ، هدية العارفين ، جـ١ ص٦٥٣ ؛ ابن الجزري ، غاية ، جـ١ ص٥٠٣ ؛ ياقوت إرشاد الأريب ، جـ٥ ص٣٦ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ص٣٨٦ .

(٤) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ٣ ، ص١١٦١ رقم ١٠٨٤ ؛ معرفة القراء ، جـ٢ ، ص٥٣٥-٥٣٦ ؛ ابن الجزري ، غاية ، جـ٢ ص٣١٢-٣١٣ رقم ٣٦٥ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٥٠١ ؛ طبقات المفسرين ص٤٢ ؛ الداوودي ، طبقات المفسرين ، جـ٢ ص٣٣٨-٣٣٩ ؛ محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، مج٤ ص٩ .

(٥) منصور بن سليم ، ذيل تكملة الأكمال ، جـ١ ص٣٣٥ رقم ٤٤٥ .

(٦) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ٣ ص١١٣٢-١١٣٣ رقم ١٠٥٢ ؛ معرفة القراء ، جـ٢ ص٦٥٥ ؛ سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ص٣٠٣ ؛ دول الإسلام ، جـ٢ ص١٥٩ ، العبر ، جـ٣=

وأحمد بن سليمان المعروف بابن المرجاني المتوفي عام ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م [١] الذي وصفه ابن الجزري بأنه " مقرىء حاذق مؤلف " ، وألف كتاب " مفردات القراء " [٢] .

ومن علماء القراءات بالإسكندرية عبد الباري بن عبد الرحمن الصعيدي الأسكندراني (٥٧٠-٦٥٦هـ) وهو مقرىء مُكثر ناقل ، قرأ القراءات المشهورة والشاذة على عيسى بن عبد العزيز والصفراوي والهمداني وله عدة تصانيف في علم القراءات مثل كتاب " البيان في معرفة الجمع بالقراءات الثمان " في تسعة عشر مجلداً ، ثم اختصره في تسعة أسفار ، وألف كتاباً في قراءة يعقوب مما مكنه من تولي مشيخة الإقراء بالإسكندرية في جامعي الإسكندرية الشرقي والغربي والمدرسة الحافظية السلفية[٣] .

وتولى بعده ابنه عبد الكريم مشيخة الإقراء بجامعي الإسكندرية عمرو بن العاص والجيوشي والمدرسة السلفية الحافظية ت ٧١٢هـ/١٣١٢م [٤] وتولى هذه المشيخة عبد الرحمن بن عيسى بن عبد العزيز المتوفي عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م والذي اختصر كتاب أبيه " الجامع الأكبر والبحر الأزخر " في كتاب سماه " الإرشاد " [٥] وتولى مشيخة الإقراء بالإسكندرية إبراهيم بن أحمد بن فارس الأسكندراني (٥٩٦-٦٧٦هـ/ ١١٩٩ ـ ١٢٧٧م) الإمام الرئيس شيخ الإقراء ، تلا بالروايات الكثيرة بعدة كتب ، وطال عمره فقصده الطلبة [٦] وذكر ابن تغري بردي بأنه كان عارفا بالقراءات وانتفع به خلق كثير[٧] .

---

= ص٢٧٢ ؛ ابن الجزري ، غاية ، جـ١ ص٢٤ رقم ١٠١ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ١ ص٣٠٥-٣٠٦ رقم ٣٦٢ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ٧ ص٤٠ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ، ص٥٠١

(١) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٦ ، ص٤٠٤ رقم ٢٩٢٠ ؛ ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ١ ص٤٨ رقم١٦٣ .

(٢) غاية النهاية ، جـ١ ، ص٥٨ رقم ٢٤٩ .

(٣) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ٣ ص١١٦١-١١٦٢ رقم ١٠٨٥ ؛ ابن الجزري ، غاية ، جـ١ ص٣٥٦ ، رقم ١٥٢٦ .

(٤) ابن الجزري ، غاية ، جـ١ ص٤٠٠-٤٠١ رقم ١٧٠٧ ؛ الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص٦٧٣ رقم ١٠١٤ .

(٥) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ٣ ، ص١١٧٤-١١٧٥ رقم ١١٠٠ ؛ ابن الجزري ، غاية ، جـ١، ص٦٠٩ رقم ٢٤٩٢ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، جـ٧ ص٦٠ ؛ العيني ، عقد الجمان ، جـ٢ ص١٥٢ .

(٦) الصقاعي ، تالي وفيات الأعيان ، ص٨ رقم٦ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، جـ٣ ص٢٣٧-٢٣٨ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ص١٤٧٤ ؛ طبقات القراء ، جـ٣ ص١١٤٧ ؛ معرفة القراء ، جـ٢ ، ٦٦٤-٦٦٥ ؛ ابن الجزري ، غاية ، جـ١ ص٦ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٥٠٣ ؛ ابن العماد ، شذرات جـ٥ ص٣٥١ .

(٧) النجوم الزاهرة ، جـ٧ ص٢٧٤ .

وعبد النصير بن علي بن يحيى المريوطي ( بفتح الميم وسكون الراء وياء آخر الحروف ) الأسكندراني (٥٩٨هـ- بعد ٦٨٠هـ/ ١٢٠١ ـ ١٢٨١م) أخذ عن شيخي الإقراء بالإسكندرية الصفراوي والهمداني ، وتتلمذ عليه العديد من علماء القراءة لعل أهمهم أثير الدين أبو حيان الأندلسي عالم اللغة الشهير ت ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤ [١] وعبد الله بن محمد النكزاوي الأسكندراني المولد والدار والوفاة (٦١٤-٦٨٣هـ/ ١٢١٧ ـ ١٢٨٤م) المقرىء النحوي والذي تصدر وأفاد وتخرج به جماعة وترك لنا كتابا في القراءات السبع سماه " كتاب الشامل في القراءات السبع " [٢] .

ومن شيوخ الإقراء بالإسكندرية عبد الله بن منصور اللخمي الأسكندراني المقرىء المعروف بالمكين الأسمر مقرىء الإسكندرية أخذ عنه الرحالة المغاربة والأندلسيين ومن أمثال ابن رُشيد ومن الشام البرزالي ورافع السلامي والمزي [٣] وذكر ابن الجزري بأنه أستاذ محقق كان مقرىء الإسكندرية بل الديار المصرية في زمانه ثقة صالح زاهد توفي بالإسكندرية في عام ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م [٤].

وكذلك من شيوخ الإقراء بالإسكندرية عبد الرحمن بن عبد الحليم بن عمران المغربي ثم الأسكندراني الملقب بـ" سحنون (٦١٦-٦٩٥هـ/ ١٢١٩ ـ ١٢٩٦م) أخذ عنه القراءات العديد من علماء عصره وعلى رأسهم الحافظ الذهبي أثناء رحلته العلمية إلى الإسكندرية عام ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م ، والمزي ، والبرزالي وابن سيد الناس وغيرهم[٥] قال عنه ابن إياس بأنه " شيخ القراءات ، وكان علامة عصره " [٦] .

---

(١) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ٣ ص١١٧٥-١١٧٦ رقم ١١٠٢ ؛ معرفة القراء ، جـ٢ ص٦٨٠ ؛ ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ١ ص٤٧٢-٤٧٣ رقم ١٩٧٤ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٥٠٤ .

(٢) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ٣ ص١١٨٩ ؛ معرفة القراء ، جـ٢ ص٦٨٢ ؛ ابن الجزري ، غاية ، جـ١ ص٤٥٢ رقم ١٨٨٥ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٥٠٣ ؛ بغية الوعاء ، جـ٢ ص٨٥ .

(٣) ابن الجزري ، تاريخ ابن الجزري ، جـ١ ص١٨٨-١٨٩ ؛ البرزالي ، المقتفى ، جـ١ ورقة ٢٠٦ ب ؛ الذهبي ، طبقات القراء ، جـ٣ ص١١٨٦ رقم ١١١٢ ؛ معرفة القراء ، جـ٢ ، ص٦٨٨-٦٨٩ ؛ العبر ، جـ٣ ص٣٧٨ ؛ تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ص١٤٧٧ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ٤ ص٤ ص٢٢١ ؛ ابن رشيد ، رحلة ابن رشيد ، ص١٤ ؛ ابن الجزري ، غاية ، جـ١ ، ص٤٦٠ ، رقم١٩١٦ ؛ ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ٢ ، ص٧٤١ ، رقم ٢٥٣

(٤) ابن الجزري ، غاية ، جـ١ ص٤٦٠ .

(٥) الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص٢٨٩-٢٩٠ ، رقم ٤٠٦ ؛ معجم محدثي الذهبي ، ص٧٥ رقم ١١٩ ؛ طبقات القراء ، جـ٣ ، ص١١٩٠-١١٩١ ، رقم ١١١٧ ؛ معرفة القراء ، جـ٢ ، ص٦٩٤ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٨ ص١٥٧ رقم ١٩٨ ؛ ابن الجزري ، غاية جـ١ ص٣٧١ رقم ١٥٧٦ .

ابن اياس ، بدائع ، ج ١ ق ١ ص ٣٩٠ .

ومن علماء القراءات في الإسكندرية يحيى بن أحمد بن عبد العزيز الأسكندراني المالكي المقرىء المعروف بابن الصواف (٦٠٩-٧٠٥هـ/ ١٢١٢ ـ ١٣٠٥م) ، ذكره الذهبي في معجم شيوخه ، وسمع عليه المزّي والبرزالي والقطب الحلبي وابن سيد الناس والسبكي وجابر الوادياشي وغيرهم ، وهو آخر أصحاب الصفراوي ونزل القراء بموته درجة (١)، وعبد الوهاب بن محمد بن أسد القروي (٧٠٢-٧٨٨هـ/ ١٣٠٢ ـ ١٣٨٦م) وأخذ عنه ابن الجزري صاحب طبقات القراء ووصفه بأنه من أعيان من أدركناه بالإسكندرية (٢) . وانتهت رياسة الإقراء في الإسكندرية في بداية القرن التاسع الهجري / ١٥م أحمد بن محمد بن اللاج الفلاحي الأسكندراني المقرىء وأخذ عنه القراءات الحافظ ابن حجر العسقلاني أثناء رحلته العلمية بالإسكندرية (٣) ، ووجيه الدين عبد الرحمن بن منصور المعروف بـ الفكيري ( بفتح الفاء وكسر الكاف نسبة لقبيلة بالمغرب ) الاسكندراني المالكي تولى إقرا القراءات بجامع عمرو بن العاص بالإسكندرية(٤) ، وتتلمذ عليه العديد من علماء القراءات ، مثل ابنه أحمد بن عبد الرحمن الفكيري (٥) وأحمد بن هاشم شيخ المدرسة البصاصية بالإسكندرية والمتوفي بها في عام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م (٦) وعمر بن يوسف البسلقوني المتوفي بالإسكندرية عام ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م (٧) وشهاب الدين أحمد بن أسد بن عبد الواحد الأسكندراني المتوفي عام ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م (٨) وأحمد بن محمد المتيجي الأسكندراني المالكي الذي تصدى للإقراء بالإسكندرية ومات بها عام ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧ (٩) .

يتبين لنا من هذه النماذج أن علم القراءات مادة أساسية للثقافة في الإسكندرية ، ولم يقف اعتمد شيوخ الإقراء على أمهات الكتب في هذا العلم بل كتبوا عشرات المصنفات في هذا العلم مما يدل على أن الجهود العلمية لعلماء الإسكندرية لم تقف عند النقل عمن سبقهم بل أضافوا عليها .

---

(١) الذهبي ، طبقات القراء ، جـ٣ ص١١٩٢-١١٩٣ رقم ١١١٨ ؛ تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ص١٤٧٩ ؛ معجم شيوخ الذهبي ، ص٦٤٠ رقم ٩٥٨ ؛ الوادياشي ، برنامج الوادياشي ص١٦٣-١٦٤ رقم ٢٤٤ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ٤ ص٢٤٠ ؛ ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٥ ، ص٥٤٧-٥٤٨ ، رقم ١٩٣٣ ؛ ابن الجزري ، غاية ، جـ٢ ، ص٣٦٦ ، رقم ٣٨٢٥ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٥ ، ص١٨٥-١٨٦ ، رقم ٤٩٩٥ ؛ ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ٢ ص٧٧٤ .

(٢) ابن الجزري ، غاية ، جـ١ ص٤٨٢ رقم ٢٠٠٣ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٣ ، ص٤٤ ، رقم ٢٥٥٠ ، أنباء الغمر ، جـ١ ، ص٣٢٥ . (٣) السخاوي، الضوء اللامع،جـ٢ ص١٦٨ رقم ٤٧٨.

(٤) نفسه ، جـ٤ ، ص١٥٦ ، رقم ٤٠٦ . (٥) نفسه ، جـ١ ص٣٣٥ .

(٦) نفسه ، جـ٢ ، ص١٦٠-١٦١ ، رقم ٤٥٨ ، التبر المسبوك ، ص٣٥٥ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ٢ ص٢٨٩ .

(٧) السخاوي ، جـ٦ ، ص١٤٢-١٤٣ ، رقم ٤٣٩ .

(٨) نفسه ، جـ١ ، ص٢٢٩-٢٣٠ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ٣ ص١٧ .

(٩) السخاوي ، جـ٢ ، ص٢١٨ ، رقم ٦٠٤ .

## علم الحديث :-

احتل علم الحديث مكان الصدارة في بيئة تعتني بالعلوم الإسلامية ، ويستأثر منها بكل عناية ، إذ على كل عالم أو فقيه أن يتقن علم الحديث ، باعتباره الأصل الثاني من أصول الشريعة (١) .

ودخل علم الحديث إلى مدينة الإسكندرية مع الفتح الإسلامي لها ، وبدأ ينمو ويزدهر شيئاً فشيئاً ، ويرجع ذلك إلى قدوم العديد من علماء الحديث إلى الإسكندرية واستقروا بها ، وقدوم العديد من الرحالة المغاربة والأندلسيين إلى الإسكندرية واستقرار العديد منهم بها .

ويأتي على رأس علماء الحديث الذين استقروا في الإسكندرية الحافظ السلفي الأصفهاني (٢) واستطاع السلفي تكوين مدرسة مزدهرة في علم الحديث بالإسكندرية وكثر عدد تلاميذه ليس من أبناء الإسكندرية فقط (٣)، بل من الرحالة سواء من المغاربة والأندلسيين أو الشوام والعراقيين وغيرهم ، وذكر السخاوي " ما زال بها ( الإسكندرية ) الحديث قليلاً حتى سكنها السلفي ، فصارت منذ حولاً إليها الحديث والقراءات "(٤) وزادت شهرة السلفي في الآفاق حتى أطلق عليه لقب " عالم الدنيا " وتعد مدرسة السلفي أول مدرسة لتدريس علم الحديث والفقه الشافعي في الإسكندرية ومصر كلها وأخذ عنه بها الناصر صلاح الدين بن أيوب وأبناءه . (٥)

وزاد من انتشار علم الحديث في الإسكندرية إنشاء مدارس متخصصة في علم الحديث أطلق عليها " دار الحديث " فقامت في الإسكندرية داران للحديث وهما " دار الحديث النبيهية " و " دار الحديث التكريتية " (٦)، فضلاً عن تدريس علم الحديث في المدارس الأخرى ، ومساجد الإسكندرية ، ومنازل العلماء (٧) .

واعتمدت دراسة علم الحديث في الإسكندرية في العصر المملوكي وفي غيرها من المدن الإسلامية على دراسة الأسانيد المشهورة وأمهات الكتب في الحديث والمتمثلة في " صحيح مسلم " و " صحيح البخارى " ، وكتب الحديث الأخرى . فقام علماء الإسكندرية بشرح هذه الكتب وتلخيصها ووضع المختصرات وشرحها ، وضبط الأسانيد وتصحيحها، وذكر ابن خلدون " وانصرفت العناية بهذا العهد إلى تصحيح الأمهات المكتوبة، وضبطها

---

(١) ابن الأكفاني، ارشاد القاصد، ص٤١؛ السيوطي، كتاب النقاية، ص٢٦٧، اتمام الدراية،ص٥٣ .

(٢) سبق التعريف بالحافظ السلفي في الفصل الأول من هذه الدراسة .

(٣) سبق التعريف بهذه المدرسة في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

(٤) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ ، ص١٧١ .

(٥) أوردت المصادر التاريخية وكتب الطبقات والمعاجم والفهارس أسماء المئات الذين أخذوا عن الحافظ السلفي .

(٦) سبق التعريف بهاتين الدارين في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

(٧) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية ، ص١٨٢ .

بالرواية عن مصنيفيها ، والنظر في أسانيد إلى مؤلفيها ، وعرض ذلك على ما تقرر في علم الحديث من الشروط والأحكام لتتصل الأسانيد محكمة إلى منتهاها ، ولم يزيدوا في ذلك على العناية بأكثر من هذه الأمهات الخمسة إلا في القليل ..... " (١) .

لذا نجد علماء الإسكندرية يقومون بتدريس أمهات الكتب الحديثية ، ووضعوا الشروح لها وقاموا بوضع المختصرات والملخصات لهذه الأمهات ، ومن هؤلاء العلماء أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المالكي نزيل الإسكندرية ، ولد بقرطبة عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م ، وأخذ علم لحديث بمدن الأندلس ورحل عن الأندلس بسبب سقوط مدنه في يد الأسبان ثم انتقل إلى مدن المغرب يأخذ عن علماء كل مدينة يستقر بها ، ثم قام برحلته العلمية إلى المشرق ، فطاب له الاستقرار بالإسكندرية ، وأصبح من الأئمة المشهورين والعلماء المعروفين ، جامعاً لمعرفة عدة علوم يأتي على رأسها علم الحديث والفقه والعربية ودرس هذه العلوم في مدارس الإسكندرية (٢) .

وقام القرطبي باختصار صحيح مسلم (٣) وشرح هذا المختصر وسمى هذا الشرح " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٤) .

وتتضح ثقافة القرطبي في شرحه هذا إذ يبدي عناية فائقة بشرح غريب الأحاديث وشرح الكلمات اللغوية وإيراد تفاصيل حول الكلمة الواردة من خلال عرضه لروايات الحديث المتعددة في كتاب مسلم وغيره من كتب السنة ، مستدلا عليها بالآيات القرآنية واستنباط الأحكام الفقهية وبخاصة الفقه المالكي ، ومستشهداً لها بالشعر العربي ، والأمثال والحكم .

واختصر القرطبي أيضاً كتاب " الجامع الصحيح للبخاري " (٥) ولكنه لم يشرحه كما شرح مختصر صحيح مسلم ، ويرجع ذلك إلى اهتمام المغاربة والأندلسيين بصحيح مسلم وتفضيله على صحيح البخارى ، ويذكر ابن خلدون " وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به ، وأكبوا عليه ، وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخارى بما وقع فيه من تجريده عما مزج به البخارى كتابه من غير الصحيح مما لم يكن على

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، جـ٣ ، ص١٠٤٠-١٠٤١ .

(٢) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٧ ، ص٢٦٤ رقم ٣٢٣٠ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، جـ١ ، ص٢٤٠ ، رقم ١٢٦ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، جـ١ ، ص٩٥-٩٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٢٦ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ٤ ، ص١٣٨-١٣٩ ؛ الذهبي ، العبر ، جـ٣ ص٢٧٨ ؛ دول الإسلام ، جـ٢ ص١٦٠ ؛ الإعلان ، ص٧٤ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ١ ص٥٤٥ ، رقم ٥٣٢ ؛ العيني ، عقد الجمان ، جـ١ ص١٩٠ ؛ المنستيري ، شجرة النور الزكية ، جـ١ ، ص١٩٤ .

(٣) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم ، المتوفي في نيسابور عام ٢٦١هـ وأهم إثارة في علم الحديث كتابه " الجامع الصحيح " انظر : سزكين ، تاريخ التراث العربي ، جـ١ ص٢١٠-٢١١؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ٩ ص٢٧٨ ، جـ١٢ ص٢٣٢ .

(٤) طبع كتابي التلخيص والشرح "المفهم" في سبعة أجزاء، دار ابن كثير،دمشق – بيروت ، ١٩٩٦

(٥) أبوعبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف البخاري المتوفي=

شرطه " (1) لذا يعد القرطبي ممثلاً لهؤلاء المغاربة والأندلسيين في الإسكندرية في هذا المجال ، واستكمالاً لجهودهم في شرح صحيح مسلم (2) .

وشرح ناصر الدين بن المنير الأسكندراني المتوفي عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤ . صحيح البخارى في كتاب سماه " المتوارى على تراجم البخارى " أو " مناسبات تراجم البخارى " جرد من صحيح البخارى أربعمائة ترجمة مشكلة ، فتكلم عليها وحل أشكالها (3) . وقام أخوه زين الدين علي بن المنير الأسكندراني المتوفي بها في عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م بشرح صحيح البخارى أيضاً (4) ، ويذكر ابن فرحون أنه " لم يُعمل على البخاري مثله ، يذكر الترجمة ويورد عليها أسئلة مشكلة ، حتى يقال : لا يمكن الانفصال عنها ، ثم يجيب عن ذلك ، ثم يتكلم على فقه الحديث ومذاهب العلماء ، ثم يرجح المذهب ، ويفرع(5) " في حين يذكر الرحالة المغربي العبدري أن هذا الكتاب شرحاً على كتاب " مناسبات تراجم البخارى " لأخوه ناصر الدين أحمد (6) .

وذكر أيضاً أن هذا الكتاب أعجب به العديد من علماء عصره مثل عالم الحرمين محب الدين الطبري المتوفي بمكة عام ٦٩٤هـ/١٢٩٥م (7) ، وعلم الدين سبط الإمام أبي إسحاق العراقي المتوفي عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م (8) .

ومن علماء الإسكندرية الذين شرحوا الجامع الصحيح للبخاري محمد بن أبي بكر الدماميني الأسكندراني المتوفي عام ٨٢٨هـ/١٤٢٥م في كتابه " مصابيح الجامع الصحيح "(9) .

ولم يقف الأمر في دراسة علم الحديث عند التلخيص والشرح ، بل قام علماء الحديث في تلك الفترة يجمع أربعين حديثاً في مصنف واحد معتمدين في ذلك إلى حديث

---

=عام ٢٥٦هـ ومن أهم مؤلفات في علم الحديث كتاب " الجامع الصحيح " ، انظر : ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٣٠ ؛ ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، جـ٣ ص٢ رقم ١٩١ .

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، ج٣ ، ص١٠٤٢ .

(2) أسهم المغاربة والأندلسيون بدور كبير في شرح صحيح مسلم مثل : كتاب المعلم بفوائد مسلم للمازري المتوفى عام ٥٣٦هـ / ١١٤١م ؛ كتاب اكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض المتوفى عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م وكتاب اكمال اكمال المعلم للابي المتوفى عام ٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م . انظر: كحالة ، معجم المؤلفين ج٩ ص٢٨٧ .

(3) ابن شاكر الكتبي ، فوات ، جـ١ ص١٤٩ رقم ٥٥ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٨ ص١٢٨ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٣١٦ .

(4) الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص٣٨٤ رقم ٥٥٤ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٢٢ ص١٤٢-١٤٣ رقم ٨٩ .

(5) ابن فرحون ، الديباج ، جـ٢ ص١٢٣-١٢٤ .

(6) العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢٢٩ .

(7) الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٣ ص٦١-٧٢ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية جـ٨ ص١٨ .

(8) ابن حجر ، الدرر ، جـ٢ ص٣٩٩ ؛ ابن رشيد ، ملء العيبة ، جـ٣ ، ص٣٣٥ .

(9) السخاوي ، الضوء ، جـ٨ ص١٨٤ .

نبوي " من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله تعالى يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء " وعلى الرغم من اتفاقهم على أنه حديث ضعيف وأن كثرت طرقه ، فإن العلماء صنفوا في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات واختلفت مقاصدهم في تأليفها وجمعها وترتيبها واختيارها ، فمنهم من اختار أربعين حديثاً قدسياً مثل محي الدين بن عربي ، ومنهم من جمعها في فضائل القرآن مثل القرطبي ، أو في الطب مثل عبد اللطيف البغدادي ، أو في التوحيد وإثبات الصفات ، أو أربعون حديثاً فيما ينتهي إليه المتقون ويستعمله الموفقون في أربعين باباً من البر لأبي إسحاق الحداد [١].

وشارك علماء الحديث في الإسكندرية في هذا النوع من الدراسات الحديثية فجمع الحافظ السلفي " الأربعون البُلدانية " وهي أربعين حديثا عن أربعين شيخاً في أربعين مدينة ، لذا سميت بالأربعون البُلدانية أي من أربعين بلد [٢] . وكذلك جمع حافظ الإسكندرية منصور بن سليم المعروف بابن العمادية المتوفي عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م كتاب " الأربعين البُلدانية " . عن أربعين شيخا في أربعين مدينة [٣] وجمع عبد الوهاب بن رواج الأسكندراني المتوفي عام ٦٤٩هـ/١٢٥١م كتاب الأربعين حديث [٤] .

واهتم علماء الحديث في الإسكندرية بالرحلة العلمية في طلب وسماع الحديث ، لذا نجد معظمهم انتقلوا بين المراكز الثقافية لسماع الحديث عن علمائه وفضلوا ذلك عن الإجازة لهم عن هؤلاء العلماء ، لذا كان شيخ دار الحديث النبيهية تاج الدين أبو الحسن علي بن عبد المحسن الغرافي ينشد [٥] :-

| | |
|---|---|
| علم الحديث فضيلة تحصيلها | بالسعي والتطواف في الأمصار |
| فإذا أردت حصولها بإجازة | فقد استعضت الصفر بالدينار |

بل رفض بعض علماء الإسكندرية الإجازة لأحد لم يحضر مجلس علمه من ذلك محي الدين أبي الحسن علي بن محمد القرميسيني جاءه رجل من أهل بغداد يطلب منه إجازات لأناس من أهل بغداد فامتنع عن ذلك وأنشد [٦] :-

| | |
|---|---|
| لعب دعوني نحوه | والجد أولى بالرجال |
| لا أستجيز ولا أجيز | ولست أرضى بالمحال |
| كم مظهر طلباً بحق | وهو يرتع في الضلال |

---

(١) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ١ ص٥٢ ؛ أحمد أحمد بدوي ، الحياة العقلية ، ص١٢٦ .
(٢) حاجي خليفة ، نفسه ، جـ١ ص٥٤ ؛ الوادياشي ، برنامج الوادياشي ، ص٢٧٠ .
(٣) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ص١٤٦٧-١٤٦٨ ؛ الأسنوي ، طبقات الشافعية ، جـ٢ ص١٠١ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ رقم ١١٢٦ .
(٤) ابن الصابوني ، تكملة أكمال الأكمال ، ص٢٥٢ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص١٤١١ ؛ سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ص١٥٦ ؛ العبر ، جـ٣ ص٢٦١ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٩ ص٣٠٣ رقم ٢٨٣ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٣٧٨ .
(٥) ابن رشيد ، ملء العيبة ، جـ٣ ص٥٥ ؛ العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢٤٩ ؛ ابن القاضي درة الحجال ، جـ٢ ، ص٢١٥ ؛ المراكشي ، الأعلام ، جـ٥ ، ص٦٩٤ .
(٦) الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٢ ، ص٣٧٥ ، رقم ٤٠٦

وفي حالة إعطاء الإجازة وضعوا لها شروط أن يلتزم بأداب علم الحديث من الرواية والدراية لذا كان قاضي الإسكندرية محمد بن رشيق المتوفي عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م يكتب في الإجازات [١]

أجزت لهم أبقاهم الله كل ما — رويت عن الأشياخ في سالف الدهر
وما سمعت أذناي عن كل عالم — وما جاد من نظمي وما راق من نثري
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم — بريء من التصحيف عار من النكر

أما محمد بن عبد الله بن إبراهيم المتيجي الأسكندراني المتوفي عام ٦٥٩هـ/ ١١٦١م فكان يكتب في الإجازات [٢] :-

أجزت لهم أعلى المهيمن قدرهم — وحلاهم ذكراً جميلاً معطراً
رواية ما أزويه شرقاً ومغرباً — وما قلته نظماً ونثراً محبراً
على شرط أهل العلم والصيغة التي — يكون بها معنى الإجازة مظهراً

في حين أن حافظ الإسكندرية منصور بن سليم المعروف بابن العمادية كتب أجازة لأحد تلاميذه [٣] :-

إني أجزت لحازم بن محمد — صدر الأفاضل والإمام السيد
بجميع ما رويته فرويته — عن ألف شخص من رواه المسند
في شامها مع مصرها وعراقها — وحجازها من مُتهم أو منجد
فليرو عني ما رويت رواية — مشروطة بتوثق وتشدد

لذا حرص علماء الحديث أن يجلسوا لأملاء تلاميذهم بما يسمى ( مجالس الأملاء ) حيث يقعد العالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم بما فتح الله عليه من العلم ويكتبه التلامذة فيصر كتاباً ويسمونه الإملاء والأمالي [٤] .

لذا حث أحد علماء الإسكندرية عبد الله بن منصور المعروف بالمكين الأسمر على حضور مجالس الأملاء وقراءة كتب الأملاء بقوله [٥] :-

وأظب على كتب الأمالي جاهداً — من السنن الحفاظ والفضلاء
فأجل أنواع السماع بأسرها — ما يكتب الإنسان في الأملاء

ومن أهم كتب الأمالي التي كانت تدرس في الإسكندرية في العصر المملوكي كتاب الأمالي الخمسة أي المجالس السلماسية للحافظ أبي طاهر السلفي قراءة ابن رشيد والوادياشي في الإسكندرية درسها المكين الأسمر [٦] .

---

(١) ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٥ ، ص١٣٢-١٣٣ ، رقم ١٧٣٥ .
(٢) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٣ ، ص٣٥٨ ، رقم ١٤٣٧ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ، ص٣٧٩ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٥ ص٢٩٩ .
(٣) ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ١ ، ص٢٥٤-٢٥٥ ، رقم ٣٨٥ .
(٤) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ١ ص١٦١؛ السمعاني ، أدب الإملاء والاستملاء ، ص٣-٤؛ محمد كمال الدين ، مجالس الأملاء في مصر في ظل حكم سلاطين المماليك ، تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، ص٣٨٧-٤٠٦ . (٥) ابن رشيد ، رحلة ابن رشيد ، ص١٨ .
(٦)مـلء ص١ ؛ الوادياشي، برنامج الوادياشي، ص٢٨٢ .

بالإضافة إلى ذلك اعتاد علماء الحديث في الإسكندرية ، وفي غيرها من المدن الإسلامية الأخرى وقتئذ في تدوين رحلاتهم العلمية وأسماء الشيوخ الذين أخذوا عنهم ، وأجازوا لهم وأسماء الكتب وعمن أخذوها ، وسندها إلى مؤلفها ، والبلد الذي أخذها به بما يسمى " المشيخة " ، أو " معجم الشيوخ " أو " المعاجم " أو " الثبت " وتسمى في الأندلس " البرنامج " أو " الرحلة " وكلما زاد عدد العلماء الذين أخذ عنهم والكتب التي درسها زادت مكانة العالم (١) .

وأصبحت هذه المعاجم مما يدرس للطلبة ومما يجيزه الشيخ لتلاميذه في الإسكندرية ومن علماء الإسكندرية الذين وصلتنا معاجم شيوخهم وكانت من مواد تدريس الحديث في الإسكندرية في العصر المملوكي " مشيخة ابن الحطاب " أو " مشيخة الرازي " لأبي عبد الله محمد بن أحمد الرازي الأسكندري تخريج السلفي وظلت تدرس طوال العصر المملوكي في الإسكندرية (٢) و " مشيخة السلفي " ، ومعجم السفر للسلفي ، والمشيخة البغدادية للسلفي (٣) ، ومشيخة عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني (٤) ومشيخة أخوه عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني (٥) ومشيخة ابن البرهان ، وجيه الدين محمد بن عبد الرحمن الأزدي تخريج منصور بن سليم (٦) ومشيخة ابن المقدسية شرف الدين أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام السفاقس الأسكندراني المالكي المعروف بابن المقدسية وهذه المشيخة خرجها له تلميذه منصور بن سليم وتوفي عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م (٧) .

ومشيخة عبد الوهاب بن الفرات اللخمي الأسكندراني خرجها له منصور بن سليم(٨) ومشيخة ابن عبد الدائم الحسني الأسكندري الشافعي خرجها له أبو الحسن القرافي

---

(١) الكتاني ، فهرس الفهاس ، جـ٢ ، ص٦٠٩-٦١٠ ، ٢٦٤ ؛ عبد العزيز الأهواني ، كتب برامج العلماء في الأندلس ، مجلة المخطوطات العربية ، المجلد الأول ، العدد الأول ، ١٩٥٥ ، ص٩١ وما بعدها .

(٢) الذهبي ، المعين في طبقات المحدثين ، ص٢٢٢ رقم ٥٨ ؛ السخاوي ، الضوء ، جـ٢ ، ص١٢٥ ، رقم ٣٧١ ، جـ٥ ص٦٣ رقم ٢٣١ ؛ جـ٨ ص١٩٦ رقم ٥١٦ ؛ جـ٩ ص٢١١ رقم ٥١٨ ؛ الكتاني ، فهرس جـ٢ ص٦٢٥ ، ٦٣١ .

(٣) الكتاني ، فهرس ، جـ٢ ص٦١٣ .

(٤) الكتاني ، فهرس ، جـ٢ ص٦٤٣ رقم ٣٢٣ .

(٥) فهرس جـ٢ ص٦١٥ رقم ٢٢٧ .

(٦) فهرس ، جـ٢ ص٦٣٣ رقم ٢٨٨ .

(٧) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٢ ص٣٥٢ رقم ٨١٦ ؛ جـ٣ ص١٨ رقم ٨٧٨ ؛ الذهبي ، العبر ، جـ٣ ص٢٧٣ ؛ سير أعلام النبلاء جـ٢٣ ص٢٩٥ رقم ٢٠٢ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ص٥٤٦ رقم ٢٦٣ ؛ ابن تغري بردي ، الدليل ، جـ٢ ص٦١٦ ؛ السيوطي ، حسن جـ١ ص٣٧٩ رقم ٧٧ .

(٨) عبد الوهاب بن حسن بن إسماعيل بن الفرات اللخمي الأسكندري المولود بها عام ٥٩١هـ ، والذي انفرد بالرواية في الأرض كلها عن جماعة ولقب بالمسند رحله أهل زمانه ، انظر ، ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ٣ ص١٤٩-١٥٠ رقم ١١١٠ .

وسمعها عليه أثير الدين أبو حيان الأندلسي (١) .

وخرج حافظ الإسكندرية منصور بن سليم لنفسه معجماً لشيوخه شمل أكثر من ألف شيخ (٢) ، كذلك خرج لنفسه سبط السلفي أبو القاسم بن مكي بن عبد الرحمن الأسكندراني المتوفي عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م مشيخة بأسماء شيوخه (٣) .

وجمع عبد الكريم بن عبد الباري الصعيدي مشيخة (٤) وجمعت وجيهية بنت علي الصعيدية الأسكندرانية مشيخة خرجها لها كل من الدين بن عرام ، ابن رافع السلامي (٥) إذن أصبحت المشيخات من معالم دراسة علم الحديث في الإسكندرية وغيرها من المدن الإسلامية في تلك الفترة .

لذا ازدهر علم الحديث في الإسكندرية وظهر مئات علماء الحديث بالإسكندرية مما لا نستطيع حصره ، فضلاً عن قدوم العديد من علماء الحديث من مراكز الثقافة الأخرى ليسمعوا علم الحديث عن علماء الإسكندرية مثل شرف الدين الدمياطي ، والحافظ البرزالي ، والمزي ، والذهبي وابن الجزري ، وابن فهد المكي والفاسي وابن رشيد والغبريني والعبدري والبلوي وغيرهم والذين سجلوا ذلك في معاجم شيوخهم ورحلاتهم العلمية أنهم سمعوا بالإسكندرية علم الحديث وأسماء من أخذوا عنهم (٦) .

---

(١) المقريزي ، المقفى ، جـ٦ ، ص١٥ رقم ٢٣٨٩ .

(٢) الحافظ المفيد الرحال المعروف بابن العمادية الهمداني (٦٠٧-٦٧٣هـ/١٢١٠-١٢٧٥م ) مؤرخ الإسكندرية ومحتسبها عني بالحديث وفنونه ورجاله ، انظر : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ص١٤٦٧ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، رقم ١١٢٦ .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ص٢٧٨-٢٧٩ رقم ١٨٧ ؛ العبر ، جـ٣ ص٢٦٧ ؛ دول السلام ، جـ٢ ص١٥٧ ؛ ابن الصابوني ، تكملة ، ص١٩٣ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٨ ص٢٨٦ رقم ٣٣٩ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ص٣٨٩ ؛ العيني ، عقد الجمان ، جـ١ ص٨٢ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٣٧٩ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٣ ص٢٦٨ رقم ٣٠٨٢ ، ولي الدين العراقي ، ذيل العبر ، جـ١ ص١٥٢ .

(٤) ابن حجر ، الدرر ، جـ٥ ، ص١٨٠ رقم ٤٩٧٨ .

(٥) الدرر ، جـ٥ ، ص١٨٠ ؛ الكتاني ، فهرس الفهارس ، جـ٢ ص٦٥٤ رقم ٣٧٥ .

(٦) امتلئت المصادر التاريخية المعاصرة وكتب الوفيات والطبقات وطبقات المذاهب المختلفة بأسماء مئات العلماء الذين درسوا علم الحديث بالإسكندرية فضلاً عن كتب البرامج والفهارس ومعجم الشيوخ مثل معجم شيوخ الذهبي ومعجم محدثيه والمعجم المؤسس لابن حجر وغيرها الكثير .

علم الفقـــــــه [١] :-

يعد الفقه من أبرز فروع العلوم الإسلامية التي اشتغل بها المسلمون ، ومـن أهـم مواد التكوين الثقافي لطلاب العلم والمثقفين في جميع البلاد الإسلامية ، إذ احتيج إليـه لتيسير شئون الجماعة الإسلامية ، ووضع الضوابط الحكمية بين الرعايا فـي أحـوالهم ومشاكلهم الدينية(عبادات) أو دنياهم (معاملات) وأساسه القرآن الكريم والسنة النبوية .

وعرفه ابن خلدون بأنه " معرفة أحكام الله تعالى في أفعـال المكلفـين بـالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة ، وهي متلقاه من الكتاب والسنة ، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة ، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه ... " [٢] .

وعرفه ابن الأكفاني بأنه " علم بأحكـام التكـاليف الشـرعية العمليـة كالعبـادات والمعاملات والعادات ونحوها ... " [٣] .

إذا الفقه هو العلم الذي يتناول القرآن الكريم والسنة النبوية بقصد الفهم واستخراج الأحكام الشرعية . وعرف بعدة مسميات مثل علم الحلال والحرام والشـرائع والأحكـام وعلم الفروع ، وهو يرادف " التشريع " [٤] .

ومع مرور الوقت ظهرت عدة مدارس في الفقه عرفت بالمذاهب ، اشتهرت منهـا أربعة مذاهب سنية لأربعة من أئمة الفقة وهي حسب ظهورها المذهب الحنفـي نسـبة لأبي حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠-١٥٠هـ/٦٦٩-٧٦٧م ) [٥] والمذهب المالكي نسبة لمالك بن أنس (٩٧-١٧٩هـ/٧١٥-٧٩٥م )[٦] والمذهب الشافعي نسبة لمحمـد بـن أدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ/٧٦٧-٨٢٠م )[٧] ، المذهب الحنبلي نسبة لأحمد بـن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ/٧٨٠-٨٥٥م )[٨] .

---

(١) الفقه : لغة العلم بالشيء والفهم له ، والفطنة وغلب على علم الدين لشرفه وفقه فهـو فقيـه وفقية جمعها فقهاء . انظر : الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ترتيب الطـاهر أحمـد الـزاوي ، جـ٣، ص٥١٣ مادة ( ف ق هـ ) .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، جـ٣ ، ص١٠٤٥ .

(٣) ابن الأكفاني ، ارشاد القاصد ، ص٤٤ .

(٤) عن الفقه ومسمياته وخصائصه انظر : الغزالي ، كتاب المستصفى من علم الأصـول ، بـولاق ١٣٢٢هـ ص٤ ؛ النسفي ، كشف الأسرار ، بولاق ، ١٣١٦ ، ص٦ ؛ الشوكاني ، كتـاب ارشـاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، القاهرة ، ١٣٢٧هـ ، ص٣ ؛
Ency , isl . (ast Fi Kh) , T.2 , P.106 .

(٥) الداري ، الطبقات السنية في تراجم ، الحنفية ، جـ١ ترجمة رقم (١) .

(٦) ابن فرحون ، الديباج المذهب ، جـ١ ، ص١١-٢٩ رقم ١ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ١ ص٢٠٧-٢١٣ ؛ الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، ص٤٢-٤٣ ؛ أبو نعيم ، حلية الأوليـاء ، جـ٦ ص٣١٦-٣٥٥ .

(٧) السبكي، طبقات الشافعية، جـ١، ترجمة رقم ١؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، جـ١ ترجمة رقم١

(٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ١ ص٢٨-٢٩ .

ولم تكد تستقر هذه المذاهب الأربعة وتتضح معالمها ، حتى دخل الفقه دور الكهولة، وأصبح الفقه مقيد بتقليد أحد الأئمة الأربعة ، وأصبح عمل الفقهاء استنباط الأحكام الفقهية التابعة للمذهب الذي يتبعه فهذا مالكي وآخر شافعي وثالث حنفي ورابع حنبلي .

وعرفت الإسكندرية المذاهب الفقهية منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، وأول ما عرفت المذهب المالكي بفضل أصحاب وتلاميذ مالك الذين أقاموا بالإسكندرية ونشروا مذهبه ومن هؤلاء عبد الرحيم بن خالد الجمحي المتوفي بالإسكندرية عام ١٦٣هـ(١) ، وطليب بن كامل اللخمي المتوفي بها أيضا عام ١٧٣هـ (٢) وسعيد بن عبد الله بن أسعد المعافري المصري والمتوفي بها عام ١٧٣هـ(٣) . ولهذا يمكن القول إن الإسكندرية كونت في ذلك الوقت المبكر ما يمكن أن يسمى بمدرسة فقه مالكية ، وأنها شاركت في نشر المذهب في مصر ، وفي بلاد المغرب والأندلس حيث أخذ المغاربة والأندلسيين مذهب مالك عن فقهاء الإسكندرية قبل وصولهم إلى مالك (٤) ويرجع ذلك إلى موقع الإسكندرية ومنذ ذلك التاريخ أصبح المذهب المالكي مذهب أهل الإسكندرية وأصبح يتولى القضاء في الإسكندرية قضاة مالكيون .

واشتهر من فقهاء المالكية في الإسكندرية محمد بن إبراهيم بن زياد المعروف بابن المواز المالكي (١٨٠-٢٦٩هـ/٧٩٦-٨٨٢م ) الذي قام بتبويب الفقه المالكي من خلال كتابه " الموازية " والذي يعد من أجل الكتب التي ألفها فقهاء المالكية وأصحها أوعبها رجحة على سائر الأمهات (٥) .

وزاد من قوة المذهب المالكي في الإسكندرية في العصر الفاطمي قدوم العديد من فقهاء المغاربة والأندلسيين المالكيون إلى المدينة وعلى رأسهم أبو بكر الطرطوشي نزيل الإسكندرية الذي نظم تدريس الفقه بالإسكندرية وإنشاء أول مدرسة للتدريس الفقه في الإسكندرية وأصبح يوجد في الإسكندرية في العصر الفاطمي ثلاث مدارس للمذهب المالكي ، الأولى مدرسة الطرطوشي والثانية المدرسة الحافظية ( العوفية ) والمدرسة

---

(١) القاضي عياض، ترتيب المدارك، جـ١ ص٣١٠-٣١١؛ السيوطي، حسن ، جـ١ ، ص١٣١ .

(٢) ابن الفرضي، تاريخ العلماء، جـ١ ص٢٤٦ رقم ٦٢٤؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٣١ رقم٥٢١، ص٢٤٦ رقم٥٦٤؛ابن فرحون الديباج، جـ١ ص٤٠٥؛ السيوطي، حسن، جـ١ ، ص٣٠٢ .

(٣) ابن فرحون ، الديباج ، جـ١ ص٣٨٩ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٤٤٦ .

(٤) سعد زغلول عبد الحميد ، الأثر المغربي والأندلسي ، ص٢٢٠-٢٢١ .

(٥) الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، ص١٥٤ ؛ ابن أيبك الصفدي ، جـ١ ص٣٣٥-٣٣٦ رقم٢٠٩ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٣ ص٦ رقم٢ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ص٨٧-٨٨ رقم١٦٣٠ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، جـ١ ص٣٣٢ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ٢ ص١٩٤ ؛ المنستيري ، شجرة النور ، جـ١ ص٦٨ رقم٧٢ ؛ سزگين ، تاريخ التراث العربي ، جـ٢ ص١٤٨؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ٨ ص٢٠٠ .

المكينية ( بني حديد ) [١] في مقابل مدرسة واحدة للمذهب الشافعي وهي المدرسة العادلية ( الحافظية ) [٢] .

واستمرت حركة بناء المدارس على المذهب المالكي طوال العصرين الأيوبي والمملوكي وكثرة قدوم المغاربة والأندلسيين نتيجة سقوط مدن الأندلس في يد الأسبان والاضطرابات السياسية في بلاد المغرب ، وقام صلاح الدين ببناء دار للمغاربة وأجري عليه الرواتب النقدية والعينية .

فضلاً عن ظهور العديد من الأسر المالكية ويأتي على رأسهم أسرة ابن عوف نسبة للفقيه أبو الطاهر بن عوف الزهري الأسكندراني المتوفي عام ٥٨١هـ/١١٨٥م [٣] والذي رحل إليه صلاح الدين وأولاده لسماع كتاب الموطأ في الفقه المالكي للأمام مالك بن أنس ، واشتهر من أسرة ابن عوف العديد من أبنائه وأحفاده والذين تولوا التدريس بالمدرسة العوفية [٤] ومن هؤلاء نفيس الدين أبو الحرم مكي بن عوف بن أبي الطاهر بن عوف ألف شرحا عظيما على " التهذيب " لأبي سعيد البرادعي وعدة مجلداته ستة وثلاثون مجلداً وكان يقيده على دروسه التي كان يلقيها في المدرسة العوفية ، وكان يحضر عنده فضلاء ، ويتحرر بينهم بحوث ، فيكتبها في الحواشي فكمل على هذا الحال، لذا سمي الكتاب بـ " العوفية " وتنافس في اقتناء هذا الكتاب العلماء والأعيان[٥] وكان ضمن المكتبة الخاصة لنائب الإسكندرية بيبرس الجمدار نسخة بخط المؤلف وبعد موته اشتراها قاضي القضاء الأخنائي [٦] .

وكان كتاب العوفية من الذخائر العلمية التي عرفتها خزانة سلطان فاس " المغرب " عن مدرسة الإسكندرية وعلى حد قول صاحب الديباج المذهب : " ولما قدم من المغرب ابنا الإمام أبي زيد وأخوه نسخاه وأنفقا على نسخة مالا عظيماً ، وهو الآن في خزانة

---

(١) نلاحظ قوة المذهب المالكي في الإسكندرية في العصر الفاطمي من خلال حركات المعارضة ضد الدولة الفاطمية حيث اتخذت هذه الحركات الإسكندرية مركز انطلاق لها وفشلت الدولة في فرض المذهب الشيعي على أهل الإسكندرية وكان جامع عمرو بن العاص مركز تدريس الفقه المالكي قبل وجود المدارس بالإسكندرية مما جعل الحاكم بأمر الله يأمر بهدم هذا الجامع وظل مهدماً حتى أعاد صلاح الدين بناءه .

(٢) عن هذه المدارس انظر : الفصل الثاني من الدراسة .

(٣) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٩ ص٢٢٨ رقم٤١٣٢ .

(٤) عن هذه المدرسة . انظر الفصل الثاني من الدراسة .

(٥) ابن فرحون ، الديباج ، جـ١ ص٢٩٣ ؛ المنستيري ، شجرة النور الزكية ، جـ١ ، ص١٦٥، رقم٥١٦ .

(٦) الأمير ركن الدين بيبرس المظفري الجمدار ، أحد مماليك السلطان بيبرس الجاشنكير ، لذا ولاه كشف البحيرة ، ثم ولي الإسكندرية ، وكان قبل ولايته معروفا بتلاوة القرآن وملازمة الصلاة والعفة توفي عام ٧١١هـ/١٣١١م ، انظر ، المقريزي ، المقفى الكبير ، جـ٢ ص٥٢٧-٥٢٨ ، رقم٩٩٥.

سلطان فاس بالمغرب [١] .

ودأب فقهاء المالكية في الإسكندرية على شرح أمهات الفقه المالكي وبخاصة كتاب " المدونة " [٢] لسحنون ، ومن هؤلاء الفقهاء سند بن عنان تلميذ أبو بكر الطرطوشي ، حيث وضع شرحاً له سماه " الطراز " أنهى منه ثلاثين سفراً . ومات قبل أن يتمه ، ذكر ابن فرحون بأنه " كتاباً حسناً في الفقه "[٣] وأما المنستيري فذكر أنه " كتاب حسن مفيد شرح به المدونة نحو الثلاثين سفراً ، وتوفي قبل إكماله اعتمده الحطاب وأكثر من النقل عنه في شرح المختصر" [٤] .

وقدم ابن الحاجب إلى الإسكندرية في عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م ، ووضع مختصراً هاماً في الفقه المالكي ، " حيث لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب ، وتعديد أقوالهم في كل مسألة ، فجاء كالبرنامج للمذهب " وانتشر هذا المختصر واعتبر أهم كتب دراسة الفقه المالكية ليس في الإسكندرية وحدها بل في مصر وغيرها من البلاد التي ينتشر فيها المذهب المالكي وبخاصة بلاد المغرب والأندلس ، حيث انتقل هذا الكتاب إليها في أواخر القرن السابع الهجري وعكف عليه الكثير من طلبة المغرب ، وخصوصاً أهل بجاية ، إذ جلبه إليها أحد علمائها وهو أبو علي ناصر الدين الزواوي وانتقل منها إلى سائر الأمصار المغربية ويشير ابن خلدون إلى أن " طلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسونه لما يؤثر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه ، وقد شرحه جماعة من شيوخهم كابن عبد السلام وابن رشد وابن هارون ، وكلهم من مشيخة أهل تونس " [٥] .

---

(١) ابن فرحون ، نفسه ؛ ابتسام مرعي ، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ، ص٣٥١ .

(٢) يعد كتاب " المدونة " أهم كتب الفقه المالكي على الإطلاق جمع مسائلها عالم القيروان سحنون حيث أملها عليه عالم الإسكندرية عبد الرحمن بن القاسم ، وكان سبقه إلى كتبه هذه المسائل أسد بن الفرات وسمي الكتاب بـ " الأسدية " نسبة إليه ، ولكن عندما لقى سحنون ابن القاسم وجده تراجع عن كثير من اراءه التي وجدت في الأسدية وطلب من أسد بن الفرات مراجعة ما كتبه سحنون ولكن أنف من ذلك فترك الناس كتابه واتبعوا " مدونة " سحنون ، لذا يعد كتاب المدونة أهم أصل من أصول مذهب مالك ، بل هو الأصل الذي قام عليه الفقه المالكي حتى اليوم ، لذا كثرة الشروح والتعليقات عليه ـ انظر : ابن خلدون ، المقدمة ، جـ٣ ص١٠٥٧ ؛ الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، ص١٣٢-١٣٣ ؛ المالكي ، رياض النفوس ، ص٢٤٩-٢٩٠ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ٢ ص١٣١-١٣٢ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ٥ ص٢٢٤ ؛ سزكين ، تاريخ التراث العربي ، جـ٢، ص١٣٨ .

(٣) ابن فرحون ، نفسه ، جـ١ ص٣٩٩ ؛ البغدادي ، هدية العارفين ، جـ١ ص٢٢١ .

(٤) المنستيري ، شجرة النور ، جـ١ ص١٢٥ رقم٣٦١ ؛ سزكين ، تاريخ التراث العربي ، جـ٢ ص١٤٠ .

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، جـ٣ ص١٠٥٩ .

ولم يقتصر الأمر على شرح كتاب المدونة في فقه المالكية ، بل قام علماء الإسكندرية بشرح الشروح والمختصرات التي وضعت عليها ، مثل كتاب " التهذيب " لأبي سعيد البرادعي من هؤلاء العلماء عبد الكريم بن عطاء الله السكندري الذي يعد إماماً في الفقه والأصول والعربية فقام باختصار كتاب " التهذيب " واختصره اختصاراً حسناً ، ثم قام بشرح كتاب " التهذيب " في كتاب سماه " البيان والتقريب في شرح التهذيب " وهو كتاب كبير جمع فيه علماً جماً وفوائد غزيرة في نحو سبع مجلدات ولم يكمله حيث توفي قبل أن يتمه (١) واختصر كتاب " التهذيب " للبرادعي من علماء الإسكندرية تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندري حفيد السابق (٢) .

واعتمدت أيضاً دراسة الفقه المالكي في الإسكندرية على كتاب " الرسالة " لابن أبي زيد المالكي المتوفي عام ٣٨٩هـ/٩٩٨م وهو مختصر كتاب " المدونة " (٣) .

مما سبق نجد أن دراسة الفقه المالكي في الإسكندرية اعتمدت في المقام الأول على كتاب " الموطأ " للإمام مالك وبخاصة رواية يحيى بن يحيى الليثي (٤) وعلى كتاب المدونة والشروح الموضوعة عليه مثل التهذيب للبرادعي والرسالة لابن أبي زيد ، وقام علماء الإسكندرية بوضع الشروح والمختصرات على هذه الكتب وهذه سمة عامة للعلوم في العصر المملوكي .

ووجد إلى جوار المذهب المالكي في الإسكندرية ، المذهب الشافعي ، لكن ليس بنفس قوة المذهب المالكي الذي له الغلبة في الإسكندرية ، وبالرغم من ذلك انتشر المذهب الشافعي في الإسكندرية في القرن الرابع الهجري فوجد أبو طاهر محمد بن عبد العزيز بن حسون الأسكندراني الشافعي المتوفي عام ٣٥٩هـ/٩٦٩م (٥) .

وازدهر المذهب الشافعي في الإسكندرية على يد الحافظ السلفي الذي تولى تدريس المذهب الشافعي في مدرسته بها وهي المعروفة باسم " العادلية " و " الحافظية السلفية " والتي ظلت حتى نهاية القرن السابع الهجري مدرسة الشافعية الوحيدة في الإسكندرية وسميت في بعض الأحيان بـ " جامع الشافعية " وعن طريق هذه المدرسة تزايد فقهاء الشافعية في الإسكندرية ، إذ تولى التدريس بها معظم فقهاء الشافعية في الإسكندرية مثل أسرة البوري والتي نبغ العديد من أفرادها وتولوا التدريس بالمدرسة الحافظية السلفية من هؤلاء أبو القاسم هبة الله بن البوري المتوفي عام ٥٩٩هـ/١٢٠٢م (٦)

---

(١) ابن فرحون، نفسه، جـ٢ ص٤٣؛المنستيري، نفسه ، جـ١ص٦٧؛ السيوطي، حسن، جـ١ ، ص٥٦.

(٢) السيوطي ، نفسه ، جـ١ ص٤٢٤ ؛ الداوودي ، طبقات المفسرين ، جـ١ ص٧٧-٧٨ رقم٧١

(٣) ابن خلدون ، نفسه ، جـ٣ ص١٠٥٨ ؛ البغدادي ، هدية العارفين ، جـ١ ، ص٤٤٧ .

(٤) نشر الموطأ رواية يحيى بن يحيى ، بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٧ ؛ عن يحيى بن يحيى . انظر ؛ المقريء ، نفح الطيب ، جـ٦ ص١٦-١٨ .

(٥) الأسنوي ، طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٥٠ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٤٠٢

(٦) المنذري ، التكملة ، جـ١ ص٤٥٠ ، رقم٧١٨ ؛ الذهبي ، المشتبه ، ص٩٧ .

وذكر الأسنوي " أن هذه المدرسة تنتسب اليوم – أواخر القرن الثامن الهجري – له تارة وللسلفي أخرى " (١) .

ومن فقهاء الشافعية في الإسكندرية الحافظ منصور بن سليم الهمذاني الأسكندراني الشافعي المتوفي عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م ، والذي برع في العديد من العلوم كالحديث والتاريخ والفقه على مذهب الشافعي وتولى تدريس هذه العلوم بالمدرسة الحافظية السلفية (٢) .

ومن هؤلاء الفقهاء أيضاً أحمد بن محمد بن قيس المتوفي عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م وذكر ابن حجر إلى أنه " درس بالمدرسة الحافظية بالإسكندرية ويعرف بها بالشافعي ، وكان فقيهاً حسناً " (٣) .

ومن فقهاء الشافعية العراقيين الذين استقروا بالإسكندرية أسرة الغرافي وعلى رأسها أحمد بن عبد المحسن الغرافي (٥٨٠-٦٦٦هـ/١١٨٤-١٢٦٨م ) الذي كتب على كتاب " التنبيه في الفقه " (٤) شرحاً جليلاً استدل فيه بعدة أحاديث وخرجها وسماه " معتمد النبيه على أحاديث مسائل التنبيه " (٥) ونبغ اثنان من أبنائه وأصبحا شيخا الإسكندرية في علم الحديث والفقه على المذهب الشافعي وتوليا مشيخة دار الحديث النبيهية بالإسكندرية وهما تاج الدين علي بن الغرافي المتوفي عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م ، وعز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الغرافي المتوفي عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م (٦) .

ومن فقهاء الشافعية بالإسكندرية أيضا بهاء الدين أحمد بن أبي الكرم بن عرام المتوفي عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م ، وصنف في الفقه والعربية وغيرهما (٧) وله تعليق على كتاب " منهاج الطالبيين في مختصر المحرر في فروع الشافعية " لمحيي الدين النووي المتوفي عام ٦٧٦هـ/١٢٧٧م (٨) ، وكذلك أخوه عبد الله بن أبي الكرم بن

---

(١) الأسنوي ، نفسه ، جـ١ ص١٢٩-١٣٠ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، جـ٤ ، ص٣٢٢ .
(٢) ابن الصابوني ، تكملة ، ص١٩٨ رقم١٥٩ ؛ ابن كثير ، طبقات الفقهاء الشافعيين ، جـ٢ ، ص٩٠٩ .
(٣) الدرر ، جـ١ ، ص٣١٦ ، رقم ٧٤٦ .
(٤) كتاب " التنبيه في فروع الشافعية " للشيخ إبراهيم بن علي الشيرازي المتوفي عام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م . انظر : حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ١ ص٤٨٩ ، البغدادي ، هدية العارفين ، جـ١ ص٨ .
(٥) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٧ ، ص١٤٢ رقم ٣٠٧٢ ، المقريزي ، المقفى ، جـ١ ، ص٥٠٩ رقم٤٩٣ ، العيني ، عقد الجمان ، جـ٢ ص٣٦-٣٧ ( حوادث عام ٦٦٦هـ ).
(٦) ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ١ ص٤٩-٥١ رقم٦ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ١ ص٢٣ رقم٢٢ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ١ ص١٠-١١ ، رقم١٢ .
(٧) الأدفوي ، الطالع السعيد ، ص٧٥ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٦ ، ص٢٧١ ؛ ابن حجر، الدرر ، جـ١ ص١٢ .
(٨) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ص١٨٧٣ ؛ البغدادي ، هدية العارفين ، جـ٢ ، ص٥٢٤ .

عرام المتوفي عام ٧٢١هـ/١٣٢١م [1] .

ومما يوضح ازدياد قوة المذهب الشافعي في الإسكندرية في العصر المملوكي تولى بعض فقهاء الشافعية بها وظيفة القضاء بالمدينة بدلاً عن الفقهاء المالكية الذين احتكروا وظيفة القضاء بها ، ولكن ما السبب الذي دعى الدولة إلى تغيير فقهاء الشافعية بدلاً عن فقهاء المالكية في تولي وظيفة قضاء الإسكندرية ؟ لعل ذلك يرجع إلى كثرة فقهاء الشافعية في الإسكندرية مما دعت الضرورة وجود قاضي من نفس المذهب ، ولكن كان قاضي المالكية في الإسكندرية ينيب عنه نائباً شافعي للفصل في القضايا الخاصة بالشافعية الموجودين في الإسكندرية ، ويبدو أن نفوذ المالكية زاد عن المقدار الذي تريده الدولة . يوضح ذلك الحادثة التي وقعت عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م في الإسكندرية من الاضطرابات بسبب المشاجرة بين أهل الإسكندرية والفرنجة وسوء سياسة والي المدينة مما جعل الأهالي يقتحمون سجن المدينة ويطلقون سراح المسجونين الأمر الذي أثار الدولة وإهانة قاضي المالكية بها ونائبه وتعرضا للضرب ، لذا عين الناصر محمد بن قلاوون قاضي شافعي للإسكندرية بدلاً من المالكي مما ولد المنافسة والتحاسد بين فقهاء المذهبين .

بالإضافة إلى المذهب المالكي والمذهب الشافعي في الإسكندرية ، نجد وجود المذهب الحنفي ، يدل على ذلك تعيين أول قاضي حنفي في الإسكندرية في صفر عام ٧٦٨هـ/١٣٦٦م وهو شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن عمر المعروف بـابن زُبيبة (بزاي مضمومة وموحدة مشددة مصغراً ) إلى جوار القاضي المالكي [2] ويذكر المقريزي " ولم يعهد قبل ذلك بالإسكندرية قاضيان " [3] ولكن ما هو السبب في وجود قاضي حنفي في الإسكندرية والأغلبية العظمة من أهلها على المذهب المالكي وبقية أهلها من الشافعية ، ولم تمدنا المصادر التاريخية المعاصرة بأي معلومات عن ذلك . ولكننا يمكننا استنتاج سبب ذلك ، بأن الإسكندرية في العام السابق تعرضت لحملة صليبية دمرت المدينة وهي حملة القبارصة مما جعل الدولة تهتم بالإسكندرية وتحويلها من ولاية إلى نيابة يتولاها نائباً للسلطان برتبة أمير مائة مقدم ألف وهو أعلى رتبة في الجيش المملوكي ، ومما جعلها تتساوى مع النيابات المملوكية الأخرى والتي وجد بها أربعة قضاة للمذاهب الأربع ، فضلا عن أثر حملة القبارصة من قدوم العديد من المتطوعين للرباط في المدينة لحمايتها من هجمات أخرى ، ومنهم من كان على المذهب الحنفي مما تطلب وجود قاضي حنفي في المدينة ، ويمكن أن يكون السبب في ذلك رغبة الدولة في إضعاف نفوذ قضاة المالكية بالإسكندرية وقتئذ . الذين كانوا في

---

(١) ابن حجر ، نفسه ، جـ٢ ص٣٥٦ ؛ العراقي ، ذيل العبر ، جـ٢ ص٤٢٠ ؛ السيوطي ، بغية الوعاء ، جـ٢ ص٣٥ .

(٢) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ص١٢٨ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٦ ص١٠٠ رقم٢٤٨ ؛ أنباء الغمر ، جـ١ ص٧ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص١٢٨ ؛ درر العقود ، جـ٢ ، ص١٥٨ ، رقم٢٧٢ .

صراع ومنافسة فيما بينهم لتولي منصب القضاء بها وبخاصة بين ثلاثة بيوت وهم بيت الدماميني وبيت التنسي وبيت البساطي ، الأمر الذي دعا إلى وجود قاضي حنفي بالإسكندرية ليضعف هذا النفوذ وهذا الصراع .

وأصبح وجود قاضي حنفي في الإسكندرية دليلا على ازدياد تأثير المشرق الإسلامي على مجتمع الإسكندرية وتراجع نسبي لتأثير المغاربة والأندلسيين في الإسكندرية أمام هذا التأثير واستمر ابن زبيبة في قضاء الإسكندرية من صفر عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م حتى وفاته بالإسكندرية في ١٥ ربيع الأول عام ٧٧٢ هـ/ ١٣٧٠م ، وكان إماما فقيهاً عارفاً بالأصول ، والفقه والفروع ، ومشكور السيرة محببا للناس لعفته ولدينه ولغزير علمه وأصله من مدينة حلب [(١)] .

وتولى بعده قضاء الحنفية بالإسكندرية صدر الدين محمد بن محمد السكري الأسكندري حتى وفاته بها في أول ذي الحجة عام ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م ، ويعلق المقريزي بأنه " لم يستقر أحد عوضه " [(٢)] .

ونلاحظ عدم وجود قضاة للحنفية في الإسكندرية في الفترة من أول ذي الحجة عام ٧٧٥هـ إلى ٢٧ رمضان عام ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م ، حيث استقر همام الدين عبد الواحد السيواسي العجمي في قضاء الحنفية بها وأضيف إليه نظراً وقافها ، واستمر في ذلك إلى أن عزل في ثالث ربيع الآخر عام ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م [(٣)] واستقر بعده جمال الدين يوسف بن محمد بن عبد الله الحُميدي وكان بارعا في عدة علوم ، وانتفع به الفضلاء في الفقه وغيره ، وتوفي في الإسكندرية في ٢٥ جمادى الآخرة عام ٨٢١هـ/ ١٤١٨م [(٤)] . ولم تذكر المصادر التاريخية المعاصرة أي من فقهاء الحنفية بالإسكندرية بعد ذلك ، بحيث لا نجد أي ترجمة لأي فقيه حنفي في الإسكندرية بعد ذلك التاريخ. أما المذهب الحنبلي فلا نجد له وجود في الإسكندرية ، إذ لم نجد أي ترجمة لأي من علماء

---

(١) الداري ، الطبقات السنية ، جـ١ ص٢٦٢-٢٦٣ رقم١٢١ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي، جـ١ ص٢٠٨-٢٠٩ رقم١٠٥ ؛ الدليل ، جـ١ ص٣٤ رقم١٠٤ ؛ النجوم الزاهرة ، جـ١١ ص١١٥-١١٦ ؛ ابن رافع السلامي ، الوفيات ، جـ٢ ص٣٧٦ رقم٩١٩ ؛ ابن فهد المكي، لحظ الألحاظ ، ص١٥٥ ؛ العراقي ، ذيل العبر ، جـ٢ ، ص٣٢١-٣٢٢ ؛ السخاوي ، وجيز الكلام، جـ١ ص١٨٢ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص١٩٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٥ ، ص١٥ رقم٤٥٣٤ ، أنباء الغمر جـ١ ، ص٦٨ ؛ السخاوي ، وجيز الكلام ، جـ١ ، ص٢٠٠ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص٥٣٦ ، ٥٧٧ ؛ ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، جـ١ ، ص١٢١ ، ١٦٩ ؛ السخاوي الضوء ، جـ١٠ ص٢٠٩ ؛ وجيز الكلام ، جـ١ ، ص٣٣٩ .

(٤) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص٥٧٧ ؛ العيني ، عقد الجمان ، ص٣٣٧ حوادث عام ٨٢١هـ ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، جـ١ ص١٦٩ ؛ ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ٣ ص١٨٨ ؛ ذيل الدرر ، ص٢٦٩ رقم ٥٠٨ ؛ ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ٢ ص٨٠٧ رقم٢٧١٥ ؛ السخاوي ، الضوء ، جـ١٠ ، ص٣٣١ رقم٢٥٣ ؛ وجيز الكلام جـ١ ص٣٣٩ ، جـ٢ ص٤٥٣ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ٧ ، ص١٥٣ .

الحنابلة بالإسكندرية إبان فترة الدراسة .

وارتبط بعلم الفقه علمي أصول الفقه وأصول الدين ، فعلم أصول الفقه يهتم بالنظر في الأدلة الشرعية لأخذ الأحكام ولتكاليف [1] أما علم أصول الدين فيهتم ببيان الآراء والمعتقدات التي صرح بها صاحب الشرع وإثباتها بالأدلة العقلية [4] وساهم العديد من علماء الإسكندرية في هذين العلمين يأتي على رأسهم ابن الحاجب استطاع وضع قواعد علم أصول الفقه في كتاب " المختصر في الأصول ، ومنتهى السؤال في الأصول " [2] وأصبح هذا المختصر لمحل اهتمام علماء الإسكندرية وغيرهم من المغاربة والأندلسيين وقام أحمد بن عطاء الله الزبيري السكندري المعروف بسبط ابن التنسي المتوفي عام ٨٠١هـ/١٣٩٩م بشرح هذا المختصر ، حيث مهر في الفقه والعربية والأصول [3] وشرحه شهاب الدين أحمد بن عمر بن هلال الأسكندراني وذلك في ثمانية أسفار كبار ، وله كتاب " رفع الأشكال عما في المختصر من الأشكال " [4] وغيرهم كثير مما لا يمكن حصره . نخلص من ذلك أن غلبية أهل الإسكندرية كانوا على المذهب المالكي الذي انتشر بها منذ منتصف القرن الثاني الهجري ، ولهم النفوذ الأقوى في المدينة بسبب كثرة وجود المغاربة والأندلسيين القادمين إلى الإسكندرية ، بالإضافة إلى وجود المذهب الشافعي الذي قوي في الإسكندرية بعد إنشاء مدرسة الحافظ السلفي ثم المذهب الحنفي

اعتمد تدريس الفقه في هذه المذاهب على أمهات الكتب في كل مذهب . ففي المذهب المالكي كتاب " الموطأ " و " المدونة " و " تهذيب المدونة والرسالة " وفي المذهب الشافعي على كتاب الأم للشافعي والرسالة ، وكتاب " التنبيه " ، وقام علماء كل مذهب بشرح هذه الكتب واختصرها كغيره من العلوم النقلية وقتئذ .

---

(١) ابن الأكفاني ، ارشاد القاصد ، ص٤٤ ، ابن خلدون ، المقدمة ، جـ٣ ص١٠٦١ ، السيوطي، كتاب النقاية ، ص٢٦٨-٢٧١ ، إتمام الدراية ، ص٧٩-٩٢ .

(٢) ابن الأكفاني، نفسه ، ص٤٣، السيوطي، النقاية، ص٢٦٠-٢٦١ ، إتمام الدراية ، ص٤-٢٢ .

(٣) السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ص٤٥٦ ، حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ص١٨٥٣ .

(٤) السخاوي ، الضوء ، جـ٢ ص١٩٢ رقم٥٢٥ ، ابن حجر ، ذيل الدرر ، ص٦٧ رقم٧ .

(٥) ابن فرحون ، الديباج ، جـ١ ص٢٥٧-٢٥٨ .

## علوم اللغــــة :-

تعد اللغة وبخاصة النحو [1] من أبرز علوم اللسان العربي التي اهتم بها المثقفون لأنها مادة أساسية من مواد الثقافة في هذا العصر ، يكاد يشترك المثقفون كلهم في أن يأخذوا منها بنصيب وندر من لم يشارك فيها ، إذ تعد وسيلة هامة لدراسة العلوم الشرعية من القرآن والقراءات والحديث والتفسير وغيرها [2] .

لذا كان الاهتمام بعلوم اللغة واضحاً في هذا العصر ، وخاصة النحو ورجاله ، وظهر جماعة من كبار أئمة النحو ، بل بلغ الاهتمام بالنحو درجة من الهوس حتى انحرف جماعة عن الجادة ، واهتموا بالقشور دون اللباب ، فأشار السبكي إلى أن " من العلماء طائفة استغرق حب النحو واللغة قلبها ، وملأ فكرها ، فاداها إلى التقعر في الألفاظ وملازمة حواشي اللغة ، بحيث خاطب به من لا يفهمه " [3] .. " ومنهم من شغل نفسه بالألفاظ ، وأعرض عن معانيها بحيث انتهى به الحال إلى ضرب غريب من الخطأ" [4] بحيث لا يكاد يخلو عالم أو فقيه من اهتمام بالنحو فكثير من الفقهاء علماء في النحو ، وبلغ اهتمامهم باللغة والنحو حفظ أمهات كتبها [5] .

وتجدر الإشارة إلى أن دراسة اللغة والنحو في الإسكندرية قديمة ترجع إلى أواخر القرن الأول الهجري ، إذ نزل بها عبد الرحمن بن هرمز الأعرج والذي ذكره الزبيدي في الطبقة الأولى من طبقات النحويين واللغويين ونقل عن عبد الله بن لهيعة بأنه " أول من وضع العربية ومن أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش " وتوفي بالإسكندرية في عام ١١٧هـ/٧٣٦م [6] .

واستمرت دراسة النحو واللغة في الإسكندرية بعد ذلك حيث ازدهرت مدرسة النحو بها في العصر الفاطمي ، وأصبح جامع العطارين قبلة طلبة اللغة والنحو بالإسكندرية ، واشتهر العديد من علماء النحو بها مثل : عمر بن يعيش السوسي النحوي ، والذي قرأ عليه النحو أكثر أهل الإسكندرية [7] وأبو الحرم مكي بن محمد بن عيسى بن مروان النحوي المتوفي بالإسكندرية في عام ٥٠١هـ/١١٠٧م [8] .

---

(١) النحو : علم يُبحث فيه عن أواخر الكلام إعرابا ، وبناء الكلام قول مفيد مقصود الكلمة ، السيوطي ، كتاب النقاية ، ص٢٧٣-٢٧٥ ؛ كتاب اتمام الدراية لقراء النقاية ، ص١٠٣-١٢١ .

(٢) جرجي زيدان ، تاريخ اداب اللغة العربية ، جـ٢ ، ص١٤٨ ؛ أحمد أحمد بدوي ، الحياة العقلية، ص١٩٨ .

(٣) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص٩٠-٩١ .

(٤) نفسه ، ص٩٦-٩٧ . (٥) محمد زغلول سلام ، الأدب في العصر المملوكي ، ص١٤٨ .

(٦) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط . ثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٢١، رقم ٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، جـ٧ ، ص٢٧٩ ، رقم ١٧١٨ ؛ القفطي، أنباء الرواة، جـ٢ ، ص١٧٢ ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، جـ٢ ، ص٥٦٢ .

(٧) السيوطي ، بغية الوعاء ، جـ٢ ص٢٢٨ ، رقم ١٨٥٩ .

(٨) نفسه ، جـ٢ ، ص٢٠٠ ، رقم ٢٠٢٠ .

والحسن بن جعفر بن حسن بن عبد الرحمن بن مروان النحوي الأسكندري ، وله كتاب في النحو سماه " المذهب " ، وعبد الكريم بن علي بن محمد القضاعي النحوي الملقب بالبارع ، وكان يقرأ النحو بجامع العطارين وله حلقة به [1] .

ومع زيادة بناء المدارس بالإسكندرية في عصر سلاطين الأيوبيين وهجرة العديد من علماء اللغة إلى الإسكندرية وبخاصة المغاربة والأندلسيين أخذت دراسة اللغة والنحو بالإسكندرية قوة وكثرت المؤلفات في اللغة بجميع فروعها .

ومما ساعد على نمو علم النحو في الإسكندرية في نهاية عصر دولة الأيوبيين وبداية عصر سلاطين المماليك قدوم عالم اللغة والنحو الشهير ابن الحاجب [2] الذي اتخذ من الإسكندرية موطنا ولست أدري سبب انتقاله إلى الإسكندرية ، ولا تاريخ انتقاله إليها ، لعل ذلك يرجع إلى أنه لم يجد في القاهرة من يحسن إليه ، ويشعر بحاجته فيكفيه مؤونه البحث ، الأمر الذي بحث عنه في الإسكندرية المزدهرة تجاريا وكثرة مدارسها ، والأوقاف الموقوفة عليها وعلى العلماء بها ، كما يرجح سبب انتقاله إليها موت شيخ العربية بالإسكندرية عيسى بن عبد العزيز الأسكندراني المتوفي في عام ٦٢٩هـ/١٢٣٢م والذي له مدرسة هامة من مدارس النحو مقرها الإسكندرية لعله يأخذ مكانه في قيادة هذه المدرسة من بعده ، وبانتقال ابن الحاجب إلى الإسكندرية قوي علم النحو بها ، حيث شغلت دراسة النحو حيزا كبيراً من تفكيره وغلب عليه دراسة النحو ،

---

(١) القفطي ، أنباء الرواة ، جـ٢ ، ص١٩١ رقم ٤٠٥ ؛ ابن أيبك الصفدي ، نكت الهيمان ، ص١٩٥ ، الوافي جـ١٩ ، ص٨٢ ، رقم ٨٢

(٢) جمال الدين أبو عمروعثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدّوني ثم المصري المعروف بابن الحاجب لأن أباه كان حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاحي ، فغلبت عليه النسبة إلى وظيفته ، ولد بأسنا بالصعيد الأعلى عام ٥٧٠ هـ أو عام ٥٧١ هـ ، وانتقل إلى القاهرة فتعلم بها وحفظ القرآن ، ودرس علم القراءات على الشاطبي ثم انتقل إلى دمشق وألقى بعض دروسه بالزاوية المالكية بالجامع الأموي بدمشق ، ثم خرج من دمشق مع الشيخ عز الدين بن عبد السلام بسبب خلافهما مع صاحب دمشق الملك الصالح إسماعيل بسبب تعاونه مع الصليبيين وعاد إلى القاهرة وتصدر بالتدريس بالمدرسة الفاضلية التي أنشأها القاضي الفاضل ، ثم انتقل إلى الإسكندرية . انظر :- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢٤٨ رقم ٤١٣ ؛ الأدفوي ، الطالع السعيد ، ص٣٥٢ رقم ٢٧٧ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ، ص٢٦٤-٢٦٦ ، رقم ١٧٥ ؛ طبقات القراء ، جـ٣، ص١١٢١-١١٢٥ رقم ١٠٤٠ ؛ أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص١٨٢ ؛ ابن قنفذ ، الوفيات ، ص٣١٩ ، رقم ٦٤٧ ؛ اليافعي ، مراة الجنان ، جـ٤ ، ص١١٤-١١٥ ؛ ابن كثير ، البداية ، جـ١٣ ، ص١٨٨ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، المذهب ، جـ٢ ، ص٨٦-٨٩ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٩ ، ص٤٨٩-٤٩٦ ؛ عبد الباقي عبد المجيد اليماني ، إشارة التعيين ، ص٢٠٤-٢٠٥ رقم ١٢١ ؛ ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ١ ، ص٤٤٠ رقم ١٥٢١ ؛ المنهل الصافي ، جـ٧ ، ص٤٢١ رقم ١٥٢٧ ؛ النجوم الزاهرة ، جـ٦ ، ص٣٦ ؛ ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ١ ، ص٥٠٨-٥٠٩ ، رقم ٢١٠٤ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٤٥٦ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ق١ ص٢٧٧ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٥ ص٢٣٤ .

وقصده الطلبة من كل فج عميق ليأخذوا عنه علوم الفقه والنحو ، وانتفع بعلمه عدد كثير من هؤلاء التلاميذ والذين أصبحوا فيما بعد أعلاماً في هذا الفن ونجوماً في سمائه[1] .

وخلف لنا ابن الحاجب تراثاً ضخماً من المصنفات ، وبخاصة في علم النحو ، وكتبه النحوية تعد مدرسة قائمة بذاتها ، عاش على فائدتها النحويون ، فوصف الأدفوي كتب ابن الحاجب " إن الناس انتفعوا بتصانيفه لما فيها من كثرة النقل مع صغر الحجم ، وتحرير اللفظ " [2] مما يدل على أنه تمكن من اللغة ، مُلما بأسرارها مما يسر له كثرة النقل والرواية ، وأشهر كتب ابن الحاجب النحوية " كتاب الكافية " [3] والذي يمثل القوانين العامة ، أو الخطوط الرئيسية في علم النحو ، اختصر فيه كتاب " المفصل " للزمخشري وتجدر الإشارة إلى أن ابن الحاجب عمد في الكافية إلى التلخيص والإيجاز لدرجة أن الدارس لها يجد صعوبة في فهمها ، لذا عمد ابن الحاجب نفسه إلى شرح " مقدمته في النحو " الكافية [4] وسمي هذا الشرح بـ " الوافية " [5] .

ولابن الحاجب " كتاب الشافية " أجمل فيها علم الصرف [6] ثم شرح ابن الحاجب كتاب " الشافية " [7] ثم قام ابن هشام بشرحها في مجلدين سماه " عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب " [8] . ومن مصنفات ابن الحاجب في النحو " الأمالي " [9] والتي تضمنت أراءه في بعض المشكلات النحوية وتوجيهات لبعض الآيات القرآنية وتعليقات على كتاب " المفصل " للزمخشري [10] وله شرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي المتوفي في عام ٣٣٧هـ وسماه باسم " المكتفى للمبتدي" [11] وشرح المفصل وعاصر ابن الحاجب بالإسكندرية العديد من علماء اللغة والنحو منهم أبو عبد الله

---

(١) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية ، ص٢٢٠-٢٢١ ؛ شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ص٣٤٣ ؛ محمد زغلول سلام ، الأدب في العصر المملوكي ، ص١٤٩ .

(٢) الأدفوي ، الطالع السعيد ، ص٣٥٤ ؛ ابن قاضي شهبة ، طبقات اللغويين والنحاة ، جـ٢ ، ص١٢٧-١٢٩ .

(٣) عرفها حاجي خليفة بأنها " مختصرة معتبرة ، مغنية عن التعريف ، وهي دستور هذا الفن ، إذ بها يُعرف أكثر مسائلة " انظر : كشف الظنون ، مج٣ نهر١٣٧ وما بعده .

(٤) مكرم ، المدرسة النحوية ، ص٦٤-٦٥ .

(٥) السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٤٥٦ ؛ الزركلي ، الأعلام ، جـ٤ ، ص٣٧٤ .

(٦) علم يبحث فيه عن أبنية الكلمة وأحوالها صحة وأعلالا . انظر : السيوطي ، النقاية ، ص٢٧٥-٢٧٧ ؛ اتمام الدراية ، ص١٢٠-١٢٩ .

(٧) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ص١٠٢٠ ؛ طاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة ، جـ١ ص١١٧ .

(٨) حاجي خليفة ، نفسه ، مج٢ ص١٠٢٠ ؛ إسماعيل البغدادي ، إيضاح المكنون ، جـ١ ص٣٥١، هدية العارفين ، جـ١ ص٦٥٤ .

(٩) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٠٧ نحو ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ص٤٥٦ .

(١٠) مكرم ، المدرسة النحوية ، ص٦٦ .

(١١) حاجي خليفة، نفسه، مج١ ، ص١٢١٢ ؛ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ٦ ، ص٢٦٥ .

محمد بن مكي بن محمد بن عبد الله الأنصاري النحوي ، والذي ألف في النحو كتاباً سماه " عمدة الكامل في ضبط العوامل " [١] .
للزمخشري وسماه " الإيضاح " [٢] وشرح كتاب سيبويه [٣] وله العديد من المؤلفات في مجالات العربية الأخرى مثل قصيدة في المؤنثات السماعية [٤] . وله منظومة في علم العروض من البحر البسيط سماها " المقصد الجليل في علم الخليل " [٥] .

وتجدر الإشارة إلى أن ابن الحاجب يعد أول نحوي في مصر نزع بالنحو نزعة فلسفية ، وذلك أن ابن الحاجب أصولي نظار يميل إلى الفلسفة والمنطق والقياس والتعليل [٥] وذكر ابن كثير بأنه " اشتغل بالعلم فقرأ القراءات وحرر النحو تحريراً بليغاً، وتفقه وساد أهل عصره ثم كان رأساً في علوم كثيرة ، منها الأصول والفروع والعربية والتصريف والعروض والتفسير وغير ذلك . " [٦] .

وسادت هذه الروح منذ أن نبغ في علم الأصول ، وهو علم تقوم قضاياه على النهج المنطقي ، والذي ترك أثره في اتجاهات ابن الحاجب في كتابه النحو ، وصلة النحو بالفلسفة قديمة حيث تأثر ابن الحاجب بمدرسة النحو في البصرة وعلى رأسها سيبويه ، وكانت البصرة مركزاً هاماً لفلاسفة المعتزلة الذين تأثروا بالمنطق الأرسطي[٧].

واستطاع ابن الحاجب الاستفادة من كل المدارس النحوية التي سبقته يأخذ منها ما يتفق معه ويترك ما لا يستسيغه منها مما جعله مدرسة نحوية مستقلة في آرائه ، وتوجيهاته ، بعيد عن التعصب ، ونزعات الهوى ، يحيط آرائه بأدلته ، يستشهد بالقرآن الكريم ، وبالقراءات المتواترة ، وبالكلام العربي الفصيح ، يستخدم القياس وقضايا المنطق في مسائل النحو ، وينظر إلى العلة نظرة التقديس والإجلال [٨] .

وختم ابن الحاجب حياته بالإسكندرية وذلك في عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م تاركاً مدرسة للنحو بالمدينة وتلاميذ عديدون ، ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ الصالح ابن أبي شامة في حي الشاطبي حالياً [٩]. وعاصر بن الحاجب بالإسكندرية العديد من علماء اللغة والنحو منهم أبو عبد الله محمد بن مكي بن محمد بن عبد الله الأنصاري النحوي ،

---

(١) السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٤٥٦ ؛ حاجي خليفة ، نفسه ، مج٢ ص١٧٧٤ ؛ أحمد أحمد بدوي ، الحياة العقلية ، ص١٠٧ ؛ وتوجد نسخة منه بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ٥٤٥ ب ، مكتبة سوهاج رقم ٥ نحو .
(٢) أبي بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه ت ١٨٠هـ ، كشف الظنون ، ص١٤٢٦ .
(٣) طبعها لويس شيخو ، بيروت عام ١٩٠٨ . انظر:مكرم ، المدرسة النحوية ، ص٦٨ .
(٤) مكرم ، نفسه ، ص٦٨-٦٩ .
(٥) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية ، ص٢٢١ .
(٦) ابن كثير ، البداية ، جـ١٣ ، ص١٨٨ .
(٧) مكرم ، المدرسة النحوية ، ص٦٢ .
(٨) نفسه ، ص٩٢ .
(٩) الأدفوي ، الطالع ، ص٣٥٤ ؛ ابن فرحون . الديباج المذهب ، جـ٢ ، ص٨٩ .

والذي ألف كتاباً في النحو سماه "عمدة الكامل في ضبط العوامل" (١)

ومن أهم علماء اللغة والنحو في الإسكندرية خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي محيي الدين محمد بن عبد الله بن عبد العزيز النحوي المعروف بحافي رأسه (٦٠٦-٦٩٣هـ/١٢٠٩-١٢٩٤م ) (٢) والذي يعد من أئمة العربية بالإسكندرية وتصدر لأقراء العربية زماناً بها ، فكان أماماً في النحو ، وعليه تخرج أهلها ، وأجازه الجلسة ، مكباً بالاشتغال بالعربية ، ولا نعلم له مصنفات في العربية . وتوفي بالإسكندرية وإن اختلف في العام الذي توفي فيه ما بين أعوام ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م (٣) وعام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م(٤) ، وعام ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م (٥) . ومن أهم تلاميذ حافي رأسه والذين أخذوا علم النحو عنه ، العالم اللغوي الشهير أثير الدين أبو حيان الأندلسي (٦) والذي رحل من الأندلس في عام ٦٧٩هـ/١٢٨٠م ونزل الإسكندرية وأخذ عن علمائها وعلى رأسهم في العربية حافي رأسه وأخذ القراءات عن علمائها أبي محمد عبد النصير بن علي المريوطي وسمع الحديث علي عبد الوهاب بن الفرات ومحمد بن الدهان ، وعبد الله بن محمد بن فارس ودرس أبو حيان بالإسكندرية ، وأخذ عنه العديد من الطلبة ثم انتقل إلى القاهرة وظل بها حتى وفاته بها عام ٧٤٥هـ/١٣٤٤م (٧) .

---

(١) المقريزي ، المقفى الكبير ، جـ٧ ، ص٢٩٢-٢٩٣ ؛ رقم ٣٣٥٩ .

(٢) ولد بتلمسان في عام ٦٠٦هـ ؛ وهاجر إلى الإسكندرية ، ولقب بحافي رأسه لحفر كانت في دماغه ، وقيل كان في رأسه شيء يشبه حرف " خ " ، وقيل لأنه كان في أول مرة مكشوف الرأس ، وقيل رآه رئيس في الإسكندرية فأعطاه ثيابا جددا لبدنه ، فقال : هذا لبدني ورأسي حافي ، فأمر له بعمامة فلزمه ذلك . انظر : اليماني ، إشارة التعيين ، ص٣٢٢-٣٢٣ ، رقم ١٩٢ ؛ العبدري رحلة العبدري ، ص٢٦٧ ، ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٣ ، ص٣٦٤-٣٦٥ رقم ١٤٤٢ ؛ ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٣ ص٤٠٩-٤١٠ رقم ٤٧٣ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٧ ، ص٣٠ رقم ٣٠٩٧ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٤ ص٣١٠ رقم ٤٣٧٧ ؛ السيوطي ، بغية الوعاء ، جـ١ ص١٣٨ رقم ٢٢٨ ؛ حسن المحاضرة ، جـ١ ص٥٣٣ .

(٣) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٣ ، ص٤١٠ .

(٤) اليماني، إشارة التعيين، ص٣٢٢؛ السيوطي، بغية الوعاء، جـ١ص١٣٨، حسن، جـ١، ص٤٣٣ . (٥) المقريزي ، المقفى ، جـ٧ ، ص٣٠ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٤ ، ص٣١٠ .

(٦) ولد بمدينة مطخشارش من أعمال غرناطة عام ٦٥٤هـ ؛ ورحل في طلب العلم ببلاد الأندلس ، ثم بدأ رحلته إلى المشرق في ذي الحجة عام ٦٧٨هـ ، وأصبح أبو حيان فريد دهره وشيخ النحاة في عصره وإمام المفسرين في وقته والمحدث والنحوي واللغوي والمفسر صاحب التصانيف المشهورة . انظر: ابن رافع السلامي ، الوفيات ، جـ١ ، ص٤٨٢-٤٨٣ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، جـ٩ ، ص٢٧٦ ، رقم ١٣٣٦ ؛ ابن شاكر الكتبي ، فوات ، جـ٤ ، ص٧١ رقم ٥٠٦ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٥ ، ص٢٦٧ رقم ٢٣٤٥ ، نكت الهيمان ، ص٢٨٠ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٧ ، ص٥٠٣-٥٠٨ ، رقم ٣٦٠٠ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٥ ، ص٧٠ ، رقم ٤٦٩٣؛ الأسنوي ، طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٤٥٧ ، رقم ٤١٤ ؛ السيوطي ، بغية الوعاء ، جـ١ ص٢٨٠ رقم ٥١٦ ؛ المقرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ص٥٣٥ ، رقم ٢١٦ .

(٧) شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص٣٢٠-٣٢٦؛ مكرم ، المدرسة النحوية، ص٢٧٥-٣٥١ .

ومن علماء العربية بالإسكندرية بهاء الدين أحمد بن أبي بكر بن عرام (٦٦٤-٧٢٠هـ/١٢٦٦-١٣٢٠م ) الأسواني المحتد ، الأسكندراني المولد ، تلميذ محيي الدين حافي رأسه وأخذ علم النحو عنه وعلي ابن النحاس ، وتصدر لإقراء العربية بجامع العطارين بالإسكندرية ، وله نظم ونثر وتوفي بالقاهرة في شوال عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م[١] وأخوه عبد الله بن أبي بكر بن عرام الأسكندراني (٦٥٤-٧٢١هـ/١٢٥٦-١٣٢١م) ومهر بالعربية ، واشتغل بالنحو والتصريف ، وتتلمذ على محيي الدين حافي رأسه، وحفظ كثيراً من شعر العرب ، وذكر ابن أيبك الصفدي أنه " كان يقرىء النحو والعربية بالإسكندرية توفي بالإسكندرية عام ٧٢١هـ/١٣٢١م [٢] .

ومن علماء اللغة في الإسكندرية تاج الدين عمر بن علي بن سالم اللخمي الأسكندراني المعروف بالفاكهاني، ولد بالإسكندرية في عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م ، أخذ عن علمائها في علوم عصره ، وفاق في العديد من تلك العلوم ، ووصفه الذهبي بـ " الإمام النحوي المتقن " [٣] وذكر ابن حجر بأنه " مهر في العربية والفنون وله عدة مصنفات منها " شرح العمدة " و "الإشارة في النحو "[٤] وغير ذلك من المصنفات " واختلف في تاريخ وفاته ما بين عامي ٧٣١هـ/١٣٣٠م [٥] ، وعام ٧٣٤هـ/١٣٣٣م [٦] .

ونبغ عدد كبير من علماء الإسكندرية في علوم اللغة في النصف الأول من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، ويأتي على رأسهم ناصر الدين أحمد بن محمد بن عطاء الله الأسكندراني ، المشهور بـ سبط ابن التنسي ( بفتح المثناه والنون ثم مهملة ) وهو من أسرة سكندرية مشهورة بالرئاسة والعلم ، ولد بالإسكندرية عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩ م ، نشأ بها وطلب العلم وبرع في الفقه والأصول والعربية واللغة والمنطق والجدل وذكر ابن حجر بأنه " مهر وفاق الأقران في العربية " [٧] .

---

(١) الأدفوي ، الطالع ، ص٧٣-٧٥ ، رقم ٣٢ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٦ ، ص٢٧٠-٢٧١ ، رقم ٢٧٦٥ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ص٢١٢ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ١ ص١١٩-١٢٠ رقم ٣٠٩ ؛ السيوطي ، بغية ، جـ١ ، ص٢٩٩ ، رقم ٥٤٨ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ١ ، ص١٧٨ .

(٢) الأدفوي ، الطالع ، ص٢٧٥ رقم ١٩٦ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٧ ، ص٨٨ رقم ٧٦ ؛ أعيان العصر ، جـ٢ ، ص٦٥٧-٦٥٨ رقم٨٥٩؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٢ ، ص٣٥٦ رقم ٢١٢٦ ؛ السيوطي ، بغية ، جـ٢ ، ص٣٥ رقم ١٣٦٦ .

(٣) معجم محدثي الذهبي ، ص١٢٧ رقم ٢٢٦ .

(٤) الدرر ، جـ٣ ص٢٥٤-٢٥٥ رقم ٣٠٣٨ .

(٥) ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٣ ص٦٤٤ رقم ١٢٨٢ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٣ ص٢٥٥ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٦ ص٩٧ .

(٦) الذهبي ، معجم محدثي الذهبي ، ص١٢٧ ؛ ابن كثير ، البداية ، جـ١٤ ص١٧٧ ؛ ابن الوردي تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، ص٤٢٤ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٤٥٨ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ق١ ص٤٦٩ .

(٧) ابن حجر، ذيل الدرر، ص٦٧رقم٧؛ رفع الأصر، ق١، ١٠٧-١٠٨؛ أنباء الغمر، جـ٢ ص٦٣

وقام ناصر الدين بن التنسي بشرح كتاب " تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد " لابن مالك المتوفي عام ٦٧٢هـ/١٢٧٣م [١]، وأما السخاوي فيذكر أنه شرع في شرحه على التسهيل وصل فيه إلى التصريف بل عمل تعليقاً على مختصر ابن الحاجب الفرعي وكذا شرح المختصر الأصلي وللكافية كلاهما له " [٢] وتوفي في عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م [٣].

أما محمد بن أبي بكر الدماميني فيعد أشهر لغوي سكندري في العصر المملوكي، بحيث فاق في العربية والنحو والأدب شعراً ونثراً والفقه ويعد خطيباً مفوهاً، تصدر لتدريس النحو بالجامع الأزهر، ثم رحل إلى الهند فزادت شهرته فأقبلوا عليه، وأخذوا عنه وعظموه وحصل دنيا عريضة، وتوفي بها [٤].

وترك لنا الدماميني العديد من المؤلفات في علوم اللغة منها كتاب " تحفة الغريبة في حاشية مغنى اللبيب " شرحاً على كتاب " المغنى لابن هشام المتوفي في عام ٧٦١هـ/١٣٥٩م، وله كتاب " الروضة الأدبية في شواهد علوم العربية " وهو يشرح الشواهد الشعرية التي أوردها ابن جني في كتابه " اللمع "، وله " كتاب شرح به كتاب " التسهيل لابن مالك " وسماه " تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد "، وله شرح " الخزرجية " و " جواهر البحور في العروض " وكلها في علوم اللغة وله مصنفات في علم الحديث والفقه، وتوفي الدماميني مسموماً بالهند في عام ٨٢٨هـ / ١٤٢٥م [٥].

---

(١) مكرم، المدرسة النحوية، ص١٨٠-١٨١.

(٢) الضوء اللامع، جـ٢، ص١٩٢، رقم ٥٢٥.

(٣) المقريزي، السلوك، جـ٣ ق٣ ص٩٧٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، جـ١ ص١٥٢ رقم ٢٩١؛ الدليل الشافي، جـ١ ص٨٢ رقم ٢٨٩؛ النجوم، جـ١٣، ص١٠؛ السخاوي، وجيز الكلام، جـ١ ص٣٣٩-٣٤٠؛ السيوطي، بغية، جـ١، ص٣٨٢-٣٨٣، رقم ٧٤٢؛ حسن المحاضرة، جـ١ ص٤٦١.

(٤) ولد بالإسكندرية عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م؛ وهو من أسرة جمعت بين العلم والرياسة والتجارة، حيث نبغ العديد من أبناءها وكانوا رؤساء تجار الكارم، كما كانوا قضاة ومحتسبي الإسكندرية، وتولى التدريس بعدة مدارس بالإسكندرية وتولى خطابة الجامع الغربي، وكان له دولاب متسع للحياكة ولكن شب حريق بداره ذهبت أمواله وكثرة ديونه مما جعله يترك الإسكندرية واستقر به المقام بالهند ويذكر أنه مات مسموما، انظر، السخاوي، الضوء اللامع، جـ٨ ص١٨٤-١٨٥ رقم ٤٤٠.

(٥) المقريزي، السلوك، جـ٤ ق٢ص٧٠٢؛ ابن حجر، أنباء الغمر، جـ٣ ص٣٦١-٣٦٢، ذيل الدرر، ص٣٠٤ رقم ٥٩٩، ابن تغري بردي، الدليل الشافى، جـ٢ ص٥٨٣-٥٨٤ رقم ٢٠٠٣، النجوم الزاهرة، جـ١٥ ص١٢٨ السخاوي، الضوء، جـ٧ ص١٨٤ رقم ٤٤٠؛ السيوطي، بغية الوعاء، جـ١ ص٦٦-٦٧ رقم ١١٣؛ حسن المحاضرة، جـ١ ص٥٣٨؛ الشوكاني، البدر الطالع، ص٦٦٦-٦٦٧ رقم ٤٢٨؛ ابن القاضي، درة الحجال، جـ٢ ص٢٨٦، رقم ٨٠٦؛ ابن إياس، بدائع، جـ٢ ص٩٨-٩٩؛ شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص٣٥٧؛ محمد عيسى صالحية، المعجم الشامل، جـ٢ ص٣٤٣؛ حاجي خليفة، كشف الظنون جـ١ ص١٧٥١؛ مكرم، المدرسة النحوية ص٣٧٢-٣٧٣.

مما سبق يتبين لنا أن علوم اللغة في الإسكندرية في العصر المملوكي اعتمدت على أمهات الكتب التي وضعت من قبل من خلال علماء اللغة مثل سيبويه وابن أبي علي الفارسي والزمخشري وابن جني وغيرهم من العلماء . وقام علماء اللغة في الإسكندرية وغيرهم البلاد الأخرى بتلخيص هذه الكتب في هيئة مجموعة من القواعد ، ثم قاموا بشرح هذه المختصرات والمخلصات فكثرة الشروح على تلك الملخصات وكثرة الحواشي مما أفقد الإبداع في التأليف في علوم اللغة وكله تحصيل حاصل ليس إلا . مما يدل على تدهور وضعف اللغة العربية وقتئذ ، ويرجع ذلك كثرة الألفاظ الفارسية والتركية والتي كان يتكلم بها أصحاب السلطة في مصر ، فضلاً عن سيطرة العامية في كثير من الأوقات في بعض المؤلفات مما يعطينا صورة للعصر ، كما أن الإسكندرية وجد بها أكثر من ثلاثين جالية أجنبية مما يترك أثره في لغة الحديث والتأليف في الإسكندرية على وجه الخصوص ، فعلى سبيل المثال فلو أطلعنا على كتاب الإلمام للنويري السكندري نجد أن الكتاب ملىء بالمصطلحات الأجنبية والخاصة بالأوروبيين ، الأمر الذي تطلب وجود قاموس أوروبي – عربي يسمى " الترجمان " (١)

وأنه يستخدم بين مثقفي الإسكندرية مما يعد سابقة فريدة من نوعها في تاريخ العلاقات الثقافية بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي في العصور الوسطى انفردت به الإسكندرية عن غيرها (٢) .

(١) ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص١٠١ .

(٢) على الرغم من أهمية ما توصلنا إليه من وجود هذا الكتاب في الإسكندرية في العصر المملوكي إلا أننا حاولنا البحث عنه في معاجم المؤلفين كحاجي خليفة والبغدادي وبروكلمان وكحالة وللأسف لم نجد له ذكر في أي منها .

## ثانياً : العلوم العقلية :-

بالإضافة إلى اهتمام علماء الإسكندرية وقتئذ بالعلوم النقلية من التفسير والقراءات والحديث والفقه وغير ذلك من العلوم ، فنجد أن العلوم العقلية ، مثل الطب والحساب والهيئة ( الفلك ) والمنطق والجدل وغيرها من العلوم المعتمدة على الاستنباطات العقلية لم تكن على نفس درجة الاهتمام ، حيث حرم بعض الفقهاء الاشتغال بالفلسفة والمنطق وعلى رأسهم أبو حامد الغزالي ، ولم يكن ذلك قاصرا على علماء الإسكندرية بل يمثل سمة عامة من سمات الحياة العلمية في العصر المملوكي .

ومع ذلك نجد بعض علماء الإسكندرية ومثقفيها يهتمون بهذه العلوم ولهم مؤلفات فيها وإن كان عدد هؤلاء العلماء قليل جداً بالنسبة لاهتمامهم بالعلوم النقلية ومن هذه العلوم .

### علم الطب :-

اشتهر علم الطب في الإسكندرية منذ عصر البطالمة حيث نشأت مدرسة الإسكندرية العلمية ، ونبغ عدد كبير من علمائها في علم الطب وخصص لهم ابن أبي أصيبعة في كتابه " عيون الأنباء في طبقات الأطباء " باباً خاصاً بهم [١] .

واستمرت هذه المدرسة قائمة في أداء رسالتها في ازدهار علم الطب في الإسكندرية بعد الفتح الإسلامي للإسكندرية ، إذ نبغ عدد كثير منهم مثل الطبيب عبد الملك بن أبجر الكناني الذي يعد " طبيبا عالما ماهرا " وتولى تدريس علم الطب في الإسكندرية وتذكر المصادر على اعتماد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز عليه في صناعة الطب بعد أن أسلم على يديه ، وعن قيامه بنقل تدريس الطب من الإسكندرية إلى كل من إنطاكية وحران في أواخر القرن الأول للهجرة [٢] .

وعلى الرغم من انتقال تدريس الطب من الإسكندرية إلى كل من إنطاكية وحران فظلت الإسكندرية مشهورة بتدريس علم الطب وظهر العديد من الأطباء البارعين والذين فاقت شهرتهم الأفاق ، من هؤلاء ، الطبيب بليطان الأسكندري المتوفي عام ١٨٦هـ/٨٠٣م والذي تولى بطركية الملكانيين بالإسكندرية لمدة ستة وأربعين عاماً ، وبلغ من شهرته أن طلبه الخليفة العباسي هارون الرشيد لعلاج إحدى جواريه [٣] .

ومما ساعد على ازدهار دراسة الطب في الإسكندرية في العصرين الأيوبي والمملوكي وجود البيمارستان الذي أسسه صلاح الدين بن أيوب في الإسكندرية والذي قام بعبء تدريس علم الطب في الإسكندرية وضم بين جانبيه عددا كبيرا من الأطباء

---

(١) دار الثقافة ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، جـ٢ ص٣-١٣ .
(٢) ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة ، ١٩٥٥ ص٥٩ ؛ ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، جـ٢ ص٢٤ ؛ صاعد ، طبقات الأمم ، ص٤٨؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٤٨ ؛ عبد الرحمن بدوي ، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، ص٦٥ ؛ أحمد عبد الرازق ، الحضارة الإسلامية ( العلوم العقلية ) ، ص١٤٦ .
(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ص٢٣٢ .

الذين تولوا التدريس به مع الإشراف على علاج المرض داخل وخارج البيمارستان بالإسكندرية (١) .

وتجدر الإشارة إلى أن معظم أطباء الإسكندرية قبل العصر الأيوبي كانوا من غير المسلمين وبخاصة من النصارى ، ولكن منذ إنشاء البيمارستان الصلاحي في الإسكندرية تكونت مدرسة طبية بها أصبح معظم الأطباء من المسلمين ولم تمدنا المصادر المعاصرة عن أي طبيب من أهل الذمة في الإسكندرية طوال العصرين الأيوبي والمملوكي ، وهذا إن دل فإنه يدل على أن علم الطب لم يعد حكراً على أهل الذمة في الإسكندرية كما كان في الفترات السابقة .

وأمدتنا المصادر التاريخية المعاصرة بأسماء بعض الأطباء وعلماء الطب في الإسكندرية ومن أشهر هؤلاء الأطباء أبو محمد عبد الله بن خلف بن حديد الأسكندراني المالكي الطبيب المتوفي عام ٦١٠هـ/١٢١٣م الذي برع في العلوم النقلية وبخاصة علم الحديث ، فضلاً عن امتهانه مهنة الطب (٢) .

ومحمد بن عبد الرحمن بن الحسن الميماسي الطبيب الأسكندراني والمتوفي بها عام ٦٢٥هـ/١٢٢٨م ، والذي أصبح من الشهود العدول في الإسكندرية بالإضافة إلى عمله طبيباً (٣) وحسان بن عبد الرحمن الجهني المهدوي الأصل الأسكندراني المولد والدار والوفاة المتوفي عام ٦٤٢هـ/١٢٤٤م والذي برع في علم الأصول وعلم الطب وعلم الحديث وسمع من الحافظ السلفي (٤) .

ومن أطباء الإسكندرية محمد بن الحسن بن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن ساطر ( بسين وطاء مهملتين ) الأسكندراني المالكي الطبيب ، المعروف بابن البوني (بالباء الموحدة وواو ثم نون بعدها ياء آخر الحروف) ولد بالإسكندرية عام ٦٢١هـ/١٢٢٤م وأخذ الطب بها عن حسان بن عبد الرحمن الجهني المهدوي وأجاز له تدريس علم الطب وعلم الحديث (٥) وأخذ عنه الرحالة ابن رشيد السبتي بالإسكندرية أثناء رحلته العلمية بها (٦) ، وتوفي بالإسكندرية عام ٦٨٩هـ/١٢٩٠م (٧) .

وبرع في علم الطب في الإسكندرية بعض المغاربة نزلاء الإسكندرية مثل عبد الواحد بن اللوز المغربي نزيل الإسكندرية الذي برع في علم الطب والفلك والتاريخ

---

(١) عن البيمارستان الصلاحي بالإسكندرية ، انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة .
(٢) المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، جـ١ ص٢٨٢-٢٨٣ ، رقم ١٣٠٧ .
(٣) المقريزي ، المقفى ، جـ٦ ص٢٤ رقم ٢٤٠٣ .
(٤) المنذري ، التكملة لوفيات ، جـ٣ ص٦٣٥-٦٣٦ رقم٣١٤٩ ؛ في حين ذكر كلا من الذهبي والمقريزي وفاته عام ٦٣٦هـ ، انظر : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ص١٤٢٤ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٣ ص٢٧٣ رقم١١٣٨ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافى ، جـ١١ ، ص٣٦٢ رقم٥٢٧ .
(٥) المقريزي ، المقفى الكبير ، جـ٥ ، ص٥٤٧-٥٤٨ رقم ٢٠٦٥ .
(٦) ابن رشيد ، رحلة ابن رشيد ، تحقيق نجاح صلاح ، ص٢-٥ .
(٧) ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ٢ ص٢١-٢٢ رقم ٢٦١ .

وتوفي بالإسكندرية في عام ٧٨٠هـ/١٣٨٢م [١] .
وبلغ من ازدهار وعلم الطب في الإسكندرية وقتئذ أن أصبح اثنان من أبنائها رؤساء الأطباء في دولة المماليك وهما خليل بن علوة الأسكندراني رئيس الأطباء وبعد وفاته أصبح ابنه إبراهيم بن خليل بن علوة الأسكندراني رئيس الأطباء من بعده والذي أشارت المصادر التاريخية إلى أنه كان حاذقاً في الطب وله معرفة تامة به [٢] .
بل نجد من قضاة الإسكندرية من اشتغل بعلم الطب مثل ناصر الدين محمد بن عبد الله الدمشقي المعروف بابن تيمية قاضي الإسكندرية الذي كان عارفا بعلم الطب وتوفي في عام ٨٣٧هـ/١٤٣٤م [٣] .
فضلا عن ذلك اهتم بعض نواب الإسكندرية بعلم الطب مثل خليل بن شاهين الشيخي الذي اهتم بعلم الطب وله فيه مؤلف وهو كتاب " الغاية في الطب " [٤] .
كما قدم الإسكندرية العديد من الأطباء المهرة مثل محمد بن عبد القادر الدمشقي الطبيب المشهور والحاذق في صناعة الطب حيث أخذه عن والد عبد القادر الدمشقي رئيس أطباء دمشق ، وأصبح ماهراً في الطب الطبائعي – وهم الذين يتصدون لعلاج الأمراض الباطنية – ورحل إلى الإسكندرية ليأخذ عن علماء الطب بها وتوفي عام ٩٠٩هـ/١٥١٥م [٥] .
مما سبق نجد أن علم الطب ارتبط بالعلوم النقلية ، حيث أن علماء الطب في الإسكندرية برعوا في العلوم النقلية وبخاصة علم الحديث ، وساعد على دراسة علم الطب في الإسكندرية وجود البيمارستان الصلاحي بها الذي يعد مدرسة متخصصة لدراسة الطب .

ومن العلوم العقلية التي اشتغل بها مثقفوا الإسكندرية **علم الحساب** ، وهذا العلم يهيىء صاحبه لتولي الوظائف الديوانية التابعة للدولة وبخاصة الوظائف المالية ، لذا اهتم بها أهل الإسكندرية على اعتبار أن مدينتهم مدينة تجارية تعتمد التجارة بها على الحسابات والإحصاء ، كما اهتم علماء الدين بعلم الحساب لارتباطه بعلم الفرائض الخاص بالمواريث ، لذا نجد ارتباطاً بين علم الفرائض وعلم الحساب فمن علماء الإسكندرية الذين اهتموا بعلم الحساب ، أبو حفص عمر بن حسان السكندري المالكي المعروف بابن الميلي المتوفى عام ٦٣٤هـ/١٢٣٧م ، اذ اشتغل بالحساب ، وبرع فيه مما أهله لتولي ديوان الأحباس بالقاهرة حتى وفاته [٦] .

---

(١) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، مج٩ ص٤٤ .
(٢) توفي عام ٨٢٢هـ/١٤٢٥م ، انظر : المقريزي ، السلوك ، جـ٤ ص٥١٤ ؛ ابن حجر ، أنباء، جـ٣ ص١٩٤ ؛ ابن تغرى بردي ، النجوم ، جـ١٤ ص١٥٩ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ٢ ص٤٤
(٣) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ٣ ص٥٣٢ ؛ السخاوي ، الضوء ، جـ٩ ص١٢٥ رقم٣٠٧
(٤) عبد الباسط بن خليل ، الروض الباسم ، جـ٣ ق١٣٦ أ .
(٥) الغزى ، الكواكب السائرة ، جـ٢ ، ص٤٤ .
(٦) المنذري ، التكملة ، جـ٣ ص٤٣٧ رقم٢٧٠٨ .

ومجد الدين محمد بن محمد بن إبراهيم البلبيسي الأسكندراني المتوفي عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م ، الذي عني بالحساب ، فكان رأساً فيه ، وفي علم الشروط وانتهت إليه معرفة السجلات [١] .

وشمس الدين محمد بن عوض الأسكندراني المعروف بـ " جبنيبات " المتوفي عام ٨٥٦هـ/١٤٥٢م الذي شارك في العديد من العلوم النقلية وبخاصة علم القراءات والعلوم العقلية مثل علم الوقت وعلم الحساب والفرائض حتى أصبح المشار إليه في بلده الإسكندرية ، وكتب فيهم قواعد شتى وبحث في أوائل اقليدس ، والتواريخ الثمانية لابن يونس ، وفي الجبر كتاب الياسمينية ، وفي الحساب تلخيص ابن البناء وشرحه وكتاب النزهة لابن الهائم ، وأصبح لشمس الدين جبنيبات العديد من التلاميذ الذين برعوا في العلوم العقلية وبخاصة علم الحساب وما يرتبط به من العلوم التي جمعت بين النقل والعقل مثل علم الفرائض [٢] .

من هؤلاء التلاميذ محمد بن شرف السكندري المتوفي عام ٨٩٣هـ/١٤٨٧م ، ممن تميز في علم الفرائض وقلم الغبار من الحساب والجبر والمقابلة [٣] .

ومحمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الحق نزيل الإسكندرية والمتوفي بها في عام ٨٨٨هـ/١٤٨٣م الذي برع في الفقه والأصول والفرائض والحساب والغبار والعربية[٤]

ومحمد بن سليمان بن حماد السكندري المتوفي عام ٨٧٥هـ/١٤٧٠م ، ممن برع في علم الفرائض والحساب ، أخذهما عن الشمس جبنيبات [٥] .

ويوسف بن محمد الخزرجي الفلاحي السكندري المالكي المتوفي بعد عام ٨٧٥هـ/١٤٧٠م الذي اشتغل بالفقه والعربية والحساب والفرائض وغيرها [٦] .

وارتبط علم الحساب بعلم الفرائض وهي مسألة تهم كل مسلم ، لذا اهتم علماء الحساب بالتطبيقات العملية في مجال أحكام الشريعة والفقه والمواريث لحفظ حقوق الإنسان وقد عرف ابن خلدون علم الفرائض بأنه " معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة في كم تصح باعتبار فروضها الأصول أو مناسختها " .. وهو فن شريف لجمعه بين المعقول والمنقول ، والوصول به إلى الحقوق في الوراثات بوجوه صحيحة يقينية [٧] ويحتاج فيه إلى الحساب وفرض المسائل التي تحتاج إلى استخراج المجهولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والتصرف في الجذور [٨] .

---

(١) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ١ ص١٦٨ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٦ ص٢٦٢ .
(٢) السخاوي ، الضوء ، جـ٨ ، ص٢٧٢ رقم ٧٣٨ .
(٣) نفسه ، جـ١٠ ، ص١٠٥ .
(٤) نفسه ، جـ٨ ص١١٧ رقم٢٥٧ .
(٥) نفسه ، جـ٧ ، ص٢٥٨ رقم٦٤٩ .
(٦) نفسه ، جـ١٠ ، ص٣٣١ ، رقم١٢٥٥ .
(٧) ابن خلدون ، المقدمة ، جـ٣ ص١٠٦٠ .
(٨) نفسه ، جـ٣ ص١٠٦١ ؛ السيوطي، كتاب النقاية، ص٢٧١-٢٧٣؛ إتمام الدراية ص٩٢-١٠٣

ومن العلوم العقلية التي شارك فيها علماء الإسكندرية علم المواقيت أو الميقات أو الوقت ، وهو علم " يتعرف منه أزمنة الأيام والليالي وأحوالها وكيفية التوصل إليها ، ومنفعته معرفة أوقات العبادات وتوخي جهتها والطوالع والمطالع من أجزاء البروج ومن الكواكب الثابتة التي منها منازل القمر ومقادير الظلال والارتفاعات وانحراف البلدان بعضها عن بعض وسموتها " (١) .

ومن علماء الإسكندرية الذين اهتموا بعلم المواقيت محمد بن علي بن غزوان السكندري المعروف بالهزبر كبير مؤذني جامع عمرو بن العاص بالإسكندرية ووصفه السخاوي " بالمواقيت " (٢) .

وإبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الشيرازي الموقت ، وله مؤلفات في علم الميقات ويد طولى في متعلقاته من النجوم وغيرها (٣) ومحمد بن سليمان بن حماد الأسكندراني الشافعي المتوفي عام ٨٧٥هـ/١٤٧٠م والذي برع في علم الميقات وفي العديد من العلوم مثل الفرائض والحساب والشروط (٤) .

وشارك علماء الإسكندرية في بعض العلوم العقلية مثل علم الزيجات والتقاويم وعلم الهيئة " الفلك " وعلم الحيوان و الكيمياء ، مثل علي بن أحمد بن عبد الله الأسكندراني الحاسب ، الذي برع في معرفة حل الزيج وكتابة التقاويم ، وعُني بالكيمياء فأفنى عمره في التصعيد والتقطير وتوفي عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م (٥) .

وعلي بن إبراهيم بن الشاطر المتوفي عام ٧٧٧هـ/١٣٧٥م والذي برع في تطعيم العاج وعلم الهيئة والحساب والهندسة ورحل بسبب ذلك إلى الإسكندرية عام ٧١٩هـ/١٣١٩م (٦) .

واهتم بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني بعلم الحيوان وشغف بكتاب " حياة الحيوان الكبرى " للدميري وقام باختصاره في كتاب سماه " عين الحياة " (٧) .

وشارك بعض علماء الإسكندرية في علم المنطق ، مثل محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم الأميوطي المتوفي عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م الذي أخذ المنطق عن سيف الدين البغدادي (٨) ممن اشتغل بعلم المنطق بالإسكندرية عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني المتوفي عام ٧٧٧هـ/١٣٧٥م حيث انقطع بزاوية بظاهر الإسكندرية

---

(١) ابن الأكفاني ، ارشاد القاصد ، ص٥٩ .
(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٨ ص١٩٦ رقم ٥١٦ .
(٣) نفسه ، جـ١ ص٨ .
(٤) نفسه ، جـ٧ ص٢٥٨ ، رقم٦٤٩ .
(٥) ابن حجر ، ذيل الدرر ، ص٩١ رقم٧٣ ؛ أنباء الغمر ، جـ٢ ص١٢٣ .
(٦) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ١ ص١١٦ .
(٧) السيوطي ، بغية الوعاء ، جـ١ ص٦٧ ؛ الشوكاني البدر الطالع ، ص٦٦٧ .
(٨) ابن حجر ، الدرر ، جـ٤ ص١٢٧ رقم٣٨٨٣ .

وقرأ المنطق (١) .

وأحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري المعروف بابن التنسي المتوفي عام ٨٠١هـ/١٣٩٩م كان حشماً ، رئيساً ، فقيهاً ، عالماً باللغة ، والأصول ، والنحو والجدل والمنطق (٢) .

وشعبان بن محمد بن جنبيبات الأسكندراني المتوفي عام ٨٧٧هـ/١٣٧٢م والذي حفظ نحو الثلثين من كتاب " ناظر العين في المنطق " (٣) ودرس كتاب " ايساغوجي والشمسية في المنطق " لتاج الدين التركماني المتوفي عام ٧٤٤هـ/١٣٤٣م (٤) وقرأ هذين الكتابين عليه أحمد بن حاتم البسطي الصهاجي (٥) .

ومن العلوم العقلية التي شارك فيها علماء الإسكندرية علم الكلام ، وهو " علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، ويتناول مسائل عقيدية دقيقة مثل التوحيد والآخرة وحقائق الصفات الألهية والقدر والخير والشر وغير ذلك (٦) .

ومن علماء الكلام في الإسكندرية الشيخ أبو الحسن البخارى السكندري الذي كان يدرس علم الكلام بها وقرأ عليه هذا العلم أبو الحسين يحيى اليماني (٧) .

ومحمد بن جعفر الصنهاجي الشافعي ، الشاهد العدل بالإسكندرية ، الذي كانت له معرفة بعلم الكلام ، وصنف فيه كتاب " المسالك السديدة في شرح العقيدة " (٨) .

وذكي بن الحسن بن عمر نزيل الإسكندرية المتوفي بها عام ٦٧٦هـ/١٣٧٧م فكان فقيهاً مناظراً متكلماً أصولي محقق (٩) .

وأحمد بن عطاء الله السكندري المتوفي عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م ، حيث كتب كتاب " الله القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد " (١٠) ويدور هذا الكتاب حول مذهب ابن عطاء الله في الألهيات ، والذات الألهية ، وصفاتها وأسمائها وأفعالها وطريق معرفتها ويظهر هذا الكتاب ثقافة ابن عطاء الله الفلسفية والكلامية ، واستخدامه لاصطلاحات الفلاسفة والمتكلمين في القدم والحدوث ، وأقسام الوجود ، والواجب والممكن ، ومشكلة

---

(١) الذهبي، معجم محدثي الذهبي ص٩١، رقم١٤٥؛ ابن أيبك الصفدي، الوافي، جـ١٧ ص٥٩٦ رقم٥٠٣؛ ابن حجر، أنباء الغمر، جـ١، ص١١٤؛ الحسيني الدمشقي، ذيل تذكرة الحفاظ ، ص٤٧ .
(٢) المقريزي ، درر العقود ، جـ٢ ص١٥٠-١٥٢ رقم٢٦٤ .
(٣) السخاوي ، الضوء ، جـ٣ ص٣٠٣ رقم١١٦٣ .
(٤) ابن تغري بردي ، المنهل ، جـ١ ص٣٨٢ رقم٢٠٤ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ص٥٨ رقم٢٠٠
(٥) السخاوي ، نفسه ، جـ١ ص٢٦٨ .
(٦) ابن خلدون ، المقدمة ، جـ٣ ص١٠٦٩ .
(٧) المنذري ، التكملة ، جـ٣ ص٣٦٨ رقم٢٥٣٣ .
(٨) المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص٥٠٦ رقم١٩٩٩ .
(٩) السبكي ، طبقات الشافعية ، جـ٥ ، ص٥٦ .
(١٠) نشر بدار جوامع الكلم ، القاهرة ، ١٩٩٩ .

الذات والصفات [1] .

وجمال الدين أبو بكر الشريشي ، المتوفي عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م ، الفقيه المالكي الأصولي المفسر ، كان بارعاً في مذهب مالك محققا للعربية عارفاً بالكلام والنظر فيما بكتاب الله وتفسيره [2] .

يتضح لنا مما سبق تعدد مواد التكوين الثقافي في الإسكندرية ، والتي دارت معظمها حول الشرعية الإسلامية وعلومها أي العلوم النقلية ، مثل علوم القرآن من التفسير والقراءات وعلوم الحديث وعلم الفقه وعلوم اللغة .

في حين أن العلوم العقلية لم تبلغ درجة الاهتمام بها مثل العلوم النقلية ، حيث وقف الفقهاء منها موقف عدائي وصدرت الفتاوي بتحريم بعض هذه العلوم وبخاصة الفلسفة مما جعل بعض المشتغلين بها إلى استخدام أساليب مستترة وغير شرعية للعمل بها مثل العمل بالسحر بدلاً من الفلك وعلم الرمل والسيميا وعلم الحروف الذي يفلسف أسرار الحروف وغير ذلك .

ونلاحظ أن العلوم النقلية وصلت إلى درجة كبيرة من الانحطاط ، إذ فقدت الابتكار والإبداع واقتصر عمل المشتغلين بها إلى دراسة أمهات الكتب المشهورة في كل علم ، ثم قام علماء الإسكندرية – كغيرهم في المدن الأخرى آبان تلك الفترة – بشرح هذه الكتب وتلخيصها ووضع المختصرات عليها في هيئة مجموعة من القواعد ، ثم قاموا بشرح هذه المختصرات والملخصات ، ووضع عليها الحواشي وأصبحت العلوم آبان تلك الفترة تحصيل حاصل .

ومن جهة أخرى دخلت مؤثرات ثقافية أوروبية في الحياة الثقافية في الإسكندرية ، نتيجة للاحتكاك التجاري بين المدن والدول الأوروبية وأهل الإسكندرية الأمر الذي احتاج إلى وجود تراجمة بين الفريقين وجمع قاموس لغوي بين اللغة العربية والأعجمية – التي أرجح أنها اللغة اللاتينية المستخدمة في أوروبا وقتئذ – مما يعد أول قاموس عربي – أوروبي في التاريخ مما جعله سابقة فريدة من نوعها في تاريخ العلاقات الثقافية بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي في العصور الوسطى والذي انفردت به مدينة الإسكندرية في العصر المملوكي عن غيرها .

(١١) أبو الوفا التفتازاني ، ابن عطاء الله السكندري وتصوفه ، ص٨٦ .
(١٢) ابن العماد ، شذرات ، جـ٥ ، ص٣٩٢ .

# الفصل الرابع

# الأدب

## أولا : الشعر وفنونه :-

- شعر الطبيعة .
- الشعر السياسي .
- شعر المدح .
- شعر المدائح النبوية .
- الشعر الصوفي .
- شعر الهجاء .
- شعر الرثاء .
- المناظرات الشعرية .

## ثانياً : النثر وفنونه :-

- الكتابات الرسمية .
- الرسائل الإخوانية .
- أدب الحكمة .
- أدب المناجاة والدعاء .
- فن الخطابة .

## ثالثا : الأدب التمثيلي :-

- خيال الظل .

## رابعا : الأدب الشعبي :-

- الأمثال الشعبية .
- الحكاية الشعبية .

## الأدب

يعد الإنتاج الأدبي في الإسكندرية من أهم أركان الحياة الثقافية بها ، وأصبح مرآة عاكسة لنبض المجتمع السكندري بما فيه من قوة وضعف ، وغنى وفقر وازدهار وانهيار ، وما أحرزه من نجاح ، وما أصابه من نكبات ، فتعددت مجالات الأدب السكندري ، فهناك الشعر وفنونه المتنوعة من شعر الطبيعة وما أثارته بيئة الإسكندرية في وجدان شعراء الإسكندرية والنازلين بها ، فبهرتهم بروعتها وجمالها ، وأصبحت مجالا خصبا لإلهامهم . (١)

ومن فنون الشعر الأخرى الوصف والمدح ، وازدهرت في الإسكندرية وقتئذ وفي غيرها من البلدان الإسلامية شعر المدائح النبوية والتي ارتبطت بالحروب الصليبية وبحركة التصوف بخاصة في عصر سلاطين المماليك .

وازدهر بالإسكندرية أيضا الشعر السياسي والذي ارتبط بالحوادث التي مرت بها الإسكندرية مثل حملة القبارصة على الإسكندرية في عام ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م ، وعالج الشعر أيضاً القضايا التي تمس المجتمع السكندري مثل الأوبئة والطواعين والزلازل .

فضلاً عن ذلك ازدهر الشعر الصوفي وقتئذ وتنوعت أغراضه من أحوال النفس والروح ، وعن الشيوخ ومراتبهم ، وآداب المريدين وغير ذلك من الموضوعات .

وعالج النثر العديد من الموضوعات ، فهنلك الكتابات الرسمية الصادرة عن الدولة المتمثلة في ديوان الإنشاء ، فضلاً عن الرسائل الإخوانية ، أدب الحكم وأدب المواعظ والمناجاة والدعاء وفن الخطابة .

بالإضافة إلى ذلك الأدب التمثيلي : والمتمثل في خيال الظل وهو نوع فريد من الأدب يشتمل على الشعر والنثر معاً ، والشعر الفصيح والعامي وفن الحوار .

والأدب الشعبي ، وهو الأدب غير المعروف مؤلفه أو قائله ويتمثل في فن الأمثال الشعبية التي جرت على ألسنة الشعب ، والفن الثاني يتمثل في الحكاية الشعبية والتي تتضح في حكايات ألف ليلة وليلة ، مما يعطينا صورة متكاملة لحياة المجتمع السكندري من خلال الأدب وما يمثله من قيمة ثقافية لهذا المجتمع في تلك الفترة .

وسوف نتناول ذلك بشئ من التفصيل فيما يلي :-

---

(١) محمد حسين هيكل ، ثورة الأدب ، ص ٢٦ ؛ أحمد صادق الجمال ، الأدب العامي ، ص ٤١

## الشعر وفنونه :-

تنوعت أغراض الشعر ما بين مدح وذم ووصف ورثاء وحماسة والغزل والفخر والحكمة والتهذيب الخلقي وغير ذلك .

شغف كثير من الشعراء ببيئة الإسكندرية الخلابة وأخذوا في وصف محاسنها من هؤلاء الشاعر برهان الدين القيراطي ت ٧٨١ هـ / ١٣٧٩م (١) ، الذي وصف الإسكندرية بقوله (٢) :

إسكندرية إن وافيت معهدها — فقل لعينيك في ساحاتها سيحي
فثغرها الأشنب الصبحي ذو شنب — حالي به حال مغبوق ومصبوح
يا صاحبي لباب السدرة إرتقيا — لمنتهى باب رزق ثم مفتوح
تمشت الروح منا في شوارعها — ذات ارتياح فكل شارع الروح
يا صاح صاح هزار الوصل فابتع لي — راحا بها راحة للجسم والروح
حيث الخدود كأمثال الرياض زهت — وأزهرت بوجوه كالمصابيح

وهذا الوصف الذي وصف به الإسكندرية وصف المحب المحب المغرم ، فما يوافي معهدها حتى يطلق في أرجائها عينة فتسبح وتطوف لتنتهب ما فيها من جمال ومحاسن وكل ناحية من نواحيها وكل مظهر من مظاهرها ، فيه غنم ومتعة ، وفيه حسن وفتنة ، وفيه رزق ويسر ، ثم يتطرف إلى باب السدرة أحد أبواب الإسكندرية والذي يقع في سورها الجنوبي وهو باب رزق حيث أن هذا الباب تتدخل منه تجارة الشرق من الكارم إلى الإسكندرية ، لذا أطلق عليه " باب الفلفل " أهم أنواع التوابل ، فمن كثرة دخول هذه التجارة والأموال إلى الإسكندرية فهو مفتوح دائماً حيث ترسو المراكب المحملة بالتجارة من خليج الإسكندرية عند هذا الباب ، مما جعل الشاعر يطوف في شوارع المدينة بروحه لا بقدميه .

وقال فيها أبو المظفر كما يذكر ابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة:"وفي سنة

---

(١) إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم ، الشهير بالقيراطي المصري ، الأديب الشاعر ، أنظر : ابن حجر ، الدرر الكامنة ج١ ص ٣٢ ، رقم ٧٧ ؛ أبناء الغمر ، ج١ ، ص ٢٠٠ رقم ١ ؛ ابن فهد ، العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٢٦٧ ، رقم ٧٠٢ ؛ ابن تغري بردى ، المنهل الصافي ج١ ، ص ٨٩ ، رقم ٤١ ؛ الدليل الشافي ، ج١ ، ص ١٨ ، رقم ٤٠ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١١ ص ١٩٦ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج١ ، ص ٥٧٢ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٦ ص ٢٦٩ .

(٢) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، أثر البيئة المصرية في الشعر ، الطبعة الأولى ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، المجلد السابع ، ج٤ ق١ ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ .

٦٤١هـ/١٢٤٤م قدمت القاهرة ، وسافرت إلى الإسكندرية فوجدتها كما قال الله تعالى: (ذات قرار ومعين ، مغمورة بالعلماء ، مغمورة بالأولياء ، ( الذين هم في الدنيا شـامة) : فالشيخ محمد القبارى والشاطبى وابن أبي أسامة وهي أولي بقول القيسراني رحمـة الله في وصف دمشق (١) :

أرض تحل الأماني من أماكنـها ... بحيث تجتمع الدنيا وتفـترق

إذا شدا الطير في أغصانها وقفت ... على حدائقها الأسماع والحدق

ووصفها مجبر الدين محمد بن يعقوب المعروف بابن تميم الشاعر المشهور المتوفى في عام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٣م (٢) بقوله :

لما قصدت سكـندرية زائـرا ... مـلأت فـؤادي بهجة وسروراً

ما زرت فيـها جـانبا إلا رأت ... عينـاي فيـها جـنة وحـريرا (٣)

ووصفها كذلك الشاعر أبو الحسين الجزار (٤) فقال :

أري الإسكندرية ذات حسـن ... بديـع ما علـية من مـزيـد

هي الثغر الذي يبدي إبتسامـاً ... لتقـبيل العفـاة مـن الوفـود

إذا وافيـها لـم تبـق همـا ... بقلبك مـذ تراها مـن بعيـد

---

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٦ ص٣٤٧ .

(٢) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، ج٥ ، ص٢٢٨ رقم ٢٣٠٤ ؛ ابـن شـاكر الكتبـي ، فـوات الوفيات ن ج٤ ،ص٥٤ ، رقم ٥٠٤ ؛ الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص١٤٦ رقم ٢٣٨ ؛ الذهبي ، العبر ، ج٥ ، ص٣٥١ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج١ ص٧٣ ؛ العينـي ، عقد الجمان ، ج٢ ص٢٤٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهـرة ، ج٧ ص٣٦٧ ؛ ابـن كثير، البداية والنهاية ، ج١٣ ص٣٠٧ ؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيـة ، ج١ ص١٠٠ ؛ درة الآسلاك ، ص٨٣ .

(٣) ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٦ ص٣٤٧ ؛ محمد زغلول سلام ، الأدب في العصر المملوكي ، ص ١١٦ .

(٤) جمال الدين أبو الحسين يحي بن عبد العظيم بن يحيي بن محمد بن على الجزار ، كان أديباً فاصلاً جيداً البديهة ، حلو الجنا والمجون ، دمث الأخلاق ، وله مكاتبات ونـوادر ومـن اثـاره العقود الدرية في الأمراء المصرية ، والموائد في الأدب " وتقاطيف الجزار في الشعر" وديـوان شعره وقام بتحقيقه الدكتور محمد زغلول سلام بالإسكندرية عـام ٢٠٠٢م وتـوفي الجـزار بالفسطاط عام ٦٧٩هـ / ٦٨٠هـ ودفن بالقرافة . أنظر :-

الصقاعي ، تالي وفيات الأعيان ، ص١٧١ رقم ٢٨٥ ؛ الذهبي ، العبر ج٤ ص٣٢٤ ؛ ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلي المغرب ، ج١ ص ٢٩٦ ؛ ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيـات ، ج٤ ص ٧٧ ،رقم ٧١ ؛ ابن الكثير ، البداية ، ج١٣ ،ص ٢٩٣ ؛ ابن حبيب ، تذكرة النبية =

ملكت الإسكندرية قلب الجزار عند ما رآها مما جعل همة يزول قبل أن يدخلها حيث يملأها العمران وتكثر بها القصور ويسود اللون الأبيض جميع أبنيتها مما يجعل النور يملأ أرجاء المدينة ، بل يقسم الشاعر لو أن مدينة مصر أو القاهرة رأت الإسكندرية يوماً لكادت تغيب من الوجود لتفوق الإسكندرية عليها ولجمالها وروعة بنيانها ، ويتعرض الشاعر لتحصين الإسكندرية حيث يصف السور بها وما به من تحصينات قوية مما يجعل الأعداء تقف عاجزة عن اقتحامه بسبب قوة تحصيناته ومن وراء هذا السور البحر المالح ، لأهل الإسكندرية منهل ماء عذب والمتمثل في خليج الإسكندرية الذي يمد المدينة بما تحتاج إليه من ماء عذب مما جعل أهل الإسكندرية هم السادات الذين يخشى من بأسهم . (١)

وهذا النويري السلكندري يأتي من بلدة النويري بإقليم البهنسا زائراً للإسكندرية فعندما رآها لم يتمالك نفسه وملأت فؤاده سعادة ، مما جعله يستقر بها ولا يغادرها لذا أنشد قائلاً (٢)

فما مثلها في الأرض يلقى مدينة ... فإنْ كنت في شك فأين نظيرها
فأضحت بحسن اليمن أحسن روضة ... وفاض بماء السعد فيها غديرها
فلذت بمن يبغي بها مطلب الغني ... فأوفي ذو مال وسر فقيرها
فقل للذي قد طال عنها أنتزاحه ... هلم فقد طابت وطاب عبورها

فالرحالة البلوي يذكر أثناء رحلته إلى الإسكندرية أن اليأس تمكن منه ومن معه ، وحسبوا أنه أنه الهلاك والبلاء ، فما أن ظهر منار الإسكندرية فأعلم الناس بذلك ، فضجوا سروراً بالدعاء والبكاء ، وأعلنوا بالحمد والشكر ، بعد أن كادوا أن يقضي عليهم ذلك الأمل ومن فرح النفس ما يقتل ، فما أن رأى البلوي ، ذلك حتى أنشد قائلا(٣):

بشراكم لاح المنار الأسعد ... ودنا على اليأس المرام الأبعد
وتنفس الكرب الذي كنا به ... في حالة البلوي نقوم ونقعد
واقتر من إسكندرية ثغرها ... الوضاح فهو منظم ومنضد

---

= ج١، ص ٦٠ ؛ درة الأسلاك ، ص ٦٤ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج١ ص٦٨٤ ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج١ ، ص٢٦٠ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٣٦٤ ؛ ابن تغري بردي، ج٧ ص ٣٤٥ ؛ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج١٣ ، ص٢٠٧

(١) ابن سعيد ، المغرب بن حلي المغرب ، ص ٣١٢- ٣١٣ ؛ النويري السكندري ، الإلمام ، ج٢، ص ٢٢٠- ٢٢١ .

(٢) النويري السكندري ، الإلمام ، ج٢ ص٢١٩ – ٢٢٠ .

(٣) البلوي ، المفرق ن ج١ ص١٩٦ .

ذكر ابن ظافر الأزدي في كتابه بدائع البدائه أن ابن قلاقس (١) والوجيه إبو الحسن على بن الذوري طلعا منارة الإسكندرية ، فاقترح عليه ابن قلاقس بأن يصف المنارة فقال بديها (٢) .

وسامية الأرجاء تهدي أخا السري ضياء إذا ما حندس الليل أظلما
ليست بها برداً من الأنس ضافيا فكان بتذكار الأحبة معلما
وقد ظللتني من ذراها بقبة ألاحظ فيها من صحابي أنجما
فخيل أن البحر تحتي غمامة وأني قد خيمت في كبد السماء

فاشتد سرور ابن قلاقس وزاد فرحه ، وقال يصف المنار ويمدحه (٣) :

ومنزل جاوز الجوزاء مرتقبا كأنما فيه للنسرين أوكار
رأس القرارة سامي الفرع في يده للنون والنور أخبار وآثار
اطلقت فيه عنان النظم فاطردت خليل لها في بديع الشعر مضمار
ولم يدع حسنًا فيه أبو حسن ألا تحكم فيه كيف يختار
حلى المنارة لما حل ذروتها بجوهر الشعر بحر منه زخار
مازال يزكي بها نار الذكاء إلى أن أصبحت علماً في رأسه نار (٤)

فضلاً عن ذلك فقد وصف المنار أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد ربه أحد أحفاد صاحب كتاب العقد الفريد عند قدومه من المغرب إلى الإسكندرية وهاج عليه البحر وأشرف على الغرق ، فلاح له منار الإسكندرية وهو على هذه الحالة ، فسر لرؤيته فأنشد (٥) :-

---

(١) أبو الفتوح نصر الدين عبد الله بن مخلوف الشاعر المعروف بابن قلاقس الإسكندراني المولود بها عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م ومات في عيذاب عام ٦٠٧هـ/ ١٢٠٤م ، انظر : ابن العماد الأصفهاني خريدة القصر ، شعراء مصر ، ج١ ، ص١٤٥ ؛ ياقوت ، إرشاد الأريب ، ج٧ ص٢١١ ؛ ابن ظافر، بدائع البدائه ، ص١٢٩، ١٣٨، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦؛ السيوطي ، حسن ، ج١ ص٥٦٤؛ ابن اياس ، بدائع ج١، ق١، ص٢٣٤، سهام الفريح ؛ ابن قلاقس ، حياته وشعره ، حولية كلية الآداب ـ جامعة الكويت ، الحولية الأولى ، العدد٣، ١٩٨٠؛ محمد زغلول سلام ، الأدب في العصر الأيوبي، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٩٠، ص٤٠٨ ؛ جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج٣، ص١٥- ١٦ ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ج٥، ص٦٤١ .

(٢) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة ، ١٩٢٤، ص٢٤١ ؛ ابن ظافر ، بدائع البدائه ، ص ١٣٨؛ الغزولي؛مطالع البدور ، ج٢ ص٢٨٧ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج١ ص٢٧٧ ؛ أحمد أحمد بدوي ، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، ص٢٨٨- ٢٨٩ ؛ صبري علي الشربيني جازية ، شعر الطبيعة في مصر في العصر المملوكي ، ماجستير كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، ص ١٩٩٦، ص٢٢٢ .

(٣) ابن اياس ، نزهة الأمم في العجائب والحكم ، تحقيق محمد عزب ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص١٧٤ ؛ المقريزي الخطط ، ج١ ص٢٥٥ .

(٤) ابن ظافر الأزدي ، بدائع البدائه ، ص١٣٨؛ ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ص٢٤٦

(٢) ابن ظافر الأزدي ، المصدر السابق ، ص١٣٦ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، جـ٥ ص٥٤٨=

لله در منار إسكندرية كم يسمو إليه على بعد من الحدق
من شامخ الأنف في عرينه شمم كأنه باحث في دارة الأفق
يكسر الموج منه جانبي رجل مشمر الذيل لا يخشى من الغرق
لا يبرح الدهر من ورد على سفن ما بين مصطبح منها ومغتبق
للمنشآت الجواري عند رؤيته كموقع النوم في أجفان ذي أرق

وهذه روح أندلسية فيها براعة التصوير والتشخيص وفيض شعور بالأثر الخالد .

أما عالم الإسكندرية حافي رأسه فقد وصف منار الإسكندرية بقوله (١) :-

إن كنت تُحسن تشبيه المنار فقل كما أقول وصفها مثلما أصف
طالت فطاولت الأرض السماء بها لو لم تقف جازت الجوزاء لا تقف
كأنها غادة قامت على شرف تأتي الجواري إليها ثم تنصرف

وله أيضا في المنار بيتا مفرداً وهو (٢) :-

كأن الجواري المنارة غادة جوار وقوف عندها وجواري

ومن معالم الإسكندرية في العصر المملوكي مكان يعرف بالقصرين في أرض الرمل ظاهر الإسكندرية وهذا المكان يخرج إليه أهل الإسكندرية لتنزة ، وبخاصة في فصل الصيف ، مما يدل على أنه يطل على البحر مباشراً ، لعل المقصود بهذا الموضع جهة الرمل حالياً ، لذا فقد قال فيه بعض شعراء الإسكندرية شعراً وصفاً له كما أورد النويري السكندري قائلا (٣) :-

سلام على القصرين من جانب الرمل سلام مشوق للديار وللأهل
يحن إليها كلما هبت الصبا ويشتاقها شوق المحب إلى الوصل
منازل قوم شتت الدهر شملهم وكم مثلهم قد شتت الدهر وشمل
نمر كما مروا ويبقى حديثنا وكم مر من قوم وكلهم مثلي
وأنى لأبكى حسرة وتأسفا عليّ كما أبكى على من مضى قبلي
لئن درست آثارهم وديارهم فقد درست من بعدهم آية الفصل

نجد أن الشاعر يلقي السلام على القصرين لعلهما قصرين من بقايا القصور البطلمية الموجودة على ميناء الإسكندرية الشرقي ، وهذا السلام يزيد شوقه إلى دياره وأهله مما يوضح أن الشاعر ليس من أهل الإسكندرية ، ثم أن هذا المكان يحن إليه في أيام الصيف وهبوب رياح الصبا كما يشتاق إليها شوق المحبين حيث يعد مكان للقاء المحبوب محبوبته .

---

= رقم٢٠٦٦ ، الخطط ، جـ١ ص٢٥٥ ؛ ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص٥٧ ؛ المقري ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص٢٢٤ ؛ أحمد النجار ، الإنتاج الأدبي في مدينة الإسكندرية في العصرين الفاطمي والأيوبي ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية ، الكتاب الأول ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص١٦٤ ؛ ابن إياس ، نزهة الأمم ، ص١٧٥ .

(١) العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢٦٩ .
(٢) العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢٧٠ .
(٣) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٦ ص٣٧٦-٣٧٧ .

كما يتطرق الشاعر إلى أخذ العبرة من هذين القصرين ، وأنها منازل لشتت الزمان شملهم كغيرهم من الأمم التي انتهت وذهبت ريحهم ، ثم يذكر بأنه سيأتي يوماً علينا سننتهي فيه كما انتهت هذه الأمم ، ونصبح لمن بعدنا حديث للعبرة أيضاً ، وأن جميع الخلائق سوف تنتهي أيامهم وندرس آثارهم وآثارنا .

ومن علماء الإسكندرية الذين لهم إسهامات في الأدب أحمد بن محمد بن أبي بكر بن الدماميني السكندري المتوفي عام ٨٦٠هـ/١٤٥٥م وله نظر في دواوين الشعر فحفظ من ذلك جملة صالحة ، وكان يذاكر بها ونظم ، وله في وصف أعمى قوله [1] :-

وضرير قال لي إذ أظلمت ... مقلتاه وسخت بالعبرات
طرفي البحرُ ودمعي درة ... قلت لكن هو بحر الظلمات

الشعر السياسي :-

حفل العصر المملوكي بكثرة الأحداث السياسية التي شاركت فيها الإسكندرية في كثير من وقائعها وكان لشعراء الإسكندرية فيها نصيب ، وبخاصة عندما تعرضت الأمة الإسلامية وقتئذ لعدة هزائم والتي حلت بها على يد أعدائها واعتبرها المسلمين إنها جزاء التقصير والتفريط في أمر الدين ، والإنصراف إلى الدنيا ، مما جعلهم يلجأون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكشف الغمة [2] من ذلك ما قاله سراج الدين عبد اللطيف التكريتي السكندري :-

ما للبرية غير بابك باب ... سيما وقد ضاقت بنا الأسباب

ومنها

من فتنة جلت وجلّ مصابها ... وغزية حلّت فحلّ مصاب
تتر أتوا تترى كأن جيوشهم ... سيل تحادر أو أظل سحاب
فتحوا مدائن فارس وحصونها ... وسبوا ذراريها ولم يرتابوا
وأتوا إلى دار السلام فنكسوا ... علم الخلافة بالعراق وآبوا
وديار بكر والجزيرة كم حلت ... منها قرى وشوارع ورحاب

ومنها

يارب قد عم البلاد مصائب ... عظمت وصارت عندها الألباب
ووهت عرى الإسلام وأنحل القوى ... وتقطعت من دونك الأسباب [3]

ولعل أكبر قضية مست مجتمع الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك حملة القبارصة على الإسكندرية عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م حيث قاموا بتدمير وتخريب جميع ما في المدينة مما جعل شعراء الإسكندرية يقومون برثاء مدينتهم ، وهذا الفن من الشعر يعبر عن قيمة إنسانية كبيرة مستمدة من قيمة الموضوع الخطير الذي يعالجه حيث ينصب أول ما

(١) السخاوي ، الضوء ، جـ٢ ، ص١٠٥-١٠٦ رقم ٣١٨ .
(٢) فوزي محمد أمين ، أدب العصر المملوكي الأول ، قضايا المجتمع والفن ، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص٨٣ .
(٣) النويري السكندري، الإلمام ، ج٢، ص٢٢٦- ٢٢٧ .

ينصب على الوطن الذي عاش الإنسان في كنفه وأعطاه من خيراته ما أعطى وسكب في روحه ووجدانه من الحب والانتماء والسكينة ما ظل يربو به حتى فاض لوعة وحزنا وتلهفا عليه في أوقات المحن والشدائد (١) .

لقد تركت هذه الحملة آثارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على أهل الإسكندرية بحيث لم تصب المدينة منذ دخول المسلمين إليها بمثل هذه المصيبة .

وعبر شعراء الإسكندرية عما جرى للمدينة ومن هؤلاء الشعراء أبو عبد الله محمد بن طاهر الأخميمي الذي نظم قصيدة تتكون من ١١٧ بيتا تذكر ما حدث للإسكندرية قائلا(٢) :-

| | |
|---|---|
| حادث حل أرى الناس العبر | فبما قد هال منه يُعتبر |
| ياله من حادث ما مثله | طرق الإسلام من عهد عمر |
| وبلاء قد دها الناس فلم | نر منه قط أدهى وأمر |

ثم يتعرض الشاعر للحالة النفسية التي أصابت الناس بالإسكندرية ، وما فعله القبارصة بأهل المدينة (٣) .

| | |
|---|---|
| وأبادوا بالقنا حياته | وإليه كل علج قد عبر |
| واستباحوا ذمة الله ولم | يرع لله ذمما من كفر |
| لو ترى العالم لما نظروا | جيش أنصار الهدى انكسر |
| وهم جُفلا من الرعب كما | تجفل الأنعام من ليث زأر |
| ومن الأسوار يلقوا أنفسا | ليس تخشى من وقوع في خطر |
| خيفة الأعداء لما فيهم | كل قلب خاف منه واذعر |

ويصور الشاعر حالة الفزع والخوف والهلع التي انتابه أهل الإسكندرية حتى أنهم كانوا يلقون أنفسهم من على الأسوار بدون خوف من الموت ، والسبب في ذلك ما بثه العدو في قلوبهم من الخوف والذعر ، ثم يوضح الجرائم التي قام بها هؤلاء الغزاة قائلا(٤) :-

| | |
|---|---|
| كم أراقوا من دم فيه وما | رق قلب منهم ولا انزجر |
| ولكم شيخ تفانى عمره | ذبحوه بالمُدا ذبح البقر |
| وصغير بضعوه ثم ما | رحموا من كفرهم منه الصغر |
| ولكم طفل نجيب قارئ | حسبه من عمره درس السّور |
| أخذوه ثم لا برحمة | أحد منهم إليه قد نظر |
| ولكم ستر غدا منتهكا | وبدا للناس منه ما ستر |

---

(١) عبد الحميد شيحة ، الوطن في الشعر الأندلسي ، دراسة فنية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ ، ص١٢٥ .

(٢) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٣ ص٢٢٢-٢٢٣ .

(٣) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٣ ، ص٢٢٣ .

(٤) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٣ ، ص٢٢٤ .

ومبان زخرفت أرجاؤهـــا فوهي ما طال منها واندثـــر
وغدت بالنار قاعا صفصفا ما يرى من رسمها إلا الأثــر
ومن الأموال ما لو قصدوا حصر نزر منه يوما ما انحصر

ثم يشن الشاعر نقداً شديداً لمتولي الإسكندرية بسبب خروجه بقواته خارج أسـوار المدينة حيث أشار عليه أهل الرأي بعدم الخروج من المدينـة والـدفاع عنهـا داخـل أسوارها ولكنه رفض واستخف بالقبارصة مما جعل قوته تتشتت ويهجم الغـزاة علـى المدينة ويحتلوها فيذكر (١) :-

وهم كانوا عليـــــه ضـــرراً لا لكن جنغرا أصل الضرر
عزّ بالعالم إذ أخرجهـــــم للقا الأعداء عباد الصـــور
خارج الأبواب إذ فتحهـــــا وهو منه كان خطأ وغـــرر
لو على الأسوار أضحى راكباً ثم بالخندق قد أجرى نهـــر
كان للثغر وقاء والعــــــدا لم تنل منه مدى الدهر وطر
بل أضاع المسلمون رأيـــه حين لا أسعده حكم القـــدر

وبعد أن يوجه النقد اللاذع للجيش المملوكي الذي لم تنفعه أسلحته وآلاتـه والتـي فقدت خاصية القتال من الضرب والطعن ، ثم بدأ يوجه دعوة إلى الأميـر يلبغـا أتابـك العساكر والرجل الأول في الدولة يحثه فيها إلى غزو قبرص والأخذ بثـأر الإسـكندرية قائلا (٢) :-

أيها المولى الأمير والـــــذي من نزاه وابل السحب انهمر
لا تنم عن نصرة واجفوا لكرى واسهر العين فذا وقت السهر
وأعمر السفن كثيراً مثلمـــــا ذلك الكلب اللعين قد عمــــر
وتوجـــــه بهـــــم لقبـــرس واركز الصنجق منها فوق بر

ويذكر النويري السكندري أن محمد بن طاهر الأخميمي حدثه أنه لما كمل نظم هذه المرثية كتبها بخط حسن ومضى بها إلى الأمير الأتابكي يلبغا الخاصكي ، فاستأذنه فـي قراءتها ليسمعها فأذن له في ذلك فقرأها بمجلسه ، فاهتز لها وبكـى هـو ومـن كـان حاضراً بمجلسه فلما فرغ من قراءتها أخذها فكانت سبباً لقوة عزمه ، واجتهـاده فـي عمارة المراكب الحربية وعمل الأسلحة المنكية (٣) .

وقام الشيخ أبو عبد الله محمد التستراوي بنظم قصيدة عارض بهـا قصـيدة أبـي عبدالله محمد بن طاهر الأخميمي قائلاً (٤) :-

خاطر فاجا الورى لما خطـــر أوقع الناس الرزايا والخطر

منها

يا لها من داهية مرت فلـــم أر منها قط أدهى وأمـــر

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٣ ، ص٢٢٥-٢٢٦ .
(٢) نفسه ، ص٢٢٨-٢٢٩ . (٣) نفسه ، ص٢٣١ .
(٤) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ، ص١٧١-١٧٢ .

اقطعت من الناس بالثغر الذي لم تزل عادته سد الثغـــــر
فغدا بعد ابتســــام عابـــا ببنى الأصفر عبّاد الصـــور

ثم يسرد مجى القبارصة إلى الإسكندرية بالسفن والهجوم على المدينـــة وهزيمـــة المسلمين بالإسكندرية ثم عرض مقاومة العرب للغزاة ثم هزيمتهم قائلاً (١) :-

ولقد جاءت عراب نجـــــدة بخيول عاريات كالبقـــر
أرمت الأعداء عليهم سهمهـــا بنصال خارقات كالأبـــر
وصلت للسور منهم نفـــــر دافعوا دفعا قليلاً بالحجر

ثم يعدد جرائم القبارصة وما فعلوه من تدمير وتخريب ونهب وقتـــل بالإســـكندرية قائلاً (٢) :-

أين عينيك ترى الثغر وقد هتك الافرنج منه ما استتر
وبنات خفرات حُـــــرم قد أزالوا عنهم ذاك الخفـــر
ولكم مرضعة قد نحـــروا طفلها في صدرها أيضاً انتحر
ولكم شيخ كبير قتلـــــوا ما رعوا في أمره حق الكبـــر
ولكم شاب نشا في طاعة دأبه في عمره يتلو السُّــــور
أسروه واستباحوا أســـره وبهم أمسى ذليلاً محتقــــــر
ما رعوا شابا ولا ذا شيبة فصغير وكبيــــر مستطــــر
كم وكم من مسجد عُمر في مبدإ الإسلام من عهد عمــــر
قد غدا خاوي على عروشه دخل الأعداء فيـــــه وشعـــر
حرقوا الخانات مع حانوتها إذ رموهم بحراريق الشـــرر

وأخذ في حث يلبغا الخاصكي ثم يطلب النصرة من رسول الله بعد أن فقد النصـــرة من البشر فذكر (٣) :-

يا رسول الله قد حل بنـــــا من بنى الأصفر بؤس وضرر
يا رسول الله خانوا الله في أمره وتعدوا مـــــا أمـــــر

ورثاها أبو العباس أحمد بن أبي حجلة المغربي ت ٧٧٦هـ/١٣٧٥م (٤)

---

(١) نفسه ، ص١٧٣ .
(٢) نفسه ، ص١٧٤-١٧٥ .
(٣) نفسه ، ص١٧٦ .
(٤) أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد الشهير بابن أبي حجلة ، ولد بتلمســـان فـــي عـــام ٧٢٦هـ/١٣٢٦م ونشأ بالمغرب وقدم القاهرة ، وتولى مشيخة مدرسة الأمير منجـك اليوســفي وتوفي في عام ٧٧٦هـ/١٣٧٥م ، كان إماماً بارعاً ، عالماً فقيهاً ، أديباً شاعراً ، ودرس وأفـــاد ، ومهر في عدة علوم ، وغلب عليه الأدب ، وقال الشعر الجيد ، وصنف ودون ، ومصـــنفاته كثيـــرة تبلغ ستين مصنفا ، من ذلك كتابه ديوان الصبابة ، والسكردان ، وله خمس دواويـــن فـــي مـــدح الرسول صلى الله عليه وسلم وسبع " أراجيز سبعة آلاف بيت ، وأما الشعر فله فيه اليـــد الطـــولى والمعاني الغريبة والاختراعات العجيبة مع كثرةالنظم وسرعةالبديهة وخفة الروح والتخيل الصحيح=

قائلاً[1] :-

ألا في سبيل الله ما حل بالثغـــر | على فرقة الإسلام من عصبة الكفر
أتاها من الفرنج سبعون مركبـــا | فصاحت بها الغربان في البر والبحر
أقاموا على التثليث فيها ثلاثـــة | كمعبوهم في النهب والقتل والأسـر
لئن نهب الإفرنج جانب بحرهـــا | فقد نهب الغُربان جانبها البـــرّي
فكم من فقير عاش فيها من الغنى | وكم من غني مات فيها منّ الفقـــر
وكم قتلوا فيها كبيرا ونصـــروا | صغيرا من الأسرى ولا سيما البكـر
فيـــالك من هـــول عظـيم وفتنـــة | أضـر على الإنسان من فتنة القبـر

ويسير ابن أبي حجلة على نفس النهج في إرجاع ما حدث للإسكندرية إلـى أمـر قدره الله ويذكر عدد سفن الحملة وهي سبعين مركبا ملأت البر والبحر وهنا يشير إلـى عقيدة التثليث لدى النصارى وهي الأب والابن والروح القدس كما قاموا بالنهب والقتـل والأسر ولم يقتصر الأمر على نهب القبارصة لإسكندرية بل إن أهل الإسكندرية قد وقعوا بين فكي كماشة فالقبارصة ينهبون من البحر والعربان قاموا بنهب من هرب مـن نيـر القبارصة في البر ثم يعدد أحوال أهل الإسكندرية وتقلب أحوالهم فبعض الفقراء اغتنـوا بما حصل عليه من الأموال المنهوبة وأصبح أغلب الأغنياء فـي فقـر بسـبب ذهـاب أموالهم مما جعل هذه الفتنة أشد على الإنسان من فتنة القبر والموت .

ورثا الإسكندرية أيضاً بعد نكبة القبارصة أبو عبد الله محمد بن حسن الشاطبي من ذلك [2] :-

ألا يا أخلائي اندبوا ويحكم معـــي | وجودوا بدمع لا يكف هتوني
على حادث في الثغر أشعل في الحشا | لظى لم يكن يهفوا بعقد يقين
لأثنى وعشرين مضت من محـــرم | لسبع وستين وسبع منيـــن
أتاه عدو مـــارد فـــي عوالـــم | معد بلقياه بحرب زبـــون

ومنهـــا [3]

لقد ظفر القوم اللئام بمعشـــر | كرام ولكن قد سرت بظنون
وبعد فأمر الله ما فيه مهـــرب | ولا معقل من حكمه بحصين
أرى ذلك تمحيصا لنا من ذنوبنـا | وما أنا فيما قلته بضنيـــن
لقد شاهدت عيني العجائب ما رأت | كظفر شمال وانهزام يميـن
لقد قطعت مني المفاصل مــذ رأت | لكل قتيل ظل غير دفيـــن

=انظر:- المقريزي ، درر العقود ، جـ٢ ص١١٠-١١١ رقم ٢٤٣ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنــة ، جـ١ ، ص٣٥٠ ، رقم ٨٢٦ ؛ أنباء الغمر ، جـ١ ، ص٨١ ، ترجمة ١٩ ؛ ابن تغـري بـردي ، المنهل الصافي ، جـ٢ ، ص٢٥٩ ، رقم ٣٣٧ ؛ الدليل الشـافي ، جـ١ ، ص٩٦ رقـم ٣٣٥ ؛ النجوم الزاهرة ، جـ١١ ، ص١٣١ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ٦ ص٢٤٠-٢٤١ .

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص٢٢٩ وما بعدها .
(٢) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٣ ص٢١٧ .
(٢) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ، ص٢١١-٢١٢ .

وحرمّت الأجفان نومي وحـــق لي          على حُرم فارقن كل خديـن

أما النويري السكندري والذي شغف بحبها واستقر بها وتزوج إحدى بناتها وظـل بها حتى هذه الحادثة ففر هارباً بعياله إلى بلده القديمة النويرة ثم رجـع بعـد خـروج القبارصة فعندما وقعت عيناه على ما حدث للمدينة أخذ في رثاءها بقصيدتين فيعـرض في احداهما لأحداث الحملة من الألف إلى الياء. وأخذ يبكي على أحوال أهل الإسكندرية ، فيشير إلى ما صار إليه تجار الإسكندرية أصحاب الثراء بعد العز أصبحوا معدمين وكيف نهبت متاجرهم وبخاصة حوانيت البز " الحرير " والقماش المطرز الذي اشـتهرت بـه الإسكندرية فيذكر (١) :-

لهف نفسي على التجار جميعـا          أصبحوا بعد العــز في إعدام
لهف نفسي على حوانيت بـــز          وقماش مطـــرز الأكمـــــام
كيف خلوا جميع الحوانيت منها          صفصفا بالخراب مأوى الهوام
لهف نفسي على حليّ كثيـــــر          وستور الحرير ذي الارتســام
لهف نفسي على مدينة علــــم          رُزئت من مدائن الإســــلام
لهف نفسي ولهف نفسي عليهــا          كيف أمست بعد الضيا كظلام
لهف نفسي على المساجد فيهـا          عُطلت من جماعة وإمـــــام

ثم يتأسى النويري السكندري على أحوال الأسارى الذين أسرهم القبارصة وأخذوهم معهم في قيود الحديد في أيديهم وأرجلهم وما هم فيه من الذل بعد العز فيقول (٢) :-

لهف نفسي على الأسارى جميعا          أصبحوا بعد عزة واحترام
في كبول الحديد قد قيدوهـــــم          بقيود الحديد في الأقــدام
أسروا من شبابها كل شـــــب          حسن مشبه لبدر تمـــام
وغدوا يأسروا نساء حسانـــــا          كشبيه المها مـــع الآرام
حملوا المال والأسارى جميعـــاً          سرعة لا إطالة الأيـــام

وبعد ذكره لعدد سفن القبارصة وكيف جهزوها فـي قبـرص وكيـف أتـت إلـى الإسكندرية وهجومهم وإحراقهم لإحدى أبواب الإسكندرية وصـعودهم أسـوار المدينـة واحتلالهم لها ثم هروب أهل الإسكندرية من أبواب البر - السدرة - الزهري - رشيد - وكيف فر مع من فر إلى بلدته النويرة ، وأصبح كل إنسان ينادي على زوجته أو ابنـه والمرأة تنادي على زوجها ، ثم يوضح ما صار إليه التجار نزلاء الإسكندرية من ضياع أموالهم بحيث أصبحوا حيارى لا يرون ما يفعلون فيذكر (٣) :-

خرجوا بالشتات من بـاب بر          سلكوا الطريق يرتمون المرام
وغدوا في البلاد جمعاً حيارى          سكروا بالإرجاف لا بمـــدام
كنـت فيهـم بغيلتي وبقلبـي          حرّ نار الجوى كوخز السهام

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ، ص٢١٢ .
(٢) نفسه ، ص٢١٢-٢١٣ .
(٣) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ، ص٢١٥-٢١٦ .

لأثاث تركته مع كتــــــب نسختها أناملي بالــــدوام
قاصدا نحو بلدتي ومقامـــي من قديم الزمان والأيــــام

وفي قصيدة أخرى له يصف نفس الحالة التي تعرض لها أهل الإسكندرية وفـراره إلى بلده النويرة قائلاً (١) :-

شَرَوَتْ أناس مسلمون تشتتوا من بعد عز في بلاد النـــاس
حيرى تراهم في البلاد بذلــة من كثرة الإعدام والإفـــلاس
فشردت معهم بالعيال مشتتا ولهان من ذعر وحرى الناس
وتركت كتبي والأثاث جميعه حيران أضرب أخمس أسداس
بلد النويرة قد قصدت بعلتي قد ما بها وطني وكناســــي (٢)

ثم يتمنى أن تعود الإسكندرية لسابق عهدها من الازدهار ويأتي إليها التجار مـرة أخرى من جميع البلدان ، ثم يترحم على قتلى الإسكندرية الذين قتلوا ، ويــذكر لــو أن نائب الإسكندرية صلاح الدين خليل بن عرام موجود بها لاتخذ من وسائل الــدفاع عـن المدينة مما يجعل الإسكندرية تنجوا من تلك المصيبة ولما حدث لها ما حدث ولكنه كــان بالحجاز يؤدي فريضة الحج فيقول (٣) :-

لهف نفسي لو كان فيها صلاح الدين المقر العالي زين الكـــــرام
والشجاع الصبور عند التلاقـــــي حامي الثغر ذي الأيادي الجسام
نائبا للسلطان فيها فأضحــــــى قاصدا للحجاز بالإحــــــرام
جنغرا صار نائبا عنه فيهــــــا زمن الحج مــــرة الأيـــــام

هكذا صدمت هذه الحادثة مشاعر أهل الإسكندرية بل مشاعر العالم الإسلامي كلـه مـن مشرقه إلى مغربه ، لذا نجد الاهتمام الزائد من جانـب السـلطة المملوكيـة الحاكمـة بالإسكندرية وجعلها نيابة تساوي نيابة طرابلس الشام يتولها أمير مائـة مقـدم ألــف واهتموا بإعادة تحصين المدينة بالاهتمام بأسوارها وحفر خنادقها والإعداد لغزو قبرص وقام السلطان المملوكي وقتئذ الأشرف شعبان بزيارة الإسكندرية مرتين للوقوف علــى تحصينات المدينة ، وقد رصد لنا النويري السكندري هذه الأحداث في كتابه الإلمام ونظم ذلك شعراً فوصف تلك الزيارة بقوله (٤) :-

دخل الأشرف للثغر ضحى جميعه فابتهج الثغر بـــه
ملك سلطانه فاق علــــى جمع ملوك شرقه وغربه
دخل الأشرف للثغر فقــد ضاء بالنور الذي صار به

وبعد ذكره لموكب الأشرف شعبان يذكر صلاته للجمعة في الجامع الغربـي – جـامع عمرو بن العاص – ثم أمر بأن يبنى له قاعة للسلاح باسمه كما فعل السلاطين السابقين فذكر (٥) :-

---

(١) نفسه ، ص٢١٦-٢١٧ .
(٢) النويري ، الإلمام ، جـ٤ ص٥٢ .
(٣) نفسه ، جـ٢ ص٢١٨ .
(٤) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٦ ، ص٢٠ .
(٥) نفسه ، ص٢٠-٢١ .

رسم السلطان أن يبنى له | قاعة في القصر من عزم به
ليصير ذكره كذكر مــــن | ملكوا من قبل واهتمــوا به
بنيت قاعته وامتـــــلأت | من سلاح كامل سُمّت بـــه

ولم يكتفي الأشرف شعبان بذلك بل أرسل حملات استطلاعية لكشـف جزيـرة قبـرص والوقوف على مدى قوتها فضلاً عن استنزاف قوتها أو ما يعرف بحرب استنزاف لقـوة العدو لذا أرسل الريس إبراهيم التازي رئيس دار صناعة السفن بالإسكندرية بقوة بحرية لمحاربة قبرص ومعرفة قوتها ، فذهب إلى قبرص وأغار على عدة جهات بهـا وعـاد بالعديد من الأسرى والغنائم إلى الإسكندرية فيذكر النويري السكندري ذلك بقوله [١] :-

إن إبراهيم أعني التــــازي | رائس الإسلام أضحى الغازي
في الفرنج الكافرين فابتلـوا | بعموم الذل والمخــــازي
سار في البحر إليهم صار في | حرزهم كالأسد المجتــــاز
أطلق الأسد على كلابهـــم | قطعوا أوداجهم بالكــــاز

ثم يصف ما فعله إبراهيم التازي بجزيرة قبرص من تخريب بعض الكنـائس بهـا لأنها في رأي النويري مركزا للكفر كما فعل القبارصة من تخريب المساجد والمـدارس بالإسكندرية ، ثم أراق أواني الخمر بها وعقر الأبقار والماعز وقتل الكثير من رهبـانهم فذكر [٢] :-

أخربوا بعض الكنائس التي | كفرهم فيها صريح رازي
وأراقوا خمرهم من بعد ما | عقروا الأبقار والأعنـاز
سفكوا دم الرهابين التـي | ينحنوا عمدا على العكاز
فغدوا صرعى على أذقانهم | وعلى الأصلاب والأعجاز
شربوا كأس المنون مرة | لا كشرب الماء بالأكواز
سلبوهم كل شايات لهــم | مع لبوس إلى غنبــاز

وقدم بهؤلاء الأسرى إلى الإسكندرية يتقدمهم راهب مكرش الوجه ، شنع القالـب ، متنز بزنار أي حزام وسط ، متوشح بصليب ورأسه مكشوفة ، ولحيتـه شـبه القطـن المندوف ، كبير السن ، جلده ناشف كالشى ، وقـد أركـب حمـاراً مقلوبـاً لتجريسـه وتعزيزه[٣] .

أسروا جمعا علوجاً فيهـــم | راهب الدير الشيخ الخازي
جرسته المسلمون جرســة | فوق ظهر لحمار نـــازي
لحية الملعون حذوا ســتة | وبه كل الأنان هـــازي
خلفه أسرى الفرنج أو تقوا | بحبال الليث كالأكـــراز
ثم أعلام النصارى نكسـت | وغدت تكنس للمجتــــاز

---

(١) نفسه ، جـ٥ ص٢٩٥ .
(٢) نفسه ، ج٥ ، ص ٢٩٦ .
(٣) نفسه ، ص٢٩٦ ــ ٢٩٧ .

ثم يخاطب الراهب قائلا : (١)

يا راهب الدير صرت اليوم في حزن ... لأجل فرقة قاع الدير والوطــن
وصرت في قبضة الإسلام مرتهنا ... كأنك الميت في قطن وفي كفن
ماذا ضللت من الإفرنج فاجتمعوا ... على عبادة صلبان إلى وثـــن
جازاك كفرك بالتجريس في مـلا ... على حمار طويل الذيل والرسن
فاقدم تلامذة تلمذتهم أبـــــدا ... إلى الجحيم كما قدمت من فتـن

ويوضح النويري السكندري موقف السلطان الأشرف شعبان الذي عمته السعادة بما فعله إبراهيم التازي بجزيرة قبرص وأنه استقدمه إلى القاهرة ليرى الأسارى ثم أخلع عليــه خلعة جليلة (٢)

سار للسلطان في يوم أتى ... يبتغي الحضرة للأعــزاز
فكســـــاه خلعة سنية ... طرزها من أحسن الطراز

الأمر الذي سر النويري وجعله ينظم هذه القصيدة مادحاً التازي قائلا : (٣)

فالنويري سره الفعل الذي ... فعل التازي الهزبر الغازي

ويدعو الله أن تفتح قبرص وأن يدخلها الإسلام (٤)

ربنا افتح قبرصاً ودع بها ... على الإسلام بالأركاز

وهكذا كان لحملة القبارصة على الإسكندرية عام ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م أثرها السئ على جميع نواحي الحياة بتلك المدينة الآمنة المطمئنة والتي كان يأتيها رزقها رغداً من كــل مكان ولكنها لم تكفر بأنعمه . بل أصابها إهمال السلطة اللاهية والمنشغلة بالصراع على العرش وتوليته الصبيان الصغار والذين تحكم فيهم كبار المماليك ، مما جعل الإسكندرية تقع فريسة سهلة في يد القبارصة في خلال أربعة وعشرين ساعة بالرغم من حصانتها وقوة أسوارها ، كما سبق عبر الأدب شعره ونثر عن هذه المأساة وظهرت في ذلك الأثر الأندلسي في رثاء المدن التي سقطت في يد الأسـبان ونلاحـظ أن معظـم مـن رثـا الإسكندرية أصلهم أندلسي فمحمد بن قاسم النويري السكندري أصله من مالقة بالأندلس وابن أبي حجلة المغربي وأبي عبد الله محمد بن حسن الشاطبي من شاطبة بالأندلس .

ومن الحوادث التي شغلت بال أهل الإسكندرية الحـادث الـذي وقـع فـي عـام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م بالإسكندرية والذي حدث بسبب مشاجرة بين أحد السكندريين وأحـد الأوربيين المقيمين بالإسكندرية ، وعلى الرغم من أن الأوروبي هو المخطئ إلا أن والي المدينة كان سيئ التصرف فأمر بإغلاق باب المدينة ــ باب البحر ــ قبل الموعد المحدد لذلك وكان أغلب أهل المدينة خارجها وعندما قدموا وجدوا الباب مغلقا وذهــب أعيـان المدينة إلى الوالي لفتح الباب وبالفعل فتح الباب .

---

(١) نفسه ، ص٢٩٤ .
(٢) النويري السكندري ، الإلمام ، ج٥ ، ص٢٩٧ .
(٣) نفسه .   (٤) نفسه .

وازدحم الناس بين دفتي الباب وقام جنود الوالي بقتل عشرة أنفس من أهل الإسكندرية في ذلك فضلاً عن خطف العمائم وغير ذلك مما آثار حفيظة أهل الإسكندرية وهجموا على دار الوالي وأخرجوا بعض المساجين من السجن المجاور لدار الوالي وليس سجن الأمراء السياسيين فما كان من الوالي أن طير الطير بالبريد إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون يقدح في أهل الإسكندرية وأنهم ثاروا وعصوا السلطان مما جعله يرسل جيشاً وضع السيف في أهل المدينة وقتل ثلاثين من أهلها فضلاً عن مصادرة كل التجار بها والقزازين عدا الأجانب (١) .

لذا فقد أنشد المؤرخ ابن الوردي تعقيباً على ما حدث قائلاً (٢) :-

تبارك الله ذو الجلال لقد ... أدهش عقلي زماننا الفاسد

مصادرات جرت وسفك دم ... وأصلها ضرب كافر واحد

ومن القضايا التي شغلت أذهان مثقفي الإسكندرية وعوامهم ، بل والمجتمع المصري كله وقتئذ موقفهم من النصارى واليهود وعملهم بدواوين الدولة ، لذا عندما قام السلطان الصالح صالح بن محمد بن قلاوون في عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م بالتضييق على اليهود والنصارى وألزمهم بالشروط العمرية وألزموا بلبس الغيار ، وعدم ركوبهم الخيول والبغال مع الأذن لهم بركوب الحمير على جنب واحد (٣) فضلاً عن مصادرة ٢٥ ألف فدان أوقاف الكنائس والأديرة (٤) ولقى هذا الأمر تأييداً واسعاً من قبل المجتمع المصري كله وكذلك علماء وعوام الإسكندرية .

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الحادثة ، انظر :-
ابن أيبك الدوادار ، الدر الفاخر ، ص٣٤٢-٣٤٣ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، جـ٣١ ، ورقة ٧٨-٧٩ ؛ ابن الجزري ، تاريخ ابن الجزري ، جـ٢ ، ص١٨٥-١٨٩ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ٤ ، ص٤٧٦ ؛ الذهبي ، الإعلان ، ص٣٠٧ ؛ ذيل العبر ، جـ٤ ص٧٩ ؛ دول الإسلام ، جـ٢ ، ص٢٣٥-٢٣٦ ؛ ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٤١-٤٢ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي، جـ٢ ، ص٤٠٢-٤٠٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص١٣٣ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ق١ ص٢٨٤-٢٨٦ .

(٢) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، ص٤٠٣ .

(٣) ابن النقاش ، المذمة في استعمال أهل الذمة ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٥٢ تاريخ ميكروفيلم رقم ١٠٦٥٤ ورقة ١٩ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١٣ ص٣٧٨-٣٨٧ ؛ المقريزي ، الخطط ، جـ٤ ، ص٤٠٥ ؛ السلوك ، جـ٢ ق٣ ، ص٩٢٢ ؛ سيدة كاشف ، مصر الإسلامية وأهل الذمة ص١٣٦ ؛ محاسن الوقاد ، اليهود في مصر المملوكية ، ص٩٢-٩٣ ؛
**Vermeulen ( Urbain ) , The Rescript of al-Malik as – Salih Agaims the Dimmis ( 755 A.H. – 1354 A.D. ) , ( Olp)Orientalia Lovanensia Periodica , 9,1978 , PP.181-182 .**

(٤) المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص١١١ ؛ السلوك ، جـ٢ ق٢ ، ص٩٢١ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ق١ ص٢٥٦ ، نزهة الأمم في العجائب والحكم ، ص١١٤-١١٥ ؛ طرخان ، النظم الإقطاعية، ص٧١ .

ولذا فقد مدح النويري السكندري الصالح صالح وأيده فيما فعله باليهود والنصارى قائلاً [1] :-

كفروا بما جاء المسيح وبدلوا ... فاستوجبوا لعنا على التغيير
فجزاؤهم تنكيلهم بعمائـــــم ... زرق وذيل للثياب قصيــــر
وركوبهم على جنب شق واحد ... لحميرهم والذيل في تشميـــر

فالنويري السكندري يشيد بقرار الصالح صالح ويذم النصارى وبأنهم ليس على ما قال المسيح بل أتبعوا أقوال بولص اليهودي من التثليث بالأب والابن والروح القــدس ، لذا جزاءهم أن يلبسوا عمائم زرقاً ويقصروا ملابسهم وركوبهم على جنب شق واحد .

وقال أحمد بن المكرم الموقع بديوان الإنشاء [2] :-

يا أيها السلطان لا تغتــرر ... بخدعة القبط وأن أسلموا
أمرت ألا يخدمــوا ذمـــة ... فأسلموا خيفة أن يحرموا
خافوا على الرزق ولو أنهم ... خافوا على دينهم صمموا
فخذ جواليهـــم وجنبهـــم ... والله ما في جمعهم مسلم

فابن المكرم يحذر السلطان أن ينخدع بإسلام النصارى فما أسـلموا عـن صـدق واقتناع بالدين الحنيف ، بل أسلموا مداراة وخدعة وخوفاً أن يحرموا وظائفهم ، ولـذا يطالب ابن المكرم السلطان أن يستمر في أخذ الجزية " الجوالي " منهم فما فيهم مسـلم صحيح العقيدة [3] .

وكان للأحداث السياسية بالقاهرة أثرها على شعراء الإسكندرية بحيث لم ينعزلـوا عنها ، فبعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون تولى بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر فأقام مدة يسيرة وغضب عليه الأمير قوصون ونفاه إلى قوص فحبسه بها وقتله ، فقال أبـو الفضل قاسم القصّار البجائي نزيل الإسكندرية في ذلك [4] .

هذا محمد قد مضى لسبيلـــه ... في رحمة الرب الرحيم الغافر
وأتى خليفته أبو بكـــر فـلا ... تخشوا توثب غادر ومخامـر
أودى به قوصون غدراً فاغتدى ... في أرض قوص تحت لحد داثر

وتعد الإجراءات الجمركية التي كانت تتم بالإسكندرية مصـدر غضـب مـن جانـب الرحالة والحجاج المغاربة والأندلسيين ، حيث كانوا يفتشون عما معهم من أموال حتـى في ملابسهم ، مما جعل الرحالة أبو البقا خالد البلوي ينشد قائلاً [5] :-

---

(١) النويري ، السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص٩٤ .
(٢) نفسه ، جـ٢ ص٩٣ ؛ حبشي سيد نصر ، المجتمع المصري في الشـعر المملـوكي، رسـالة دكتوراه غير منشورة ، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، ١٩٨٠، ص٣٣٩-٣٤٠ .
(٣) حبشي سيد نصر ، المرجع السابق ، ص٣٤٠ .
(٤) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ، ص١٦٤-١٦٥ .
(٥) البلوي ، تاج المفرق ، جـ١ ص١٩٧ .

رمى بي البحر درا في بلادكـــم لكنني لم أصادف فيكم صدفـــا
أصبحت بين أناس ضعت بينهـم كالزهر في كف مزكوم فوا أسفا

ولكن بعد انتهاء الإجراءات الجمركية دخل المدينة وإستنأس بها أنشد قائلاً [١] :-

فنسينـــا مـــا لقينـــا وكأنـــا ما شقينـــا
وخلصت من حجر الأس لمســرة فتنت بها الأبصار والأسماع
وظفرت من زمني بخط لم يـــزل بيني وبين الدهر فيه نـــزاع

ومن القضايا التي عالجها شعراء الإسكندرية ، الأوبئة والمجاعـات ، وهـي مـن العلامات البارزة في مصر زمن المماليك ، وشهدت الإسكندرية العديـد مـن الأوبئـة والمجاعات طوال عصر سلاطين المماليك ، لعل أشدها وباء عام ٧٤٩هــ/١٣٤٨م ، والذي عرفته المصادر العربية باسم " الفناء الكبير " [٢] وسماه ابن حبيب الحلبي باسم " طاعون الأنساب " [٣] لأنه فقدت بسببه كثيرا من أنساب الناس ، وقضى علـى عـائلات بأكملها ، وعرفته المراجع الأوروبية باسم الموت الأسود **Black Death** [٤] .

وبدأ هذا الوباء بمدينة الإسكندرية بحيث كان يموت في كل يوم مائة نسمة ثـم زاد وأصبح يموت في اليوم الواحد مائتي نسمة ، ووصل الأمر إلى أنه صلى في يوم الجمعة بالمسجد الجامع على سبعمائة جنازة دفعة واحدة ، وأغلقت دار الطراز لعدم الصـناع ، ودار الوكالة السلطانية بالمدينة لعدم التجارة الواصلة إليها ، وأغلقت الأسواق ، وديوان الخمس ، وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها ، وأغلقـت أكثـر المسـاجد والزوايـا ، وصارت كتب العلم ينادي عليها بالأحمال .

لذا عبر ابن الوردي عما حدث للإسكندرية بسبب هذا الوباء قائلاً [٥] :-

إسكندرية ذا الوبـــا سبع يمد إليك ضبعـــه
صبرا لقسمته التـــي تركت من السبعين سبعـــة

(١) نفســه ، ج١ ، ص١٩٧.
(٢) ابن الوردي ، رسالة النبا عن الوبا ، قسطنطينية ، ١٣٠٠هــ ، ص١٨٤-١٨٧ ؛ ابن دقمـاق الجوهر الثمين ، ص٣٨٧ ؛ المقريزي السلوك ، جـ٢ ق٣ ص٧٧٧ ؛ ابن تغري بـردي ، النجـوم الزاهرة ، جـ١٠ ، ص١٩٥ ؛ حامد زيان ، الأوبئة والأزمات الاقتصادية ، ص ٦٠؛ عثمان علـي عطا ، الأزمات الاقتصادية ، ص٧٦-٧٧ ؛ علي السيد محمد ، الفناء الكبير والموت الأسود ، فـي القرن الرابع عشر ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ٣٣ ، ١٩٨٦ ، ص١٦٦ .
(٣) ابن حبيب درة الأسلاك في دولة الأتراك ، مخطوط بجامعة القاهرة ، تحت رقـم ١٢٩٦١ ، دار الكتب المصرية رقم ٦١٧٠ ج ، جـ٣ ص٣٥٨ ؛ تذكرة النبيه ، جـ٣ ص١١٠-١١١ .
(٤) **Dols, Black Death in the Middle East, New Jersey , 1977، P.155.**
(٥) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـــ٢ ، ص٥٠١ ؛ ديـوان ابـن الـوردي ، ص١٨٧ ، المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ق٣ ص٧٨٧ .

وهنا وضح ما حدث للإسكندرية بسبب الوباء ، حيث شبه بأسد أخذ يلتهم أهل الإسكندرية حتى أكل تسعة أعشار سكان المدينة ولم يبق إلا العشر فقط وضرب مثلاً أن السبعين لم يبق منهم سوى سبعة .

المديح :-

يعد المديح من أوسع فنون الشعر العربي مجالاً للقول ، وأغزر إنتاجاً ، وقف عليه الشاعر الكبير ، والشاعر الصغير ، لاستدرار النعمة واجتلاب الخير ، وسعة الرزق ، ودفع الشر فضلاً عن استعطاف قلب الممدوح ، من ذلك ما مدح به أبو العباس ناصر الدين بن المنير المتوفي في عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م يمدح الوزير الأسعد بن صاعد الفائزي ويسأله أن يستنيبه عنه في ديوان الخمس بالإسكندرية قوله (١) :-

ألا أيها البدر المنير وإنني ... لأخجل إن شبهت وجهك بالبدر
لئن غبت عن عيني وشطت بك النوى ... فما زلت أستجليك بالوهم في فكري
وحق زمان مر لي بطويلع ... وأنت معي ماسُر بعدكم سرّي
ويا سيد أتأتي الوفود لبابه ... فتلقاهم بالبشر والفائل الغمر
ويا من له في الجود ضرب بلاغة ... تقابل منظوم المدائح بالنثر
متى ما أقمت العبد في الخمس نائباً ... غدا مستقلا بالدعاء وبالشكر

فغرض المدح هنا الوصول إلى تولي وظيفة في ديوان الخمس والخاص بتحصيل الأموال من التجار الأوروبيين حيث كان يؤخذ منهم خمس قيمة ما يحملونه من أموال وتجارة .

ومدح ناصر الدين بن المنير الأسعد بن صاعد الفائزي أيضاً في رفع التصقيع عن الإسكندرية وهو نوع من المكوس المفروضة عليهم قائلاً (٢) :-

إذا أعتل الزمان فمنك يرجو ... بنو الأيام عافية الشفاء
وإن ينزل بساحتهم قضاء ... فأنت اللطف في ذاك القضاء

ومدح أبو عمروعثمان بن الحاجب عالم النحو الشهير المتوفي بالإسكندرية في عام ٦٤٦هـ/١٢٤٤م تلميذه ناصر الدين أبو العباس أحمد بن المنير بقوله (٣) :-

لقد سئمت حياتي اليوم لولا ... مباحث ساكن الإسكندرية
كأحمد سبط أحمد حين يأتي ... بكل غريبة كالعبقرية
تذكرني مباحثه زماناً ... وإخواناً لقيتهم سرية
زمانا كان الإبياري فيه ... مدرسنا وتغبطنا البرية
مضوا فكأنهم إما منام ... وإما صبحه أضحت عشية

---

(١) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٨ ص١٢٩-١٣٠ .

(٢) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٨ ، ص١٢٨-١٢٩ ؛ ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ١ ص١٥٠ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ١ ، ص٦٥٣ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٢، ص١٨٦ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ، ص٨٦ ؛ النجوم ، جـ٧ ، ص٣٦٢ .

(٣) ابن فرحون،الديباج المذهب،ج١،ص٢٤٤-٢٤٥؛ الداوودي، طبقات المفسرين، ج١ ص٨٩.

فابن الحاجب كره الحياة وسأم منها ولا يرغبه فيها إلا المباحث العلمية لابن المنير حيث يشبه جده لأمه كمال الدين أحمد بن فارس أحد علماء الإسكندرية وهذه المباحث تذكر ابن الحاجب بمباحث أستاذه أبو الحسن الأبياري السكندري عالم الإسكندرية الشهير ومدح ابن المنير الشاعر أبو الحسين الجزار بقوله (١) :-

قد اعتبرت البرايا فتوة وفتاوي
فمنهم من يساوي شيئاً ومن لا يساوي
هم كالدراهم فيها محاسن ومساوىء
من لم يكن ناصريا فإنه عكَّاوي

وكان ناصر الدين أحمد بن المنير صديقاً لقاضي القضاة المؤرخ لابن خلكان ودامت الصداقة بينهما وكان يراسله بالرسائل ، لذا كتب إليه يمدحه (٢) :-

ليس شمس الضُحا كأوصاف شمس الدين قاضي القضاة حاشا وكلا
تلك مهما علت محلا ثنت ظلا وهذا مهما علا زاء ظلا

وقام النويري السكندري بمدح نائب الإسكندرية صلاح الدين خليل بن عرام والذي كان يتصف بالعلم وله مساهمات في كتابة التاريخ ، فعندما تولى نيابة الإسكندرية في ٢٦ شعبان عام ٧٧٠هـ للمرة الثالثة فرح أهل الإسكندرية لذلك ، مما جعل النويري السكندري يمدحه بأبيات مربعة وهي (٣) :-

ملك الأمرا . كهف الفقرا بشرى بشرى . حقا بيقين
نلت التمكين . بطول سنين صلاح الدين . حميت الدين
. وإلى عرام . نسبت دوام طول الأعوام . بمر سنين
إن السلطان . له الإحسان على الإنسان . صلاح الدين
ولاه الثغر . أقام الأمر عداد الحمر . وكالسكين

وبدأ النويري مدحه بلقبين لصلاح الدين خليل بن عرام فملك الأمراء من ألقاب نواب الإسكندرية أما كهف الفقراء فهو لقب صوفي لأن ابن عرام كان نقيباً للصوفية وكان يدير مجالسهم على الرغم من أنه يعد من أكابر المماليك وقتئذ وله دوراً هاماً في تحصين مدينة الإسكندرية في عهد الأشرف شعبان ، وكان دائماً مكرماً للصوفية " الفقراء " مواظب على اطعامهم .

واتصف العديد من تجار الإسكندرية بالثراء وكثرة المال مع إكرامهم لضيوفهم والغرباء من ذلك نجم الدين عمر بن محمد بن سليمان الدماميني المعروف بابن غنوم ،

---

(١) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٨ ، ص١٢٩ ؛ ابن شاكر الكتبي ، فوات ، جـ١ ، ص١٥٠ .
(٢) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٨ ، ص١٢٩ ؛ ابن شاكر الكتبي ، فوات ، جـ١ ، ص١٥٠ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ٧ ، ص٣٦١ .
(٣) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٦ ، ص٣٧٣-٣٧٤ .

وهو من تجار الكارم وكان رئيساً وله مكارم فنزل عنده بعض الأفاضل فأكرمه ابن غنوم، فكتب على باب داره لما ارتحل [1] :-

نزلت بدار نجم فاق بدراً — أدام الله رفعته وجاهه
فأعذب موردي وأطاب نزلي — وأهدت لي رياسته وجاهه

وهذا بعكس ما اتصف به أهل الإسكندرية حيث وصفوا بالبخل وعدم إكرام الغرباء وبخاصة المغاربة والأندلسيين .

ومن المعروف أن الإسكندرية تعد من أهم مراكز صناعة النسيج في مصر منذ عصر البطالمة وحتى نهاية عصر سلاطين المماليك ، واشتهرت بأجود أنواع القماش الذي فاق القماش الحرير لذا مدحه نور الدين علي بن محمد المعروف بابن حجر المتوفي في عام ٧٧٧هـ/١٣٧٥م – وهو والد الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني – قائلاً[2] :-

إسكندرية كم ذا — يسمو قماشك عزا
فطمت نفسي عنها — فلست أطلب بزا

بل مدح النويري السكندري قادوس – أي إناء – كان يوجد بدار الطراز بالإسكندرية ، يشرب به صناع القزازة ، وعند زيارة السلطان الأشرف شعبان للإسكندرية عام ٧٧٠هـ/١٣٦٨م ، زار دار الطراز وشرب من هذا القادوس ، مما جعل الصناع بدار الطراز يحتفلون بذلك القادوس وسموه " قادوس السلطان " ، وصاروا يقولون : اسقونا بقادوس السلطان ، وصار له بينهم مزية ورفعة قدر وعظم شأن ، مما جعل النويري السكندري يمدحه قائلاً [3] :-

صار للقادوس ذكر عندما — شرب السلطان منه وارتوى
فحوى فخراً جميلاً دائماً — بجميل الذكر ما بين الورى

ومدح البوصيري أستاذه وشيخه أبو العباس المرسي بقصيدة منها [4] :-

أما المحبة فهي بذل نفوس — فتنعمي يا مهجتي بالبوس
بذل المحب لمن أحب دموعه — وطوى حشاه على أحرّ رسيس

ثم مر فيها إلى أن قال [5] :-

صدق وقل من لم يقم كقيامه — لم ينتفع منه امرؤ بجلوس
قبل الإله تقربي بمديحه — وتوجهي لجنابه المحروس
رمت المسير له فأعجزني السرى — وأباحني مرآة غير بئوس

---

(١) ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٣ ، ص٦٥١ ، رقم ١٢٩٠ .
(٢) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ، ق١ ، ص٢٦٣ .
(٣) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٦ ، ص١٠ .
(٤) البوصيري ، ديوان البوصيري ، ص٢٣٠ ؛ ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص١٨٤
(٥) ابن عطاء الله ، نفسه ، ص١٨٤-١٨٥ .

ثم مر فيها إلى أن قال [1] :-

شرفاً لشاذلة ومرسية سرت لهما الرئاسة من أجل رئيس
ما إن نسبت إليهما شيخيهما إلا جلوتهما جلاء عـــروس

فالمحبة لأبى العباس المرسي دفعت البوصيري لمدحه ويجعل ذلك تقرباً لله من خلال مدح شيخه ، فأفضل يوم لدى البوصيري يوم الأربعاء الذي لقى فيه شيخه أبو العباس المرسي ، وشرفت مدينة شاذلة لانتساب أبو الحسن إليها ، ومدينة مرسية لانتساب أبو العباس إليها مما جعل المدينتين كالعروس المنجلية لزوجها في أبها زينة لأنهما أخرجتا هذين الشيخين أبو الحسن الشاذلي وأبو العباس المرسي .

ومدحه أيضاً في قصيدة أخرى منها [2] :-

شوقا لمرسية رست أساسها بعلي أبي العباس فوق الفرقد
اليوم قام فتى علي بعـــده كيما يبلغ مُرشدا عن مُرشـد

وهنا يشير إلى خلافة أبو العباس لأبي الحسن في مشيخة الطريقة الشاذلية ، ويقوم بمهامه من إرشاد المريدين إلى الطريق .

فضلاً عن ذلك ، ففي كثير من الأحيان سادت العلاقات بين علماء الإسكندرية شيئاً من الود والمحبة ، فهذا بدر الدين محمد بن الدماميني السكندري المتوفي في عام ٨٢٧هـ/١٤٢٤م يمدح القاضي أحمد بن محمد بن عطاء الله سبط ابن التنسي وهو من أسرة جمعت بين العلم والمناصب سواء في الإسكندرية أو في القاهرة وتوفي بالقاهرة في عام ٨٠١هـ/١٣٩٩م وهو ينسب للزبير بن العوام ، فقال فيه البدر [3] :-

وأجاد فكرك في بحار علومه سبحاً لأنك من بني العوام

ومما داعب به فخر الدين بن مكانس صاحبه سراج الدين السكندري حيث حصل له طلوع أو دماميل في جسده ، فصنع له المزين فتائل كما جرت العادة وقتئذ ، فسأله ابن مكانس عن حاله " كيف حالك يا سراج الدين ، فقال : كيف حال سراج فيه سبع فتائل ! فقال ابن مكانس في ذلك [4] :-

إذا السراج اشترى أبري فأنت به أولى وذلك للأمر الذي وجبـا
سكندري وتُدعى بالسّـــراج وذا مثل المنار إذا ما قام وانتصبا

ومدح النواجي المتوفي عام ٨٥٩هـ [5] سكندري

(١) نفسه ، ص١٨٥ .
(٢) البوصيري ، ديوان البوصيري ، ص٧٤ .
(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٢ ، ص١٩٢-١٩٣ ، رقم٥٢٥ ؛ المقريزي ، درر العقود ، جـ٢ ، ص١٥٠-١٥٢ ؛ ابن القاضي ، درة الحجال ، جـ١ ، ص٩٨ .
(٤) ابن حجة الحموي ، ثمرات الأوراق ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص٥٥ .
(٥) محمد بن حسن بن علي بن عثمان ، شمس الدين النواجي نسبة إلى نواجي بضم النون ثم الجيم، بلده بأقليم الشرقية، الشاعر المشهور ، ولد بالقاهرة عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م ، وأصبح أديب=

بقوله [1] :-

إسكندري الحسن طاب لي الهوى　　في ملثم الثغر الشهـــي المـــورد
فعلى م تسمع في أقوال العـــدى　　وتصدُّ في عن وردة وأنا الصدى- ق

**المدائح النبوية :-**

تعد المدائح النبوية من فنون الشعر التي أذاعها التصوف ، فهي لونٌ من التعبيـــر عن العواطف الدينية ، وباب من الأدب الرفيع [2] ، قال فيـــه الشـــعراء علـــى مختلـــف العصور الكثير ، وأجادوا فيه إجادة بارعة ، وتمتاز المـــدائح النبويـــة عامـــة بصـــدق العاطفة ، وحرارة الشعور ، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخـــلاص ، كما أن المدائح النبوية أيضا تطوير جليل لشعر المدح العربـــي [3] ، ولا يـــزال المـــديح النبوي من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، يحتل مكاناً مرموقاً ، لمـــا الممدوح عليه الصلاة والسلام من منزلة عظيمة عند المسلمين .

وترجع بداية المدائح النبوية إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث مدحـــه الكثير من الشعراء على رأسهم حسان بن ثابت الملقب بشاعر الرسول ، وكذلك الأعشى ثم كعب بن زهير وقصيدته المشهورة التي مطلعها [4] :-

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول　　متيم إثرها لم يُفد مكبول

وما زال هذا الفن حتى وافى العصر المملوكي الذي يعد عصـــر ازدهـــار المـــدائح النبوية ، إذ أقبل الشعراء على نظم القصائد الطويلة في مدح الرسول والتغني بمناقبـــه وفضائله ، وبما أجراه الله على يديه من المعجزات وقدم لنا هذا العصـــر العديـــد مـــن شعراء المديح النبوي منهم الشاب الظريف ، ومحي الدين بن عبد الظاهر ، وتقي الدين بن دقيق العيد القشيري ، وزين الدين بن الوردي ، والشهاب محمود الحلبي ، وابن أبي حجلة المغربي ، وتقي الدين بن بنت الأعز ، والفتح بن سيد الناس اليعمري ، وشـــمس الدين الباعوني ، وجمال الدين بن نباته المصري ، والبرهان القيراطـــي ، والنـــواجي ، وابن حجر العسقلاني ، وبعض هؤلاء أكثر من مدحه ، وبعضـــهم أطـــال فـــي مدائحـــه وأسهب ، وبعضهم نظم في المديح النبوي ديواناً بأكمله أو أكثر من ديوان [5] .

---

= العصر ومات في عام ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م ، انظر :-ابن تغري بردي ، حوادث الدهور ، جـــ١ ، ص٤٨٠-٤٨٢ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ، ص٦٧٢ رقـــم ٤٣٣ ؛ الســـيوطي ، نظـــم العقيـــان ، ص١٤٤ .

(١) السيوطي ، نفسه ، ص١٤٥ .

(٢) زكي مبارك ، المدائح النبوية في الأدب العربي ، دار الشعب ، القاهرة ، د.ت ، ص١٤ .

(٣) محمد عبد المنعم خفاجي ، الأدب في التراث الصوفي ، ص٢٤٣ .

(٤) زكي مبارك، المدائح النبوية، ص٢١ ؛ محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، مـــج٨ ، ص٢٨٢ .

(٥) محمد كامل الفقي ، الأدب العربي في العصر المملوكي ، الطبعة الثالثـــة ، القـــاهرة ، ١٩٨٤ ، ص١٥٠ ؛ محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، جـــ٨ ، ص٢٨٤ ؛ محمد زغلول ســـلام ، الأدب في العصر المملوكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ ، جــ١ ص٢٢٨ .

ولكن ماهي الأسباب التي أدت إلى ازدهار فن المدائح النبوية وقتئذ ؟ توفرت العديد من الأسباب التي أدت إلى ازدهار فن المدائح النبوية ، منها انتشار التصوف وسيطرته على فكر العديد من العلماء والشعراء ، وظهرت نظريات فلسفية صوفية مثل الاتحاد ووحدة الوجود والحقيقة المحمدية وغيرها من نظريات ، من ناحية أخرى أثرت الحروب الصليبية على نفسية الشعراء وقتئذ ، وما أصاب المسلمين من هزائم ونكبات ليس لها إلا الرسول صلى الله عليه وسلم – حسبما يعتقدون – مثل قول سراج الدين عبد اللطيف التكريتي السكندري بقوله [١] :–

ما للبرية غير بابك بـــاب سيما وقد ضاقت بنا الأسباب
من فتنة جلت وجل مصابها وغزية حلّت فحلّ مصـــاب

ومن أسباب انتشار وازدهار المدائح النبوية كما يرى الأستاذ أحمد أمين إلى أن الشعراء لما حرموا عطاء الملوك والأمراء على مدائحهم ، وغلب على الناس الالتجاء إلى الدين لفساد الدنيا ، وشاع التصوف سواء ما كان منه صحيحاً أو مزيفاً كثر اتجاه الشعراء إلى المدائح النبوية [٢] ، في حين يرى أحد الباحثين انتشار المدائح النبوية وقتئذ إلى أنه لم يعد هناك كرام يجيزون على الشعر إلا النبي صلى الله عليه وسلم الذي ترجى شفاعته بالمديح [٣] ويعلل ابن الوردي ظاهرة طغيان المدائح النبوية على الشعر المملوكي بقوله [٤] :–

أين الكرام وأين هل مدائحي غير النبي وآله الأطهار

وقول ابن دقيق العيد [٥] :–

وزهدني في الشعر أن سجيتي ما تستجيد الناس ليس تجود
ويأبى لي الختم الشريف رديه فأطرده عن خاطـــري وأذود

ويأتي على رأس شعراء المدائح النبوية البوصيري نزيل الإسكندرية والمتوفي بها في عام ٦٩٧هـ/١٢٩٨م [٦] بحيث يعد أمام شعراء المدائح النبوية على الإطلاق حيث

---

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ، ص٢٢٦ .
(٢) أحمد أمين ، قصة الأدب في العالم ، جـ٢ ق٢ ص٤٦٣ .
(٣) حبشي سيد نصر ، المجتمع المصري في الشعر المملوكي ، ص١١٥-١١٦ .
(٤) ابن الوردي ، ديوان ابن الوردي ، ص٢٠٧ .
(٥) أحمد صادق الجمال ، الأدب العامي ، ص٥٤ .
(٦) شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صهاج بن ملال الصنهاجي ، أصله من قلعة حماد بالمغرب ، ولد بدلاص إحدى قرى أقليم البهنسا وقرية تابعة لمركز ناصر – محافظة بني سويف الآن ، حيث كانت أمه من دلاص ، وأبوه من أبو صير الملق – قرية تابعة لمركز الواسطى – محافظة بني سويف – لذا أطلق على نفسه الدلاصيري ، واشتهر بالبوصيري ، وانتقل إلى القاهرة ، وتعاني صناعة الكتابة ، وباشر ببلبيس بأقاليم الشرقية ، ثم انتقل إلى الإسكندرية ، وانضم إلى الطريقة الشاذلية وتتلمذ على يد أبو العباس المرسي خليفة أبو الحسن =

مدح النبي بالعديد من القصائد تأتي على رأسها البردة والهمزية ، وتعد قصيدة البردة من أهم قصائده وتعتبر مصدر الوحي لكثير من القصائد التي أنشئت بعد البوصيري في مدح الرسول [1] ومطلعها :-

أمن تذكر جيران بذي سلم    مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
أم هبت الريحُ من تلقاء كاظمة    وأومض البرق في الظلماء من إضم [2]

وهي تقع في مائة واثنان وستون بيتاً عشرة أبيات في المطلع ، وستة عشرة بيت في قمع النفس وهواها ، وثلاثون بيتاً في مدائح الرسول وعشرة أبيات في دعائه وعشرة أبيات في مدح القرآن وثلاثة أبيات في ذكر المعراج واثنان وعشرون بيتا في جهاده وأربع عشرة بيتاً في الاستغفار والمناجاة ، وكلما ظفرت قصيدة في اللغة العربية بمثل ما ظفرت به هذه القصيدة من عناية الناس ، فحفظها كثير من الخاصة والعامة وأخذ ما يتغنون بها في حلقات الأذكار وساحاتّ الموالد ، وأقبل الأدباء عليها فمنهم من ينهج نهجها ، وينسج على منوالها ، وأوسعها الكتاب درساً وبحثاً وشرحاً وتعليقاً ، حتى اتخذوها تميمة لعلاج كثير من الأمراض [3] .

---

= الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية ، وظل بالإسكندرية حيث وافته المنية بها في عام ٦٩٦هـ/١٢٩٧م ومسجده مجاور لمسجد أبو العباس المرسي بميدان المساجد الآن ويعرف بالأباصيري ، لمزيد من التفاصيل انظر :-
ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٣ ، ص١٠٥-١١٣ ، رقم ١٠٤٥ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، جـ٥ ، ص٦٦١-٦٦٩ رقم ٢٢٦٢ ؛ ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٣ ، ص٣٦٢-٣٦٩ ، رقم ٤٥٦ ؛ ابن قنفذه ، الوفيات ص٣٣٦ ، رقم ٧٠٠ ؛ ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ٢ ، ص٦٢٢ رقم٢١٣٩ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ٥ ، ص٤٣٢ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ص٥٧٠ ؛ الزركلي ، الأعلام ، جـ٣ ، ص٩٠١ ؛ دائرة معارف البستاني، جـ٥، ص٦٩٤ ؛ عبد اللطيف حمزة ، الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية ، ص١٠٤-١٠٥ ؛ الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص٢٧٤ ؛ جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، جـ٣ ، ص١٢٦-١٢٧ ؛ عبد العليم القباني ، البوصيري ، حياته وشعره ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ ؛ بكري الشيخ أمين ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، ط٣ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص٢٦٢-٢٦٤ ؛ شوقي ضيف ، فصول في الشعر ونقده ، ص٢٢٩-٢٥٤ ؛ أحمد أحمد بدوي ، الحياة الأدبية ، ص٢٩٦ .

(١) زكي مبارك ، المدائح النبوية ، ص١٨٨ ؛ عبد الرحمن زكي ، تراث مصر في الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص١٦-١٧ .

(٢) البوصيري ، ديوان البوصيري ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص١٩٠ ، وما بعدها .

(٣) محمد رجب النجار ، بُردة البوصيري ، قراءة أدبية وفولكلورية ، حوليات كلية الآداب – جامعة الكويت ، الرسالة ٣٣ ، الحولية السابعة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦ ؛ فتحي عثمان ، شرح البردة للبوصيري ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص٦٥-٦٦ ؛ محمد سيد كيلاني ، الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٤ ، ص٣١٩؛ بروكلمان،=

ويشتهر البوصيريّ أيضاً بقصيدته النبوية المسماه " الهمزة " إذ أن قافية القصيدة الهمزة وسماها " أم القرى في مدح خير الورى " وتقع في نحو أربعمائة وخمسون بيتاً ، وعُني الكثير بشرحها ويستعرض فيها سيرة الرسول حتى يوقد حمية الشباب ، ويفتتحها بفكرة الحقيقة المحمدية ، وأن الرسول سر الوجود ونوره الذي يفيض على الكون ، وعلى الأنبياء من قديم ، ومطلعها [١] :-

كيف ترقى رقيك الأنبياء | يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في عُلاك وقد حال | سناً منك دونهم وسناء
إنما مثلوا صفاتك للناس | كما مثل النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فما تصدر | إلا عن ضوئك الأضواء

فالرسول لا تبلغ منزلته ودرجته الرفيعة منزلة أي نبي أو رسول ، أنه في أعلى عليين ، وكل رسول إنما مثل جانباً من صفاته الربانية ، كما أن النجوم المترائية على صفحة الماء النجوم على صفحة السماء ، وأن كل ضوء ونور في الكون ليستمد من مصباحه ، فهو منبع كل نور ومصدره [٢] ، ولكن هذه القصيدة لم تنل من العناية مثل قصيدة البردة [٣] .

وله يمدحه [٤] :-

أمدائح لي فيك أم تسبيح | لولاك فأغفر للذنوب مديح
حدثت أن مدائحي في المصطفى | كفارة لي والحديث صحيح

وله يمدحه أيضا [٥] :-

مدحُ النبي أمان الخائف الوجل | فأمدحه مرتجلاً أو غير مرتجل

وله القصيدة المُضرية في الصلاة على خير البرية مطلعها [٦] :-

يارب صل على المختار من مُضر | والأنبياء وجميع الرسل ما ذُكروا
وصل رب على الهادي وشيعته | وصحبه من لطى الدين قد نشروا

وله القصيدة المحمدية ومطلعها [٧] :-

---

= تاريخ الأدب العربي ، ترجمة رمضان عبد التواب ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٨١-١٠٤ ؛ فوزي أمين ، المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول، ص٨٦-٨٧ ، ص١٥١ ؛ محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، مج٨ ص٢٨٥ ؛ زكي مبارك ، المدائح النبوية ، ص١٨٨-٢٢٦ .

(١) البوصيري ، ديوان البوصيري ، ص١ ؛ أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، جـ٤ ، ص٢٠٤ .

(٢) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، جـ٦ ، ص٣٦٤ ؛ علي صافي حسين ، الأدب الصوفي ، ص٢١٧ .

(٣) محمد سيد كيلاني ، الحروب الصليبية ، ص٣١٧ .

(٤) البوصيري ، ديوان البوصيري ، ص٥٥ .

(٥) البوصيري ، نفسه ، ص١٨٥ .

(٦) البوصيري ، نفسه ، ص٢٢٤ .

(٧) البوصيري ، نفسه ، ص٢٢٦ .

محمد أشرف الأعراب والعجم | محمد خير من يمشي على قدم
محمد باسط المعروف جامعه | محمد صاحب الإحسان والكرم

ومن شعراء الإسكندرية الذين أسهموا في فن المدائح النبوية الشيخ الأديب الفاضل ضياء الدين علي بن محمد بن يوسف بن عفيف الخزرجي الغرناطي نزيل الإسكندرية والمتوفي بها في عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م (١) وله ديوان في المدائح النبوية سماه "المواجد الخزرجية" وله في قصيدة نبوية (٢) :-

لله ما يلقاه فيك متيم | أحشاؤه مما به تتوقد
قد كان يقنع بالخيال إذا سرى | عند الكرى لو كان مما يوقد

وله قصيدة عارض بها قصيدة كعب بن زهير مطلعها (٣) :-

مافي سعاد لنا قصد ولا سول | فإن قلبي عنها اليوم مشغول
وما سعاد وما مقدار منصبها | حتى أبيت وقلبي منه متبول
سيان عندي إن بانت وإن وصلت | فوصلها بنصال الصد مغضول
إن كان أعرب كعب عن فصاحته | فإن كعب على الأعراب مجبول

وتمادى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدة تزيد على مائتي وثلاثون بيتاً ، أتى فيها بالكثير من معجزات النبي خاتمتها (٤) :-

وقد دعاك قريح القلب منكسرا | وماله في حماك اليوم تحويل
وصل صلاة على خير الورى فله | بين النبيين تخصيص وتفضل
وصحبه ومن اشتهدى بهديهم | فأنت يا سامع الأصوات مسئول

وساهم العديد من تجار الإسكندرية وقتئذ في فن المدائح النبوية من هؤلاء سراج الدين عبد اللطيف بن سند التكريتي الكارمي نزيل الإسكندرية ، أحد كبار تجار الكارم بها ، حيث له " ديوان مدائح نبوية " فأشار ابن أيبك الصفدي إلى أن له " ديوان كله مدائح نبوية ومحامد على خير البرية " (٥) منه (٦) :-

لي بالأجيرع دون وادي المنحنى | قلب تقلبه الصبابة والضنا
غاروا عليه بالغوير ويمموا | نجدا سحيرا واستقلوا يمنا
اتبعتهم يوم استقلت عيسهم | بحشاشة ألفت معاناة العنا
ونثرت من جفني عقيق مدامعي | حين التفرق فاستحالت أعينا

---

(١) ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، جـ١ ، ص١١٤ ؛ درة الأسلاك ، ص٨٩ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ص٧٣٨ ؛ البغدادي ، هدية العارفين ، جـ١ ص٧٠٥ .
(٢) ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، جـ١ ، ص١١٤ .
(٣) ابن رشيد ، رحلة ابن رشيد ، ص٢٧-٢٩. (٤) ابن رشيد ، رحلة ابن رشيد ، ص٣١ .
(٥) ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٣ ، ص١٥٩-١٦٠ رقم١٠٣٣ ويوجد نسخة من هذا الديوان مخطوط في ليدن تحت رقم ٧٠٥ ، انظر بروكلمان ، ملحق تاريخ الأدب العربي ، مج٢ ، ص٨٩٧ رقم٤ .
(٦) ابن حبيب، تذكرة النبيه ، جـ٢ ، ص٦٠-٦١ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٣ ص٢٣ رقم ٢٥٠٢ .

ونظم عبد اللطيف بن الرشيد الربعي أحد تجار الكارم بالإسكندرية عدة قصائد في المدائح النبوية ، منها قصيدة مطلعها [١] :-

ما للنياق عن الفراق تميـل ... تهوى الحجاز وما إليه سبيلُ
ذكرت لياليهاالمواضي بالحمى ... والوجد منها سابق ودليلُ

ومن علماء الإسكندرية الذين ساهموا بدورهم في فن المدائح النبوية زين الدين أبي الحسن علي بن محمد منصور بن المنير المتوفي بالإسكندرية في عام ٦٩٥هـ/١٢٩٤م وله عدة قصائد منها قصيدة يحث فيها على أداء فريضة الحج والسفر للحجاز وزيارة الرسول مطلعها [٢] :-

أجب دعوة الرحمن يا صاح تسعد ... وبادر لفرض الحج غير مفند
ولذ بالمتاب الآن وازدد من التقى ... فإن اتقاء الله خير التزود
ودع خاطر التسويف والخوف جانبا ... وسلم لأمر الله أمرك في غد

ومنها :-

وقل يا رسول الله جئتك تائبا ... ومن توبتي قصد لبابك سيدي
وحبك ديني ، ثم حبك مذهبي ... وحبك أحلى من قران بمولد

ولابن أخوه عبد الواحد بن المنير قاضي الإسكندرية والمتوفي بها عام ٧٣٦هـ/١٣٣٦م ديوان مدائح نبوية [٣] .

ومن علماء الإسكندرية الذين لهم قصائد في المدح النبوي علي بن صدقة اللخمي المالكي الشهير بتاج الدين الفاكهي السكندري والمتوفي بها في عام ٧٣٤هـ/١٣٣٤م ، من ذلك أنه قصد زيارة نعل الرسول صلى الله عليه وسلم الموجودة بدار الحديث الأشرفية بدمشق ، فلما رأى النعل حسر عن رأسه ، وجعل يُقبله ويمرغ وجهه عليه ، ودموعه تسيل وأنشد [٤] :-

فلو قيل للمجنون : ليلى ووصلها ... تريد أم الدنيا وما في طواياها !
لقال : غبار من تُراب نعالها ... أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها

مما سبق نجد أن المدائح النبوية ازدهرت في أدب الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك كما ازدهرت في العالم الإسلامي وقتئذ نتيجة للعوامل التي سبق ذكرها ولعل أهمها انتشار الطرق الصوفية والدروشة وسيطرة فكرة الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي والتركيز على شخص النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٩ ص١٢٣-١٢٤ رقم١٠٩ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٣ ص٢٠ رقم٢٤٩٦ .
(٢) العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢٣٥ ، ٢٣٧ .
(٣) ابن حجر ، الدرر ، جـ٣ ، ص٣٦-٣٧ رقم٢٥٣٨ ؛ الداوودي ، طبقات المفسرين ، جـ١ ، ص٣٦٥ ، المنستيري ، شجرة النور الزكية ، جـ١ ص٢٠٥ .
(٤) ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهب ، جـ٢ ، ص٨٠-٨١ .

الشعر الصوفـــي :-

من المتعارف عليه أن التصوف ازدهر في العصر المملوكي وزاد انتشاره ، وتــرك التصوف أثره في جميع مناحي المجتمع المصري وقتئذ ، منها الأدب المصري من شعر ونثر ، وعلى الأدب السكندري كجزء من الأدب المصري ، يتضح ذلك فيما تركــه مــن أفكار وآراء ونظريات صوفية ظهرت في الشعر الصوفي ، من تلك النظريات التي أذكاها الصوفية في تلك الفترة ، نظرية " الحقيقة المحمدية " ، وذكر تنقلها من نبي إلى نبــي حتى ظهرت صورة محمد صلى الله عليه وسلم [1] والقول بأزلية النور المحمدي ، مــن ذلك ما قاله ضياء الدين علي بن محمد الغرناطي نزيل الإسكندرية الشــاعر الصــوفي ، والمتوفي بالإسكندرية في عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م في قصيدته التي مطلعها [2] :-

هي المنازل فأنزل يمنة العلم ... ودع سؤالك عن سلمي وذي سلم

وتظهر آرائه في الحقيقة المحمدية في قوله :-

سما عن الوجد لما لاح موجــده ... فالذات مثبتــة والأين في عــدم
وناح من أجلــها نــوح ودارســها ... إدريس قبل فأدفتــه من النعــم
ونال منها خلــيل الله مرتبــة نجته ... من لفحــات النــار حين رمــى
إذ قال جبريل في أفق الهواء لـــه ... فعل حاجة لك والنيران في ضرم
فقال في وقته أما إليـــك فــلا ... فقال سل قال حسبي علمــه فلــم
فسلمت عند ذاك النـــار وانقلبــت ... برداً له وسلاماً دون مــا ألــم
ولاح نور التجلي نورها فكســـي ... موسى به خلع التخصيص بالكلم
وهام من شربها عيسى المسيح فلم ... يحفل بأهل ولا مــــال ولا نعــم
وأحمد المصطفى المختار سيدنـــا ... قد فاز منها بأوفى الحظ والقسم

فالشاعر هنا يعتبر الحقيقة المحمدية أزلية أبدية ، وأنها تنتقل في ظهورها إلى حيــز الوجود الحسي من نبي إلى نبي ، وأنها لم تظهر قبل النبي محمد على صورة متكاملــة في شخص أحد من النبيين ، وإنما تظهر في كل واحد على شــكل جزئــي أو صــورة مصغرة ، فكل نبي يأخذ منها بقدر [3] فنوح وإدريس وإبراهيم موسى وعيســى علــيهم السلام أخذ كل منهم بعضها كجزء من رسالته فهي التي أنجت إبراهيم من النار وجعلت موسى كليما واستغنى بها عيسى عن الأهل والمال والأنعم ، أما أحمد المصطفى فقــد ظهرت فيه تلك الحقيقة المحمدية على أكمل معنى وأتم صورة .

وعبر الشعر الصوفي عن بعض المفاهيم لدى الصوفية من ذلك ما قالــه أبــو العبــاس المرسي في الكلام على النفس والروح وعلاقتها بالبدن [4] :-

---

(١) حبشي سيد نصر ، المجتمع المصري في الشعر المملوكي ، ص٣٨٦ .

(٢) ابن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ وفيات عام ٦٨٦هـ ورقة ٣٦٩ ؛ مخطــوط رقــم ١٤٩٧ تاريخ نقلاً عن علي حسين صافي ، الأدب الصوفي ، ص٤١١ .

(٣) علي حسين صافي ، الأدب الصوفي ، ص٢٣٢ .

(٤) ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، ص١٨١-١٨٢؛ النويري الســكندري، الإلمــام، ج٤، ص٢٤١-٢٤٢ .

إن كنت سائلنا عن خالص المنن ... وعن تعلق ذات النفس بالبـدن
وعن تشبثها بالخط مذ ألفـــت ... أدرانها فغدت تشكو من العطن
وعن تنزلها في حكمها ولهـــا ... علم يفرقها بالقبح والحســـن
وعن بواعثها بالطبع مائلـــــة ... تهوى بشهوتها في ظلمةالشجن
وعن حقيقتها في أصل معدنهـــا ... لا ينثني وصفها منها إلى وثـــن
فاسمع هديت علوماً عز سالكها ... عن العيان ولا يغررك ذو لســن

ومنها :-

والنفس بين تنزول في عوالمها ... كآدم ولـــه حـــواءُ فـــي قـــرن
والروح بين ترق في معارجها ... وهي الموافـــق للتعريف والمـــنن
مثالها في العلا مرآة معدنهـــا ... ألطافها خفيت كالســـر في العلـــن
زيتونة زيتها نور لشاربهـــــا ... مدّت هدايتها في الكـــــون والكين

فأبو العباس المرسي يتحدث عن حقيقة الروح والنفس من ناحية ، وعـن تعلقهـا بالبدن وتشبثها بالبقاء في عالم الفناء وإنغماسها في ظلمات المادة من ناحية أخـرى ، وما تمر به الروح في حياتها بعد مغادرتها هذا العالم الحسي ، سواء أكان ذلك بموت أم بما يقع لها من كشف نتيجة للمجاهدة والمكابدة وما تتواجد فيه تبعاً لذلك أثناء سلوكها وهي في الطريق إلى الله من منازل ومقامات [١] .

فضلاً عن ذلك عبر الشعر الصوفي عن المنازل والمقامات التي يمر بها السـالكون في طريقهم إلى الله من ذلك قصيدة أنشأها أحد أتباع الطريقة الشاذلية بين يـدي أبـو العباس المرسي قائلا [٢] :-

خذ من كلامي ما يلذ جنـــاه ... وينم كالمسك العبيـــق شـذاه
ذكر الإله ألزم هديت لذكـــره ... فيه القلوب تطيب والأفـــواه
واجعل حلاك تقاه إن أخا الحجا ... يا صاح من كانت حلاه تقـــاه
ولتعمل الأفكار في ملكوتــــه ... مستغرقاً في الكشف عن معناه
ولتفن حتى عن فنائك إنـــــه ... عين البقاء فعنـد ذاك تـــراه
وإذا بدا لك فاعلم أنك لست هو ... كلا ولا أيضا تكون ســـواه
شيئان ما اتحدا ولكن ههنـــا ... سر يضيق نطاقنـــا عما هو

وهنا يتحدث الشاعر عن المنازل والمقامات والأحوال التي لابد وأن يمر بها السـالكون وهم سائرون على الطريق بغية الوصول أو الانتهاء إلى مقام المعرفة وهي تتمثل فـي الذكر ثم التقوى ثم التفكر في خلق الله وملكوته ، وتجريد القلب مـن كـل العوائـق ، وتصفيته وتخليته من كل ما يشوبه من نزوات النفس ورغبات الجسد وأكـدار الـدنيا ، فإذا مر السالك بهذه المنازل وصل إلى مقام المعرفة ومرتبة الوصول بحيث يصبح فـي حالة لا يعلمها إلا الله [٣] .

---

(١) علي حسين صافي ، الأدب الصوفي ، ص٢٣٦ .
(٢) ابن عطاء الله، المصدرالسابق، ص١٨٣.   (٣) علي حسين صافي، الأدب الصوفي، ص٢٣٦

ولابن عطاء الله السكندري قصيدة في إرشاد المريدين يحثهم فيها على الصبر والاحتمال قائلاً (١) :-

فلا والله ما طابت حيـــاة ... سوى بالقرب من كنف الحبيب
فلا تختر سوى دار السعدي ... وعد عن الأجارع والكثيــــب
وما لاقى الأحبة مثل بعـــد ... تفتت من حبّـــات القلـــوب

ويستمر ابن عطاء الله السكندري في إرشاد المريدين بألا يهنوا ولا يسأموا إذا مـــا طال بهم الطريق ، وأبطأ عنهم الفتح ، ووجدوا في سلوكهم عظيم المشقة ، واستشعروا بعد هذه المشقة علو الهمة وسمو المكانة ورسوخ القدم ، لأن الفتح فتح الله ، والهـــدى هديه ، وكل الأمور تقع وفق مشيئته وقدره .

ويسير على نفس المنوال البوصيري حيث يوضح آداب المريدين بقوله (٢) :-

فإذا عزمت على إتباع سبيله ... فاسمع كلام أخي النصيحة ترشد
فنظام أعمال التقى آدابهـــا ... فاصحب بها أهل التقوى والسؤدد
وتجنب التأويل في أقوال من ... صاحبت من أهل السعادة تسعـد
قد فرق التأويل بين مقـــرب ... يوم السجـــــود لآدم ومبعـــد
وحذار أن يثق المريد بنفسه ... واحزم فما الإصلاح شأن المفسد

فالبوصيري يعبر عن مفاهيم الصوفية عن الأقطاب والمشـــايخ ، فعلـــى المريـــد أن يكون مع شيخه كالميت الذي بطل تفكيره ، وتعطلت حواسه ، وفقد وعيه وانقـــاد إلـــى شيخه ، والإشارة لسجود الملائكة لآدم وعصيان إبليس ، تخدم معتقدات الصوفية في أن " من اعترض انطرد " (٣) ولا يثق المريد بنفسه بل يلجأ في كل أموره إلى شيخه .

ولذا يطلب منه أن يصحب أبو العباس أحمد المرسي قائلاً (٤) :-

فاصحب أبا العباس أحمد آخذاً ... يد عارف يهوى النفوس منجـــد
وإذا بلغت مجمع البحرين من ... علميه فانقع غلة العلم الصـــدى
فمتى أرى موسى الإرادة عنده ... خضر الحقيقة نال أقصى المقصد
وإذا الفتى خرقت سفينة جـــده ... لنجاتها وجد الأسى غير الســـدّد

واتخذ البوصيري من قصة موسى والخضر دليلاً على أن القطب مؤيد بالعلم اللدني ولذا فإن أفعاله وإن بدت في ظاهرها خلاف باطنها ، فأنها لا تخرج من حكمة آلهية أسمى .

يتضح لنا من تلك الأمثال من الشعر الصـــوفي أن المتصـــوفة اســـتخدموا الشـــعر كوسيلة إعلامية لنشر مبادئهم وأفكارهم ونظريـــاتهم مثـــل الحقيقـــة المحمديـــة وآداب الطريق للمريدين ومكانه شيوخ الطريق وعدم الاعتـــراض علـــيهم وغيـــر ذلـــك مـــن معتقداتهم وهذا يبين لنا العقلية الثقافية في الإسكندرية بل في دولة المماليك كلها – في مصر والشام والحجاز – وسيطرة المعتقدات الصوفية عليها .

---

(١) ابن عطاء الله ، المصدر السابق ، ص٢٠٨-٢٠٩ .
(٢) البوصيري ، ديوان البوصيري ، ص٧٤ .
(٣) حبشي سيد نصر ،المرجع السابق، ص١٦٢-١٦٣.
(٤) البوصيري، المصدر السابق، ص٧٤-٧٥.

الهجـــــاء :-

على الرغم من شغف المغاربة والأندلسيين بمدينة الإسكندرية حيث استقر العديـد منهم بها وتركوا تأثيرهم في جميع نواحي حياة المجتمع السكندري وقتئذ حتى أننا نجد أثر ذلك في أسماء أحياء المدينة الآن معظمها أسماء لعلماء مغاربة وأندلسـيين ، فـإن نظرتهم لأهل الإسكندرية نظرة اتهام بالبخل والشح وأنهم لا يكرمون من ينزل مدينتهم ، فجلال الدين مكرم بن أبي الحسن بن أحمد بن خيقه الخزرجـي ذم أهـل الإسـكندرية قائلا(١) :-

يا ساكن الإسكندرية : عندكم (٢) ... بات النزيلُ بليلة الملسـوع
تقرونه بالأسطقسـات التـي ... هي أصل كل مؤلف مجموع
بترابها وهوائها وبمائهـا (٣) ... والنار في أحشائه بالجـوع

وأيده ابن سعيد في ذلك قائلاً " ما أحسن ما كمل له قصـيدة " موضـحاً أن أهـل الإسكندرية كثير ما يذكرون للغرباء على جهة الافتخار ببلدهم رمل الجزيرة المعروفـة بجزيرة الرمل ، فيها كروم إذا جلس الشخص في أرضـها بثيـاب نظيفـة لا تتوسـخ وهواؤها المعروف بالملثن رطب ينام الإنسان من لذته ، وماء صهاريجها المبرد .

وفيهم يقول الشاعر نفسه أيضاً (٤) :-

نزيل الإسكندرية ليـس يُقـرى ... بغير الماء أو نظر السوارى (٥)
ويُتحف حين يُكرم بالهواء السملا ... ئن والإشـارة للمنـار
ونعت الرمل والأعنـاب فيـه ... ووصف مواكب الروم الكبار
ولا تطمع بقطرة حرف خبـز ... فما فيها بذاك الحرف قـارى

وهذه الأبيات تسير على نفس وتيرة الأبيات السابقة من وصـف أهـل الإسـكندرية بالبخل مع افتخارهم بمدينتهم وما بها من معالم التي اشتهرت بها وجذبت أنظار الرحالة والجغرافيين سواء كانوا أجانب أو مسلمين مثل عمود السواري أو منار الإسـكندرية ، وأرض رمل الجزيرة التي تقع خارج الإسكندرية على الرقبة التي تفصل بـين المينـاء الشرقي والميناء الغربي ، والتي اشتهرت بزراعة الأعناب والتين حتى سميت به " رأس التين " وكذلك وصف مراكب التجار الأوربيين الكبيرة الآتيـة لتجـارة مع الإسكندرية ،

---

(٣) ابن سعيد ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، تحقيق حسين نصار ، الطبعة الثانية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص٣٢٢-٣٢٣ ؛ المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٢٦٢ ؛ ابن إياس ، نزهة الأمم ، ص١٧٨ .

(١) عند العبدري فيكم بدلا من عندكم ، انظر العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢٧٠ .

(٢) عند العبدري بهوائها وبمائها وتُرابها ، بدلا من الشطر السابق ، انظر العبدري ، ص٢٧٠ .

(٣) ابن سعيد ، النجوم الزاهرة ، ص٣٢٣ .

(٤) ذكر النويري السكندري البيتين الأول والرابع ولكن بألفاظ أخرى مترادفة فذكر :

نزيل سكندرية ليس يقـري ... سوى بالماء أو ظل السوارى
فلا تطمع بنظرة حرف خبز ... فما فيهم لذاك الحرف قـاري

انظر : النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٦ ص٣٧٥ .

ومع ذلك فإن أهل الإسكندرية لا يكرمون الغريب حتى الخبز لا يقدمونه له ، ولعل فـي ذلك نوع من التحامل على أهل الإسكندرية .

ويؤيد ذلك ما قاله ابن صقر الخفاجي يذم أهل الإسكندرية أيضاً بقوله [1] :-

نزيل الإسكندرية ليس يُقري سوى بالماء أو عمد السواري
ويتحف حين يكرم بالعدالـــي ويولم بالإشـــــارة للمنـــــار
وذكر البحر والأمواج فيــــه ووصف مراكب الروم الكبـــار
فلا يطمـــــع نزيلهـــم بخبـــز فما فيهـــا لذاك الحرف قـــاري

وهنا يسخر من أهل الإسكندرية ويتهكم عليهم حيث لا يقدمون للغريب سوى المـــاء أو رؤية عمود السواري والوليمة عندهم الإشارة إلى المنار وذكر البحر والأمواج ومراكب التجار الأوروبيين أما تقديم الخبز لهم فلا يعرفه أحد منهم .

وذم أهل الإسكندرية أحد المغاربة أيضاً العالم النحوي محمد بـــن عبـــد الله حـــافي رأسه ت ٦٩٣هـــ/١٢٩٢م قائلاً [2] :- [ الكامل ]

يا منكراً من بُخْل أهل الثغر ما علم الورى أنكرت مالم ينكـــر
أقصر فقد صحت نتانة أهلـــــه ومن الثغور كما علمت الأبخر [3]

وهنا يخاطب منكر بخل أهل الإسكندرية بأن ما ينكره يعرفه الناس فلا تنكر ما هـــو معروف لأنه وضح طبيعة أهله وكما هو معروف لا تأخذ منهم غير الكلام فقط .

ويستمر حافي رأسه في ذم أهل الإسكندرية أيضاً بقوله [4] :- " الخفيف "

أهل ذا الثغر خير شيء يزين فيه أن تفقدوا وألا تكونـــــوا
جئتم للزمان عونا علينـــــــا ومضى من على الزمان يُعين

وهو يتمنى إلا يوجد أهل الإسكندرية ويمحوا من الوجود لأنهم جاءوا لهذا الزمان عونا على نزلاء الإسكندرية في الوقت الذي لا يوجد فيه من يُعين .

ويستمر في هجاءه ليس لأهل الإسكندرية فقط بل للإسكندرية نفسها بقوله [5] :-

الإسكندرية مكربه زخم ونـــــار تُسعَرُ
إن قيل ثغر أبيض فأقول لكن أبخـــر

يتضح لنا أن موقف نزلاء الإسكندرية وبخاصة المغاربة والأندلسيين من أهل الإسكندرية بل لا نجاوز إذا قلنا من أهل مصر كلها ذم وهجاء نتلمس فيه روح حاسدة لما فيه أهل

---

(١) محمد زغلول سلام ، الأدب في العصر الأيوبي ، ص١٦٩ .
(٢) عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ، إشارة التعيين ، ص٣٢٢-٣٢٣ .
(٣) نلاحظ أن هذين البيتين ذكرهما كلا من العبدري وابن أيبك الصفدي وابن شـــاكر الكتبـــي مـــع اختلاف بعض الألفاظ فالعبدري ذكر البيت الثاني كالآتي :

إن كان قد صحت نتانة أهله فمن الثغور كما علمت الأبخر

أما البيت الأول فذكر ابن أيبك الصفدي وابن شاكر الكتبي والعبدري كلمة " عرف الورى " بدلا من " علم الورى " ، انظر ، ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـــ٣ ، ص٣٦٥ ؛ ابن شـــاكر الكتبـــي فـــوات الوفيات ، جـــ٣ ص٤١٠ ؛ العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢٦٩ .
(٤) العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢٦٩ .
(٥) الكواكب السائرة ، ص١٢٢ ، نقلاً عن محمد زغلول ســـلام ، الأدب فـــي العصـــر الأيـــوبي ، ص١٦٨-١٦٩ ، ابن إياس ، نزهة الأمم ، ص١٧٨ .

الإسكندرية من نعيم وثراء في حين أن أغلب هؤلاء المغاربة والأندلسيين أغلبهم تركوا بلادهم هرباً سواء باستيلاء الأسبان عليها أو بسبب الاضطرابات السياسية في البلاد التي تحت الحكام المسلمين في بلاد المغرب ، ومن المعروف أن صلاح الدين بن أيوب قد أنشأ لهم داراً بالإسكندرية ينزلون بها وينفق عليهم حيث خصص لهم رواتب عينية من الأطعمة وخصص بيمارستان لعلاج مرضاهم مما يوضح لنا من صراع نفسي لدى نزلاء الإسكندرية .

ولم يقتصر الذم على هجاء أهل الإسكندرية ، بل أن الصراع على تولي المناصب بين علماء الإسكندرية أدى إلى هجاء بعضهم بعضاً من ذلك ما هجا به ناصر الدين أحمد بن المنير قاضي الإسكندرية ت ٦٨٣هـ/١٢٨٢م حيث عزله الظاهر بيبرس البندقداري عن قضاء الإسكندرية عام ٦٦٢هـ/١٢٦٠م وولى غيره القاضي زين الدين بن أبي الفرج لما نازعه في تولي قضاء الإسكندرية فكتب إليه يذمه قائلاً [١] :-

قل لمن يبتغي المناصب بالجهل ... تنح عنها لمن هو أعلم
إن تكن في ربيع وُليت يوماً ... فعليك القضاء أمسى محرم

وبنفس السيف ضُرب به ناصر الدين بن المنير حيث هجاه برهان الدين الغزولي الإسكندري المولود بالإسكندرية عام ٦٠٧هـ/١٢٠٤م [٢] وكان على علاقة بابن المنير ولكنه تكبر عليه فذم ذلك منه قائلاً [٣] :- [ الطويل ]

أقول لخل قد غدا متكبرا ... علي : ترفق ! إنني منك أكبر
وإن كنت في شك فعندي دليله ... بأني غزولي وأنت منير !

ويقول فيه أيضاً وقد قطع جواري المتصدرين أي رواتب العلماء [٤] :-

ألا يا ابن المنير لا تُدار ... فذنبك ليس يُمحى باعتذار
لبست ثياب لؤم عنك شفت ... ومن يُكسى ثياب العار عار
قوى حب العبيد عليك حتى ... أراك سعيت في قطع الجواري

ويرجع ذلك إلى سوء استخدام ابن المنير لمنصبه فقطع رواتب العلماء وطلبة العلم فقال برهان الدين يهجو ما فحش ، ويرى أحد الباحثين أن الأبيات عالية والتورية في البيت الأخير ولا شك بارعة [٥] .

---

(١) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٨ ، ص١٢٩ ؛ ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ١ ص١٥٠ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ١ ، ص٦٥٤ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٢ ، ص١٨٦ ؛ النجوم الزاهرة ، جـ٧ ص٣٦١ .

(٢) إبراهيم بن عبد الحميد بن خليفة بن غارم ، برهان الدين ، أبو اسحاق المعروف بالغزولي الهواري الإسكندري ، النحوي الشاعر ، وكان من فضلاء أهل الإسكندرية متصدراً لإقراء النحو ، انظر ، المقريزي ، المقفى ، جـ١ ص٢١٠-٢١١ رقم٢٣٣ .

(٣) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٨ ص١٣٠ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ١ ص٦٥٤ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، جـ٢ ص١٨٦ .

(٤) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٨ ص١٣٠ .

(٥) حبشي سيد نصر ، المجتمع المصري في الشعر المملوكي ، ص٣٤٤-٣٤٥ .

وله أيضاً يعتب على الدنيا لتقديم الجاهل وتأخير أصحاب الفضل والعلم قائلاً [١] :-

عتبتُ على الدنيا لتقديم جـــاهل ... وتأخير ذي فضل ، فقالت : خُذ العُذرا
ذوو الجهل أنسابي ، وكل فضيلة ... فأربابها أبناء ضرتـــــي الأخــــرى

ولمحيي الدين حافي رأسه بيتان بنفس المعنى وهي [٢] :-

عتبت على الدنيا لتقديم ناقص ... وتأخير ذي فضل ، فقالت : خذ العذرا
بنو النقص أبنائي ، وكل فضيلة ... فأربابها أبنــــاء ضرتـــي الأخــرى

وفي نفس المعنى أنشد أحمد بن عبد المحسن الغرافي المتوفي بالإسـكندرية عــام ٦٦٦هـ/١٢٦٤م قائلاً [٣] :-

زمان علا فيه اللئيم ترفعــا ... وحُط به أهل النُهى والتجارب
تطاول نوكاه إلينا وقوّضــت ... معاقل كانت للكرام الأطــايب

وهذا يعطينا صورة واضحة للمجتمع السكندري بل والمصـــري بعامـــة وبخاصـــة وصول المماليك إلى سدة الحكم وهم الذين مسهم الرق وليس أحـــراراً والتـــف حـــولهم العديد من أهل العمامة ليتولوا لهم إدارة دواوين الدولة وإعانتهم في ابتزاز الشعب مما فتح الباب إلى وصول العديد منهم لتولي وظائف ليسوا أهلاً لها أما الشرفاء من العلماء فقد ابتعدوا جانباً عن ذلك فضلاً عن تولي معظم هذه الوظـــائف بالبرطلـــة ( الرشـــوة ) وأصبح المقياس لتولي الوظائف مقدار ما يدفعه الشخص لتولي الوظيفة ، لذا نجـــد أن محيي الدين حافي رأسه يتحدث لأهل زمانه بأنه ليس عليه ملام في هجاه لهم لأنه لـــم يرى شيئاً حسناً منكم فأساء إليهم بل هم الذين جعلوه يذم أفعالهم [٤] [ الخفيف ]

قل لأهل الزمان حاشاك ممــا ... أصبحوا فيه من مساو سواء
ما على شاعر هجاكم مــلام ... هل راكم أحسنتـــم فأســاء
كان من قد مضى يعلمنا المد ... ح وأنتم تعلمونا الهجـــــاء

وله [٥] :-

ومعتقد أن الرياسة في الكبر ... فأصبح ممقوتا بها وهو لا يدري
يُجر ذيول العُجب طالب رفقة ... ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجرّ !

وهنا يذم من يعتقد أن الكبر والعجب من أمور الرياسة مما جعله مكروا من الناس والأدهى من ذلك أنه لا يعرف ذلك ، فقد تملك منه العجب وأصبح ملبسه ، وهنا يظهـــر تخصص حافي رأسه الذي يعد شيخ علم النحو بالإسكندرية حيث يتعجب من طالب الرفع بالجرّ وهذا مستحيل حدوثه ويبدو أنه لم يتقاضى أجراً على تدريسه لعلم النحو لذا طالب

---

(١) المقريزي ، المقفى ، جـــ١ ص٢١٠ .

(٢) العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢٦٧ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـــ٣ ص٣٦٥ ؛ ابن شاكر الكبتي ، فوات ، جـــ٣ ص٤١٠ ؛ الوطواط ، غرر الخصائص الواضحة ، ص٦٨ ؛ السيوطي ، بغية الوعاء ، جـــ١ ص١٣٨ .

(٣) المقريزي ، المقفى ، جـــ١ ص٥٠٩ رقم ٤٩٣ .

(٤) العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢٦٨ .

(٥) ابن أيبك الصفدي، الوافي، جـــ٣ص٣٦٥؛السيوطي، بغية الوعاء، جـــ١ ص١٣٨، رقم٢٢٨.

بأن يكون للمعلم أجراً على تدريسه قائلاً [1] :-

ومُعلمي الصبر الجميل بهجره فتنى فؤاداً عنه لم يك ينثني [ الكامل ]
لابد من أجـير لكل معلـم ولك السلوّ ثواب ما علمتني

ووصل الأمر به إلى أنه باع كتبه ورهن أشياء أخرى لذا كتب إلى الأمير نور الدين علي بن مسعود الصوابي يشكو إليه حاله قائلاً [2] :-

شكوتُ إليك نور الدين حالي وحسبي أن أرى وجه الصواب
وكتبي بعتُها ورهنتُ حتـى بقيتُ من المجوس بلا كتـاب

مما يوضح أحوال المعلمين وطلاب العلم وما أصابهم من الفقر وشظف العيش حتى وصل الحال إلى بيع الكتب وهي أغلى ما يملكه طالب العلم .

وذم بعض علماء الإسكندرية لجوء البعض إلى المنجمين لمطالعة الغيب ومعرفة ما غاب عنهم لكي يقوموا ببعض أعمالهم ، حيث انتشر في العصر المملوكي العديد من الخرافات والبدع وكثر وجود المنجمين والسحرة ، كما وجد بالإسكندرية العديد من المنجمين لذا ذم تاج الدين أبو الحسن بن الغرافي من يلجأ إلى المنجم قائلاً [3] :-

لا تركنن إلى مقال منجـم وكل الأمور إلى إلا له وسلم
وأعلم بأنك إن نسبت لكوكب تدبير حادثة فلست بمسلـم

وذم أيضاً ناصر الدين أبو العباس أحمد بن المنير اللجوء إلى المنجمين قائلا [4]

يا سائل الخبرة مـن منجم من الورى لا تسأل الغيـوب
إن قلت صادق الصواب مرة قلت : نعم ، قد يصدق الكذوب

مما يوضح لنا بعض جوانب الحياة الثقافية في مجتمع الإسكندرية وقتئذ ، من انتشار ظاهرة اللجوء إلى المنجمين الأمر الذي يخالف الشرعية والدين الإسلامي ، كما يوضح موقف علماء الإسكندرية من هذه الظاهرة وهو الرفض ، بل تكفير من يفعل ذلك كما يظهر في البيت الثاني للغرافي ومعناه أن من أرجع حدوث حادثة لكوكب فليس بمسلم .

وعلى الرغم من نظم العلماء الإسكندرية للشعر ، ومنهم ناصر الدين أبو العباس أحمد بن المنير المتوفي في عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م ، إلا أنه هجا الشعر بجميع فنونه بقوله [5] :- [ الكامل ]

لا تحسبن الشعر فضلاً بارعاً ما الشعر إلا محنة وخيـال
الهجو قذف والرثاء نياحـة والعتب ضعن والمديح سؤال

---

(١) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٣ ص٣٦٥-٣٦٦ ؛ ابن شاكر الكتبي ، فوات ، جـ٣ ص٤١٠ ، العبدري ، ص٢٧٩ .
(٢) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٣ ص٣٦٦ .
(٣) العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢٥٢ ؛ ابن رشيد ، رحلة ابن رشيد ( تحقيق نجاح السبتي ) ، ص٣٤، تحقيق الحبيب بن الخوجه، ج٣ص٥٥؛ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ٥، ص٢٦ .
(٤) العبدري ، نفسه ، ص٢٤٢ .
(٥) العبدري ، نفسه ، ص٢٥٤ ؛ ابن رشيد ، رحلة ابن رشيد ، ص٣٤ ، جـ٣ ، ص٥٥ .

وله أيضاً في الشعر قوله [١] :-

الشعر قسمان : مغسول ومعسول     تدولاً السمع والثاني هو السول
أرده أبـــدا إلا إذا شـــفعـــت     فيه المحاسن عندي فهو مقبول

## الرثـــــاء :-

أدى مفارقة الأحبة والإخوان الذين تركوا تأثيرهم في حياة معاصريهم إلـــى رثـــاء بعض الشعراء ، فابن المنير المتوفي في عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م يرثي أستاذه أبو عمرو عثمان ابن الحاجب والذي استقر بالإسكندرية بعد قدومه من دمشق وسرعان ما وافتـه المنية بها ، وقد ارتبط به تلميذه ابن المنير وقد سبق مدح ابن الحاجب لابن المنيـر ، وعند موته رثاه ابن المنير ببعض الأبيات التي كتبها على قبره وهي [٢] :-

ألا أيها المختال في مُطرف العمر     هلم إلى قبر الإمام أبي عمرو
تر العلم والآداب والفضل والتقى     ونيل المنى والعزغيين في قبر
فتدعو له الرحمن دعوة رحمـــة     يكافأ بها في مثل منزله القفـر

وممن مات من الأندلسيين بالإسكندرية إبراهيم بن عبد الله بن النجيح القرطبـي ، والذي رثاه أخوه محمد بن النجيح القرطبي بقوله [٣] :-

أحقا أيها الناعي السميـــع     أبو إسحاق ليس له رجوع ؟
على الإسكندرية عُج فسلم     لتقض من لبانتها دمـــوع
ففي عرصاتها شملٌ شتيت     تشتت عنده صبـر جميـع

كما رثا أحمد بن إبراهيم السنجارى أستاذه وشيخه تاج الدين بن موسى السكندري المتوفي في عام ٧٧٨هـ/١٣٧٦م بقوله [٤] :-

في عام تسعين بُعدا سـبع مئة     ثم ثمان تعد بالضبـــط
لم يبقى بالثغر من يقال لـــه     حدثكم واحد عن السبـط

ورثا أبى الفضل قاسم البجائي القصّار نزيل الإسكندرية الناصر محمد بـن قـلاوون بقصيدة منها [٥] :-

بكت العيون بكل بحـــر زاخـر     أو كيف لا تبكـي لفقـد الناصـر
ملك الشآم وعزّ مصر ونورهـــا     حامي الحجـــاز مبيـد كل مخامر

---

(١) العبدري ، نفسه ، ص٢٥٣ ؛ ابن رشيد ، نفسه ، جـ٣ ص٥٥ .

(٢) ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهب ، جـ٢ ، ص٨٦-٨٩ ، في حين ذكـر العبـدري هـذه الأبيات مع اختلاف بعض كلماتها وهي كالآتي :-

ألا أيهـــا المختال في مطرف العمـر     هلم إلى قبر الفقيه إبـي عمـرّو
ترى العلم ، والآداب ، والفضل والتقى     ونيل المنى ، والعز جمعن في قبر
وتدعو له الرحمـــن دعوة صالـــح     تكافي بها في مثل منزله القفـــر

إنظر:رحلة العبدري ، ص٢٥٤ .

(٣) المقريزي ، المقفى ، جـ١ ، ص٢٣٦-٢٣٧ .

(٤) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٤ ، ص١٧٧ .

(٥) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ، ص١٥٥ .

فقد الوجـــود بل الوجود لفقـده    متحسر أضحى شبيـــــه الحائـر
يبكي عليه بأدمـــع كيـــواقت    طورا ولؤلؤ بعضها بعضها كجواهر
زار الثرى فاضا الثرى من نوره    وأجابـــــه أهلاً بنعم الزائـــر

وأخذ يعدد انتصاراته مثل انتصاره في معركة شـقحب ضـد المغـول فـي عـام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م [١] .

في شقحب جزّ الرؤس بسيفه    قهراً ونصراً من عزيز

وعندما تعرض نائب الإسكندرية صلاح الدين خليل بن عرام ، للقتل بسبب اتهامـه بقتل الأمير بركة الجوباني ، مما جعل الأتابكي برقوق يسلمه إلى مماليـك بركـة ممـا جعلهم يقطعونه أرباً نوع من التشفي منه لذا رثاه الأديب شهاب الدين أحمد بن العطـار بقوله [٢] :-

[ الوافر ]

بدأت أجزاء ابن عرام خليل    مقطعه من الضرب الثقيل
وأبدت أبحر الشعراء مراثي    مجزرة بتقطيع الخليـــل

وله فيه أيضاً قوله [٣] :-

أيا ابن عرام قد سُمرت مُشتهرا    وصار ذلك مكتوباً ومحسوبـــاً
مازلت تجهدُ في التاريخ تكتُبُــه    حتى رأيناك في التاريخ مكتوبـاً

وهو يعرض ما تعرض له خليل بن عرام من التسمير والإشهار ، وهذا الأمر مقدر من الله ، فإذا كنت اجتهد في كتابه التاريخ ، فأصبحت بعد ما حدث لك مكتوباً وبالفعـل أصبح ما حدث لخليل بن عرام مكتوباً في التاريخ حيث أرخت المصادر المعاصـرة لمـا حدث لابن عرام وأصبح مكتوباً في التاريخ .

## المناظرات الشعريـــة :-

قام بين علماء وشعراء الإسكندرية بعض المناظرات الشعرية ، من ذلك مـا نشـب بين بعض شعراء الإسكندرية حول تجديد عمارة الجامع الغربي بها - جامع عمرو بـن العاص - وتجديد عمارة الجامع الشرقي المعروف بالعطارين أو الجيوشي، إذ قام ناظر الإسكندرية معين الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله بن تاج الدين محمد بن الـدماميني في عام ٧٧٢هـ/١٣٧٠م بترميم الجامع الغربي فرمّه وجدد بياضه وانتهى من عمارته في عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م ونقش ذلك على رخامة لصقها على أبواب المسجد ، وكتـب اسمه عليها وكانت مزخرفة بالذهب واللازورد وتصادف في ذلك الوقت أن سقط إحـدى أعمدة الجامع الشرقي فتكسر قطعاً فقام ناظره قاضي القضاة المالكي بالإسكندرية كمـال الدين بن سبط التنسي بنقل عمود آخر مكان الذي سقط من إحدى القياسر التي خربهـا القبارصة .

---

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ، ص١٥٦ .
(٢) المقريزي ، الخطط ، جـ٤ ، ص٢٤٢ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٥ ، ص٢٦٧، النجوم الزاهرة ، جـ١١ ، ص١٨٦ ؛ ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ، ق٢ ، ص٢٧٥ ؛ علـي مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٦ ، ص٢ .
(٣) ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ١١ ، ص١٨٦ ، ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ق٢ ، ص٢٧٦ .

فقال الشيخ بهاء الدين عبد الله الدماميني والد ناظر الإسكندرية معين الدين الذي عمر الجامع الغربي وسقوط العمود من الجامع الشرقي [1] .

بين [ رأي ] هما الجامع الشرقي صنع محمد     بجامعنا الغربي لما تضعضعا
تميـــز غيظـــا واستشـــاط تنمــراً     وخر عمود غيـــره فتقطعـا

فصور لنا أن الجامع الشرقي عندما رأى عناية موفق الدين محمد بالجامع الغربي لما تهدم وتضعضع مما جعل الجامع الشرقي يتميز غيظاً وغضباً حتى وصل إلى غضبة النمر ومن غيرته سقط عموداً من أعمدته بل وتقطع من شدة غيرته .

ولكن عندما بلغ هذين البيتين الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي العباس أحمد الشهير بالشاطر الدمنهوري رد عليه بثلاثة أبيات وهي [2] :-

أنزه بيت الله عن قول من هجا     لجامعنـــا الشرقـــي تدعدعـــا
أيزعم جامعاً أنه اغتاظ إذ رأى     أخاه بأبواب البيـــاض تلمعـــا
وحاشا من غيظ به غير أنـــه     من الذكر أضحى خاشعـاً متصدعا

وهو ينزه بيت الله أي الجامع الشرقي من الهجاء بالقول تدعدعا ( تضعضعا ) ، ولكن السبب في سقوط العمود كثرة الذكر به فخر لله خاشعاً متصدعاً ، وهنا نرى الشاعر يقتبس من القرآن آية " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعاً من خشية الله " [3] .

ولكن بهاء الدين عبد الله ابن الدماميني رد عليه بقوله [4] :-

أيضحك أم يبكي من الحزن جامع     به الدين والذكر المبين تجمعاً
ولم لا نبكيه ونبكـي تأسفـــاً     وصوّت فيه البوم جهراً ورجعاً

وفي تلك الأبيات يرد عليه ويفرق بين الجامعين فالجامع الشرقي مهجور ويملاءه صوت البوم لكنه كان يسوده التشيع أما الجامع الغربي مملؤ بالدين والذكر المبين ، ودخل النويري طرفاً ثالثاً بينهما ولكنه ساوى بين الجامعين في الأفضلية والعمارة قائلاً[5] :-

رأي الجامع الشرقي ترميم جامع     بغربي ثغر بالبياض تلمعـــاً
فسر له الشرقي عند سماعــــه     لذاك فأضحى خاشعاً متصدعاً
لسان النويري بالمديح مقصـــر     بما قاله في الجامعين وأودعا

وقال أيضاً في تجديد الجامع الشرقي لما جدد في المحرم عام ٧٧٣هـ/١٣٧١م [6] :-

غدا الجامع الشرقي بالحسن مبدعا     له بهجة يصبوا له كل من سعـاً

---

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ، ص٤١-٤٢ ، يوجد فراغ في النص المطبوع لذا أضاف الباحث كلمة ( رأى ) فيكون الشطر الأول ( رأى الجامع الشرقي صنع محمد ) .
(٢) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ، ص٤٢ .
(٣) سورة الحشر ، الآية رقم ٢١ .
(٤) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ص٤٢-٤٣ .
(٥) نفسه ، جـ٤ ص٤٤ .
(٦) النويري السكندري ، الإلمام جـ٤ ، ص٤٥ .

بياض لــــــه كالياسميــن تخالــــه كدُرّ على حيطانه متــرصعـــاً
حوى روضة خضراء في وسط صحنه فأصبح ذاك الروض ريان مترعاً
تمايل في بيض الثيـــاب وحسنهـا وخير الثياب البيض لوناً منصعاً
رأى الجامع الغربي حسن بياضــــه فصار الناس حسنهما معـــــاً
سور على الغربي عـــاد ضيــاؤه ونور على الشرقي ضاء مشعشعاً
لسان النويري بالمدائــــح فيهمــا كشند وكافور ومسك تضوعـــاً

وهذه صورة للمناظرات الشعرية حول قضية تجديد وعمارة كل من الجامع الغربي ـ عمرو بن العاص ـ ، والجامع الشرقي – العطارين أو الجيوشي – حيث كان العطارين مركزاً للمذهب الشيعي في الإسكندرية أما الجامع الغربي يعد مركزاً للسنة في الإسكندرية وأصبح المسجد الجامع للإسكندرية في عصر الأيوبيين والمماليك على السواء وهذه الصورة توضح مظهراً ثقافياً شغل أذهان بعض مثقفي الإسكندرية وقتئذ .

## ثانياً : النثـــــر :-

لم يقتصر الأدب في الإسكندرية على نظم الشعر ، بل تعـددت موضـوعات النثـر وكثرت أغراضه في هذا العصر ، فكان منها ما هو ديني كما في كتب الفقـه والحـديث والتفسير ، ومنها ما هو لغوي كما نجد في كتب النحو والصـرف والمعـاني والبيـان والبديع والعروض والقوافي وغير ذلك مما يمت بصلة إلى اللغة من قريـب أو بعيـد ، ومنها ما هو نقلي ككتب التراجم والطبقات ، ومنها ما هو عقلي كما الذي نجده في كتب المنطق والمعقولات ، ومنها ما هو سياسي أو إداري كالرسائل الديوانية التي تصدر عن دواوين الدولة ومنها ما هو اجتماعي كالرسائل الإخوانية ، فضلاً عـن أدب المـواعظ والنصح والحكمة ، وأدب الدعاء والمناجاة والخطابة وأدب المقامة ، وغير ذلـك مـن فنون النثر التي ازدهرت في عصر سلاطين المماليك ، وسوف نتناول ذلك بشـيء مـن التفصيل فيما يلي :-

## الكتابة الديوانيـــــة :-

هي التي تصدر عن دواوين الدولة ، وهي تتعلق بالأمور العامة ، والشئون التـي تتصل بتدبير الأمور ، وأساليب الحكم ، وهي تختلف في أسلوبها باختلاف الموضـوع ، من تقليد أو عزل وغير ذلك ، وأمدنا القلقشندي بالعديد من الكتابات الصادرة عن ديوان الإنشاء خاصة بتقليد أرباب الوظائف بالإسكندرية ، مثل : نائب السلطنة بالإسـكندرية ، وقاضي المالكية بها وقاضي الشافعية ومحتسب الإسكندرية ، ونظرها ونظـر الصـادر والوارد بها ونظر دار الطراز وغير ذلك من وظائف .

فكان التقليد ذات متن وطرة ، فصورة الطرة أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى المقر الكريم أو إلى الجناب العالي الكريم ... نيابة السلطنة الشـريفة بالإسـكندرية ... وتختلف الطرة في العبارات والألقاب ، فلقب النائب غير لقب القاضي ، ولقـب النـاظر غير لقب المحتسب [1] .

أما متن التقليد ، فكان لا يفتتح إلا بالحمد لله وليس إلا ، ثم يقال بعدها ، أما بعد ثم يذكر ما سنح من حال الولاية وحال المولى ، وحسن الفكر فيمن يصلح ، وأنه لـم يـر أحق من ذلك المولى ويسمى ثم يقال ما يفهم أنه هو المعدم الوصـف إذ المتقـدم إليـه بالإشارة ، فكان يكتب النائب الإسكندرية تقليد في قطع الثلثين بـ " الجناب العالي " مـع الدعاء بمضاعفة النعمة ويبدأ التقليد بـ " الحمد لله على نعم باسـمة الثغـر ، مُسـفرة الفجر ، رافعة القدر ، نحمده حمداً يشرح الصدر ... [2] أما بعد ، فإن الاهتمام بـالثغور هو أولى ما إليه حمد ، وعلى مصالحها اعتمد ، وكان ثغر الإسكندرية المحـروس هـو المفتر عن أحسن الثنايا ، والمخصوص من الحياطة بأتم المزايا ، والـذي كـم شـفت شفاهه من سقم عند ارتشاف ... " ثم يذكر حال المولى قائلاً : " ولما كـان فـلان هـو مستوعب هذه الصفات ، ومستودع هذه الأسماء والسـمات .... اقتضـى حسن الرأي

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١٤ ، ص١٠٢ .
(٢) نفسه ، جـ١١ ، ص٤٠٥ .

الشريف أن تُفوض إليه نيابة السلطنة الشريف بثغر الإسكندرية المحروس ، تفويضاً يمضي في مصالحه لسانه وقلمه ، ويُصرف بين الأوامر والنواهي بإشاراته ... " ثم يوضح مهام وظيفته قائلاً : " فليباشر هذه الوظيفة مُجملاً مواكبها مكملاً مراتبها ، موثلاً بقواعد الأمن أرجاءها وجوانبها ، ناشراً لواء العدل على عوالمها .... " [١] .

ومن الكتابات الرسمية وثائق الوقف والهبة والملكية وهي تصدر عن ديوان القاضي ، حيث يتم توثيق العقود لديه ويشهد عليها الشهود العدول المعتمدين لدى القاضي ، وقد وصلتنا وثيقة هبة صادرة عن ديوان قاضي المالكية بالإسكندرية ، ناصر الدين أبو البركات شعبان القادري المالكي سبط الأنصاري ، وهي خاصة الملك المنصور عثمان بن جقمق المنفي بالإسكندرية حيث وهب عدة أملاك من أملاكه إلى السلطان المملوكي وقتئذ الظاهر خشقدم وهي بتاريخ ٦ جمادى الأولى عام ٨٦٦هـ/١٤٦١م وهي تبدأ بالبسملة ، ثم يذكر ألقاب السلطان خشقدم ، ثم ألقاب عثمان بن جقمق ويوضح الهبة ... وأشهد فيه على نفسه الكريمة مولانا المقام العالي السيدي الفخري عثمان المنصور المشار إليه باعالية صانه الله تعالى أشهاداً شرعياً .

وهو بثغر الإسكندرية في حال صحة وجواز أمر وطواعية أنه وهب لمولانا السلطان المالك الإمام العالم الأعظم الظاهر أبي سعيد خشقدم ... وكان صدور ذلك من مولانا الواهب المشار إليه بحضرة مولانا المقر الكريم العالي الكبيري الأميري الموتمنى السديدي الفاضلي العالمي الزيني خشقدم الساقي الظاهري أعز الله نصرته الوارد إلى الثغر المذكور فيه بتشريف شريف لمولانا الواهب المشار إليه أدام الله نعمته عليه وقبل ذلك المقر الزيني المشار إليه فيه لمولانا السلطان الموهوب له أعلاه نصره الله قبولاً شرعياً بطريق التوكيل الشرعي وبحضرة مولانا المقر الكريم العالي المولوي الكبيري السيدي الأميري الكبيري الكافلي السيفي كسباى الظاهري نايب السلطنة الشريفة بالثغر المذكور [٢] .

<u>الرسائل الإخوانيــــة</u> :-

من فنون النثر الادبي الرئيسية في العصر المملوكي والتي عرفت باسم " الإخوانيات " وهي عبارة عما كان يكتب به أهل ذلك العصر إلى بعض من رسائل يكون القصد منها إما الشكر على مكرمة ، أو قضاء مسألة ، وإما التهنئة بمناسبة سعيدة ، أو ذكر حادثة أو تصوير نازلة أو في ما مر به الكاتب أثناء الظعن أو المقام من تجارب ومشاهدات . من ذلك ما كتبه أخو الإمام أحمد بن تيمية المتوفي عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، حيث نفى إلى الإسكندرية وحبس بإحدى الأبراج بها في عهد السلطان بيبرس الجاشنكير عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م بسبب فتاويه وصراعه من الفقهاء المعارضين له والمتصوفة ، لذا كتب أخوه رسالة إلى علماء دمشق يوضح ما جرى

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١١ ، ص٤٠٦-٤٠٧ .

(٢) وثيقة رقم ٢٢٥ ج أوقاف بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة ، دراسة ونشر وتحقيق عبد اللطيف إبراهيم ، ضمن مقالة من الوثائق العربية في العصور الوسطى خمس وثائق شرعية ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، عام ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م ، ص٢٣٧-٢٤٣

لأخيه بالإسكندرية ، وما تم له مع علماء الإسكندرية ، ويطمئنهم عليه فيها بقوله: " إن الأخ الكريم قد نزل بالثغر المحروس على نية الرباط ، فإن أعداء الله قصدوا بذلك أموراً يكيدونه بها ويكيدون الإسلام وأهله ، وكانت تلك كرامة في حقنا ، وظعنوا أن ذلك يؤدي إلى هلاك الشيخ فانقلبت عليهم مقاصدهم الخبيثة وانعكست من كل الوجوه ، وأصبحوا وأمسوا ومازالوا عند الله وعند الناس العارفين سود الوجوه يتقطعون حسرات وندماً على ما فعلوا ، وانقلب أهل الثغر أجمعين إلى الأخ مقبلين عليه مكرمين له وفي كل وقت ينشر من كتاب الله وسنة رسوله ما تقربه أعين المؤمنين ، وذلك شجى في حلوق الأعداء واتفق أنه وجد بالإسكندرية إبليس قد باض فيها ومزح وأضل بها فرق السبعينية والعربية فمزق الله بقدومه عليهم شملهم ، وشتت جموعهم شذر مذر ، وهتك أستارهم وفضحهم ، واستتاب جماعة كثيرة منهم ، وتوب رئيساً من رؤسائهم ، واستقر عند عامة المؤمنين وخواصهم من أمير وقاضي وفقيه ... " [(١)] .

ومن الرسائل الإخوانية ما فيها ذكر حادثة أو تصوير نازلة نزلت على أناس ، من ذلك حدث لأهل الإسكندرية حادثة في عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م وهي وقوع مشاجرة بين أهل الإسكندرية وبعض أفراد الجاليات الأوروبية بها حيث ضرب الأوروبي أحد أهل الإسكندرية بالمداس " وكانت النتيجة أن قتل من أهل المدينة أكثر من أربعين فرد ، فضلاً عن كثرة الغرامات والمصادرات لهم ، لذا فقد كتب أبو يحيى زكريا الطرابلسي نزيل الإسكندرية إلى صديقه المؤرخ عمر بن الوردي يخبره بما حدث للإسكندرية وأهلها قائلا : " إنا لله وإنا إليه راجعون فيما أصاب المسلمين بثغر الإسكندرية من الإحراق والضرب وأخذ الأموال وسفك الدماء ، فالله يعظم لنا ولكم الأجر " [(٢)] .

ومن الرسائل الإخوانية ما كان يكتب بها الشيوخ إلى المريدين والإخوان بقصد التوجيه والإرشاد من ذلك ما كتب به أبو الحسن الشاذلي - نزيل الإسكندرية والمتوفي في عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م - إلى أحد أتباعه بتونس وهو علي بن مخلوف يرشده إلى بعض الأمور قائلاً " بسم الله الرحمن الرحيم . والحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين .

هذا من علي بن عبد الله عرف بالشاذلي إلى ولده الطيب المبارك الصفي الزكي المبرأ من سبل المهالك ، علي بن مخلوف الصقلي سلام عليك ورحمة الله وبركاته [(٣)] .

أعلم أيدك الله بالبصيرة وصفاء النحيزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له من أولياء الله قال : ...... فانظر إلى هذا الزهد وامحه عن نفسك واكتمه عن أبناء جنسك إلا من يفاوضك في أمرك " . وهذه الرسالة تتميز بأنها سهلة الألفاظ واضحة الأغراض بينة المعنى لا لبس فيها بمقصود على الإطلاق واشتملت على إشارات روحانية ورموز باطنية ومصطلحات صوفية .

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٥٢ .
(٢) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، ص٤٠٢-٤٠٣ .
(٣) ابن الصباغ، درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص٤٣-٤٥ ؛ علي حسين صافي ، الأدب الصوفي ، ص٣٣٥ .

وكذلك كتب ابن عطاء الله السكندري إلى إخوانه بالإسكندرية رسالة أرسلها إليهم من القاهرة يوصيهم فيها بتقوى الله وشكر نعماته والتوبة إليه ، والبعد عما يغضبه من المعاصي والآثام " بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سلام الله ورحمته وبركاته على الإخوان المحبين ، والأوداء المحبوبين ، حفظهم الله وتولاهم وحرسهم ورعاهم ، وأوسع عليهم من فضله ، وأفرغ عليهم من عطائه وبذله ، وأحل قلوبهم محل من الله .... " [١] .

واشتملت هذه الرسالة على عدة خصائص فنية مثل فصاحة الألفاظ وخلوها من المهمل والغريب ، وجزالة العبارة مع السلاسة والوضوح ، وعدم الإبهام في القصد والخلو من كل تعقيد والتواء ، وكثرة المحسنات البديعية وبخاصة السجع والجناس ، من غير تكلف ولا تصنع ممقوت ، واستخدام المصطلحات الصوفية كالأنس ، والمحبة والمشاهدة والفتوح ، كما يظهر فيها أسلوب علماء الشريعة والفقهاء والأصوليين [٢] .

مما سبق يتضح لنا تنوع موضوعات الرسائل الإخوانية ما بين ذكر حادثة أو تصوير نازلة أو إرشاد وتوصية .

## فن الخطابة :-

ومن فنون النثر الأدبي الخطب ، ولا نقصد بالخطبة هنا تلك المقدمة الافتتاحية التي يمهد بها المؤلف لكتابه يوضح فيها غرضه من تأليفه وتحتوي على الحمد والشهادة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر الكاتب بعدها " أما بعد " ثم يكتب صلب موضوعه وإنما هي تلك المقالة التي تلقي على جمهور من السامعين في أحد الأغراض ، ومن سمات الخطبة ودعائمها التي تقوم عليها الارتجال وحسن التصوير ، وسلامة المنطق ، وعمومية المناسبة والموضوع ، وقوة التعبير عن المعاني ، مع كونها مزودة بأدلتها ، لتكون مؤثرة مقنعة [٣] .

واشتهر في الإسكندرية في العصر المملوكي العديد من الخطباء والمفوهيين ، والذين يأتي على رأسهم ناصر الدين أبو العباس أحمد بن المنير المتوفي بالإسكندرية في عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م [٤] ، والذي أصبح رمزاً للخطباء الإسكندرية ، فمن سجل لتعيين ناصر الدين محمد الطناحي لخطبه جامع عمرو بن العاص بالإسكندرية يطلب منه فيه " ... فليرق منبره رُقيّ من خطبه المنبر لخطبته ، وعلم عُلوّ مقامه فقابله بعُلو

---

(١) ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص٢٠٦-٢٠٧ .
(٢) علي حسين صافي ، المرجع السابق ، ص٣٣٨-٣٣٩ .
(٣) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، مج٦ ، ص٥٧ .
(٤) أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم بن مختار بن أبي بكر بن علي ، أبو العباس ناصر الدين المعروف بابن المنير الجروي الجُذامي الإسكندراني المالكي ، ولد عام ٦٣٠هـ/١٢٢٣م ، تولى قضاء الإسكندرية ونظر الأحباس بها وبرع في العديد من العلوم وتوفي بالإسكندرية ٦٨٣هـ/١٢٨٤م ، انظر ، ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٢ ص١٨٥-١٨٦ رقم٣٠٤ .

رُتبته ، ويشنف الأسماع بوعظه ، ويشج القلوب بلفظه ، ويُحي العقول بتذكيره ، ويُبك العيون بتحذيره ، وليعد للجامع ما تعوده من الإسعاد ، ويجدد ما درس من معالم خطابته حتى يقال : هذا ابن المُنَيّر قد عاد ، وعماد الوصايا تقوي الله .... " (١) .

وتجدر الإشارة إلى أن ناصر الدين بن المنير كتب " ديوان خطب " (٢) يمكن أن نطلق عليها أنها نموذج يحتذى بها كل من أراد أن يرقى المنبر لتكون معلماً له في خطابته ، وللأسف لم يصلنا هذا الديوان . ووصف ابن فرحون ابن المنير بأنه " خطيباً مصقعاً " (٣) .

أدب الحكمة :-

يعد أدب الحكمة أو " الحكم " من فنون النثر الصوفي التعبيري ، والحكمة : حقيقة أو قول صادق مسلم به ملصوغ في عبارة موجزة غالباً ، وهي عبارة عن نصيحة صيغت في قالب من اللفظ مقتضب ، تستمد من الناحية الدينية أو الخلقية أو الاجتماعية أو تدور حولها ، وتتميز بعمق التجربة ، وصدق الرأي ، وسداد النظر ، وطول الخبرة(٤) .

والحكمة لونا من أروع ألوان النثر الفني كثر جريانه في هذا العصر على ألسنة الشيوخ والمريدين ، فلا نكاد نجد شيخاً ولا مريداً ذا قدم في الطريق إلا وقد نسبه إليه طائفة من المواعظ والحكم والإرشادات مما جعلها وثيقة الصلة بعلوم الفلسفة والمنطق والمعقولات (٥) .

والجدير بالذكر أن العصر المملوكي ازدهر فيه فن الحكم وارتبط بالتصوف ، ومن أروع نماذج الحكم " فصوص الحكم " لمحيي الدين بن عربي ، وهي نماذج حية مبدعة مشرفة للفكر الصوفي (٦) ، كما أن لابن حبيب الحلبي في كتابه " نسيم الصبا " العديد من الحكم في الفصل التاسع والعشرون ، وهي تدور حول مدح العلم والعقل ، والحث على طرد المجد ، والرضا بالقدر ، والتخلق بالصفات الحميدة ، وفي مطلعه يقول : " العلم نعم السمير ، والعقل بشير بالخير يشير ، اجتهد في طلب العلوم تنفرد بما يرفعك إلى النجوم ، المجد ببذل اللهي ، والفضل بالأدب والنهي ، من صادق العلماء زها بدره . ومن رافق السفهاء وهي قدره . العلم ثمرته الإنصاف والزهد نتيجته العفاف ... "(٧) وللسيوطي رسالة في الحكم اسمها " درر الكلم وغرر الحكم " وتقع في نحو ٦٠ سطراً.

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١١ ص٤١٨-٤١٩ .

(٢) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٨ ص١٢٨ .

(٣) ابن فرحون ، الديباج المذهب ، جـ١ ص٢٤٣ .

(٤) زكي مبارك ، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، جـ١ ص١٣٤ .

(٥) محمد عبد المنعم خفاجى ، الأدب في التراث الصوفي ، ص٨٥ ؛ محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، مج٦ ، ص١٠٧ ؛ علي حسين صافي ، الأدب الصوفي في القرن السابع الهجري، ص٣٢٩ ، ٣٥١ .

(٦) محمد عبد المنعم خفاجى ، المرجع السابق ، ص٨٧ .

(٧) محمود رزق سليم ، المرجع السابق ، مج٦ ص١٠٨ .

وهي مكونة من حكم مزدوجة غالباً ، بمعنى أن كل حكمة مكونة من جملتين مسجوعتين تكمل إحداهما الأخرى وهي في مجموعها تدل على ثقوب بصر وسعة معرفة بشئون الناس وأخلاقهم ، وأمور المجتمع وأوضاعه (١) .

ويعتبر " كتاب الحكم " لابن عطاء الله السكندري من عيون النثر الصوفي وسفراً من أسفار الأدب الرفيع ، يتناول كل شئون النفس والأخلاق والتصوف ، فهي شاهد على أن صاحبها لم يكن مجرد صوفي يردد عبارات رمزية ، تخفى وراءها شطحاته الفكرية ، بل أديباً واسع الأفق ، مستنير الفكر ، متنوع الاهتمام ، يعيش هموم مجتمعة الأخلاقية ، ويعبر عنها تعبيراً أخاذاً ، يقوم على المعنى العميق ، والصياغة الدقيقة ، إلى جانب الإحساس المرهف بجماليات اللغة ، والاستخدام الأمثل لتنوعها (٢) .

والجدير بالملاحظة أن " كتاب الحكم " يعد أول ما صنف ابن عطاء الله السكندري ، من مصنفاته ، حيث أشار إليها ، واقتبس منها فقرات في كثير من مصنفاته الأخرى ، وذكر حاجي خليفة في كشف الظنون أنه لما صنفها عرضها على شيخه " المرسي " فقال له : يا بني ، لقد أتيت في هذه الكراسة بمقاصد " الإحياء " وزيادة يقصد " إحياء علوم الدين " للإمام أبو حامد الغزالي (٣) ، أي أنها ألفت قبل عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م وهو العام الذي توفي فيه أبو العباس المرسي مما يجعلها من مؤلفات الشباب (٤) .

وبلغ عدد حكم ابن عطاء الله السكندري مائتان وأربع وستون حكمة ، وهي تتميز بعدة خصائص أدبية وفنية ، فهي عبارة عن فقرات قصيرة ، ذات ألفاظ قليلة ، تتضمن المعاني الكثيرة ، إذا ما كان الموضوع مسألة صوفية أو حقيقة باطنية إمّا إذا كان الموضوع مما تكلم فيه أهل الشرع متكلمون أو فقهاء فإن الحكمة عند ذلك تطول وتكثر فيها الكلمات (٥) .

فضلاً عن ذلك تتميز الحكم العطائية بجودة الكلمات وكثرة المحسنات ، ووضوح الأسلوب واستقامة التعبير وعدم التعقيد في المعاني وخلوها من الغموض والإبهام ، مع كثرة المجازات والاستعارات والتخيل والتشخيص ، وهي في أغلبها عبارة عن خطاب موجه إلى المريد السالك لطريق الصوفية ، تنبيهاً إلى قواعد السلوك التي ينبغي مراعاتها (٦) .

ولكن يؤخذ عليها عدم الارتباط المنطقي بين فقراتها ، كما لم يراع صاحبها ترتيبها بحسب موضوعاتها ، حيث جاءت في عبارات معبرة عن خطرات نفسه التي عرضت له في أذواقه ، فدونها بغير تعمل تصنيف أو تكلف تأليف (٧) .

---

(١) نفسه ، ص١٠٨-١٠٩ .

(٢) عبد الصبور شاهين ، تصدير ، شرح ابن عباد النفري الرندي للحكم العطائية في سلسلة تقريب التراث رقم (٢) تحقيق محمد عبد المقصود هيكل ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص٥ .

(٣) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ١ ص٦٧٥ .

(٤) أبو الوفا التفتازاني ، ابن عطاء الله السكندري وتصوفه ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص٦٥ .

(٥) علي حسين صافي ، الأدب الصوفي ص٣٥٣ . (٦) المرجع السابق ، ص٣٥٣ .

(٧) زكي مبارك ، التصوف الإسلامي ، جـ١ ص١٤١ .

وتدور حكم ابن عطاء السكندري حول الفكر الصوفي له ، حيث تستوعب مذهبه الصوفي بأسره كما تناولت الحكم العطائية العديد من الأحكام الشرعية من ناحية آثارها في قلوب المتعبدين السالكين ، ومنها ما يعرض للمجاهدة النفسية ، وما يتعلق بها ، وما يترتب عليها من المقامات والأحوال التي هي ثمرتها ، ومنهـا مـا يـدور حـول المعرفة، وماهيتها وأدواتها ، ومناهجها ، واداب المتحققين بها ، ومنها ما يتضمن آراء ميتافيريقية في تفسير الوجود ، وصلته بالله ، وصلة الإنسان بالله ، ومنها ما يشير إلى آداب السلوك العامة التي ينبغي أن يراعيها السالك في مجاهداته ومقاماته وأحواله ومعرفته [1] .

فمن تشبيهاته وأخيلته واستعاراته قوله لمريديه فـي معنـى التواضـع : " ادفـن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه " [2] وقوله له " لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية ، وإنما مثل الخصوصية إشراق شـمس النهـار ظهرت في الأفق وليست منه ، تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك ، وتـارة يقبض ذلك عنك فيردك إلى حدودك فالنهار ليس منك ولكنه وارد عليك " [3] .

وقوله معبراً عن حقائق المعرفة ومناهجها " الفكرة فكرتان : فكرة تصديق وإيمان، وفكرة شهود وعيان ، فالأولى لأرباب الاعتبار ، والثانية لأرباب الشهود والاستبصار"[4]

الخلاصة أن ابن عطاء الله السكندري أفرد بهذا اللون مـن النثـر الفنـي لـلأدب السكندري وقتئذ ، بحيث لا نجد غيره في هذا المجال بالإسكندرية ، بل يعد أروع ما كتب من كتب الحكم في عصر سلاطين المماليك وحظى باهتمام غير مسبوق وكثرت الشروح على تلك الحكم وصلت لأربعة وعشرين شرحاً [5] .

أدب الدعاء والمناجـاة :-

ومن فنون النثر الأدبي والتي ازدهرت في عصر سلاطين على يد المتصـوفة أدب الدعاء والمناجاة حيث يعتبر أدب جم غزير رائع وموجه إلى المولى عز وجل ، ويتميز بصدق العاطفة ، وقوى الإحساس بالقدرة الإلهية ، ويفيض خشوعاً ورهبة وخوفاً مـن مقام الله تعالى ، وتجربته تجربة عميقة مثيرة ، أنشأه الصوفية في مناجاة الله عز وجل والحديث إليه ، والاستغراق في خطابه ، لذا يعد أدب بليغ ولون من ألـوان النثـر جـد طريف ، أتى الصوفية فيه بكل معنى جديد بديع ، فمن مناجاة لابن عطاء الله السكندري " إلهي : أنا الفقير في غناي ، فكيف لا أكون فقيراً في فقري " [6] .

بل نجد ابن عطاء الله يبتكر مناجاة من الله لعبده على لسان هواتف الحقائق ، ومن هذه المناجاة الإلهية :

---

(١) الرندي ، شرح الرندي للحكم العطائية ، ص٣٧ .

(٢) ابن عباد الرندي ، شرح الحكم ، القاهرة ، ١٢٧٨هـ ، جـ١ ص١٤ .

(٣) ، (٤) نفسه ، جـ٢ ص٨٩ .

(٥) للمزيد من التفاصيل عن شروح الحكم انظر : التفتازاني ، ابن عطاء الله السكندري وتصـوفه ، ص٧٤-٧٨ .

(٦) محمد عبد المنعم خفاجى ، الأدب في التراث الصوفي ، ص١٠٧ ، ١١٢ .

" أيها العبد : إنا أجللنا قدرك أن نشغلك بأمر نفسك ، فلا تصغر قدرك يا من رفعناه، ولا تذل لغيرنا يا من أعززناه "

" أيها العبد : أمرتك بخدمتي ، وضمنت لك نعمتي ... ألخ " (١) وهي مناجاة تفيض كلها بلاغة وخشوعاً وطهر وروحانية ويقيناً .

الأدب التمثيلي :-

ويجمع بين الشعر والنثر ويتمثل في خيال الظل الذي يعد من أروع فنونه ، وقد عرف بعدة أسماء منها " ظل الخيال " و " شخوص الخيال " و " طيف الخيال " و " خيال الستار"و" ذا الخيال" ، ويعتبر" ظل الخيال " أصحها ، ولكن الأشهر هو "خيال الظل"(٢) .

ويعد الشرق الأقصى الموطن الأصلي لخيال الظل ، وبخاصة الصين ، ثم انتقل منها إلى الهند ثم انتقل إلى الدولة الإسلامية ، حيث عرفته الدولة العباسية في عهد الخليفة المأمون (٣) ، ثم انتقل إلى جميع أجزاء الدولة الإسلامية ، وقد عرفت مصر خيال الظل في العصر الفاطمي ، وقد شاهده صلاح الدين الأيوبي مع القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني فرأى فيه " موعظة عظيمة ، ودولا تمضي ، ودولا تأتي(٤).

وبلغ خيال الظل ازدهره في مصر في عصر سلاطين المماليك ، وقد اشتهر في ذلك أحد العراقيين الذين استقروا بمصر وهو محمد بن دانيال الموصلي المتوفي عام ٧١٠هـ/١٣١١م (٥) ، حيث ساهم في تأليف خيال الظل (٦) .

---

(١) ، (٢) ابن عطاء الله السكندري ، تاج العروس وتهذيب النفوس ، ص٦٥ .

(٣) خفاجى ، نفسه ، ص١١٤-١١٥ .

(٤) منزل،خيال الظل،دائرة المعارف الإسلامية،ترجمة عبد الحميد يونس، ج١٥ص٤٧٩٥-٤٧٩٧؛ عبد الحميد يونس،خيال الظل، المكتبة الثقافية رقم ١٣٨، القاهرة، أغسطس ١٩٦٥، ص١١-١٢ .

(٥) الشابشتي ، كتاب الديارات ، بغداد ، ١٩٥١ ، ص١٨١ ؛ أحمد تيمور ، خيال الظل واللعب والتماثيل المصورة عند العرب ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص١٧ ؛ رشدي صالح ، مسرح خيال الظل في العالم الإسلامي ، المجلة سبتمبر ، ١٩٥٩ ، ص٢٥ ؛ متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، جـ٢ ص٢٦٥-٢٦٦ ؛ محمد زكريا عناني ، حول خيال الظل في مصر ، مجلة الكاتب ، يناير - فبراير ١٩٧٧ ؛ عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص١٥٠ ؛ أحمد عبد الرازق أحمد ، وسائل التسلية عند المسلمين ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، المجلد الثالث ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص٦٠-٦١ .

(٦) الغزولي ، مطالع البدور في منازل السرور ، القاهرة ، ١٣٥٠ ، جـ١ ص٧٨-٧٩ ؛ شوقي ضيف ، الفكاهة في مصر ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص٦٤ ؛ أحمد عبد الرازق ، وسائل التسلية ، ص٦١ ؛ لطفي سيد نصار ، وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٤١ ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص٣٤٤ .

(٤) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٣ ص٥١ ؛ ابن شاكر الكتبي ، فوات ، جـ٣ ص٣٣٠-٣٣٩ رقم٤٤٣ ، ابن حجر ، الدرر ، جـ٤ ص٥٤ .

(٥) إبراهيم حمادة ، خيال الظل وتمثليات ابن دانيال ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

وقد شغف بعض سلاطين المماليك بخيال الظل ، حتى أن السلطان الأشرف شعبان بن حسين حمله معه لما حج عام ٧٧٨هـ/١٣٧٦م مع ما حمله من الملاهي [١]

وفي عام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م أمر السلطان الظاهر جقمق بإبطال خيال الظل ، وأحرق شخوصوه ، وأخذ العهود على اللاعبيين ألا يعودو إليه معللا ذلك أنه مخالفة للدين والأخلاق [٢] ، لكنني أعتقد أن دور خيال الظل الناقد وكشفه لظلم المماليك ، مما دعا السلطان إلى إبطاله ـ ولكنه سرعان ما عاد خيال الظل ، وقد شاهد السلطان العثماني سليم الأول خيال الظل أثناء وجوده في مصر حيث لعبوا له قصة السلطان المملوكي طوماي باي وشنقه على باب زويلة [٣] ، مما يوضح الحس السياسي لخيال الظل،وقد عرف خيال الظل أيضا في الأندلس[٤]، وعرف أيضا عن الأتراك باسم القرةقوز [٥].

وتعتمد صنعة خيال الظل على انعكاس الصورة أو الخيال ، وذلك عن طريق الضوء والصورة معاً . ويحتاج تبعاً لذلك إلى مكان محكم يتركز فيه الضوء على التمثيل ، ومع ذلك فقد اتسم بنوع من المرونة في الحركة يجعله صالحاً لأن يؤدي في فناء دار أو داخل فسطاط . وتعرف تمثيليات خيال الظل باسم بابات ؛ ومفردها بابة ، أما طريقة عرض هذه التمثيليات فتتلخص في عمل عرائس وصور من الجلد والورق المقوى ، وتوضع خلف ستارة بيضاء ، ومن خلفها مصباح حيث تنعكس ظلالها على الستارة ليراها النظارة من الجهة الأخرى ، وتحتوي العرائس والشخوص على ثقوب ومفصلات تجعلها سهلة الحركة ، ويحركها الذي يقوم بالبابة بعصا في يده حسب الحوار الذي

---

(١) الجزيري ، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ ، ص٦٨٢ ، عبد الحميد يونس ، خيال الظل ، ص٢٣ ؛ أحمد عبد الرازق ، وسائل التسلية ، ص٦١؛ Kahle , The Arabic Shadow play in Egypt , JRAS , 1940 , PP.21 , 3/-32 ; Lane-Poole, A History of Egypt , P.250 .

(٢) ابن تغري بردى، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، الجزء الأول ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٧، ص ٢٧٩ ؛ منتخبات ، ج١ ص١٣٧ ؛ السخاوي ، التبر المسبوك ، ص٣٥٣ ؛ فؤاد حسنين علي ، قصصنا الشعبي ، القاهرة ، ١٩٤٧، ص ٨١ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج٥ ، ص١٢٥ ؛ أحمد تيمور ، التصوير عند العرب ، خرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات الدكتور زكي محمد حسن ، القاهرة ، ١٩٤٣، ص٨٥ ؛ سعيد عبدالفتاح عاشور ، المجتمع المصري ، ص١٠٦ ؛ أحمد عبد الرازق أحمد ، وسائل التسلية ص٦٢

(٤) يروي ابن عطا الله السكندري في ترجمة أستاذه أبو العباس المرسي أنه يقول " عمل إلى جانب دارنا خيال للستارة وأنا إذ ذاك صبي فحضرته ، فلما أصبحت وأتيت إلى المؤدب ، وكان من أولياء الله ، أنشدني حين رآني :-

يا ناظراً صور الخيال تعجباً      وهو الخيال بعينه لو أبصرا

انظر : ابن عطا الله السكندري ، لطائف المنن ، ص٩٩ .

(٥) الصفصافي أحمد المرسي ، تأثير خيال الظل في القره كوز التركي ، حوليات كلية الآداب – جامعة عين شمس ، المجلد ١٦ ، ١٩٨٧ ، ص٣٥ .

ينطق به صاحب البابة [1] .

وحظيت مدينة الإسكندرية باهتمام خيال الظل ، حيث وصلت إلينا تمثيلية أو بابة نادرة عرفت باسم " لعبة المنار " ، حيث وقعت حوادثها على أرض الإسكندرية ، واتخذت من منارها رمزاً واسماً لها على اعتبارها أهم معالم الإسكندرية [2] ، كما عرفت أيضاً هذه التمثيلية باسم " حرب العجم " والمقصود بذلك الصليبيين ، تعبيراً عن روح الحروب الصليبية [3] .

ويرجح بعض الباحثين أن تأليف هذه التمثيلية إلى ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، أي السادس والسابع الهجريين ، فترة نشاط الحروب الصليبية ، ولكنني اعتقد أن هذه التمثيلية دارت أحداثها خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلادي وذلك أنها تعرضت لحملات القبارصة وما معهم من الجنويين والكتلان ، ثم تعرضت لغزو المماليك لقبرص وأسر ملكها ثم غزو المماليك لجزيزة رودس وهذه الأحداث تمت في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي .

وللأسف لم تصلنا هذه التمثيلية كاملة ، وإن كان وصلنا جزءً كبيراً من مخطوطة الشيخ سعود كاتبها والشيخ علي النحلة وداود العطار [4] .

ووصلتنا أيضاً بعض الرسوم الخاصة بهذه التمثيلية ، وتتكون من الجلد ، وهي عبارة عن سفينة عليها نوتية ومحاربون ، وهي محفوظة بالقسم الإسلامي من متحف الدولة ببرلين في ألمانيا [5] .

---

(١) علي إبراهيم أبو زيد ، تمثيليات خيال الظل ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٤٤ ؛ هبة الله فتحي حسين ، الفنون الشعبية في مصر الإسلامية ، رسالة ماجيستير ، كلية الآثار – جامعة القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٢٨ ؛ محاسن الوقاد ، الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية ( سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٥٢ ) ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص٣٣٤-٣٣٥ .

(٢) حظيت منار الإسكندرية باهتمام كل من كتب عن الإسكندرية سواء كان من المؤرخين أو الجغرافيين والرحالة فضلاً عما سبق ذكره عن اهتمام خيال الأدب الشعبي وفنونه حتى أصبحت منار الإسكندرية مثالاً يضرب ، بالإضافة إلى خيال الظل .

(٣) توضح هذه التمثيلية عن روح العصر من عدوان الأوروبيين على الشرق الإسلامي فيما عرف بالحروب الصليبية وانطلاق حركة الجهاد الإسلامي ضد هذا العدوان وهذه التمثيلية تصور ذلك .

(٤) يرجع الفضل في اكتشاف هذه التمثيلية إلى المستشرق الألماني بولا كاله **Paul Kahle** مدير المعهد الشرقي بجامعة بون ، وهو أحد البحاثة المهتمين بخيال الظل ، والذي وفد إلى مصر عام ١٩٠٦ ، واكتشف مع شخص اسمه درويش القصاص فيها أصول لروايات ظلية ، يرجع تاريخها إلى سنة ١٧٠٧م ، والتى تنسب إلى الشيخ سعود والشيخ علي النحلة وداود العطار منها لعبة المنار أو حرب العجم ، وقد نشرها تحت عنوان " منار الإسكندرية في خيال الظل المصري " ، شتوتجارت ، ١٩٣٠ ، كما كان للمستشرق الألماني جورج يعقوب ( ١٨٦٢-١٩٣٧ )وهو مستشرق الألماني أيضاً أنوليتمان ، الفضل في اكتشاف العديد من تمثيليات خيال الظل المصري .

(٥) أحمد تيمور ، التصوير عند العرب ، ص٢٥٨-٢٥٩ ، شكل رقم ٣٣ =

تبدأ هذه التمثيلية بعرض منظر يمثل الأمواج وهي تتكسر على جزيرة فاروس التي أقيم على طرفها الشمالي الشرقي المنار عند مدخل الإسكندرية ، ومن ثم يظهر شخص على المسرح يسمي " الحاذق " (١) ، فيستقبل المنار ، ويقول : الذي نُعلم به الريس الأستاذ الحاكم على ذا المينة (٢) ، وذلك البلاد أنى بعد أبو السداد مقدم على الموارد للشارد والوارد (٣) .

وبعد أن يفرغ من هذه المقدمة ينشد البليق (٤) الآتي في وصف المنار :-

سعود (٥) الأديب يا صاح نظموا عجز الفصاح
انظر ذا المنار يا نسان تلقى عمود له بنيان
من بلور وشي مرجان نقشه بالذهب وضاح (٦)
له سلم تراه معقود مبني بالحكم مرصود (٧) -
كم جاء له حزين مكمود زالت عنه الأتراح (٨)

---

P.Khale , Islamiche Schattenspielfiguren aus Agypten , der Islam , Vol . I ,= P. 204 , Kuhnet , islamische KleinKunst , PP.71-72 , H.Gluckund . Diez , Die Kunst des Islam , P.605 no 536 .

(١) الحاذق : هو أحد اللاعبين بتحريك الشخوص يقوم بوظيفة تركيز الانتباه في حفل يغلب عليه الصخب ، حيث يتميز بارتفاع الصوت وحدته .
انظر :- عبد الحميد يونس ، خيال الظل ، ص٣٦ .
(٢) المقصود بالميناء هنا الميناء الشرقي للإسكندرية الذي يطل عليه المنار .
(٣) المقصود به شاد الصادر والوارد أو ناظر الصادر والوارد ، وهذه الوظيفة موضوعها التحدث في قدر ما يقرر أخذه من التجار الفرنج الواردين إلى الإسكندرية ، انظر :-
القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١١ ص٤١٦ ، البقلي ، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص٣٤٩ .
(٤) البليق أو بلقية : لون من الأغنية الزجلية ، تتسم في العادة بنبرة ساخرة ، وقيل البليق : فرس سباق كان يسبق الخيل ومع ذلك يصاب ، فضرب به المثل " يجري بليق ويرّم " ، انظر :- فؤاد حسنين علي ، قصصنا الشعبي ، ص١٠٧ .
(٥) سعود اسم مؤلف التمثيلية ، ونلاحظ أنه استهل بذكر اسمه ليؤكد أنه أديب وأنه هو الذي نظم وألف التمثلية .
(٦) وصف المنار بالعمود المبني من البلور والمرجان وغير ذلك من الحجار الكريمة ونقشه بالذهب، ويؤكد الأثريون أن المهندس سوستراتوس Sostratos بعد بناءه للمنار قام بنقش جسمه الخارجي وكتب اسمه عليه ، انظر :-
عزت حامد قادوس ، آثار الإسكندرية القديمة ، ص١٥٠ وما بعدها .
(٧) تحدث كثير من الرحالة المسلمين عن المنار وعن سلمه وأنه معقود مما يؤكد صحة وصف خيال الظل ، انظر السيد عبد العزيز سالم ، تأثير منار الإسكندرية في عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس ، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، المجلد الثاني ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص٤١٧-٤٣٠ .
(٨) لأن المنارة كانت مبجلة عند أهل الإسكندرية حيث خصصوا لها يوماً جعلوه عيدها السنوي =

| | |
|---|---|
| وانظر باب شريق قد نـــار | من خلفه رجال أخيار |
| لما يشهـــروا البتـــار | يخلو الدمـــا ســواح |
| باب البحـر يـــا قمـــر | عنابي وله منظـــر |

وبعد وصفه الرائع والصورة البارعة للمنار ، أخذ يتحدث عن أبـواب الإسـكندرية وما تشتهر به من حصانة مثل باب شرق أو باب رشيد ويقـع فـي السـور الشـرقي للمدينة(١) ، وباب البحر الذي يقع في السور الشمالي من الجانب الغربي منه يخرج منه إلى جزيرة المنار وكان يقوم على جانبي باب البحر برجين كبيرين لحمايته ، فضلاً عن تعليق قنديلين عليه وكان يتكون من ثلاثة أبواب اثنان في سور الإسـكندرية الـداخلي ، والثالث في السور الخارجي المطل على المدينة وذلك حسب ما ذكره النويري السكندري عند حديثه عن حملة القبارصة وحرقهم لهذا الباب (٢) ، ثم استعرض لنا صورة المقاتل الصليبي في مخيلة المسلمين حيث وصفوه بـ " الكافر الفضاح " وهي صورة أجمعـت عليها المصادر العربية حيث وصفتهم بالغدر والعدوان والخيانة ، والكفر (٣) ثـم يـذكر باب الوسط ولا نجد من بين المصادر التاريخية التي بين أيدينا أي ذكر لهذا الباب .

ثم أخذ يصف آلات الدفاع الموجودة على أسوار وأبراج وقلاع الإسكندرية للـدفاع عنها ضد المعتدين وأخذ يعدد هذه الآلات والأسلحة ، ومن المعـروف أن الإسـكندرية كانت توجد بها عدة قاعات للأسلحة سواء القاعات الخاصة بالدولة أو القاعات الخاصة بأهالي الإسكندرية للدفاع عن الإسكندرية ضد أي اعتداء وحماية أنفسهم ، فقال :-

| | |
|---|---|
| فوق الواجهة يا مجاد | سيوف للجهاد يا جواد |
| وفيهم درق فـــــولاذ | كم بهم بطل قد صـــاح |
| ومن فوق علاه يا زين | رامي لم يزغ بالعيــن |
| لو جاه كل يوم ألفيــن | خلاهـــم بـلا أرواح |
| وانظر منجنيق صاعــد | قاعــد للعدا رابـــض |

= وكان يوم الخميس دائماً فيظلون يلهون ويلعبون حتى منتصف النهار ، انظر المقريزي ، الخطط، جـ١ ص٢٥٤ .

(٣) باب الشرق أو باب رشيد ، انظر ، درويش النخيلي ، دراسة جديدة فـي طبوغرافيـة مدينـة الإسكندرية زمن الملك الأشرف شعبان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص٨-١١ ؛ سحر محمد القطري ، الاستحكامات الحربية بمدينة الإسكندرية فـي العصـر المملـوكي ، رسـالة ماجيستير ، آداب طنطا ، ١٩٩٢ ، ص٤٠-٤١ ؛

Combe, Les Levres du gravier d'articres Alexandrie , Bulletin the Faculty of Arts , University of Alexandria , Vol 1 , 1943 , P.56 .

(٤) عن باب البحر ، انظر ، درويش النخيلي ، دراسة جديدة في طبوغرافية مدينـة الإسـكندرية ، ص٢٤-٣٢ ؛ سحر القطري ، الاستحكامات الحربية ، ص٤٣-٤٤ ،

Combe , les Levres , P 50.

(٥) قاسم عبده قاسم ، صورة المقاتل الصليبي في المصادر العربية ، المجلة التاريخية المصـرية ، المجلد ٢٧ ، ١٩٨١ ، ص٩-٣٧ .

للكافـــــر وللجاحـــد     بالله يخطفو التمســاح

وينتهي الحاذق من إنشاده ، والتفت فإذا بمركب من النوع المعروف بـالغراب [١] ترسو ، ويخرج منها رجل مغربي [٢] وبعد أن نقرأ وصفاً جميلاً لهذه السـفينة يتقـدم المغربي على المسرح ، وينشد بليقا يخبر فيه المسلمين عن الصـليبيين والاسـتعدادات التي يقومون بها لمهاجمة المسلمين ، وقد جاء في هذا البليق وصف شامل لسائر البلاد المسيحية التي اشتركت في الحملة ، وما يجب على المسلمين عمله لهزيمة الصليبيين .

وبعد الفراغ من إنشاء هذا البليق يتقدم الحاذق ويطلب أخيه ميمونالكي ينفخ فـي النفير ، ويدعو القوم لسماع رسالة المغربي ، وقد استهل الحاذق نداءه بقوله :-

صيحوا على ميمون أخي     يجي ويزعق بالنفيـــر
دا المغربي أدى قد أتــى     يا خل من أقصى البلاد
قد جا يخبر يا رجـــال     عن اللئـام أهـل العناد
قصدي أجمع العُسكر لهم     لعـل نظـفر بالمــراد

وينحصر الحديث في الاستنفار للجهاد ، وفي الجهاد ذاته ، ويعدد لنا حكمة الجهاد وما أعده الله للمجاهدين في الآخرة فيقول :-

صيحوا على ميمون أخي

يا عصبتة الدين والصلاة     يا مسلمين يأهل الصيام
قوموا إلى الفرض الـذي     قد أفرضـوا رب الأنـام
فمن يبـــادر يلتقـــي     له في الجنان أعلى مقام
مع الكـــرام أهل التقــى     وينجبـر قلبـه الكسيـر

وما يلبث أن يستجيب المسلمون للنفير ، وتتجمع جيوشهم زمــرا تعقبهـا زمــر ، ويحضر رسول من قبل الصليبيين يخبر المسلمين عن قيام الحرب ، ورغبة الصليبيين

---

(١) غراب : والجمع أغربة ، وغربان من المراكب الحربية شديدة البأس ، انظر : ابـن ممــاتي ، قوانين ، ص٣٣٩-٣٤٠ ؛ درويش النخيلي ، السفن الإسلامية على حروف المعجم ، طبعة ثانيـة ، دار المعارف ، ١٩٧٩ ، ص١٠٤-١١٢ ؛ سعاد ماهر ، البحرية في مصر الإسـلامية ، القـاهرة ، ١٩٧٠ ، ص٣٥٩-٣٦٠ .

(٢) لعب المغاربة والأندلسيون دوراً في محاربة الصليبيين في الشرق الإسلامي يعد صفحة مجيـدة في تاريخهم ، كما لعبوا دوراً في الدفاع عن الإسكندرية ضد غارات الصـليبيين ، انظـر :- أحمـد مختار العبادي ، دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربـي ، بحـوث فـي تـاريخ الحضارة الإسلامية في ذكرى الدكتور أحمد فكري ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص٨١-١٠١ ؛ بعض مظاهر العلاقات التاريخية بين مصر والأندلس ، مجلـة المعهـد المصـري للدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد ٢٣ ، عام ١٩٨٥-١٩٨٦ ، ص٩٧-١١٧ ؛ صلاح محمـد نوار ، دور المغاربة والأندلسيين في الجهاد ضد الصليبيين والمغول في بـلاد الشـام مـن القـرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي حتى منتصف القرن التاسع الهجـري / الخـامس عشـر الميلادي ، المؤتمر العلمي الأول ، كلية الدراسات العربية والإسلامية بـالفيوم جامعـة القـاهرة ، ١٩٩٥ ، ص٦١-١٢١ .

في الاستيلاء على مصر والإسكندرية ، فيقول على لسان الرسول الكتيلاني [1] :-

| | |
|---|---|
| يلزمكـم تتجهـزوا للقتـال | وحضروا أرواحكم للجهـاد |
| إن الملك جا عاهد الكتيـلان [2] | طالب لأخذ المسلمين والبـلاد |
| وإسكندرية وأراضـي مصـر | قاصد ليأخذهم كذا في العنـاد |
| فما عليا غير أقول دا في الكلام | أصغوا إلى قولي وهذا الخطاب |
| إني رسول مرسول من الكتيلان | إن الرسول ما يلزموش عتاب |

وهكذا تبلغ هذه التمثيلية ذروتها ، ويساير فن خيال الظل تقاليده التي تعمل عن تخفيف التوتر ، فيدور حوار فكاهي ورمزي في وقت واحد بين الحاذق من ناحية ، والرخم [3] من ناحية أخرى ، يعقدان فيه موازنة بين جندي المسلمين في الإقدام والشجاعة والنجدة ، وبين جندي الصليبيين في التردد والإنهزامية ، وإيثار الإسلام على تحقيق النصر وتتلاشى هذه المحاورة في صورة القتال المتتابعة بين جيوش المسلمين ، وجيوش الصليبيين ، وماهي إلا برهة حتى ينتصر الإسلام ، وتتبدد حجافل الغزاة ، وتنقشع عن الستارة ، ويظهر أحد المسلمين مردداً نشيد النصر ، واصفاً وقائع الحرب مسجلاً أسماء الفرق والجماعات الصليبية التي انتصر عليها المسلمون ، وتدور عليهم الدائرة فيظهر على المسرح شخص ، وينشد بليقا :-

| | |
|---|---|
| جيش اللئام قد انكسر | وجيش الإسلام انتصر |
| وانظر جيوش الكتيلان | من القيود داقوا الهوان |
| رودس أسرناهم جميع | بإذن مولانا السميـع |
| وأهل قبرص واللئـام | من حربنا داقوا الحمام |

هكذا عبر خيال الظل عما كان يدور بالإسكندرية من أحداث وحروب وتبين ثقافة الجهاد لدى أهلها ودور المغاربة والأندلسيين في رد المعتدين ضد الشواطىء الإسلامية في مصر والشام وبخاصة في الإسكندرية .

---

(١) بول كاله ، منار الإسكندرية في خيال الظل المصري ، ص٢٣ .
(٢) الكتيلان : نسبة إلى أقليم كتالونيا وهو أقليم يقع شمال شرق الأندلس فيما عرف باسم الثغر الأعلى، وهذا الأقليم يقع بين الأراضي الفرنسية والأراضي الأسبانية، وقد قام هؤلاء الكتيلان دوراً هاماً في عمليات القرصنة ضد الشواطىء الإسلامية في البحر المتوسط وبخاصة شواطىء دولة المماليك في مصر والشام وذلك بالتعاون مع جزيرتي قبرص ورودس. انظر: محمد محمود النشار،علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك، ص٢٧؛ كاسترو، حضارة الإسلام في الأندلس ، ص٧٦ .
(٣) الرخم : وهو الذي يقوم بوظيفة المهرج في سيرك تلك الأجيال ، كان من تقاليد السرك أن يقوم المهرج ببعض الحركات المضحكة ، ويكون بمثابة الفاصل بين المشاهد ، وهو في خيال الظل ، ممثل هزلي ، سواء أكان ذلك في صورته التي تعرض على الشاشة ، أو في بلاده حركته وانتقاله ، أو في صوته ، أو في عدم اتساق أفكاره ، ودفع التخصص بأحد اللاعبين إلى أن تغلب التسمية عليه بالرخم وإلى أن تفرض هذه الشخصية وجودها على كثير من تسميات خيال الظل . انظر :-
عبد الحميد يونس ، خيال الظل ، ص٣٦-٣٧ .

## رابعاً : الأدب الشعبـــي :-

وهذا النوع من أنواع الأدب غير معروف المؤلف لذا نسب للشعب،ومن أهم فنونه :

### ١ -الأمثال الشعبية :-

هي نوع فريد من الأدب ، يلخص فلسفة شعب بأكمله ، في كلمات موجزة ، وحُسن المعنى ، ولطيف التشبيه ، وجودة الكتابة ، وبراعة التعبير ، ولا تكاد تخلو منهـا أمـة من الأمم [١] .

فضلا عن أنها الفن الوحيد الذي يكشف عن مختلف التيـارات الاجتماعيـة علـى المستوى الشعبي ، وإحدى وسائل التعبير التي يستخدمها المجتمع الشعبي [٢] . ومصدر هام جداً للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي يستطيع كل منهما أن يعرف كثيراً مـن أخـلاق وعادات وتقاليد وثقافة الأمم والشعوب ، ترسم القطاع الذي يعيش فيه الإنسان ، تجمـع بين الخطأ والصواب ، والخير والشر ، والحسب والنسب ، والطيب والشرير ، والصالح والطالح ، والحسن والرديء ، والماكر والخبيث ، والقوي والضعيف ، والجوع والشبع والعطش ، والحاكم والمحكوم ، والسلطة والشعب ، والأصل والكرامة والمهانة ، فيهـا الماضي والحاضر والمستقبل ، أي الإنسان في كل زمان ومكان [٣] .

فالمثل أذن من خلال هذه الجزئيات الصغيرة التي يعرضها في تواضـع وهـدوء ، يناقش تلك المواضع ويفسرها ، ويعطي صورة حية لطبيعتها ، وصادقة كـل الصـدق ، لأنه يصدر عن فطرة نقية ، وطبيعية غير خادعة ، كما أن المثل الشعبي ممـا يعطـي صورة حية ناطقة لطبيعة الشعب بما فيها من تيارات ظاهرة وخفية على حـد سـواء ، وهو بذلك يكون اللون الأدبي الذي يتمثل فيه الصدق ، ولا يعتمد على المواربة [٤] .

لذا فقد كان للأمثال الشعبية نصيب الأسد في توجيه سلوك الفرد إلى مـا يجـب أن يكون عليه ، لهذا فقد ظلت وبقيت واستمرت على مدى تاريخ الإنسان [٥] .

ومن الجدير بالذكر أن الشعب المصري كان ولا يزال غني جداً في أمثاله الشـعبية الكثيرة ، حفظها الشعب عن ظهر قلب وتعايش معها ، وقد شملت هذه الأمثـال جميـع نواحي حياة هذا الشعب ، سواء في النواحي السياسـية و الاقتصـادية و الاجتماعيـة والأخلاقية ، و المهنية والحرفية ، والدينية ، والإنسانية ، والتعليميـة ، والأسريـة ، والأخوية .... وغير ذلك .

ومجتمع الإسـكندرية جزء من هذا المجتمع المصـري ، لذا فقد اشترك معه في

---

(١) أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص٦١ .

(٢) إبراهيم أحمد شعلان ، الشعب المصري في أمثاله العامية ، الهيئة المصرية العامـة للكتـاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص٥ .

(٣) أحمد أمين ، قاموس العادات ، ص٦١ ؛ سامية عطا الله ، الأمثال الشعبية المصرية ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص٥ .

(٤) إبراهيم شعلان ، الشعب المصري ، ص٤ .

(٥) سامية عطا الله ، الأمثال الشعبية ، ص٦ .

معيشته لتلك الأمثال ، فضلاً عن وجود بعض الأمثال تنم عن حوادث الحياة اليومية في المدينة ، ثم تعايش معها المجتمع المصري كله .

وقد أمدتنا المصادر المملوكية المعاصرة ببعض هذه الأمثال التي كان يستعملها أهل الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك ، وهي توضح لنا بعض مظاهر وأحداث مجتمع الإسكندرية وقتئذ سنأخذ بعض النماذج لتلك الأمثال :-

على رأي المثل :

" وقعت منارة الإسكندرية قال : الله يسلمنا من غبارها " (١)

يرصد هذا المثل حدث عظيم تعرضت له مدينة الإسكندرية في العصر المملوكي ، كما تعرضت له العديد من المدن المصرية ، وهو زلزال عام ٧٠٢هـ/١٣٠٣م ، وإن كانت الإسكندرية أكثر المدن تأثراً بهذا الزلازل . والذي نتج عنه سقوط أربعين شرفة من شرفات المنار ، وتهدم أكثره (٢) ، ثم بعد ذلك انهار المنار تماماً حتى أن الرحالة ابن بطوطة يذكر " وقصدت المنار عند عودي إلى بلاد المغرب عام خمسين وسبعمائة ( ١٣٤٩م ) فوجدته قد استولى عليه الخراب " (٣) ثم جعل المنار ينتقص شيئاً فشيئاً حتى لم يبق من موضع أساسه في سنة ٧٧٥هـ/(١٣٧٣م) كما يقول النويري السكندري " إلا البقعة لا غيرها " (٤) .

وهذا المثل يدل على عظم المصيبة التي تصيب الناس بسبب سقوط رمز كبير ، مما يوقع الناس في خطر ، مما يجعلهم يطلبون السلامة من الله ، كما يدل هذا المثل على عظم مكانة منار الإسكندرية في خيال الأدب الشعبي وأصبح رمزاً يضرب به المثل .

وعلى رأي المثل :

" نعوذ بالله من حمول ابن عرام " (٥)

وقصة هذا المثل أن صلاح الدين خليل بن عرام نائب الإسكندرية أمره الأتابك

---

(١) يرجع هذا المثل إلى القرن الثامن الهجري / الرابع عشرة الميلادي ، وهو ضمن مجموعة أمثال لأحد أدباء مصر وهو شرف الدين بن أسد ، وقد عثر على هذه المجموعة من الأمثال المستشرق السويسري جون لويس بوركهارت وقد نسبها لعصر محمد علي وقد عرفت باسم " الأمثال العربية أو العادات والتقاليد عند المصريين المحدثين من أمثالهم الشعبية في القاهرة " وقد طبعت بعد وفاته في لندن عام ١٨٣٠م بعد قيامه بترجمتها إلى الإنجليزية ثم أعيد طبعها بلندن أيضاً عام ١٨٧٥م ، ثم ترجمة إلى الألمانية ، ثم قام الدكتور إبراهيم أحمد شعلان بترجمتها إلى العربية ، انظر :-
جون لويس بوركهارت ، العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد علي ، ترجمة إبراهيم أحمد شعلان ، الطبعة الرابعة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص٦٦-٦٧ ، ٢٤٦ ؛ إبراهيم أحمد شعلان ، شرف الدين بن أسد المصري ، أديب شعبي من القرن الثامن الهجري ، مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢٤ ، ١٩٨٨ ، ص٩٧-٩٩ .

(٢) انظر الفصل الأول من هذه الدراسة عن العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية ، ص٤١ .

(٣) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٤٠ .

(٤) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٧٢ ، جـ٥ ص٢٨٩ .

(٥) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٥ ، ص٢٦٧ ؛ النجوم الزاهرة ، جـ١١ ، ص١٨٦ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ق٢ ص٢٧٥ .

برقوق الذي سيصير سلطاناً فيما بعد – بقتل الأمير بركة منافسه الشهير ، وكان مسجوناً بسجن الإسكندرية ، وخاف برقوق من مماليك بركة ، فأتهم ابن عرام بأنه قتله من غير أذنه ، وأرسل إلى الإسكندرية من قدم بابن عرام إلى القاهرة حيث سجن وعذب عذاباً شديداً ، فقال ابن عرام أنا ما قتله إلا بإذن الأمراء وقد أخرج كتاباً عليه خطوطهم بقتل بركة ، فأخذوا منه الكتاب ، ثم سمروه بالمسامير في كفيه وذراعيه وقدميه على الخشب وبعد أن أركب جملاً ، ونزلوا به من القلعة إلى الرميلة أسفل القلعة ، فهجم عليه مماليك بركة بسيوفهم يضربوه بها حتى صار قطعاً ، وفرقوا شلوة تفريقاً ، فبعضهم شق بطنه وأخرج قلبه ، وجعل بمضغه بأسنانه من شدة قهره على أستاذه ، وصار كل مملوك من مماليك بركة يقطع من أعضائه عضواً ، حتى يشتفي منه ، ثم جمعت أعضائه ودفن بمدرسته [1] ، وصار قتله مثلاً يقوله الناس ، للاستعاذة من الظلم وسوء الخاتمة كما فعل بابن عرام ، وهكذا أصبح قتل نائب الإسكندرية ظلماً مثلاً يتداوله الناس ويستعاذون بالله من نهايته .

على رأي المثل :

" الزيت ما يخرجه إلا المعصار " [2]

وهذا المثل كان يقوله تجار الأقمشة الحريرية في الإسكندرية لوالي المدينة بيبرس الكركي وذلك عام ٧٢٦هـ/١٣٢٦م ، عندما أصدر عدة قرارات تضر بمصالح هؤلاء التجار وقاموا ضد هذه القرارات برجم هذا الوالي حتى دار الولاية وأخذوا يرددون هذا المثل [3] ، وهو يضرب في الأمر المتعذر الذي يتولاه القادر عليه فيقوم بتصليحه ، وهو يرادف المثل " ما يجيب الزيت إلا المعصار " [4] .

وعلى رأي المثل :

"اللسان سيف الإنسان ، إن حسن الضرب به نجا، وإلا مات موت الفجا"[5]

وهو يرادف المثل" لسانك حصانك إن صنته صانك وإن هنته هانك" أي لسانك لفرسك إن صنته عن مواقع الزلل فقد صانك أنت، وإن أوردته تلك المواقع فقد أوردت نفسك معه

---

(١) انظر ، المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص٣٩٦-٣٩٨ ؛ الخطط ، جـ٤ ، ص٢٤١-٢٤٢؛ ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ١ ص٢٢٧ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٥ ، ص٢٦٣-٢٦٨ رقم ١٠٠٦ ؛ الدليل الشافي جـ١ ص٢٩١ ؛ النجوم الزاهرة ، جـ١١ ، ص١٨٣-١٨٧ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ق٢ ص٢٨١ ؛

Abd Ar-raziq ( Ahmad ),les Gouverneurs d'Alexandrie , PP.133-138 .

(٢) ابن الجزري ، تاريخ ابن الجزري ، جـ٢ ص١٨٧ .

(٣) نلاحظ أن هذا الوالي ، كان يتخذ كثير من القرارات والأوامر التي تثير مشاعر أهل الإسكندرية حتى وصل الأمر إلى تبليغ السلطان أن أهل الإسكندرية قد خرجوا عن الطاعة ، مما جعل السلطان يستفتي العلماء في قتل أهل الإسكندرية فيما عرف بفتنة عام ٧٢٧هـ .

(٤) سامية عطا الله ، الأمثال الشعبية ، ص٨٠ .

(٥) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ص٤٧ .

والمراد من لسانك عما يجلب لك المكروه وتصن نفسك [١] .

وبمعنى المثل " جرح السلاح يبرا وجرح اللسان ما يبرا " [٢] وأيضاً المثل " جرح اللسان أصعب من جرح الحسام " [٣] وأيضاً المثل " لسانه زي مقص الاسكافي ما يفتح إلا على نجاسه " [٤] ، والمعنى أن لسان الشخص الذي يؤذي الناس كمقص الاسكافي الذي يصلح الأحذية القديمة لا يفتح إلا على تلك النعال القديمة المستعملة النجسة ، ويضرب للوقح السباب ، ويرادف كذلك المثل " اللسان عدو القفا " والمثل " لولاك يا لساني ما انسكبت يا قفايا " و " اللسان عدو القفا " و " طاعة اللسان ندامة " و " رب رأس حصيد لسان " و " إياك وإن يضرب لسانك عنقك " [٥] .

وكل هذه الأمثال تدل على حفظ اللسان وعدم الخطأ به ، لأن الذي يخرج من اللسان لا يصلح معالجته مما جعله أشد من جرح السيف القاطع ، وهو مثل يذكره كل الشعب المصري وهو يتفق مع حديث النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل عندما سأله " فقال : أنوآخذ بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب النار على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم " [٦] هذه بعض نماذج من الأمثال كفن من فنون الأدب الشعبي في الإسكندرية .

٢ - <u>الحكاية الشعبية</u> :-

من فنون الأدب الشعبي " الحكاية الشعبية " وهي التي يتناقلها الشعب مشافهة ، ولا يعرف كاتبها ، وتتمثل في " حكايات ألف ليلة وليلة " وعلى الرغم من محاولات العديد من المستشرقين والباحثين الغربيين لإرجاع هذه الحكايات لأصول غير عربية كالهندية والفارسية ، وتجريدها من روحها العربية معتمدين في ذلك على أدلة واهية مثل ظهور الجان والحكايات الخرافية للتدليل على ذلك [٧] .

ولكننا نستطيع أن نؤكد من خلال استقراء هذه الحكايات أنها عربية ، كتبت بلغة عربية ، كتب معظمها باللهجة المصرية ، وبعضها باللهجة العراقية ، وسجلت حكايات ألف ليلة وليلة لأحداث تاريخية مرت بها الأمة الإسلامية في العصور الوسطى ،

---

(١) أحمد تيمور ، الأمثال العامية ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص٤٢٢ رقم٢٥٢٤ ، سامية عطا الله ، الأمثال الشعبية ، ص١٠٨ ، ١٣٠ .

(٢) سامية عطا الله ، الأمثال الشعبية ، ص٨٨ ، ١٣٠ .

(٣) سامية عطا الله ، الأمثال الشعبية ، ص١٢٠ .

(٤) أحمد تيمور ، الأمثال العامية ، ص٤٢٢ ، ٤٢٩ ، ٤٢٣ ، أمثال رقم ٢٥٢٣ ، ٢٥٢٤ ، ٢٥٢٥ ، ٢٥٦٩ ؛ سامية عطا الله ، الأمثال الشعبية ، ص١٠٨ .

(٥) أحمد تيمور ، الأمثال العامية ، ص٤٢٩ .

(٦) ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حدثياً من جوامع الكلم ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص١٣٧ .

(٧) قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية في " ألف ليلة وليلة " دراسة في تأثير الحروب الصليبية على الوجدان الشعبي العربي ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، المجلد الثالث ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص٢٣٣-٢٣٤ .

وتؤكدها المصادر التاريخية التقليدية [١] .

وقدمت لنا بعض حكايات ألف ليلة وليلة صورة لمدينة الإسكندرية في العصر المملوكي ، وحركة المجتمع السكندري من حياة التجار وما نعموا به من الثراء والبذخ نتيجة لتجارة الكارم والتي تعد الإسكندرية أهم مراكزها ، وكذلك تأثير الحروب الصليبية على ميناء الإسكندرية وغارات القراصنة الصليبيين وغير ذلك من موضوعات .

فحكاية " علي نور الدين ومريم الزنارية " والتي تستمر على مدى أربعة وأربعين ليلة ، من الليلة الواحدة والخمسين بعد الثمانمائة ، وتستمر حتى الليلة الرابعة و التسعين بعد الثمانمائة [٢] . والتي تبدأ بحكاية فرعية مؤداها أن شاباً من أولاد كبار تجار القاهرة واسمه " علي نور الدين " قام بشرب الخمر مع بعض الشباب المنحرف مما جعله يفقد الوعي ويعتدي على والده ويفقع إحدى عينيه ، مما أدى إلى قسم الأب على قطع يد ابنه ، ولكنه فر بمساعدة أمه إلى ساحل بولاق – ميناء القاهرة النهري وقتئذ – فلحق بإحدى المراكب المتجه إلى الإسكندرية عبر فرع رشيد وخليج الإسكندرية[٣] و " دخل من باب يقال له باب السدرة وقد ستر الله عليه فلم ينظره أحد من الواقفين في الباب ، فمشى نور الدين حتى دخل مدينة إسكندرية فرأى مدينة حصينة الأسوار حسنة المتنزهات تلذ لسكانها وترغب في إيطانها ، قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده ، وأقبل عليها فصل الربيع بورده ، وأزدهت أزهارها ، وأورقت أشجارها ، وأينعت ثمارها ، وتدفقت أنهارها ، وهي مدينة مليمة الهندسة والقياس ، وأهلها من خيار الناس ، إذ أغلقت أبوابها أمنت أصحابها .... " [٤] .

وسار نور الدين في أحياء المدينة وأسواقها إلى أن " وصل إلى سوق النجارين ثم إلى سوق الصرافين ثم إلى سوق الفاكهانية ، ثم إلى سوق العطارين " وفي هذا السوق يقابل أحد معارف أبيه الذي يكرمه [٥] ، وفي ذات يوم وهو جالس في دكان هذا العطار أقبل أعجمي على السوق ومعه جارية بارعة الجمال وهي " مريم الزنارية " بطلة هذه الحكاية ، وتذكر الحكاية أنها بنت ملك " أفرنجة " [٦] .

---

(١) قاسم عبده قاسم ، بين التاريخ والفولكلور ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص١٦٢ .

(٢) ألف ليلة وليلة، تقديم طه عبد الرؤوف سعد، ٤ أجزاء، القاهرة، د.ت، جـ٤ ، ص١٣٤-١٨٤ .

(٣) نفسه ، جـ٤ ص١٣٤-١٤٣ .

(٤) نفسه ، جـ٤ ، ص١٤٤ ، نلاحظ أن الحكاية توضح لنا دور خليج الإسكندرية في حركة التجارة في دولة المماليك كذلك باب السدرة لوجود شجرة سدر بجواره ، وعرف أيضا باسم باب العمود نسبة لعمود الصواري وباب الفلفل لكثرة دخول التوابل من خلاله ، وتبين الحكاية عظم تحصين مدينة الإسكندرية وقوة أسوارها لكي يأمن أهلها على أنفسهم وأموالهم ، وتوضح الحكاية حسن تخطيط الإسكندرية وهذا ما تميزت به الإسكندرية حيث شبهت بطاولة الشطرنج .

(٥) نفسه ، جـ٤ ص١٤٤-١٤٥

(٦) إفرنجة " عرفت المصادر التاريخية الإسلامية وقتئذ الأوروبيين باسم " الفرنجة " أو " الإفرنج " ويرجع ذلك إلى دور الفرنجة سكان غالة – فرنسا في معظم الحملات الصليبية ضد المسلمين وأصبح اسم مدينة " أفرنجة " رمز لدولة الأعداء الصليبيين .

وسبب قدومها إلى الإسكندرية أنها مرضت مرضاً شديداً ، فقطعت على نفسها نذراً إذا عوفيت أن تزور أحد الأديرة في جزيرة ما ، فلما عوفيت فعلاً ذهبت في مركب ، ولكن سفن المسلمين استولت على هذا المركب بما فيه وأسروا ركابه وباعوا المركب بحمولته من الناس والبضائع في مدينة القيروان [1] ، وهذا يوضح لنا دور الدولة الحفصية في الصراع مع القوى الصليبية الأوروبية وقتئذ – ووقعت مريم في نصيب رجل أعجمي اشتراها وقدم بها إلى الإسكندرية ، وأعطاها للدلال ليبيعها ويشتريها نور الدين بكل ما يملك من أموال وتعمل هي بصناعة الزنانير لذا سميت " الزنارية " ويستمر على ذلك لمدة عام ، وفي الليلة السبعين بعد الثمانمائة تحذره مريم من " رجل إفرنجي أعور العين اليمنى أعرج الرجل الشمال ، وهو شيخ أغبر الوجه ملكثم اللحية " [2] وفي هذا الوصف تنتقم العقلية الشعبية من الشخصية الصليبية بالشكل الذي يوافق عقليتها فهو " الإفرنجي الملعون عدو الدين " [3] وهذا يوضح نظرة العقلية الثقافية لدى المسلمين عن الصليبي فهو كافر ، لص ، عدو الدين ، ملعون ، غادر يتصف بالوحشية والقسوة وعلى الرغم من هذا التحذير فقد وقع نور الدين في حبائل هذا الفرنجي ويتمكن من شراء مريم من نور الدين بعشرة آلاف دينار ، وتظهر الحكاية هذا الفرنجي على أنه أعظم وزراء ملك " أفرنجة " أبو مريم الزنارية ، والملاحظ أن الحكاية تظهر لنا الحقيقة التاريخية لحركة التجارة في ميناء الإسكندرية وكثرة الجاليات الأوروبية بها واستغلوا ذلك في التجسس على دولة المماليك وبخاصة تحصينات الإسكندرية وهذا يتبين في حملة القبارصة ضد المدينة حيث قدم بطرس الأول ملك قبرس قبل الحملة التي قادها في زي تاجر لمعرفة مدى تحصين الإسكندرية . وهذا ما تظهره الحكاية الشعبية من قدوم أعظم وزراء دولة الفرنجة في زي تاجر مع العديد من الفرنجة لكي يتجسس ويبحث عن مريم وتوضح الحكاية أيضاً دور هؤلاء الأوروبيين في دخول الخمور إلى الإسكندرية حيث سمحت لهم السلطات المملوكية بذلك من خلال الإتفاقيات التجارية بين دولة المماليك والمدن الأوروبية كالبندقية وجنوة وفلورنسا وغيرها من مدن .

وتستمر الحكاية في أن هذا الفرنجي أخذ مريم إلى أبيها ، ثم حال نور الدين والذي لحق بها عن طريق ركوب مركب تجاري لمائة تاجر مسلم يحملون تجارة إلى هذه المدينة " أفرنجة " [4] – مما يوضح أن العلاقة التجارية بين دولة المماليك والدول الأوروبية ليس من جانب الأوروبيين فقط بل علاقة متبادلة وأن تجار مسلمين يرحلون بالتجارة إليهم وهذه الحقيقة لم تذكرها المصادر التاريخية المعاصرة أو الإتفاقيات التجارية وقتئذ – ثم تذكر الحكاية تعرض المركب الذي يحمل نور الدين لهجمات القراصنة الصليبيين وأسروا جميع من في المركب وأتوا بهم إلى مدينة " أفرنجة " التي

(١) نفسه ، جـ٤ ، ص١٤٧-١٥٢ .
(٢) نفسه ، جـ٤ ، ص١٥٤ .
(٣) نفسه ، ص١٥٥ ؛ قاسم عبده قاسم ، صورة المقاتل الصليبي في المصادر العربية ، المجلة التاريخية المصرية ، مج٢٧ ، ١٩٨١ ، ص١٢ .
(٤) نفسه ، جـ٤ ، ص١٦١-١٦٢ .

يحكمها أبو مريم الزنارية ، واستقر الحال بنور الدين أن يكون خادماً في إحدى كنائس تلك المدينة [١] .

وتظهر الحكاية الشعبية دور القراصنة الصليبيين في تدمير التجارة الإسلامية في البحر المتوسط وذلك بمباركة البابوية وكنوع من الحرب الاقتصادية ضد سلطنة المماليك على اعتبار التجارة أهم مصادر القوة لدى المماليك ، وبالقضاء على تلك التجارة تضعف دولة المماليك ويسهل هزيمتها ويسهل الاستيلاء على الأراضي المقدسة بفلسطين .

ثم يتفق نور الدين ومريم على الهروب إلى الإسكندرية ، " ولم يزالا سائرين حتى أشرفا على مدينة إسكندرية وشاهدا أعلامها القديمة والجديدة ، وشاهدا عمود الصواري فلما وصلا إلى المينا طلع نور الدين من وقته وساعته من تلك السفينة ، وربطها في حجر من أحجار القصارين " [٢] وتركها في السفينة حتى يعد لها ملابس كنساء الإسكندرية " نقابا وحبرة وخفا وأزراراً كعادة نساء الإسكندرية " [٣] ولكن أبوها أرسل وراءها من يرجعها مرة أخرى ، وعندما يرجع نور الدين إلى الميناء لا يجد لا السفينة ولا مريم ، ويرى بعض الناس مجتمعين على الشاطئ وهم يقولون : " يا مسلمون ما بقى لمدينة إسكندرية حرمة حتى صار الإفرنج يدخلونها ويخطفون من فيها ويعودون إلى بلادهم على هنية ولا يخرج وراءهم أحد من المسلمين ولا من العساكر الغازين "[٤] ثم تكرر الحكاية ما فعله نور الدين من ركوب مركب تجاري لتجار مسلمين يحملون تجارة إلى مدينة " افرنجة " ثم يتعرضوا للقراصنة الصليبيين والذين يأسرونهم ويأمر الملك بقتلهم وينجوا نور الدين من ذلك ويلتقي مع مريم ويهربا مرة ثانية ، ثم تسقط الحكاية زمن الأحداث ومكاتبة ملك الفرنجة للخليفة هارون الرشيد لكي يرجع إليه ابنته والحكاية تعرض للعلاقة التي كانت بين هارون الرشيد وملك دولة الفرنجة شارلمان .

الخلاصة أن الحكاية الشعبية تعرضت للأحداث التاريخية التي مرت بها الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك والتي تركزت في شيئيين ، تجارة الإسكندرية وأسواقها وما تمتعت به من ازدهار ، والأمر الآخر الذي تعرضت له الحكاية الشعبية الصراع بين الشرق والغرب والذي مثلته مدينة الإسكندرية كمدينة إسلامية والذي تمثل في العصر المملوكي في غارات القراصنة الصليبيين ضد المدينة وخطف السفن التجارية من ميناءها ولا تستطيع السلطات المملوكية فعل أيّ شيء لحماية الإسكندرية .

---

(١) نفسه ، جـ٤ ، ص١٦٤-١٦٥ .

(٢) نفسه ، جـ٤ ، ص١٦٧ .

(٣) وهذا النص النادر يوضح لنا الملابس التي كانت ترتديها نساء الإسكندرية وقتئذ وهو ما لا نجده في أي مصدر تاريخي معاصر .

(٤) نفسه ، جـ٤ ، ص١٦٩ .

وهنا تظهر الحكاية ما تعرضت له الإسكندرية من هجمات القراصنة الصليبيين والتي يأتي على رأسها حملة القبارصة عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م .

مما سبق يتضح لنا دور الأدب في إبراز الحياة الثقافية في الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك ، فبيئة الإسكندرية الطبيعية أثارت مشاعر الشعراء كما كان للأحداث التاريخية التي مرت بها المدينة في ظهور فن رثاء المدن في الإسكندرية مما جعل الإسكندرية تنفرد بذلك عن باقي المدن المصرية .

فضلاً عن ذلك أدى انتشار التصوف في الإسكندرية دوره في فنون الأدب من الشعر والنثر فازدهر الشعر الصوفي وشعر المدائح النبوية ، وظهور أدب الحكم وكان للإسكندرية باع كبير في ذلك وازدهر أيضاً أدب الدعاء والمناجاة .

بالإضافة إلى ذلك كان للحروب الصليبية دوراً في ازدهار الأدب التمثيلي في الإسكندرية والمتمثل في خيال الظل وهو يختلف عن خيال الظل الذي كان للتسلية في القاهرة وغيرها من المدن الأخرى والذي حرص على إبراز الأمراض الاجتماعية أما خيال الظل في الإسكندرية فانه عالج قضية الجهاد ضد الصليبيين وكذلك الحكاية الشعبية والمتمثلة في ألف ليلة وليلة .

# الفصـــــل الخامـــــس

# التـــــــاريخ والمؤرخــــون

## أولاً : المؤرخون الفقهـــــاء :-

- ابن العمادية منصور بن سُليم
- النويري السكندري

## ثانياً : المؤرخون من رجـــــال السيف :-

- خليل بن عرام
- خليل بن شاهين

## - التـــــاريخ والمؤرخـــــون -

من الطبيعي أن تشمل الحياة الثقافية في الإسكندرية في عصر سلاطين المماليــك " علم التاريخ " الذي صار علماً راسخاً يؤدي دوره الحضاري وقتئذ .
وهو جزء من التكوين الثقافي والعلمي لطلبة العلم والعلماء ليس في الإسكندرية وحدها بل شمل معظم الدول الإسلامية وبخاصة في مصر والشام في تلك الفترة ، إذ ظهر فيها عدد كبير من المؤرخين الذين خلفوا لنا تراثاً ضخماً في ذلك العلم (١) ، كما رفعوا مــن شأن الكتابة التاريخية حتى وصل التدوين التاريخي بفضلهم إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه في ظل الظروف التي حكمت ذلك العصر . حيث اتســع نطــاق الكتابــة التاريخيــة وتعددت فروعها وأنماطها ، فضلاً عن تعدد مهامها في خدمة الثقافة آنذاك(٢) .

والإسكندرية كغيرها من المدن المصرية في العصر المملوكي وكمركز ثقــافي نــال فيها علم التاريخ عناية مثقفيها فاهتم به العلماء والتجار ، وولاة المدينة ونوابها ، فمن التجار الذين شاركوا في علم التاريخ بالإسكندرية رئيس تجار الكارم بها عتيق بن محمد بن سليمان الدماميني ت ٧٣١هـ/١٣٣١م حيث أشار المؤرخون إلى أنه " له مشــاركة في التاريخ والأدب " (٣) ومن العلماء الذين كانوا يدرسون علم التاريخ بالإسكندرية تاج الدين بن الغرافي حيث درس كتاب تاريخ المدينة لابن النجار وسمعه منه العديــد مــن طلبة العلم (٤) ، وشارك نواب الإسكندرية في دراسة علم التاريخ والكتابة التاريخية من أمثال بيبرس الدوادار وخليل بن عرام ، وخليل بن شاهين ، ويذكر ابن تغري بردي إلى أن نائب الإســكندرية يلبغــا بــن عبــد الله البهــائي الظــاهري المتــوفي فــي عــام ٨٤٣هـ/١٤٣٩م " كان حلو الكلام جيد المحاضرة ، يذاكر بالأيام السالفة مذاكرة حسنة لذيذة " (٥) .

ويمكننا أن نميز اتجاهين لدراسة التاريخ في الإسكندرية ، الاتجــاه الأول ويمثلــه الفقهاء وعلماء الدين وهذا الاتجاه اهتم بالتاريخ المحلي للمدينــة وبخاصــة الترجمــة لأبناء وعلماء المدينة ونستطيع أن نميز نوعين في هذا الاتجاه ، الأول : ويتمثــل فــي كتابة تاريخ المدينة من خلال الكتابة عن أبنائها ويمثله ابن العمادية منصور بن سُليم ، والنوع الثاني : ويتمثل في التأريخ لحادثة ألمت بالمدينة وهي حملــة القبارصــة ضــد الإسكندرية في عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م وهي دراسة فريدة ويمثلها النويري السكندري .
والاتجاه الثاني ويمثله رجال السيف من ولاة ونواب الإسكندرية والذين شاركوا

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور ، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، ص٣٢٤ .
(٢) قاسم عبده قاسم ، الرؤية الحضارية للتاريخ ، دار المعارف ، الطبعــة الثانيــة ، القــاهرة ، ١٩٨٥ ، ص١١٧ .
(٣) الأدفوي ، الطالع السعيد ، ص٣٥٩ ، رقم ٢٨٢ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـــ١٩ ، ص٤٦٠ ، رقم ٤٦١ ؛ أعيان العصر ، جـ٣ ، ص٢١٠ ، رقم ١٠٦٦ ؛ابن حجر ، الدرر ، جـ٣ ص٤٨ رقم ٢٥٦٢؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، جـ٧ ص٤١٠ رقم ١٥١٧ .
(٤) المقريزي ، درر العقود ، جـ٢ ، ص١٠-١١ رقم ١٩٢ .
(٥) ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ١٥ ، ص٤٧٧ .

مشاركة فاعلة في الكتابة التاريخية ليس في الإسكندرية فقط بل في دولة المماليك في مصر ويمكننا أيضاً أن نميز بين نوعين في الكتابة التاريخية لرجال الدولة من أرباب السيوف في الإسكندرية .

النوع الأول : يتمثل في كتابة تاريخ عام للتاريخ الإسلامي حتى عصر المؤرخ أو ما عرف بالحوليات حيث يشتمل أحداث كل عام على حده مع ذكر وفيات هذا العام ويمثله بيبرس الدوادار وخليل بن عرام .

والنوع الثاني : ويتمثل في كتاب تاريخ النظم الإدارية الخاصة بدولة المماليك ويتزعمه نائب الإسكندرية خليل بن شاهين .

فضلاً عن ذلك وجد في الإسكندرية نوعاً من الكتابة التاريخية وهي كتب المناقب والترجمة لشخص من علماء المدينة أو المتصوفة بها مثال ذلك ما كتبه ناصر الدين أحمد بن المنير المتوفي عام ٦٨٣هـ/١٢٨٢م عن أحد زهاد الإسكندرية أبو القاسم القباري ت ٦٦٢هـ/١٢٦٠م ، وما كتبه ابن عطاء الله السكندري عن مؤسس الطريقة الشاذلية أبو الحسن الشاذلي ت ٦٥٦هـ/١٢٥٤م ، وتلميذه أبو العباس المرسي ت ٦٨٦هـ/١٢٨٥م وهي تهتم في المقام الأول بكرامات وأقوال هذه الشخصيات .

بالإضافة إلى ذلك وجد نوعاً من الكتابة التاريخية في الإسكندرية وهي خاصة بكتابة فضائل المدينة وأهم معالمها وفضل الرباط بها فجمع أبو علي الحسن بن عمر بن الحسن الصباغ فضائل الإسكندرية [1] ، وجمع فضائلها خلف بن علي بن داود التروجي السكندري ت ٨٤٤هـ/١٤٤٠م [2] ، مما يوضح لنا تنوع أنماط الكتابة التاريخية في الإسكندرية أبان عصر سلاطين المماليك وسنتناول ذلك بشيء من التفصيل فيما يلي :-

## المؤرخون الفقهاء :-

وتميز هذا الاتجاه باهتمامها الفائق بالتراجم والوفيات ، والشئون الدينية ، ونشاط علماء الدين ورحلاتهم العلمية وبخاصة علماء الإسكندرية من ذلك ما كتبه منصور بن سليم صاحب كتاب تاريخ الإسكندرية ، وسنتناوله بالدراسة فيما يلي .

اسمه وجيه الدين أبو المظفر منصوربن سُليم بن منصور بن فتوح الهمذاني الإسكندراني الشافعي ، والمعروف بابن العمادية [3] .

ولد بالإسكندرية في عام ٦٠٧هـ/١٢١٠م ، ونشأ بها ، وأخذ ينهل من مناهل العلم بها من مدارس وجوامع وغيرها من معاهد الثقافة ، وسمع من علمائها والتي تزخر بهم مثل محمد بن عماد الحراني ، وأبو القاسم الصفراوي ، وجعفر الهمداني ، وسمع الكثير من تلاميذ حافظ الإسكندرية السلفي فتفوق في العديد من العلوم وبخاصة

---

(١) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص١٥١ .
(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٣ ، ص١٨٤ رقم ٧١٥ .
(٣) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص١٤٦٧-١٤٦٨ ، رقم ١١٦٠ ؛ الأسنوي ، طبقات الشافعية ، جـ٢ ، ص١٠١ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، جـ٥ ، ص٣٤١ .

علوم الحديث والقراءات والفقه على المذهب الشافعي وعلم التاريخ (١) .

ولم يكتف ابن العمادية بذلك بل رحل في طلب العلم ، فرحل إلى القاهرة فسمع بمصر من مرتضى بن أبي الجود ، وعلي بن عمار وغيرهما ، ثم انتقل إلى بلاد الشام ، فأخذ بدمشق من ابن اللتي ، ومكرم وجماعة ، وسمع بحماه من ابن رواحه ، وبحلب من يعيش النحوي ، ثم رحل إلى ديار بكر فسمع بحران من حمد بن صديق ، وانتقل إلى العراق فأخذ ببغداد عاصمة الخلافة العباسية وقتئذ وعاصمة العلم والثقافة على مستوى العالم الإسلامي آنذاك والتي زخرت بكثير من العلماء ، والعديد من معاهد الثقافة وبخاصة المدارس فنزل طالباً في المدرسة النظامية ببغداد والمدرسة المستنصرية (٢) . فأخذ بها من ابن روزية والقطيعي وأبي بكر الخازن وجماعة من أصحاب شهرة (٣) .

ثم رحل إلى الحجاز ، فأخذ بمكة من ابن النعمان التبريزي وبغير ذلك من البلدان والمراكز الثقافية المنتشرة في العالم الإسلامي في تلك الفترة ، وجمع ذلك في معجم شيوخه . وهذا المعجم يحوي كل رحلاته العلمية وتراجم شيوخه والذين زادوا على الألف شيخ .

وبعد رحلته العلمية رجع إلى بلدته الإسكندرية فأصبح من أهم علمائها والمشار لهم بالبنان ، فتولى التدريس بالمدرسة الحافظية السلفية – والتي كانت تسمى العادلية – والتي تولى التدريس بها العديد من أعلام الإسكندرية كالحافظ السلفي (٤) والحافظ أبو الحسن المقدسي ت ٦١١هـ/١٢١٤م ، مما يدل على مكانه ابن العمادية العلمية حتى يتولى التدريس بهذه المدرسة مثل أعلامها السابقين وهي مدرسة الشافعية الوحيدة في الإسكندرية وقتئذ (٥) .

وزاد من شهرة ابن العمادية تولية وظيفة إدارية ودينية واقتصادية في آن واحد وهي حسبة الإسكندرية وهي وظيفة جليلة القدر لا يتولاها إلا من بلغ درجة كبيرة من العلم وعُرف بمحتسب الإسكندرية وظل يتولاها حتى وفاته عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م (٦) ووصفه ابن الفرات بأنه " كان فقيهاً ، محدثاً ، حافظاً ، أديباً ، شاعراً ، مؤرخاً،

---

(١) السبكي ، طبقات الشافعية ، جـ٥ ، ص١٥٧ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ رقم ١١٢٦ ؛ حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٣٥٦ ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، جـ٦ ، ص٨٩ .

(٢) ناجي معروف ، ابن فتوح الهمذاني الإسكندراني مؤرخ الإسكندرية ومحتسبها وقاضيها من تلاميذ المستنصرية ببغداد من سنة ٦٣٣هـ- ٦٣٩هـ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلدان ٢٤ ، ٢٥ عام ١٩٧٤ ؛ ابن فتوح الهمذاني من تلاميذ المستنصرية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٤؛ تاريخ علماء المستنصرية، ط. ثالثة، دار الشعب،القاهرة، ١٩٧٦، ج١، ص١٧٢

(٣) الذهبي ، العبر ، جـ١ ، ص٣٢٧ ؛ العيني ، عقد الجمان ، جـ٢ ، ص١٣٦-١٣٧ .

(٤) الأسنوي ، طبقات الشافعية ، جـ٢ ، ص١٠١ .

(٥) ابن خلكان ، وفيات ، جـ٣ ، ص٤١٧ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٢١ ، ص١٣٨.

(٦) اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ٤ ، ص١٧٣ .

محسناً لمن يُرد عليه ، وبخاصة من الرحالة وطلبة العلم المغاربة والأندلسيين [١] .

وترك لنا العديد من المصنفات في الفقه والحديث ، فخرج لنفسه كتاب " الأربعين البلدانية " وهي أربعين حديث من أربعين شيخ في أربعين بلد في أربعين موضوع [٢] .

وله كتاب " ذيل مشتبه الأسماء والنسب " [٣] و " ذيل تكملة الأكمال " ذيل به على كتاب " تكملة الأكمال لابن نقطة " [٤] .

ومن أهم مصنفاته في علم التاريخ كتابه عن تاريخ الإسكندرية وسماه " الدرة السنية في أخبار الإسكندرية " [٥] والذي وصفه حاجي خليفة بأنه " تاريخ مفيد ذكره ابن حبيب " [٦] .

واختلف المؤرخون في حجم هذا الكتاب وعدد أجزائه، فذكر كل من الذهبي في عبره[٧]، والعيني[٨] والسيوطي في حسن المحاضرة [٩] وغيرهم أنه ألف تاريخاً لبلده الإسكندرية دون ذكر عدد أجزائه[١٠]. في حين حدد البعض الآخر من المؤرخين كالذهبي في تذكرة الحفاظ [١١]، والسبكي[١٢] والأسنوي [١٣] أنه يقع في مجلدين، في حين يرى كحالة أنه يقع في ثلاثة مجلدات [١٤]،أما السخاوي يذكر أنه يقع في أربعة مجلدات [١٥].

---

(١) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، جـ٧ ، ص٣٨ .

(٢) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص١٤٦٧ ؛ العبر ، جـ٣ ، ص٣٢٧ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية، جـ٥، ص١٥٧؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، رقم ١١٢٦؛ حسن المحاضرة، جـ١، ص٣٥٦ .

(٣) محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨١ مصطلح حديث .

(٤) هذا الكتاب ذيل به على كتاب ابن نقطة ،الأكمال لمعرفة الرجال ، وذكر هذا الكتاب بروكلمان تاريخ الأدب العربي ، جـ٦ ، ص٨٩ ، ص١٧٧ ؛ عمر رضا كحالة ، معجم مصنفي الكتب العربية في التاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلات ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦ ، ص٦٣٥ ؛ معجم المؤلفين ، جـ١٣ ، ص١٤ .

وقام بنشر هذا الكتاب في جزأين الدكتور عبد القيوم عبد رب النبي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، ١٤١٩هـ .

(٥) إسماعيل البغدادي ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، جزاءان ، طهران ، ١٩٤٧ ، جـ٢ ، ص٤٧٤ .

(٦) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ١ ، ص ٢٨١ .

(٧) جـ٣ ، ص٣٢٧ .

(٨) عقد الجمان ، جـ٢ ، ص١٣٦ .

(٩) جـ١ ، ص٣٥٦ .

(١٠) اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ٤ ، ص١٧٣ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٥ ، ص٣٤١ ؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ١ ، ص٢٨١ .

(١١) جـ٤ ، ص١٤٦٧-١٤٦٨ .

(١٢) طبقات الشافعية ، جـ٩ ، ص١٥٧ .

(١٣) طبقات الشافعية ، جـ٢ ، ص١٠١ .

(١٤) كحالة ، معجم مصنفي الكتب العربية ، ص٦٣٥ ؛ معجم المؤلفين ، جـ١٣ ص١٤ .

(١٥) الإعلان بالتوبيخ ، ص١٥١ .

في الحقيقة لا نستطيع أن نرجح رأي من هذه الآراء على غيره ، ويرجع ذلك إلى أن هذا الكتاب القيم لم يصلنا حتى الآن وهو في حكم المفقود ، وكان يوجد في مكتبة آيا صوفيا بمدينة استانبول نسخة من هذا الكتاب تتكون من جزأين (١) وذكر ذلك المستشرق الألماني بروكلمان وذكر أنه يتكون من مجلدين (٢) .

وحاول المرحوم الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال الحصول على نسخة مصورة من نسخة آيا صوفيا وأرسل إلى المستشرق الألماني ريتر Ritter يستوضحه عن حقيقة هذا الكتاب ولكن اتضح عدم وجود الكتاب ، وأنه يوجد كتاب آخر يحمل نفس الرقم تحت عنوان " قصة الإسكندر الرومي وسياحاته ودخوله في الظلمة باحثاً عن ماء الحياة " (٣) .

ومن حسن الحظ أن عددا من المؤرخين اللاحقين على ابن العمادية نقل عنه العديد من مادة كتابه في تاريخ الإسكندرية ، كالذهبي ، وابن أيبك الصفدي ، وابن فرحون المالكي والمقريزي ، وابن تغري بردي وغيرهم من المؤرخين مما يوضح مكانه هذا الكتاب فضلا عن وجوده وإطلاع العديد من مؤرخي العصر المملوكي عليه مما يدل على انتشاره وسوف نأخذ عدة نماذج وأمثله من هذه النقول حتى نتعرف على منهجه في كتابة التاريخ .

فالذهبي المتوفي في عام ٧٤٨هـ/١٣٤٩م . نقل في كتابه سير أعلام النبلاء بعض التراجم من ذلك ما ذكره في ترجمة سعد الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن مُقرب بن عبد الحكيم الكندي المولود بالإسكندرية عام ٥٧٤هـ/١١٧٨م ، وتوفي بها عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م .

فقال " قال ابن العمادية : كان ثقة ثبتا ذا حفظ واتقان ومروءة وإحسان وقيل : كان يدري الأنساب " (٤) .

ونقل ابن أيبك الصفدي عنه في كتابه الوافي بالوفيات ، من ذلك ما نقله في ترجمة محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد التلمساني المتوفي في عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م . فقال :

" ... ذكره أبو المظفر منصور بن سُليم في " تاريخ الإسكندرية " وقال شيخ حسن من أهل الديانة والخير والعفاف والصيانة ، سمع الحديث بالمغرب وبمكة وبغيرهما ، وسكن الإسكندرية وحدث بها وكان ثقة صالحاً سئل عن مولده ، فقال : سنة أربع وستين وخمس ماية بتلمسان ، توفي في ثالث عشر ذي القعدة سنة ست وخمسين وست ماية بالإسكندرية ، ودفن ما بين الميناوين وكان يوماً مشهوداً ... " (٥) .

---

(١) فهرس المخطوطات العربية بمكتبة آيا صوفيا بإستانبول، ١٣٠٤هـ، تحت رقمي ٣٠٠٣، ٣٠٠٤ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، جـ٦ ، ص٨٩ .

(٣) الشيال ، الإسكندرية طبوغرافية المدينة ، ص٢٠٦-٢٠٧ .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ، ص٢١٥ ، رقم ١٣٢ .

(٥) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١ ، ص٣٥٧-٣٥٨ .

ونقل المقريزي عن كتاب تاريخ الإسكندرية العديد من التراجم في كتابه المقفى الكبير ، من ذلك نقل الترجمة السابقة التي ذكرها ابن أيبك الصفدي فقال :

" قال فيه منصور بن سليم : المحدث الصالح ، وكان ثقة صالحاً ، ومرة قال شيخ صالح من أهل الخير ، وكان ثقة ثبتا صاحب أصول محفوظة ... " (١) .

ونقل عنه أيضاً في ترجمة ابن وثيق الأشبيلي المقري نزيل الإسكندرية المتوفي في عام ٦٥٤هـ/١٢٥٢م فقال :

" قال فيه منصور بن سُليم : من المشايخ الصلحاء وحذاق القراء ، وكان متقناً لفنون القراءات ومخارج الحروف ... " (٢) .

ونقل المقريزي أيضاً عنه ترجمة ابن شهيد الفاسي المتوفي قبل عام ٦٤٠هـ فقال :-

" محمد بن أحمد بن يحيى بن شهيد ، أبو عبد الله ، الأنصاري الفاسي ، قدم الإسكندرية ودخل مصر والشام ، وسمع وحصل أصولاً حسنة ، وكتب بخطه ، وكان إماماً حافظاً ، ضابطاً ، محدثاً ، مات بالإسكندرية قبل الأربعين وستمائة وشهيد بفتح الشين المعجمة وكسر الهاء ، كذا دققه وجيه الدين منصور بن سليم في تاريخ الإسكندرية ... " (٣) .

ونقل عنه ترجمة ابن الزمّال الجباني المتوفي في عام ٦٥٢هـ/١٢٥٤م ، فقال :-

" قال منصور بن سليمان [ سليم ] (٤) : شيخ صالح ، وحدث بالإسكندرية توفي في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وستمائة ودفن بوعلة " (٥) .

ونقل عنه ترجمة قاضي الإسكندرية محمد بن علي المعروف بابن أبي الفرج الإسكندري المتوفي في عام ٦٦٢هـ/١٦٦٤م . فقال :

" قال منصور : كان ذا نفس علية ، وصورة بهية ، فاق أهل عصره رئاسة ونبلاً وسياسة وفضلاً ، وولي قضاء الإسكندرية خمس مرات ... " (٦) .

ونقل عنه ترجمة إبراهيم بن محمد المعروف بابن الحاج المتوفي في عام ٦٦١هـ/١٢٦٣م ، فقال :-

" كتب عنه منصور بن سليم فوائد وله تقييد من روى عنه " (٧) . ونقل عنه ترجمة الحافظ محمد بن محمد ابن النجار المتوفي في عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م :

---

(١) المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص١٠١ ، رقم ١٦٤٥ .

(٢) نفسه ، جـ١ ، ص٣٠٥ ، رقم ٣٦٢ .

(٣) المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص٢٨٨-٢٨٩ ، رقم ١٨٦٥ .

(٤) وقع محقق كتاب المقفى الكبير للمقريزي في خطأ كتابه بعض الكلمات مثلمنصور بن سليمان وتصحيحه " منصور بن سليم " ووجد في العديد من الصفحات بالاسم المصحح وكذلك بالاسم الخطأ .

(٥) المقفى ، جـ٥ ، ص٦٠٢ ، رقم ٢١٥٦ .

(٦) نفسه ، جـ٦ ، ص٣١٩ ، رقم ٢٧٨٥ .

(٧) نفسه ، جـ١ ، ص٢٧٣ - ٢٧٤ ، رقم ٣١٨ .

" قال فيه منصور بن سليم : كتبت عنه ببغداد ، وكان ثقة مفيداً توفي في يوم خامس شعبان سنة ثلاث وأربعين وستمائة " (١) .

ونقل عنه ترجمة محمد بن علي بن العز التنسي المالكي المتوفي بعد عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م :

" قال أبو المظفر منصور بن سليمان : كان فاضلاً صالحاً ، عالماً بالفقه والأصول ، انتفع به جماعة " (٢) .

ومن المؤرخين الذين نقلوا عن منصور بن سليم ابن فرحون المالكي في كتابه " الديباج المذهب " والذي يترجم فيه لعلماء المذهب المالكي وهو المذهب السائد في الإسكندرية ، لذا كان كتاب تاريخ الإسكندرية لمنصور بن سليم مصدراً هاماً له نقل عنه العديد من مادته والخاصة بعلماء المالكية في الإسكندرية ، من ذلك :-

ففي ترجمة الفقيه إسماعيل بن مكي المعروف بأبو الطاهر بن عوف صاحب المدرسة العوفية - الحافظية - بالإسكندرية والمتوفي في عام ٥٨١هـ/١١٨٥م فقال :

" وذكره الحافظ العلامة ، وحيد الدين أبو المظفر منصور بن سليم ، فقال : كان من العلماء الأعلام ، ومشايخ الإسلام ، ظاهر الورع والتقوى ، كتب عنه الحافظ السلفي ، وروى عنه الحافظ شرف الدين بن المقدسي ، وبيت ابن عوف بثغر الإسكندرية بيت كبير شهير بالعلم ، كان فيه جماعة من الفقهاء ... " (٣) .

ونقل عنه أيضاً ترجمة علي بن إسماعيل بن علي بن حسين بن عطية الملقب شمس الدين وشهرته أبو الحسن الأبياري .

" قال الحافظ أبو المظفر منصور بن سليم كان الأبياري من العلماء الأعلام ، وأئمة الإسلام بارعا في علوم شتى ، الفقه ، وأصوله ، وعلم الكلام ، ودرس بالثغر المحروس ثغر الإسكندرية ، وناب في الحكم عن القاضي أبي القاسم عبد الرحمن بن سلامة القضاعي المالكي وانتفع به جماعة ، وله تصانيف حسنة منها كتاب " شرح البرهان " لأبي المعالي الجويني " ، وله كتاب " سفينة النجاة " على طريقة الأحياء .

... قال الحافظ وحيد الدين : أبو المظفر : وأصله من أبيار مدينة من بلاد مصر على شاطئ النيل بينها وبين الإسكندرية أقل من يوم .. توفي سنة ست عشرة وستمائة "(٤)

ومن المؤرخين المتأخرين والذين نقلوا من كتاب " تاريخ الإسكندرية " المؤرخ الشهير ابن تغري بردي وبخاصة في كتابه " المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي " والذي استكمال به وذيل على كتاب ابن أيبك الصفدي " الوافي بالوفيات " وهو يؤرخ لأعلام عصر سلاطين المماليك من السلاطين والأمراء والعلماء والفقهاء والمتصوفة وأعلام العالم الإسلامي وقتئذ . من ذلك مثلاً :

ففي ترجمة إبراهيم بن عبد الله السكندري الحنفي المعروف بابن العطار المتوفي في عام ٦٤٩هـ/١٢٥١م . قال :

---

(١) نفسه ، جـ٧ ، ص١٣٧ ، رقم ٣٢٣٠ . (٢) نفسه ، جـ٦ ، ص٣٦٠ ، رقم ٢٨٤٢ .

(٣) ابن فرحون ، الديباج ، جـ١ ، ص٢٩٢ .

(٤) نفسه ، جـ٢ ، ص١٢١-١٢٣ .

" ... ذكره أبو المظفر منصور بن سليم في تاريخ الإسكندرية ، وأثنى على علمه وفضله ، وذكر شيئاً من نظمه ، وقال : رأيته بالموصل وبغداد في خدمة الملك الناصر صلاح الدين ، ثم انتقل إلى القاهرة واستوطنها إلى أن مات بها في سنة تسع وأربعين وستمائة " (١) .

وممن نقل عنه كتاب تاريخ الإسكندرية لمنصور بن سليم تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري المتوفي في عام ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م . في كتابه " الطبقات السنية في تراجم الحنفية " والذي ترجم فيه لأعيان وأعلام المذهب الحنفي ، لذا نقل عن منصور بن سليم لأعلام الحنفية بالإسكندرية والذين عاصرهم ابن سليم ، من ذلك نقل الترجمة السابقة والتي نقلها ابن تغري بردي عالية ، فقال :

" قال منصور بن سليم في تاريخ الإسكندرية مات سنة تسع وأربعين وستمائة فيما بلغني بالقاهرة . قال : منصور : ورأيته بالموصل وبغداد رحمه الله تعالى ... " (٢) .

وبالنسبة لأهمية كتاب تاريخ الإسكندرية فيتبين لنا من نقول المؤرخين المتأخرين عن منصور بن سليم أهمية كتابه " تاريخ الإسكندرية " ، حيث يعد المصدر الوحيد الرئيسي الذي اعتمدوا عليه للترجمة لأعيان وعلماء الإسكندرية وبخاصة في القرن السادس والسابع الهجري ، فكل من ترجمة لهؤلاء العلماء رجع لهذا الكتاب فالذهبي و وابن أيبك الصفدي وابن فرحون المالكي والمقريزي وابن تغري بردي وغيرهم نقلوا مادتهم التاريخية الخاصة بالإسكندرية وعلمائها عن هذا الكتاب .

فضلا عن ذلك ، فإن كتاب تاريخ الإسكندرية يكتسب أهميته في أنه يعد المصدر الوحيد الذي أرخ للإسكندرية في العصر الإسلامي كله بما فيه بداية العصر المملوكي ، ويصبح مؤلفه يلقب بمؤرخ الإسكندرية .

لذا يعد فقد هذا الكتاب خسارة كبيرة لدراسة تاريخ الإسكندرية في تلك الفترة وما بها من مؤسسات تعليمية وثقافية واقتصادية واجتماعية ودينية وأحوال المجتمع السكندري وغير ذلك من أوجه الحياة بها .

أما بالنسبة لمنهج الكتابة التاريخية لمنصور بن سليم فيتبين لنا من خلال ما نقله المؤرخون المتأخرون عنه من مادة تاريخية نحاول أن نكشف عن منهجه في الكتابة التاريخية في كتابه " تاريخ الإسكندرية " فمنصور بن سليم أرخ في هذا الكتاب لأعلام الإسكندرية من أبنائها أو النازلين بها ، وكل من له صلة بها سواء أكان مولود بها أو بغيرها .

ويمكننا أن نرجح أنه رتب هذا الكتاب ترتيبا أبجديا على حروف المعجم وهو في ذلك يسير على منهج معاصريه من مؤرخي التاريخ المحلي للمدن والأقاليم مثل الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وابن النجار في تاريخ بغداد أيضاً ، والحافظ ابن عساكر في

---

(١) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، جـ١ ، ص٨٧ ، رقم ٣٨ .

(٢) التميمي الداري، الطبقات السنية في تراجم الحنفية (طبعة الرياض) ج١، ص١٨٧١٨٨، ترجمة رقم ٢٧ ، وطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، جـ١ ، ص٢١٦-٢١٧ ، رقم ٢٧ .

تاريخ دمشق والأدفوي في الطالع السعيد الذي أرخ فيه لأعلام الصعيد الأعلى .
وأسلوب هؤلاء المؤرخين في كتاباتهم التاريخية عن تاريخ هذه المدن أن يبدأ بذكر معالمها الجغرافية ، وفضائلها ثم الترجمة لأهم أعلامها متتبعين في ذلك حروف المعجم، وهذا ما نرجح وجوده عند منصور بن سليم في كتابه " تاريخ الإسكندرية " .

فضلاً عن ذلك نستطيع أن نوضح طريقته في كتابه تراجم كتابه والتي يمكن تصنيف عناصرها بعد دراستها مجتمعة على النحو التالي :-

( أ ) الاسم :-

ويتصدر الترجمة – دائماً – وقد تسلسل في مواضع يسيرة ليحتوي على اسم المترجم له ، فوالده ، فأجداده ، كنحو قوله :

" محمد بن أحمد بن يحيى بن شهيد " (١)

( ب ) اللقب :-

وذلك ذكر لقب المترجم له كشمس الدين وغير ذلك من الألقاب السائدة في تلك الفترة والتي ارتبطت بالدين .

( ج ) الكنية :-

ومن طبيعة كتابه التراجم كتابة كنية المترجم كأبو عبد الله ، وابن أبي الفرج .

( د ) النسبة :-

وتعددت النسبة في كتابه التراجم فقد تكون إلى الجنس كالترك أو العجمي أو غير ذلك أو إلى القبيلة كالهمداني ، أو إلى المذهب الفقهي مثل المالكي أو الشافعي أو الحنبلي أو إلى المواضع ، ليكون المقصود بالإنتساب إلى الأول تحديد الأصل الذي انحدر منه المترجم له ، وبالثاني إلى الموضع الذي ولد فيه أو نشأ به ، أو توفي فيه مثل الفاسي الأصل ، السكندري الدار ، المصري الوفاة .

" الأنصاري الفاسي " أو " السكندري " .

( و ) الألقاب العلمية والصفات الأصيلة :- مثل :

" المحدث الصالح ، كان ثقة صالحاً " (٢)

" كان ثقة ثبتا ذا حفظ واتقان ومروءة وإحسان " (٣)

" شيخ حسن من أهل الديانة والخير والعفاف والصيانة " (٤)

" من المشايخ الصلحاء وحذاق القراء " (٥)

" كان إماماً حافظاً ، ضابطاً ، محدثاً " (٦)

" شيخ صالح " (٧)

---

(١) المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص٢٨٨-٢٨٩ ، رقم ١٨٦٥ .

(٢) المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص١٠١ .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ، ص٢١٥ .

(٤) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١ ، ص٣٥٧ .

(٥) المقريزي ، نفسه ، جـ١ ، ص٣٠٥ .

(٦) نفسه ، جـ٥ ، ص٢٨٨ .

(٧) نفسه ، جـ٥ ، ص٦٠٢ .

" كان فاضلاً صالحاً " (١)

" من العلماء الأعلام ، وأئمة الإسلام " (٢)

" كان من العلماء والأعلام ، ومشايخ الإسلام " (٣)

( ز ) المولـــد :-

يذكر تاريخ مولده وبلد المولد ، كنحو قوله :

" سئل عن مولده ، فقال : سنة أربع وستين وخمس ماية بتلمسان " (٤)

( ع ) الوفـــاة :-

فقد يذكر ذلك باليوم والشهر والسنة وبلد الوفاة وموضع الدفن .

" توفي في ثالث عشر ذي العقدة سنة ست وخمسين وست مايـــة بالإســكندرية ، ودفن ما بين الميناوين وكان يوماً مشهوداً " (٥) .

" توفي في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وســـتمائة ودفـــن بوعلة " (٦) ويقتصر على ذكر على تاريخ الوفاة باليوم والشهر والسنة دون ذكر مكـــان الوفاة أو الدفن .

" توفي يوم خامس شعبان سنة ثلاث وأربعين وستمائة " (٧) .

( غ ) تدقيق الأسماء :-

في كثير من الأحياء يقوم بتدقيق أسماء المترجم له وتشكيل ذلك مثل :

" وشهيد بفتح الشين المعجمة وكسر الهاء " (٨) .

( ف ) تحديد مواقع البلاد :-

في كثير من الأحيان يحدد مواقع البلاد التي ترد في التراجم والمسافة بينها وبـــين مدينة الإسكندرية التي يؤرخ لها .

" أبيار مدينة من بلاد مصر على شاطئ النيل بينها وبين الإســكندرية أقــل مــن يوم "(٩) .

( ق ) مهارتـــه :- كنحو قوله :

" كان يدري الأنساب " (١٠)

" كان متقناً لفنون القراءات ومخارج الحروف " (١١) .

---

(١) نفسه ، جـ٧ ، ص٣٦٠ .
(٢) ، (٣) ابن فرحون ، الديباج ، جـ٢ ، ص٢٢١ .
(٤) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١ ، ص٣٥٧ .
(٥) نفسه ، جـ١ ، ص٣٥٨ .
(٦) المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص٦٠٢ .
(٧) نفسه ، جـ٧ ، ص١٣٧ .
(٨) نفسه ، جـ٥ ، ص٢٨٩ .
(٩) ابن فرحون ، الديباج ، جـ٢ ، ص٢٢١ .
(١٠) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ، ص٢١٥ .
(١١) المقريزي ، نفسه ، جـ١ ، ص٣٠٥ .

( ك ) الوظائف التي تولاها :-

كذلك يذكر أهم الوظائف التي تولاها المترجم له مثل :

" نائب في الحكم عن القاضي أبي القاسم عبد الرحمن بن سلامة القضاعي " (١)

" وولى قضاء الإسكندرية خمس مرات " (٢) .

( ل ) مصنفات المُترجم :-

وذلك بذكر أهم المؤلفات التي ألفها المترجم مثل :-

" وله تصانيف حسنة منها " كتاب شرح البرهان " لأبي المعالي الجويني ، وله كتاب " سفينة النجاة " على طريقة الأحياء " (٣) .

يتبين لنا مما سبق أن هذا الاتجاه وهو كتابة تاريخ المدن من خلال الترجمة لأهم أعلامها سواء من الحكام أو الفقهاء والعلماء والمتصوفة والاهتمام بكل ما يخص صاحب الترجمة من الاسم ، والنسب ، والمذهب الفقهي ، وتاريخ الميلاد ، وبلده ، وتاريخ الوفاة وبلده ، ومكان الدفن وأساتذته وتلاميذه وأهم وظائفه العلمية والإدارية ورحلاته العلمية والمواطن التي استقر بها ، وأهم مؤلفاته العلمية ، وهذا الفن بلغ ذروته في العصر المملوكي .

ونلاحظ أن المؤرخين المتأخرين عن ابن سليم والذين كتبوا عن الإسكندرية وأعلامها قد اعتمدوا فيما كتبوا على ما كتبه ابن سليم في كتابه عن تاريخ الإسكندرية ، بل نقلوا عنه تراجم كاملة مما يجعله المصدر الوحيد لتاريخ الإسكندرية حتى منتصف القرن السابع الهجري .

وهكذا تتضح لنا مكانة وأهمية كتاب تاريخ الإسكندرية لمنصور بن سليم لدراسة تاريخ الإسكندرية وحضارتها حتى عصر المؤلف ، ونأمل أن نعثر عليه لتكتمل الفائدة والكشف عن جوانب جديدة من تاريخ الإسكندرية في تلك الفترة .

---

(١) ابن فرحون ، نفسه ، جـ٢ ، ص١٢١ .

(٢) المقريزي ، نفسه ، جـ٦ ، ص٣١٩ .

(٣) ابن فرحون ، الديباج ، جـ٢ ، ص١٢١ .

## النويري السكندري :-

أما الاتجاه الثاني في الكتابة التاريخية لمدرسة الفقهاء ورجال الدين في الإسكندرية وقتئذ هو التأريخ لحادثة معينة بمفردها ، وهو ما كتبه النويري السكندري ، عن " واقعة الإسكندرية " تأريخ لحملة بطرس الأول ملك قبرص الصليبية ضد الإسكندرية في عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م .

وسوف نتعرف على مؤرخنا وحياته ونسبه ووفاته ، ثم نتعرض لمجهوداته في الكتابة التاريخية ، وأهم مصادره ، وتقويم ونقد تلك الكتابات ، وغير ذلك فيما يلي .

على الرغم من ندرة الترجمة لمؤرخنا ، بحيث ترجم له ابن حجر ترجمة مقتضية في كتابة الدرر الكامنة فذكر اسمه " محمد بن قاسم بن محمد النويري المالقي الإسكندراني " (١) بينما ذكره في كتاب أنباء الغمر باسم " محمد بن قاسم بن محمد بن علي العاني المالقي " (٢) في حين يذكر السخاوي اسمه " محمد بن قاسم بن محمد بن علي الغساني المالقي المغربي المالكي " (٣) وفي كتابه الإعلان بالتوبيخ ذكر اسمه " محمد بن قاسم بن محمد النويري السكندري المالكي " (٤) .

فهو إذن " محمد بن قاسم بن محمد بن علي ، الغساني مما يجعله ينسب إلى أصول عربية – المالقي وهو نسبة إلى مدينة مالقة من مدن الأندلس الأمر الذي يؤكد أن أسرته من الأسر الأندلسية والتي عاشت في مدينة مالقة ، ثم المغربي ونسبته إلى المغرب يدل على انتقال أسرته من الأندلس إلي المغرب ، ولا ندري سبب انتقال أسرته إلى المغرب ، لعل ذلك يرجع إلى الاضطرابات السياسية في الأندلس وانعدام الأمن بها ثم رحلت الأسرة إلى المشرق حيث وضعت رحالها بأقليم البهنسا بالديار المصرية وبخاصة بلدة النويرة ولذا نسب إليها ولقب بالنويري ، وهذه البلدة نسب إليها العديد من العلماء والمؤرخين لعل أشهرهم أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفي في عام ٧٣٢هـ/١٣٣٢م صاحب كتاب " نهاية الآرب في فنون الأدب " (٥) وأسرة النويري المكي والتي استقر أبناؤها في مكة طوال العصر المملوكي .

وليس لدينا أي معلومات عن نشأة مؤرخنا وحياته الأولى، ومن المرجح أنه نال قسطا من العلم ببلده في "الكتّاب" وحفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتاب ومبادىء الحساب وغير ذلك من العلوم التي ينالها أترابه، إذ يذكر في ثنايا كتابه عن حديثه عن بعض أصحابه قوله "وذلك للصحبة التي بيني وبينه ببلد النويرة من المكتب-الكتّاب"(٦) .

---

(١) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٤ ، ص٢٥٩ ، رقم ٤٢٣٩ ؛

(٢) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ١ ، ص٦٨ .

(٣) السخاوي ، وجيز الكلام ، جـ١ ، ص٢٠١ .

(٤) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص١٥١ .

(٥) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٧ ، ص١٦٥ ، رقم ٣٠٩٧ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ١ ، ص٢٠٩ ، رقم ٥٠٦ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ١ ، ص٣٨١ ، رقم ٢٠٣ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ، ص٥٨ ، رقم ١٩٩ .

(٦) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ، ص٥١ .

ونبغ مؤرخنا في علم القراءات فيذكر ابن حجر وتلميذه السخاوي " أنه عارفاً بالقراءات مع مشاركة في الفنون " (١) ودرس الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس لذا لقب بالمالكي .

ثم انتقل إلى القاهرة ليزداد من العلم وينهل من معاهدها ومدارسها فاستقر به المقام بالمدرسة المنصورية (٢) " فاشتغل بها مع صاحبه شرف الدين أبو حفص عمر بن سعيد الناس " وذلك للصحبة التي بيني وبينه ببلده النويرة من المكتب ، وبالاشتغال بالقاهرة بالمدرسة المنصورية (٣) .

مما يدل على أنه تولى التدريس بهذه المدرسة والتي لا يتولى التدريس بها إلا أجل الفقهاء حسبما ذكر المقريزي (٤) ، مما يؤكد على أن النويري السكندري بلغ درجة عالية من العلم حتى يدرس بهذه المدرسة .

وفي شهر ذي الحجة عام ٧٣٧هـ/يوليو ١٣٣٧م قام مؤرخنا بزيارة مدينة الإسكندرية رغبة منه في زيارة الصالحين بها ورؤية المدينة " ، فلما وصلها أعجبته ، ورغب في الاستقرار بها ، فمصادر الرزق بها واسعة والحياة العلمية بها مزدهرة والكثير من التجار بها مهتمون بالعلم ويرغبون في اقتناء الكتب والمجلدات ، فقام بنسخ الكتب لعلمائها وفقهائها ، واتخذ من ذلك مهنة له ، ثم تزوج فيما بعد من أهلها الذين أعجب بهم وكون بها عائلة له (٥) . لذا أصبح مواطناً إسكندريا فعرف بالنويري السكندري تميزا له عن كل من ينتسب إلى النويرة ، بل وانفرد بهذا النسب ولا نعرف غيره اشتهر به .

وفي عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م ، قام بأداء فريضة الحج عن طريق الصعيد وعيذاب ولم يذهب عن طريق الركب المصري الذي يأخذ طريق سيناء والطريق البري ، لعله ذهب إلى بلدته القديمة النويرة ليزور أهله قبل السفر للحج ثم اتخذ طريق الصعيد فعيذاب على البحر الأحمر ومنه إلى الحجاز ، وفي أثناء ذلك قام مؤرخنا بزيارة قبر أبو الحسن الشاذلي بحميثرا بالقرب من عيذاب (٦) وهذا يضيف لنا سببا آخر لاتخاذ طريق الصعيد للحج ، فيبدو تأثر مؤرخنا بالطريقة الشاذلية والتي تعد الإسكندرية مركزاً انطلاقها فأراد أن يزور قبر شيخ الطريقة ومؤسسها الشاذلي ثم آداء فريضة الحج ، ويمكن أن يكون رغبة في الاقتداء بأبو الحسن الشاذلي الذي كان يتخذ هذا الطريق حتى وفاته بالقرب من عيذاب .

---

(١) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ١ ، ص٦٨ ؛ السخاوي ، وجيز الكلام ، جـ١ ، ص٢٠١ .
(٢) أنشأها السلطان المنصور قلاوون في شارع بين القصرين بالنحاسيين ، وهي لتدريس المذاهب الأربعة وهي ضمن مجموعة قلاوون والتي تشمل المدرسة والقبة والبيمارستان ، انظر المقريزي ، الخطط ج٤، ص٢١٨؛ وثائق السلطان قلاوون ، نشر وتحقيق محمد محمد أمين القاهرة، ١٩٧٦ .
(٣) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ، ص٥١ .
(٤) المقريزي ، نفسه .
(٥) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ، ص٢١٩-٢٢٠ .
(٦) نفسه ، جـ٥ ، ص٢٢٤-٢٢٥ .

وبعد آداء فريضة الحج عاد إلى الإسكندرية وظل بها حتى عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م عندما داهم المدينة القبارصة وقاموا بالنهب والتدمير والتخريب والسلب والأسرى والقتل ففر مؤرخنا بعياله وزوجته خوفاً من القبارصة مع من فر من أهل الإسكندرية واتجه إلى بلدته النويرة حيث أهله وأقاربه (١) .

وفي أثناء ذلك قام مؤرخنا بزيارة صديقه القديم شرف الدين بن سعيد الناس المدرس بالفيوم وليخبره بما حدث الإسكندرية (٢) وبعد أربعة أشهر عاد مؤرخنا إلى الإسكندرية فلما رأى ما حدث بها أصابه الفزع والهلع على تلك المدينة الجميلة ، مما سيدفعه إلى تأليف تاريخاً لهذه المصيبة التي حلت بالإسكندرية (٣) .

أما عن وفاة مؤرخنا ، فليس لدينا تاريخ صريح بوفاته فابن حجر في الدرر لم يذكر تاريخ وفاته (٤) . أما في أنباء الغمر فذكر وفاته في عام ٧٧٥هـ/١٣٧٧م (٥) ، وذكر نفس التاريخ السخاوي في كتابه " وجيز الكلام " (٦) ، في حين لم يذكر تاريخ وفاته في كتابه " الإعلان بالتوبيخ " (٧) ، وحدد الدكتور على إبراهيم حسن وفاته بعام ٧٧٥هـ/١٣٧٣م (٨) ، كما أن محقق كتاب الإلمام ذكر أنه توفي بعد عام ٧٧٥هـ/١٣٧٤م ، وهذا الرأي أقرب إلى الصحة ، حيث نجد أن النويري السكندري يذكر في ثنايا كتابه حوادث وقعت في أعوام عام ٧٧٦هـ/١٣٧٥م (٩) ، وعام ٧٧٧هـ/١٣٧٦م (١٠) ، مما يدل على أنه توفي بعد عام ٧٧٧هـ/١٣٧٦م (١١).

---

(١) نفسه ، جـ٢ ، ص٢١٩-٢٢٢ ، جـ٤ ، ص٥٠-٥١ .
(٢) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ، ص٥١ .
(٣) نفسه ، جـ٢ ، ص٢٢١ .
(٤) جـ٤ ، ص٢٥٩ .
(٥) جـ١ ، ص٦٨ .
(٦) جـ١ ص٢٠١ .
(٧) ص١٥١ .
(٨) استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص١٢٤ .
(٩) عزيز سوريال عطية ، كتاب الإلمام للنويري الإسكندراني ، دراسة نقدية تحليلية ، ترجمة جوزيف نسيم يوسف ، مجلة عالم الفكر ، مج١٤ ، ع٢ ، ١٩٨٣ ، ص١٣٧ ؛ أحد مصنفي الموسوعات السكندريين في القرن الرابع عشر الميلادي الثامن الهجري ، من أبحاث كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص١٥١-١٣٩ .
(١٠) عندما تحدث عن الفناء الذي وقع في الإسكندرية من شهر شوال عام ٧٧٥هـ إلى ربيع الأول سنة ٧٧٦هـ ، الإلمام جـ٦ ، ص٤٢٣ .
(١١) عندما تحدث عن ولاية خليل بن عرام لنيابة الإسكندرية في ليلة الجمعة ١٩ رجب سنة ٧٧٧هـ ويذكر أنه " قرئ تقليده بمنبر الجيوشي بعد صلاة الجمعة " مما يدل على مشاهدة ومشاركته لذلك ، جـ٦ ص٤١٥ .

## مؤلفـــــاته :-

لم يصلنا عن النويري السكندري سوى كتاب واحد وهو كتـــاب الإلمـــام ، واختـــار النويري اسماً له وهو " كتاب الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعـــة الإسكندرية " فذكـــر في هـــذا الكتاب بأنه " لما كمل هذا الكتاب ، الذي هو نزهة لأولي الألباب ، سميته " كتاب الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمـــور المقضـــية في وقعة الإسكندرية " مع ما أضفت إلى ذلك من الاستطرادات المقيدات والموضـــوعات المستحفات [1] وكلمة إلمام تعني نتفا وشذرات من مختلف مصادر المعرفة .

ولكن ماهي الأسباب التي دعت النويري السكندري لتأليف كتابه ؟ يـــذكر النـــويري السكندري السبب في تأليفه بقوله " وكان السبب في تأليفي هذا الكتـــاب طـــول إقـــامتي بالإسكندرية ومحبتي لها ولأهلها ، فأني دخلتها في ذي الحجـــة ســـنة ســـبع وثلاثـــين وسبعمائة بسبب زيارة الصالحين ورؤيتها ، فلما حللت بها رأيت مدينة حســـنة البنـــاء جميلة المعنى طيبة السكني ، فأحببتها حينئذ وسكنتها وتأهلت بها ... ثم خرجت منهـــا مع من خرج من الوقعة من باب برها ورجعت إليها لأرى صدفة دُرها كيف صارت بعـــد فعل الكفرة بها ، لما تعدت عليها ، فرأيت ما حير عقلي ، وأذهلني ، من خراب بعـــض أماكنها ... فجذبتني الغيرة بأسبابها ، ودعتني الحمية لأربابها إلى تأليف هـــذا الكتـــاب ليقف عليه من يأتي من المسلمين بعد عصرنا هذا ليعلموا به ما اتفق لها فيمـــا مضـــى من الزمان ، ولتجتهد ملوك مصر الآتية بعد ملوك عصرنا في حفظها من الفرنج بتكثير القياد بها والتركيز فيها لحراستها ، كفعل عمرو بن العاص حين فتحها ، فإنه حفظهـــا على طول الزمان ، بقبائل العربان ، فالله تعالى يجعلها في حفظ وســـلامة ، إلـــى يـــوم القيامة بمنه وكرمه ليقام بها دين الإسلام ، على مر الليالي والأيام " [2] .

يتبين لنا من النص عاليه الأسباب التي دعت النويري إلى تأليف كتابـــة الإلمـــام ، السبب الأول : حبه للإسكندرية وأهلها واستقراره بها وزواجه مـــن أهلهـــا ، والســـبب الثاني : أنه كتب هذا الكتاب لمن يأتي من المسلمين بعد عصر المؤلف ليقفوا على مـــا حدث للإسكندرية من التخريب والتدمير ، والسبب الثالث : وهو موجه إلى ملوك مصـــر بعد عصر المؤلف لكي يحافظوا على تحصين الإسكندرية وحمايتها من الفرنج ، والسبب الرابع : هو حث ملوك مصر على الأخذ بثأر ما حدث للإسكندرية وذلك بالقضـــاء علـــى القوة الصليبية في جزيرة قبرص وجزيرة رودس ، وهذا يتضح في ثنايا الكتاب وهو ما تم فعل في عهد كل من السلطان الظاهر جقمق والأشرف برسباي من الاســـتيلاء علـــى الجزيرتين .

وبدأ النويري السكندري كتابة هذا الكتاب " في شهر جمادى الآخـــرة ســـنة ســـبع وستين وسبعمائة وفرغ منه في ذي الحجة سنة خمس وسبعين وسبعمائة " [3] .

---

(١) الإلمام ، جـ١ ص٤٥ ؛ مما يوضح أنه لم يحدد له عنوان إلا بعد نهاية الكتابة .
(٢) الإلمام ، جـ٢ ص٢٢١-٢٢٢ .
(٣) نفسه ، جـ٢ ، ص٢٢٠ .

أي أنه استمر ثماني سنوات في كتابه هذا الكتاب ، ومع ذلك نجد أن الكتاب اشتمل على أحداث بعد هذا التاريخ تشمل أعوام ٧٧٦هـ و ٧٧٧هـ كما سبق أن ذكرنا .

فالنويري السكندري ، والذي أصبح مواطناً سكندرياً بسبب طول إقامته واستقراره بها فجعته الأحداث التي حدثت للمدينة ، وشاهد معظمها بنفسه والأحداث التي لم يراها أخذها عن شهود العيان (١)، لذا جاء كتابه كوثيقة أصيلة في دراسة حملة القبارصة ضد الإسكندرية وما تبع ذلك من أحداث وسوف نوضح المصادر التي استقى النويري السكندري مادته منها .

## مصادر مادة كتاب الإلمام :-

تعددت مصادر كتاب الإلمام وتنوعت موارده ، إذ عمد النويري السكندري إلى استقاء مادته العلمية وأخباره التاريخية من المصادر المتاحة له ، وهي مصادر كثيرة تتوزع بين مصادر مباشرة : تتمثل في نقل الخبر حياً عن طريق المشاركة في الحدث أو مشاهدته أو الوقوف على آثاره ، أو سماعه من ثقات توافرت فيهم شروط الضبط والعدالة ، شاركوا في الأحداث أو شاهدوها ، وذلك ما يطلق عليه بالمشافهة وشهود العيان .

وكذلك المصادر غير المباشرة : كالمصادر المدونة ، وهي المصادر المكتوبة ، فعمد النويري السكندري إلى استقراء الوثائق الخاصة والرسمية أو الكتابات الأثرية والنقوش ، والبحث في العملات والمسكوكات النقدية ، وكذلك الآثار المعمارية بصورها المتعددة مما يجعل لكتابات النويري السكندري مصداقية الخبر وأمانة النقل ، وسوف نتناول مصادره المتعددة فيما يلي :-

## المشاركة والمشاهدة :-

وهي الأحداث والأخبار التي شارك فيها النويري السكندري وشاهدها ويمثلها قوله : " قال المؤلف غفر الله له : حججت في سنة خمسين وسبعمائة من البحر ، فنزلنا حميثرا ، فزرنا قبر الشيخ أبي الحسن ، فوجدنا الشيخ محمد الإسكندري المعروف بالمبيض ، حمل له من الإسكندرية أخشاباً مهيأة درابزينا سكنها على قبره منقوشاً فيها اسم الشيخ أبي الحسن وتاريخ وفاته ، وعلق بدائرها فوانيس من الزجاج مع بيض النعام ، فقرأنا عنده ما تيسر من القرآن ، ودعونا وشربنا من الجفار القريب منه ماء طيباً وارتحلنا . انتهى " (٢) .

وعن حديثه عن الإسكندرية قوله : " فلما حللت بها رأيت مدينة حسنة البناء جميلة المعنى طيبة السكنى .. فأحببتها وسكنتها ، وتأهلت بها وألفت هذا الكتاب بها ... " (٣) .

وقوله : " ... وتأهلت بها ، ونسخت لأكابرها بساحتها المنيرة كتباً كثيرة ، ثم خرجت منها مع من خرج من الوقعة من باب برها لعدم إلقاء النفس في الهلكة ، لما لم

---

(١) نفسه ، جـ٦ ، ص٤١-٤٢ ، ٤١٥ ، ٤٢٣ .
(٢) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٥ ، ص٢٢٤-٢٢٥ .
(٣) نفسه ، جـ٢ ، ص٢١٩ .

يبق في أهلها للقتال حركة ، ثم رجعت إليها لأرى صدفه دُرها كيف صارت بعد فعل الكفرة بها ، لما تعددت عليها وجارت ، فرأيت ما حير عقلي ، وأذهاني ، من خراب بعض أماكنها ، وحريق بعض جوانبها ، ... أما القتلى فأنهم دفنوا قبل وصولي إليها ، لم أر غير قبورهم بداخلها ... فجذبتني الغيرة بأسبابها ، ودعتني الحمية لأربابها إلى تأليف هذا الكتاب بها ... " (١) .

وقوله :-

" ولما ظفر القبرسي بالإسكندرية في آخر المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة ، وشرد غالب أهلها منها ، خرجت بعيالي معهم ، فقصدت بلدة النويرة بالصعيد الأدنى من مصر ، إذ ذاك مدرس المدرسة المالكية بمدينة الفيوم الشيخ الأمام العالم شرف الدين أبو حفص عمر ابن الشيخ الأمام العالم المدرس بها قبله ابن الشيخ الإمام العالم شرف الدين الشهير بابن سعيد الناس . فصار متشوقاً لرؤيتي ، وذلك للصحبة التي بيني وبينه ببلد النويرة من المكتب ، وبالاشتغال بالقاهرة بالمدرسة المنصورية لأخبره بما اتفق بالإسكندرية فمدحته بأبيات ذكرت فيها ما اتفق وسرت بها إليه فسلمت عليه ، فسر بقدومي ووورودي عليه ، فقرأتها بين يديه بمجلسه العام ، فتعجب من ذلك وتألم لما جرى للمسلمين " (٢) .

فضلاً عن ذلك نظم النويري السكندري بكتاب الإلمام بالعديد من القصائد كمشاركة منه في الأحداث ، من ذلك رثائه للإسكندرية بقصيدتين ويذكر ما حدث له من ذلك :-

فشردت معهم بالعيال مشتتاً ... ولهان من ذعر وجري الناس
وتركت كتبي والأثاث جميعه ... حيران أضرب أخمس أسداس
بلد النويرة قد قصدت بعلتي ... قدماً بها وطني وكناسي (٣)

وفي قصيدة له :-

فالنويري قد رثا الثغر حقاً ... عام سبع يا ويحه من عام
بعد ستين بعد سبع مئين ... وأتى بالتاريخ للأعلام
غفر الله ذنبه وهداه ... لسواء الصراط طول الدوام (٤)

وله في مدح جامع الإسكندرية الغربي ( عمرو بن العاص ) والجامع الشرقي المعروف بالعطارين بقوله :-

لسان النويري بالمديح مقصر ... بما قاله في الجامعين وأودعا
لسان النويري بالمدائح فيهما ... كشند وكافور ومسك تضوع (٥)

وشخصيته في مدح صديقه ابن سعيد الناس بالفيوم أثناء زيارته له قوله :-

إن ابن قاسم مخلصاً لك بالدعا ... يرجو الإجابة من إله الناس (٦)

(١) النويري السكندري ، نفسه ، جـ٤ ، ص٥٠-٥١ .
(٢) نفسه ، جـ٢ ، ص٢١٩-٢٢٢ .
(٣) نفسه ، جـ٤ ، ص٥٢ .
(٤) نفسه ، جـ٢ ، ص٢١٩ .
(٥) نفسه ، جـ٤ ، ص٤٤ ، ٤٥ . (٦) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ، ص٥٢-٥٣ .

وتظهر شخصيته في مدح إبراهيم التازي رئيس دار الصناعة البحرية بالإسكندرية بقوله :-

فالنويري سره الفعل الذي ... فعل التازي الهزبر الغازي
قال فيه مدحة منظومـــة ... بنبذة في غايــة الإيجــاز[1]

وله مشاركة في الإطلاع على القصائد التي قيلت في رثاء الإسكندرية ومناقشة قائليها بقوله :-

"ولما اجتمعت بالشيخ أبي عبد الله محمد بن طاهر الأخميمي أوقفته على هذه المرثية التي عارض بها أبو عبد الله محمد النستراوي مرثيته التي رثا بها الإسكندرية" [2] .

المشافهـــة :-

والمصدر الثاني للنويري السكندري في كتابه الإلمام المشافهة والأخذ عن شـــهود العيان في الأحداث التي جرت في عصره ولم يشارك فيها أو يشاهدها ، لذا لجأ إلى من شارك فيها أو شاهدها ، وكان يبدأ أحداثه بلفظ حدثني ، أو أخبرنـــي ، أو ذكـــر لـــي ، أنشدني .

ويمثلها قوله :-

" حدثني محمد بن طاهر الأخميمي قال : لما كمل نظم هذه المرثيـــة كتبتهـــا بخـــط حسن ، ومضيت بها إلى الأمير الأتابكي يلبغا الخاصـــكي ، فاســـتأذنته فـــي قراءتهـــا ليسمعها" [3] .

وقولـــه :-

" حدثني الشيخ الصالح أبو محمد إسماعيل بن سليمان الحلبي وكان إذ ذاك مقيمـــاً بها ، قال : لما دخلت الإفرنج طرابلس الشام في أوائل سنة تسع وســـتين وســـبعمائة ، دخل منهم دار الحاج محمد بن بهادر التاج اثنا عشر علجاً ، وكان له بها جُفـــان ســـكر كبيرة فأحاط المسلمون بالدار فصارت الفرنج يكسرون الجُفان ... " [4] .

وقولـــه :-

" حدثني أبو محمد عبد الله بن محمد الإسكندري عن بعض أســـاري المســـلمين ، قال : كنت فيما مضى من الزمان أسيراً بقبرس وطالت مدتي في الأسر بها ، فجلســـت يوماً إلى جانب قسيس ، فسألني عن مصر وأخبارها ... " [5] .

وقولـــه :-

" حدثني الشيخ الصالح أحمد النشابي شيخ قاعة القرافـــة بالإســـكندرية ، قـــال : حدثني محمد الخياط بعد قدومه من مدينة قبرس مع من حضر من أساري الإســـكندرية الراجعين إليها منها ... " [6] .

---

(١) نفسه ، جـــ٥ ، ص٢٩٧ .
(٢) نفسه ، جـــ٤ ، ص١٧٨-١٧٩ .
(٣) نفسه ، جـــ٣ ، ص٢٣١ .
(٤) نفسه ، جـــ٥ ، ص١٨٧ .
(٥) نفسه ، جـــ٢ ، ص٢٩ .
(٦) نفسه ، جـــ٢ ، ص١٥٢ .

وقولـــه :-

" حدثني الشريف محمد الحسيني ، قال : حدثني يعقوب اليهودي المذكور أنى لمـا أرسلني الأمير صلاح الدين لصاحب قبرس ، أفقشني الفرنج وكتفوني وصار على رأسي أفرنجيان معهما سيفان مجردان ... " [1] .

وقولـــه :-

" حدثني الشيخ أبو عبد الله محمد ابن يوسف حارس القصر المـذكور ، ويعـرف بابن قراجا قال : " كنت فيه بمفردي لما دخلت الفرنج الإسـكندرية ، فأغلقـت بابـه ، وقرأت حزب سيدي الشيخ الصالح أبي الحسـن الشـاذلي ، وإذا بـالفرنج أتـوا إلـى الزريبة"[2] .

وقولـه :-

" أنشدني أبو عبد الله محمد المقري بثغر الإسكندرية المحروس قصيدة له فـي دمشـق منها ... " [3] .

وقولـــه :-

" ... أخبرني بعض الفقهاء بالإسكندرية قال : وقفت على المسائل المذكورة ، وهي نحو سبعين مسألة في كتاب لبعضهم ... " [4] .

وقولـــه :-

" أخبرني الشيخ الصالح ريحاني الحبشي ، ذكر أن له سبع غزوات فـي الفـرنج ، قال : بينما أنا نائم بدمشق في شهر رمضان ... " [5] .

وقولـــه :-

" ... أخبرني الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن صالح التاجر المصري ، قـال : كنت بالإسكندرية قبل الوقعة بأيام قلائل ، فرأيت بالمنام أن رحبة الجامع الغربي .."[6] .

وقوله :-

" ... أخبرني الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن أحمد التاجر السفار ، قال : كنت بالإسكندرية فرأيت ... " [7] .

وقولـــه :-

" أخبرني علي بن راشد الحجازي المقيم بالإسكندرية والمدير برقع التجـار علـى الدواوين يكتبون عليها خطوطهم ، قال : رأيت في المنام ... " [8] .

---

(١) نفسه ، جـ٣ ، ص٢١٠ .
(٢) نفسه ، جـ٢ ، ص١٧٦-١٧٧ .
(٣) نفسه ، جـ١ ، ص٢٣٨ .
(٤) نفسه ، جـ١ ، ص٢٥٨ .
(٥) نفسه ، جـ١ ، ص١٠٥ .
(٦) نفسه ، جـ١ ، ص١٠١-١٠٢ .
(٧) نفسه ، جـ١ ، ص١٠٣ .
(٨) نفسه ، جـ١ ، ص١٠٥ .

وقولـــه :-

" أخبرني موسى البدوي السالمي أحد بني سالم النازل في بيـوت الشـعر بـأرض تروجه ، قال : دخلت الإسكندرية مستصحباً معي والدتي عجوزاً كبيرة لبعض السـبب ، ولم يكن أبدا دخلت بلداً ... " (١) .

وقولـــه :-

" أخبرني أيضاً أحد التركمان القادمين من مدينة العلايـا ببـر التركيـة المحاذيـة للجزيرة القبرسية إلى مدينة الإسكندرية أن ... " (٢) .

وقولـــه :-

" أخبرني بذلك رجل مسلم قال : كنت أسيراً بقبرس فيما مضى من الزمـان أقمـت بها اثنتي عشرة سنة ... " (٣) .

وقولـــه :-

" ... ثم إن الفرنجي قتيل البقرة صُلب ورجم ، وصارت النـاس تـأتي لينظـروه ويقولون : هذا قتيل البقرة . هكذا أخبرني بذلك رجل من أهل رشيد ... " (٤) .

وقولـــه :-

" أخبرني الشيخ الفقيه العالم الفاضل المدرس أبو عمرو التونسي عن جده لأمـه ، قال : إني من أهل مدينة لُرقة ببرّ الأندلس ... " (٥) .

وقولـــه :-

" أخبرنـي الشيخ أبو عبد الله بن يوسف البغدادي معلم دار الطـراز بالإسـكندرية قال : قدم كتاب من قبرس عند قدوم رسل القبرسي إلى الإسكندرية مع بعض الأسـاري الذين أرسلهم صاحب قُبرس بسبب الصلح ... " (٦) .

وقولـــه :-

" ... ذكر لي شيخ يسكن بالمحجة ، قال : كنت مختفياً بأعلى داري في مكان انظر من كوة صغيرة فرأيت الفرنج يأتون إلى الحانوت المغلوق الباب ، فيمد أحدهم على بابه خطه سوداء ، ويخط من فوقها خطة حمـراء ، ويلقم الخـط النـار فيلتهـب البـاب بسرعة ... " (٧) .

وقولـــه :-

حدثني الشيخ الصالح عبد الله بن نجم الصرفندي بثغر الإسكندرية المحروس بعـد أخذ الفرنج للزروق المزبور بمدة ، قال : إن هذا الملعون إبراهيم بن الجنازة القبرصي

---

(١) نفسه ، جـ١ ، ص٢١٥ .

(٢) نفسه ، جـ١ ، ص٨ .

(٣) نفسه ، جـ١ ، ص٦-٧ .

(٤) نفسه ، جـ٢ ، ص١٠٥-١٠٦ .

(٥) نفسه ، جـ٢ ، ص١٦٠ .

(٦) نفسه ، جـ٤ ، ص٢٩٥-٢٩٦ .

(٧) نفسه ، جـ٢ ، ص١٦٦-١٦٧ .

الذي قاتل المسلمين وأخذ زورقهم ، ما أتى إلى الإسكندرية ، إلا بعد أن أتانا الصرفند بساحل الشام " (١) .

وقولــه :-

" ... وحدثني أبو الفضل قاسم بن محمد قاضي رندة القادم في الركب المغربي أن الأساري التي حصر عددها من الرجال والنساء والأطفال سبعة آلاف وثمانمائة رأس ..." (٢) .

وقولــه :-

" .. حدثني بعض المغاربة القادم في الركب المغربي بسبب الحج أن القند صاحب المملكة النصرانية أرسل للسلطان ابن الأحمر يطلب منه الصلح لما داخله منه من الرعب بسبب أحزابه لمدائنه ... " (٣) .

وقولــه :-

" حدثني الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف البغدادي معلم دار الطراز لما سألته وقلت : بلغني أن السلطان ( شعبان ) ملأ بنفسه بقادوس فخار علي زير بدار الطراز وأن الصناع احتلفوا بذلك القادوس وسموه " قادوس السلطان " ... " (٤) .

وقوله :-

" ... حدثني الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن يوسف حارس القصر ... " (٥) .

وقولــه :-

" ... ذكر أبو العباس أحمد شيخ رماة قاعة القرافة .... " (٦) .

الوثائــق :-

كان لعمل النويري السكندري بمهنة النسخ أثرها في مصادر كتابه الإلمام حيث أطلع على العديد من الوثائق ، بل نجد أنه اعتمد على وثائق نادرة ، لا نجدها إلا عنده في الإلمام مما يقوي من مكانته النويري السكندري وكتابه الإلمام ، وسنعطي بعض الأمثلة لذلك .

فيذكر عند حديثه عن الأمير سلار (٧) نائب السلطنة في عهد الناصر محمد بن قلاوون في الفترة الثانية والمتوفي عام ٧١٠هـ/١٣١٠م وقام بمصادرة أمواله فنجد أن النويري السكندري ينقل قائمة بالمصادرات في كتابه بقوله :

---

(١) نفسه ، جـ٥ ، ص٢٨٤-٢٨٥ .

(٢) نفسه ، جـ٥ ، ص ٣٤ .

(٣) نفسه ، جـ٥ ، ص٣٣٠ .

(٤) نفسه ، جـ٦ ، ص١٠ .

(٥) نفسه ، جـ٢ ، ص١٧٦-١٧٧ .

(٦) نفسه ، جـ٢ ، ص١٧٥ .

(٧) الأمير سيف الدين سلار بن عبد الله المنصوري . انظر : ابن حبيب ، تذكرة النبية ، جـ٢ ، ص٢٩ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ص٨٧٣ ، جـ٢ ص٩٧ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ٦ ص١٩ .

" ... وسأذكر إلآن ما وقفت عليه من كثرة الأموال التي وجدت لسلار حين القبض عليه ، وحملة إلى القلعة ، وهي قائمة مباركة يعتبر بها المعتبرون ، ويتفكر فيها المتفكرون بالذي وجد للأمير سلار ، ونقل إلى قلعة الجبل بالقاهرة المعزية أول يوم ... ثاني يوم ... " (١) .

وعن حديثه عن غزو النورمان ملوك صقلية للإسكندرية في بداية عهد صلاح الدين الأيوبي في عام ٥٦٩هـ/١١٧٤م (٢) . يورد لنا الخطاب الذي أرسله صلاح الدين الأيوبي إلى السلطان إسماعيل بن محمود بن زنكي وكتابه القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني ، ويمثله قوله :-

" قال المؤلف غفر الله له وللمسلمين أجمعين : وقفت على نسخة كتاب القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني في وزير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فرأيته ذكر فيه وقعة الصقلي بالإسكندرية ... إما قول القاضي الفاضل عبد الرحيم في كتابه فهو هذا : الكتاب ، مرسل القاضي الفاضل عن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف إلى السلطان إسماعيل بن محمود بن زنكي يذكر وصول الأسطول المخذول وعوده منهزماً مكسور في أواخر سنة تسع وستين وخمسمائة وهي وفاة نور الدين محمود وأيام ابنه الصالح بدمشق ، فقال فيه : أجدر ما أشيع ذكره بين البوادي والحواضر ... وذلك أنه لما كان يوم الأحد السادس والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وستين وخمسمائة ، وصل العدو المخذول الصقلي إلى الإسكندرية في وقت الظهر ... " (٣) .

بل يورد لنا وثائق نادرة في العلاقة بين المسلمين والنصارى بالأندلس أو بين مملكة غرناطة ومملكة قشتالة والحروب بينهم بسبب غزو القبارصة للإسكندرية ورغبة المسلمين بالأندلس لأخذ ثأر الإسكندرية . من هذه الرسائل رسالة من أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الأحمر وأبو الحسن المريني سلطان دولة بني مرين بفاس " ... سلام كريم بفتح الفتوح ، المؤيد بالملائكة والروح ، عرفه يهدي أنفاس ريحان الجنّان ... فكتبنا لكم نجلو عليكم خبر الفتح المخبور لزمننا ... " (٤) .

ويورد أيضاً نص رسالة بين ملك قشتالة وملك بني مرين وجواب ملك بني مرين عليها " ... باسمك اللهم فاطر السماوات والأرض ، ومخرج النبات ، ومحيي العظام ... قد تعلم أيها الملك ما أصحابكم عليه بالأندلس من التخاتل والتواكل ، واهمالهم الرعية ... " (٥) .

---

(١) النويري السكندري ، نفسه ، جـ٤ ، ص١١٤-١١٦ .

(٢) هذه الحملة جزء من مؤامرة حيكت ضد صلاح الدين بعد إسقاط الدولة الفاطمية ، لمزيد من التفاصيل . انظر : أبو شامة ، **الروضتين** ، جـ١ ق٢ ص٥٩٨ ؛ ابن واصل ، **مفرج الكروب** ، جـ٢ ص١٢-١٤ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ص٥٦ .

(٣) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ١ ، ص١٦١-١٧٠ .

(٤) نفسه ، جـ٥ ، ص٣١٨-٣٢٧ .

(٥) نفسه، جـ٣ ، ص١٩٢-١٩٧ .

ولعل أهم الوثائق التي أوردها النويري السكندري الوثيقة الخاصة بالروك الناصري عام ٧١٥هـ/١٣١٥م والتي تعد من أهم المراسيم الرسمية لمصر في العصر المملوكي حيث نقلها النويري السكندري كاملة وهذا مما لا يتوفر في معظم كتب الحوليات المعاصرة [١] .

النقوش والآثار :-

من النقوش التي رآها النويري السكندري ونقلها في كتابه ما ذكره :-

" ... حمل له من الإسكندرية أخشاباً مهيأة درابزينا سكنها على قبره منقوشاً فيها اسم الشيخ أبي الحسن وتاريخ وفاته ... " [٢] .

وقوله أيضاً في ذكر الرخامة التي عملها ناظر الإسكندرية بعد عمارته للجامع الغربي " ... وصار له به تذكار على ممر الدهر بما نقش على الرخامة التي فيها تاريخ ذلك واسمه بأعلى بابه الشرقي والقبلي من أبواب الجامع ، وكانت الرخامة مزخرفة بالذهب واللازورد ، ثم في سنة ست وسبعين وسبعمائة ... " [٣] .

ومن الآثار القديمة التي ذكرها " ... وبظاهر الإسكندرية موضع يعرف بالقصرين في أرض رمل ، وهو مكان نزه تجتمع به في الصيف أهل الإسكندرية ... " [٤] .

المؤلفات السابقة :-

اعتمد النويري السكندري على عدد كبير من المؤلفات التاريخية والعلمية والجغرافية ودواوين الشعر وكتب التفسير والفقه والحساب والتصوف وغيرها من المصادر ونكرر ما سبق ذكره أن مهنة نسخ الكتب التي عمل بها النويري السكندري كانت سبباً في إطلاعه على العديد من المؤلفات ، فالمؤلفات التاريخية تتمثل في :-

- سيرة العمرين عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز لأبي الفرج بن الجوزي [٥] (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٢م ).
- وفيات الأعيان في إنباء أبناء الزمان لابن خلكان [٦] ( ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م ) .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي [٧] ( ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م ) .
- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان للمسعودي [٨] ( ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م ) .
- التنبيه على تواريخ الأمم للمسعودي [٩] ( ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م ) .
- فتح مصر للواقدي [١٠] ( ت ٢٠٧هـ/٨٢٣م ) .

---

(١) نفسه ، جـ٤ ، ص١٤٦-١٥٤ .
(٢) نفسه ، جـ٥ ، ص٢٢٤ .
(٣) نفسه ، جـ٤ ، ص٤١ .
(٤) نفسه ، جـ٦ ، ص٣٧٦-٣٧٧ .
(٥) نفسه ، جـ١ ، ص٨٥ .
(٦) نفسه ، جـ١ ، ص٧٠ .
(٧) نفسه ، جـ١ ، ص٦٨ ، ٦٩ .
(٨) نفسه ، جـ١ ، ص٧١ ، ٦٩ .
(٩) نفسه ، جـ١ ، ص٢٦٨ .
(١٠) نفسه ، جـ٢ ، ص٣٠ .

- تاريخ ابن الربيب لابن الربيب [1] .
- تاريخ بغداد لابن الخطيب البغدادي [2] .
- التعيين للخلفاء الماضيين للمسعودي [3] ( ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م )
- تاريخ الوصيفي [4] .
- تاريخ القضاعي [5] ( ت ٤٥٤هـ/١٠٦٢م )
- تاريخ الخوارزمي [6] .
- المعارف لابن قتيبة [7] ( ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م )
- ترجمة الإمام الشافعي للرازي [8] .

ومن المؤلفات الجغرافيـــة :-

- كتاب البلدان لليعقوبي [9] ( ت ٢٩٢هـ/٨٩٥م )
- كتاب المسالك والممالك لأبو عبد الله القرطبي [10] .

ومن دواوين الشعر :-

- ديوان الملك شاهنشاة صاحب حماة [11] (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)
- ديوان عبد اللطيف التكريتي [12] ( ت ٧١٤هـ/١٣١٤م )

ومن كتب الفقه :-

- كتاب الرسالة في الفقه لأبي زيد القيرواني [13]
- شرح رسالة ابن أبي زيد في الفقه للجزولي [14]
- أحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي [15]

ومن كتب التفسير :-

- تفسير البغوي [16] ( ت ٥١٦هـ/١١٢٢م )
- التفسير لأبي إسحاق الثعالبي [17] .

---

(١) نفسه ، جـ٣ ، ص٣٠٣ .
(٢) نفسه ، جـ٥ ، ص٣٤٧ .
(٣) نفسه ، جـ١ ، ص٦٩ .
(٤) نفسه ، جـ٦ ، ص٩٠ ، ٩٧ .
(٥) نفسه ، جـ٢ ، ص٢٦٢ .
(٦) نفسه ، جـ١ ، ص١٧٧ .
(٧) نفسه ، جـ١ ، ص١٧٧ .
(٨) نفسه ، جـ٢ ، ص٢٨٢ .
(٩) نفسه ، جـ١ ، ص٢٤٠ .
(١٠) نفسه ، جـ٢ ، ض٩ .
(١١) نفسه ، جـ١ ، ص١٩٣ .
(١٢) نفسه ، جـ٢ ، ص٢٢٦ .
(١٣) نفسه ، جـ٣ ، ص٤٩ .
(١٤) نفسه ، جـ٣ ، ص٥ .
(١٥) نفسه ، جـ٢ ، ص٢٧٤ .
(١٦) نفسه ، جـ٢ ، ص٢٨٦ .
(١٧) نفسه ، جـ١ ، ص١٣٨ .

ومن كتب التصوف :

- كتاب قوت القلوب لأبو طالب المكي [1]
- شرح الأسماء الحسنة لأبو القاسم القشيري [2] (ت ٤٦٥هـ/١٠٧٣م)
- حزب البحر لأبي الحسن الشاذلي [3] ( ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م )

ومن الكتب العلمية :-

- كتاب الرصد والمساحة والحساب لبطليموس السعدوني الفيلسوف [4] .

التعاليـــق والخطــوط :-

مُن ذلك قوله :-

" وقفت على ملحمة الشيخ الفاضل جمال الدين الباجريقي [5] فرأيتـــه ذكـــر فيهـــا الملوك وكنى منهم بالحروف " [6] .

وقوله :-

" وقفت على كتاب لسكندف الفيلسوف فرأيت فيه أن جالينوس كان بعد رفع المسيح عليه السلام " [7] .

وقوله :-

" وقفت على قصيدة طويلة جداً لقاض القضاة عز الدين عامر بن عامر البصـــري المتصوف عارض بها قصيدة ابن الفارض التائبة فرأيته ذكر فيها عجائـــب وغرائـــب ، فكتبت منها هنا فصل الآداب ، وأولها هذه الأبيات ... " [8] .

أهمية كتاب الإلمام التاريخيـــة :-

يعد كتاب الإلمام للنويري السكندري المصدر الرئيســـي والوحيـــد لدراســـة حملـــة القبارصة ضد الإسكندرية من وجهة النظر الإسلامية المملوكية وهي وجهة نظر شعبية، وليست رسمية تمثل وجهة نظر الدولة ، وإنما وجهة نظر مواطن سكندري وجد مدينته الجميلة المحصنة تقع سريعاً في يد ملك قبرص ثم يفر منها سريعاً لذا شـــبهه بـــاللص فذكر أنه " دخلها لصاً وخرج منها لصاً " .

" فواقعة الإسكندرية " أو " حادثة الإسكندرية " أو " نكبة الإسكندرية " هو لب هـــذا الكتاب ، فأخذ يجمع كل ما وصل إليه عن هذه الحادثة سواء بما شاهده أو ما نقله إليه شهود العيان من أحداث ، ومن هذه الحادثة أخذ يقارن بما فعله المسلمون من فتح هذه

---

(١) نفسه ، جـ٣ ، ص٥ .
(٢) نفسه ، جـ٣ ص٤ .
(٣) نفسه ، جـ١ ، ص١٢٤ .
(٤) نفسه ، جـ٣ ، ص١٧٣ ، ٣١١ ، ٣١٥ .
(٥) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٢ ، ص٢٢٣-٢٢٤ ؛ ابن حجـر ، الـدرر ، جــ٤ ، ص١٢-١٤ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٦ ، ص٦٤ .
(٦) النويري السكندري ، نفسه ، جـ١ ، ص١٠٦-١٠٧ .
(٧) نفسه ، جـ١ ، ص٩٥ .
(٨) نفسه ، جـ٥ ، ص٣٣٣-٣٣٤ .

المدينة وتحصينها واستقرار القبائل العربية ( العربان ) بها لحمايتها والمرابطة بها وتحدث عن فضل المرابطة بالإسكندرية من خلال ذكر العديد من الأحاديث النبوية ثم يوضح كيف سقطت في يد القبرصي ينتقد القائمين على أمر الإسكندرية بل والقائمين على أمر الدولة المملوكية نفسها وكيف أنهم أهملوا في الدفاع عن المدينة كما فعل المسلمون الأوائل .

ويتطرق النويري السكندري إلى الأسباب التي دعت صاحب قبرص إلى غزو الإسكندرية من وجهة نظره وحددها بسبعة أسباب وهي ، السبب الأول ، وهو سياسة السلطان الصالح صالح تجاه اليهود والنصارى ومنعهم من العمل في دواوين الدولة وإلزامهم بزي خاص بكل طائفة ، والثاني : أن بطرس الأول ملك قبرص أراد الذهاب إلى مدينة صور بساحل الشام ليجلس على عمود بها حتى يتم له الملك ولكن السلطات المملوكية رفضت ذلك ، والثالث : هجوم أحد سفن القراصنة وأخذوا سفن تجارية من ميناء الإسكندرية بدون أن يدفعه أحد مما أطمع ملك قبرص فيها ، الرابع : هجوم غراب حربي على رشيد وفعل بها كما فعل غيره بالإسكندرية مما أطمع ملك قبرص في الإسكندرية ، والخامس : هجوم ثلاثة أغربه ميناء أبو قير وأخذوا سفناً وأسروا العديد من أهله ولم يجرد أحد من أهلها في وجوههم سيف واحد طمع في الإسكندرية ، السادس : قدوم أغربة قرصان على رشيد ولكن أهل رشيد استطاعوا القضاء على بحارتها ، والسابع : قتل عوام الإسكندرية للفرنجة البنادقة مما جعل البنادقة يساعدون ملك قبرص في غزو الإسكندرية ، هذه الأسباب التي دعت إلى غزو الإسكندرية من وجهة نظر النويري السكندري .

ويسرد النويري أحداث الحملة وعدد سفنها واستعدادات قوات الإسكندرية ، ووجهات النظر في كيفية الدفاع عن المدينة ثم سقوط المدينة وفرار أهل الإسكندرية من أبواب البر مثل باب رشيد وباب السدرة وفرار النويري إلى بلده النويرة بأقليم البهنسا ثم ذهابه إلى الفيوم ثم عودته إلى الإسكندرية ، وأخذ يوصف ما حدث للمدينة من خراب وتدمير وأخذ يعدد أساليب القبارصة في ذلك ، وروى العديد من الحكايات حول فظائع القبارصة ضد أهل الإسكندرية على لسان شهود العيان ، وكيف نهبوا بيوت الإسكندرية حتى أن امرأة نصرانية كسيحة لم يتركوها بل هجموا على دارها الموقوفة على كنيسة مجاورة لها ونهبوها رغم معرفتهم بأنها نصرانية .

ويوصف ما حدث للمنشآت الدينية والتجارية والإدارية في المدينة من تخريب ودمار ثم يعرض لما تم من إجراءات في المدينة من تحصينات من تقوية الأسوار وحفر الخنادق حول المدينة وإعادة بناء العديد من عمائر المدينة وبخاصة جهود خليل بن عرام نائب المدينة خلال فترات نيابة لها ، ثم يذكر جهود رئيس دار صناعة السفن بالإسكندرية الريس إبراهيم التازي من الهجوم على جزيرة قبرص وأسره للعديد من الأسرى بها ، ثم زيارة الأشرف شعبان للإسكندرية ووصف موكبه منذ دخوله المدينة من باب رشيد مروراً بشارع المحجة إلى خروجه من باب البحر خارج المدينة وزيارته

لدار الطراز وصلاته بجامع عمرو بن العاص ( الغربي )، مما لا نجده في المصادر التاريخية الأخرى .

فضلاً عن ذلك نجد النويري السكندري ينفرد بذكر أثر هذه الحادثة في العالم الإسلامي فيذكر موقف حاكم الدولة الجلائرية بالعراق أويس بن حسن حاكمها من التجار الأوروبيين الذين قدموا بغداد بالبضائع المسلوبة من الإسكندرية وكيف قتل هؤلاء التجار الذين باعوا هذه البضائع ببغداد ، ثم موقف حاكم دولة غرناطة بالأندلس وأنه قام بحرب الأسبان ليأخذ بثأر الإسكندرية وكيف وقع في أسره أحد المصريين من قرية مليج فعرفه بنفسه وأنه أخذ من الإسكندرية أثناء بيعه بضائع له بها ثم بيع لدى ملك أسبانيا ، فأرجعه ملك غرناطة إلى الإسكندرية مكرماً ويورد لنا النويري السكندري العديد من الرسائل المتبادلة بين ابن الأحمر ملك غرناطة وأبو الحسن ملك دولة بني مرين بفاس ثم الرسائل المتبادلة بين الفونسوا ملك قشتالة وأبو الحسن ملك دولة بني مرين مما ينفرد به النويري السكندري عن غيره من المصادر التاريخية المعاصرة والمتأخرة .

ومن خلال هذه التفاصيل الخاصة بالحملة يمدنا بالعديد من نواحي طبوغرافية الإسكندرية التي عاش بها فذكر لنا المنشآت الإدارية مثل دار السلطنة ودار الأمارة ، ودار العدل وبيت المال والمنشآت التجارية مثل الفنادق والوكلات والأسواق ، والمنشآت الدينية والتعليمية مثل مسجد العطارين ومسجد عمرو بن العاص والمدارس الموجودة بالإسكندرية والرباطات الموجودة بها ، فضلاً عن المنشآت الصناعية مثل الأفران والطواحين ودار الطراز ، دار الصناعة الشرقية ، ودار الصناعة الغربية ، فضلاً عن القصور والبيوت الموجودة بالإسكندرية وشوارع الإسكندرية وأماكن العديد من المرافق الأخرى مثل المنشآت الحربية والعسكرية مثل دار السلاح بالإسكندرية ، والأسوار والخنادق وأبواب الإسكندرية مما يجعله المصدر الوحيد في دراسة طبوغرافية الإسكندرية وقتئذ .

وتعرض النويري السكندري أثناء عرضه لأحداث الإسكندرية إلى أساليب وفنون الحرب والخدع الحربية ، وأنواع السفن الموجودة وقتئذ سواء الحربية منها أو التجارية في البحر المتوسط والبحر الأحمر وسفن الأنهار مما يجعله مصدر أساسي لدراسة السفن الإسلامية وأنواعها ووصفها وقدراتها القتالية وغير ذلك .

بالإضافة إلى ذلك نجد أن النويري السكندري أمدنا بالعديد من المعلومات الجغرافية الهامة ومعلومات عن المدن الأوروبية والطرق التجارية ولعل أهم معلوماته الجغرافية هو إثبات كروية الأرض مما يدل على معرفة المسلمين بكروية الأرض قبل الأوروبيين .

وملأ النويري كتابه بالعديد من القصائد الشعرية والخاصة برثاء الإسكندرية ، كان نصيبه منها قصيدتين ، وقصائد أخرى في مدح نائب الإسكندرية خليل بن عرام وإبراهيم التازي وقصائد في المدائح النبوية .

وأورد النويري في كتابه العديد من أقوال أبو الحسن الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية والتي أصبحت الإسكندرية مركز انطلاقها إلى العالم الإسلامي ، وأقوال تلميذه أبو العباس المرسي وبعض شعر ويذكر أنه زار قبر أبو الحسن الشاذلي بناحية حميثرا بالقرب من ميناء عيذاب مما يدل على تأثره بهذه الطريقة .

وأحاط النويري السكندري هذه المادة العلمية باستطردات متنوعة بذكر أخبار الفرس والروم والفتوحات الإسلامية وإسقاط هاتين الإمبراطوريتين ثم ذكر فتح مصر والإسكندرية والدولة الطولونية والأخشيدية والفاطمية والدولة الأيوبية وأخبار صلاح الدين الأيوبي وملوك دولة المماليك الأولى وبخاصة بيبرس البندقداري وقلاوون والناصر محمد وذكر أنواع النباتات ومنافعها ومواقيت زراعتها وأنواع الحيوانات والحمامات ومنافعها ومضارها مما جعل كتابه عبارة عن موسوعة معارف كبيرة ، مما حدا بالمؤرخ ابن حجر العسقلاني ينتقده بقوله " وصنف تصنيفاً في ثلاث مجلدات عمل فيه صفة الكائنة العظمى التي وقعت للفرنج في أول سنة ٦٧ حيث ملكوا الإسكندرية ونهبوا أموالها وأسروا نساءها ورجالها ، وإنما أطاله باستطراد من شيء فإنه بدأ يفتح الإسكندرية فأطال في ذلك وساق أخبارها فكان خبر الوقعة في جانب ما ذكر كالشامة "(١) ونقل ذلك النقد تلميذه السخاوي (٢) .

ولكن هذا النقد لا يقل من القيمة التاريخية لكتاب الإلمام في دراسة حملة القبارصة على الإسكندرية فضلاً عن طبوغرافية المدينة وتحصيناتها ، فضلاً عما أورده من حكايات وقصائد شعرية خاصة بشعراء الإسكندرية ، الأمر الذي يجعله مصدراً تاريخياً لا ينازعه مصدراً آخر فيما أورده من حقائق ومعلومات في هذا الأمر .

أما النويري السكندري ، فأننا نعتبره مؤرخاً هاوياً لا محترفاً ، أراد أن يؤرخ لحادثة تخص مدينته الإسكندرية حتى يحافظ عليها الأجيال التالية ويأخذ بثأرها ملوك مصر وهو ما تم في عهد الأشرف برسباي في عصر دولة المماليك الجراكسة حيث تم الإستيلاء على جزيرة قبرس وأسر ملكها جانوس وأتوا به إلى مصر وتصبح قبرس جزءاً من أملاك دولة المماليك ، ولكن النويري السكندري لم يمتد به العمر ليرى ما يشفي صدره مما جعل لكتابه من أهمية في تحريك قوات المماليك للأخذ بثأر الإسكندرية.

---

(١) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٤ ، ص٢٥٩ ، رقم ٤٢٣٩ .
(٢) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ ، ص١٥١ .

## ثانياً : رجـــال السيـــف :-

شهد العصر المملوكي حركة قوية في مجالات الكتابات التاريخية والتدوين التاريخي ولعب رجال الدولة من أرباب السيوف الذين تولوا مناصب سياسية وعسكرية في الدولة دوراً هاماً في مجال الكتابة التاريخية .

فظهر العديد من المؤرخين من رجال الدولة أمثال بيبرس الدوادار الذي تولى العديد من مناصب الدولة أعلاها منصب نائب السلطان وترك لنا العديد من المؤلفات التاريخية، مثل زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة " في إحدى عشر مجلداً " و " التحفة الملوكيـة فـي الدولة التركية " و " مختار الأخبار " وابن أيبك الدوادار صاحب كتاب " كنز الدرر وجامع الغرر " في تسع مجلدات ، وابن دقماق صاحب كتاب " الجوهر الثمين في تاريخ الخلفاء والسلاطين ، وكتاب " نزهة الأيام في تاريخ الإسلام " وابن تغري بردي صاحب العديـد من المؤلفات التاريخية مثل كتاب " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " وكتـاب " المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي " ومختصره " الدليل الشافي " وكتاب " حـوادث الدهور في مدى الأيام والشهور " وكتاب " موارد اللطافة فيمن ملك مصر " وغير ذلـك من مؤلفات ويختتم الغضين بابن إياس صاحب كتاب " بدائع الزهور في وقائع الدهور " .

وتميزت هذه الكتابات التاريخية الخاصة برجال الدولـة بـوفرة الوثـائق والمـادة الأصلية التي أتيح لهم الحصول عليها بحكم وظائفهم الإدارية والعسكرية داخـل جهـاز الدولة مما جعلها تتصف بالأصالة [(١)] .

وساهم رجال السيف في الكتب التاريخية في الإسكندرية ومن هؤلاء لدينا مثالين ،. أولهما : الأمير صلاح الدين خليل بن عرام المتوفي في عـام ٧٨٢هــ/١٣٨٠م ولـه كتاب في التاريخ العام أو في الحوليات وذكر وفيات كل عام بعد أحداثها .

وثانيهما خليل بن شاهين الظاهري المتوفي في عام ٨٧٣هـ/١٤٦٩م وله كتـاب في التاريخ الإداري لدولة المماليك وهو " كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك " وهـو كتاب في يد في بابه حيث لم يهتم رجال السيف بالكتابة في هـذا السنمط مـن الكتابـة التاريخية وتركوا ذلك لرجال الإدارة من المتعممين من أمثال ابن فضل الله العمري وابن ناظر الجيش والقلقشندي وغيرهم ممن عملوا بدواوين دولة المماليك .

وسوف نتناول هذين النموذجين كلاً منهما بالدراسة فيما يلي :-

خليل بن عرام :-

من رجال السيف الذين أسهموا في الكتابة التاريخية في الإسكندرية صلاح الـدين خليل بن عرام ، الذي نشأ بالقاهرة – ولكننا لا نعرف أي معلومات عن تاريخ مـيلاده ، أو حياته الأولى – من الطبيعي أن ينشأ مثل أبناء جنسه من تلقي العلوم الإسلامية مـن حفظ القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب وغير ذلك من العلوم .

---

(١) قاسم عبده قاسم ، الرؤية الحضارية للتاريخ ، ص١١٩ ؛ فكرة التاريخ عند المسلمين ، قـراءة في التراث التاريخي العربي ، دار عين للدراسات والبحوث ، ٢٠٠١ ، ص١٢٣ .

فضلاً عن ذلك تلقي الفنون الحربية وغير ذلك من العلوم والفنون التي تؤهله لتولي الوظائف الحربية والإدارية في دولة المماليك .
فأشارت المصادر التاريخية المعاصرة إلى أن خليل بن عرام والي الإسكندرية قام بتحصين مدينة الإسكندرية بسبب وصول الأخبار بأن حملة صليبية يعد لها في جزيرة قبرص تحت قيادة ملكها بطرس الأول وأنها ستتجه إلى الإسكندرية ، لذا قام بتحصين المدينة ، وأرسل إلى الأمير يلبغا الخاصكي الأتابك ومدبر شئون دولة المماليك مع وجود طفل صغير على عرش السلطنة ، وهو الأشرف شعبان بن علي يطلعه على ذلك ولكنه لم يأخذ الأمر بجدية واستهان بتلك الأخبار ، واعتبرها مكيدة له من أعدائه لإبعاده عن القاهرة مما يعطينا صورة لحقيقة الأوضاع في دولة المماليك وقتئذ (١) مما جعل مؤرخنا يطلب الإذن في السفر لأداء فريضة الحج في عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م (٢) ، واستناب عنه في الإسكندرية أحد أتباعه من الأمراء اسمه جنغرا ولكنه كان غير كفء لهذه الوظيفة ، وفي أثناء ذلك غزا القبارصة الإسكندرية في المحرم ٧٦٧هـ/١٣٦٥م(٣) .
وبعد أداء ابن عرام فريضة الحج عاد مسرعاً إلى الإسكندرية ليرى مدينته أصبحت خراباً مدمرة ، وأحرقت أحيائها ، وقتل أهلها وسبيت نسائها ، فحاول إزالة آثار هذا العدوان ، وذلك بدفن القتلى وإعادة تحصين المدينة ، وعمارة ما تم هدمه (٤) .
ولعلاج هذا الوضع في الإسكندرية ، قامت الدولة بعملية إصلاحات إدارية في المدينة من ذلك تغيير وضع الإسكندرية من ولاية إلى نيابة (٥) . يتولاها نائباً عن السلطان .
لذا فتم عزل خليل بن عرام – والذي لا يخلو من مسئولية عما حدث للإسكندرية بسبب معرفته بالخطر على المدينة ورغم ذلك يتخلى عن مسئوليته في حماية المدينة بحجة الحج ويترك أمر المدينة لأمير ليس له خبرة كافية لحماية المدينة – فتم تعيين الشريف بكتمر والذي كان يتولى ولاية القاهرة في ١٥ جمادى الآخرة عام

---

(١) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ، ص١٠٥ .
(٢) المقريزي ، نفسه ، جـ٣ ص١٠٠ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٥ ، ص٢٦٣ ، رقم ١٠٠٦ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ، ص٢٩١ ؛ النجوم الزاهرة ، جـ١١ ، ص١٨٣ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ، ق٢ ، ص٢٠ .
(٣) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ، ص١٣٢ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص١٥٦ .
(٤) النويري السكندري ، نفسه ، جـ٣ ، ص٢١٢-٢١٣ ؛ المقريزي ، نفسه ، جـ٣ ، ص١٠٧ .
(٥) إشارة القلقشندي إلى أنها نيابة جليلة ، نائبها من الأمراء المقدمين يُضاهي في الرتبة نيابة طرابلس وما في معناه ويقاربها ، وبها حاجب أمير عشرة ، وحاجب جندي ، ووالي للمدينة وأجناد حلقة عدتهم مائتا نفر ... وكانت قبل ذلك ولاية تعد من جملة الولايات ، وكان لواليها الرتبة الجليلة والمكانة العلية . انظر :- صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص٢٤-٢٥ ، ٦٣-٦٤ .

٧٦٧هـ/١٣٦٥م كأول نائب للإسكندرية [١] .

وفي يوم الخميس ١٢ جمادى الأولى عام ٧٦٨هـ خلع على خليل بن عرام ، واستقر في وظيفة شاد الدواوين [٢] ، ولكنه أعيد إلى نيابة الإسكندرية في يوم الخميس ٢١ شوال عام ٧٦٨هـ [٣] ، واستمر في نيابتها إلى أن عزل عنها في ٢٤ صفر عام ٧٦٩هـ [٤] .

وفي ٢٠ من ذي القعدة عام ٧٦٩هـ/١٣٦٧م استقر ابن عرام حاجباً بثغر بالإسكندرية بعد أن كان نائباً بها [٥] ، وفي يوم الاثنين غرة رمضان عام ٧٧٠هـ/١٣٦٨م .

أعيد ابن عرام إلى نيابة الإسكندرية عوضاً عن طيدمر البالسي [٦] ثم عزل عنها في ٢٧ ذو القعدة عام ٧٧٢هـ/١٣٧٠م [٧] ، وأنعم عليه بأمره طبلخاناه [٨] بالقاهرة[٩] " فخلع ملبوس الأمراء وتزي بزي الفقراء ، أهل التجريد ، وأقام بزاوية كالمريد ، ثم إنه عاشر من الفقراء طوائف ... " [١٠] .

وفي يوم الخميس ٢ شعبان ٧٧٤هـ تولى نيابة الإسكندرية عوضاً عن شرف الدين موسى الأزكشي[١١]،واستمر بها حتى شهر المحرم عام ٧٧٥هـ/١٣٧٣م فعزل عنها[١٢]

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٤-١٥ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ، ق٢ ، ص٢٤ ، ٣٣-٣٤.

(٢) المقريزي ، نفسه ، جـ٣ ق١ ص١٤٠ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، جـ٥ ، ص٢٦٤ ، وشاد الدواوين : كان له سلطان المراقبة والإشراف والتفتيش على الدواوين الحكومية ، انظر : حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، جـ٢ ، ص٦٠٤-٦١١ .

(٣) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٣ ، ص٢٠٨ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ، ص١٤٤ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، جـ٥ ، ص٢٦٤ ،

(٤) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ، ص١٥٦ .

(٥) نفسه ، ص١٥٩ .

(٦) كان الحاجب بالإسكندرية يسمى بـ " الحاجب بثغر الإسكندرية المحروسة " ويكتب إليه من الأبواب السلطانية ، انظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٧ ، ص١٥٦ ؛ ضوء الصبح المسفر ، ص٢٧٤ ؛ محاسن الوقاد ، الحجابة زمن سلاطين المماليك،حولية التاريخ الإسلامي والوسيط ، مج٣، ٢٠٠٣ ، ص١١٣ .

(٧) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ، ص١٧١ .

(٨) أمير الطبلخاناه : صاحبها يلي أمير المائة مقدم الألف من حيث الرتبة ، وسمى أمير الطبلخاناه لأحقية صاحبه في دق الطبول أمام بابه ، ويطلق عليه أمير أربعين لأنه يكون في خدمته أربعين مملوكاً ، انظر ، ابن فضل الله العمري ، التعريف ، ص٧٤ ؛ القلقشندي ، ضوء الصبح ، ص٢٤٥ .

(٩) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ، ص١٩١ .

(١٠) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٦ ، ص٤١٣ .

(١١) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ، ص٢٠٦ ؛ النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٦ ، ص٤١٤ ، في حين يذكر ابن حجر شهر ربيع الآخر بدلاً من شعبان ، انظر : أنباء الغمر ، جـ١ ص٣٣ .

(١٢) النويري السكندري: الإلمام، ج٦ ، ص٤١٥ ، ٤٢٢ ، المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص٢١٦

ثم تولى نيابة الإسكندرية في ١٩ رجب ٧٧٧هـ/١٣٧٥م ، وترى تقليد تعيينه بمنبر جامع الجيوشي ( العطارين ) بعد صلاة الجمعة [١] . وفي يوم الاثنين ١٩ ذوالقعدة عام ٧٧٨هـ/١٣٧٦م استدعى ابن عرام من الإسكندرية إلى القاهرة ، فقبض عليه ، وصودر وأخذ منه ألف ألف درهم ، ثم استقر على عادته نائباً للإسكندرية [٢] ولكنه لم تطل مدته إقامته بتلك الوظيفة ، إذا عزل عنها في صفر عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م[٣] .

وفي يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول عام ٧٧٩هـ ، خلع على ابن عرام واستقر في وظيفة حاجب الحجاب [٤] ، وفي جمادى الأولى عام ٧٧٩هـ أعيد ابن عرام إلى نيابة الإسكندرية [٥] . ولكن سرعان ما عزل عنها في ٢٧ رجب عام ٧٧٩هـ ، ورسم بإحضاره هو وزوجته الست سمراء ليصادرا للمرة الثانية [٦] .

وفي يوم الاثنين ١٦ شوال عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م خلع على ابن عرام واستقر في منصب الوزارة [٧] ، ثم عزل عنها في يوم الخميس ٦ صفر عام ٧٨٠هـ/١٣٧٨م وأنعم عليه بتقدمه ألف بالديار المصرية [٨] .

وفي يوم الاثنين ١٨ جمادى الأولى عام ٧٨٠هـ خلع على ابن عرام واستقر في وظيفة أستادار لدى الأمير بركة الجوباني منافس برقوق ( السلطان فيما بعد ) وعلق المقريزي على ذلك منكراً بقوله " فكان هذا أيضاً من الأمور التي تعهد أن أميراً من

---

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٦ ص٤١٥ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ، ص٢٥٤ ، ٢٥٦

(٢) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص٢٩٢ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، جـ٥ ، ص٢٦٤ ، النجوم، جـ١١ ، ص١٥١ .

(٣) المقريزي ، نفسه ، جـ٣ ، ص٣٠٨ .

(٤) نفسه ، جـ٣ ، ص٣٠٩ ، وظيفة الحجوبية من الوظائف العسكرية التي وضعها القلقشندي في المرتبة الثامنة بين الوظائف العسكرية ، وكان صاحبها يعرف بحاجب الحجاب ، ويعاونه في العادة عدد آخر من صغار الحجاب وصل عددهم في أواخر دولة المماليك إلى ما يقرب من عشرين حاجب ، انظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص١٩-٢٠ ؛ ابن شاهين الظاهري زبدة كشف الممالك، ص٣٨ ؛ الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ١ ص٣٨٠-٤٠٣ ؛

Ayalon ( David ) , studies on the structure of Mamluks army , B.S.O.A.S, XVI, 1 , 1954 , P.60.

(٥) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ، ص٣١٨ .

(٦) نفسه ، ص٣١٩ .

(٧) نفسه ، جـ٣ ، ص٣٢١ ؛

Abd ar-Raziq ( Ahmad ) ," Le Vizirat et les vizro d'Egypte au temps des Mamluks , An. Isl. , XVI , 1980 , P.206 n 65.

(٨) المقريزي ، نفسه ، جـ٣ ، ص٣٢٩ ، أمير المائة مقدم ألف ، أعلى مراتب الأمراء في عصر المماليك ، انظر : القلقشندي ، ضوء الصبح ، ص٢٤٤ ؛ ابن فضل الله العمري ، التعريف ، ص٧٣؛ الباشا ، الفنون ، جـ١ ، ص٢٤٩ .

أمراء الألوف يكون أستادار أمير " واستمر في هذه الوظيفة حتى عزل عنها في ٩المحرم عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م [١] .

وفي ٢٢ ربيع الأول عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م تولى ابن عرام نيابة الإسكندرية وهي آخر نيابة له للإسكندرية ، حيث عزل عنها في ١٤ رجب من نفس العام [٢] ، إذ اتهم بقتل الأمير بركة بن عبد الله الجوباني منافس الأمير برقوق ، حيث هزم الأول من الثاني ، والذي أرسله إلى سجن الإسكندرية ليحبس بها ، فساءت علاقته بابن عرام فكان بركة يسب ابن عرام ويهينه ويسخر منه ، مماجعل ابن عرام يسافر إلى القاهرة يشكو للأمير برقوق الذي أخذ بخاطره ، وأمره بقتل بركة وأرسل معه كتاباً فيه هذا الأمر ، وعندما جاء الخبر بقتل بركة إلى القاهرة ثار مماليك بركة ، مما جعل برقوق يرسل إلى ابن عرام من أخذ منه الكتاب الذي فيه الأمر بقتل بركة ثم بعث من يأتي بابن عرام ، وأظهر برقوق أنه لم يأمر بقتله وأن ابن عرام قتله من نفسه ، مما جعل مماليك بركة يقتلون ابن عرام ويقطعوه إلى قطع صغيرة مما جعله مثلاً يضرب ، وأصبح كبش فداء ليخلص برقوق من أشد منافسيه مما جعله يصل إلى كرسي السلطنة بسهولة وبعد ذلك [٣] .

أما بالنسبة لثقافة خليل بن عرام فنلاحظ أنه متنوع الثقافة ، فله معرفة بالفنون الحربية والتحصينات العسكرية ، إذ قام خلال المرات السبعة التي تولى فيها حكم الإسكندرية بالعديد من التحصينات وحفر خنادقها وتشييد أسوارها وغير ذلك من الأمور [٤] .

فضلا عن ذلك نجد أن ابن عرام ارتبط بمتصوفة عصره ، فأشار النويري السكندري إلى أنه " خلع ملبوس الأمراء ، وتزي بزي الفقراء ، أهل التجريد ، وأقام بزاوية كالمريد ، ثم أنه عاشر من الفقراء طوائف ، منهم البحرية والأحمدية والتونسية والجزارية والصوفية ، فصاروا يذكرون الله كثيراً ، فجعلوه صدرهم وشيخهم فسمع به الشيخ حسن الرفاعي فأجازه بالمشيخة ، فعظم شأنه ، وظهر إحسانه " [٤] .

وعندما عرضت عليه نيابة الإسكندرية في شعبان ٧٧٤هـ/١٣٧٢م أراد أن يرفض تلك الوظيفة فقال أنى لبست خرقة الفقراء ، فكيف أصير بعد ذلك ملك الأمراء ؟ فقال له أتباعه من المتصوفة الواجب عليك طاعة السلطان ، وبالفعل تولى نيابة الإسكندرية .

فيذكر النويري السكندري " ففرحت به القراء والعلماء والفقراء فصار مجلسه كما

---

(١) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ، ص٣٣٦ ، ٣٧٧ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، جـ٥ ، ص٢٦٥
(٢) المقريزي ، نفسه ، ص٣٨٩ .
(٣) نفسه ، ص٣٩٦-٣٩٨ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، جـ٣ ، ص٣٥٣-٣٥٤ ، جـ٥ ، ص٢٦٥-٢٦٦ ؛ النجوم ، جـ١١ ، ص١٨٣-١٨٥.؛ إيمان عمر شكري ، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة ، مدبولي ٢٠٠٢ ، ص٥٠-٥١ .
(٤) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٣ ، ص٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ .
(٤) نفسه ، جـ٦ ص٤١٣-٤١٤ .

كان أولاً بمد السماط الذي صيره كزاوية ورباط ، لابساً للجندات ، مرخياً للعذبات في مجلس الجلسات ، ذاكر الله كثيراً ، ومصلياً على رسوله وآله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فالله تعالى يزيده من فضله ، ويمده بإحسانه وطوله ، ويؤيده بقوته وحوله ، أنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جديد ، فالفقير قد يكون في ظاهره أمير ، وهو في باطنه فقير ... " [١] .

ووصفه ابن حجر بأنه " كان نقيب الفقراء وعُد منهم " [٢] وهذا يوضح ثقافة ابن عرام الذي أصبح نقيباً ورئيساً للمتصوفة بالإسكندرية وأصبح مقر النيابة بها مقراً لهؤلاء المتصوفة وأصبح كزاوية ورباط حسب قول النويري السكندري .

كما كان له اعتقد في أقوال المتصوفة فيما سيحدث له ، من ذلك أن الشيخ نهار أحد متصوفي الإسكندرية قال له أنه ما يكون إلا مقطعاً بالسيوف ، موسطاً أو سمرا ، لذا كان ابن عرام يتوقع ذلك ، وعندما شهر بالقاهرة ليقتل قال ياسيدي الشيخ نهار هذا اليوم الذي وعدتني ، فإنا لله وإنا إليه راجعون [٣] .

بل كان ينشد وهو ذاهب للقتل في الحال التي يذهل فيها المرء عن نفسه على حد قول المقريزي شعرا لأحد المتصوفة وهو أبو بكر الشبلي المتوفي في عام ٣٣٤هـ قوله [٤] :-

| | | |
|---|---|---|
| لك قلبي تُعلّهُ | فدمي لم تُحلّهُ | [ الخفيف ] |
| قال إن كنت قاهراً | فلي الأمر كله | |

وساهم ابن عرام في الحياة العلمية في القاهرة ، إذ قام ببناء مدرسة تعرف بمدرسة ابن عرام وتقع بجوار جامع الأمير حسين بحكر جوهر النوبي من غربي الخليج الحاكمي خارج القاهرة ، ودفن بها ابن عرام [٥] .

أما عن جهوده في الكتابة التاريخية فقد ساهم ابن عرام في الكتابة التاريخية كغيره من أبناء جنسه من المماليك الذين اهتموا بعلم التاريخ ومعرفة تجارب الدول السابقة وأعمال الملوك والسلاطين السابقين فتشير المصادر التاريخية إلى أنه كتب تاريخاً يقع في عشر مجلدات ، فالنويري السكندري والمعاصر له والذي ذكره في العديد من

---

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٦ ، ص٤١٤-٤١٥ .
(٢) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ١ ، ص٢٢٧ .
(٣) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص٣٩٧ ،
وقال في هذا المعنى الشاعر شهاب الدين بن العطار قوله :-

| | |
|---|---|
| وَعْدُ ابن عرام قديمُ بما | قد نال من شيخ رفيع المنار |
| يا ليلة بالسجن أبدت له | ما قاله الشيخُ نهارُ جهار |

انظر : ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ١١ ص١٨٧ .
(٤) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ، ص٣٩٧-٣٩٨ .
(٥) المقريزي ، الخطط ، جـ٤ ، ص٢٤١-٢٤٢ ؛ السلوك ، جـ٣ ص٣٩٨ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل جـ٥ ، ص٢٦٦ ؛ العيني ، عقد الجمان ، جـ٢٤ ، ورقة ٢٦١ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ق٢ ص٢٧٥ .

صفحات كتابه الإلمام يذكر أنه " اجتهد في جمع تاريخ جديد ، حوى كل معنى فريد ، فجاء حسن التاريخ ، وارتفع قدره كارتفاع المريخ ، محتو على ذكر الخلفاء ، والقضاة والفقهاء ، والمقرئين والمحدثين والصوفيين والأدباء والشعراء ، فما ذكر فيه من الشعر قول بعضهم حيث قال :-

يا أيها السائل عن مذهبي ليقتدي منه بمنهاجي
منهاجي العدل وقمع الهوى فهل لمنهاجي من هاجي [(1)]

أما ابن حجر العسقلاني فذكر " ورأيت له تاريخاً جمع فيه فأوعى في التراجم والحوادث وهو في عشر مجلدات " [(2)] وذكر أيضاً " كتب بخطه تاريخاً في عشر مجلدات " [(3)] .

وأشار المقريزي إلى أن " ابن عرام فطنا ذكيا ، فأحسن المشاركة في العلم ، كتب تاريخاً مفيداً ، وكانت له نوادر ، وعنده حكايات يذاكر بها ، وكان مهاباً ، رئيساً ، سيوساً ، وكان يداخل في كل ذي فن ، وينتقل في أحوال مختلفة ويخوض في كل ما يفيد وينفع " [(4)] وذكر في خططه إلى أنه " كتب تاريخاً وشارك في علوم " [(5)] .

فضلاً عن ذلك فأشار ابن تغري بردي إلى أنه " كان أميراً جليلا ، عارفاً فصيحاً ، محباً للعلماء ، معتقد الصلحاء ، وعنده ذكاء وفضيلة ، ومشاركة جيدة ، وشكلاً حسناً ، وكان قد صنف تاريخاً في عشرة أجزاء ، وكان يكثر في مجلسه من المذاكرة مع الفضلاء وأهل الأدب " [(6)] وله أيضا " وكان له يد طولي في التاريخ والأدب ، وله مصنفات مفيدة وتاريخ كبير فيه فوائد وملح " [(7)] .

كذلك ذكر ابن إياس إلى أنه " كان فكه المحاضرة ، وله مشاركة في العلم ، وكان فطناً ، ذكياً ، وله نوادر ، وحكايات ، يذاكر بها ، وكان ألف تاريخاً مفيداً في وقائع الأحوال ، والتوفيات ، وغير ذلك " [(8)] .

وذكر إسماعيل البغدادي في هدية العارفين أن " له تاريخ مصر فيه التراجم والحوادث " [(9)] .

يتبين لنا مما سبق أن خليل بن عرام ألف كتاباً في تاريخ مصر يتبع نظام الحوليات إذ يذكر حوادث كل عام على حدا ثم يذكر وفيات كل سنة بعد ذكر حوادثها وهذه الطريقة اتبعها معظم مؤرخي الإسلام عامة ومؤرخي عصر سلاطين المماليك مثل بيبرس الدوادار ، والمقريزي في السلوك وابن حجر في أنبائه والعيني في عقد الجمان ، وابن

---

(١) الإلمام ، جـ٦ ، ص٣٧٧-٣٧٨ .
(٢) أنباء الغمر ، جـ١ ، ص٢٢٤ .
(٣) نفسه ، ص٢٢٧ .
(٤) السلوك ، جـ٣ ، ص٣٩٨ .
(٥) الخطط ، جـ٤ ، ص٢٤١ .
(٦) المنهل الصافي ، جـ٥ ، ص٢٦٧-٢٦٨ .
(٧) النجوم الزاهرة ، جـ١١ ، ص١٨٦ .
(٨) بدائع الزهور ، جـ١ ق٢ ص٢٧٦ .
(٩) جـ١ ، ص٣٥٢ .

الصيرفي في نزهة النفوس .

ويقع الكتاب في عشر مجلدات مما يدل على أن هذا الكتاب ضخم الحجم ، وأنه كان متداول بين علماء ومؤرخي مصر وقتئذ ، فابن حجر ذكر أنه رأى له تاريخاً جمع فيه فأوعى في التراجم والحوادث مما يعني وجود الكتاب في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي .

وللأسف أن هذا الكتاب في حكم المفقود ولم نجد له ذكر في أي فهرس من فهارس دور الكتب ، كما يؤسف له أن المؤرخين المتأخرين عن ابن عرام لم ينقلوا عنه أي نصوص ، وهذا لا يمنع أن الكتاب ظل موجوداً طوال العصر المملوكي ، لعلنا نستطيع في يوم من الأيام العثور على هذا الكتاب للوقوف على جهد ابن عرام في الكتابة التاريخية في تلك الفترة .

وذكر الشهاب أحمد بن العطار كتاب التاريخ لابن عرام عند قتله بقوله :-

أيا ابن عرام قد سُمرت مشتهرا وصار ذلك مكتوباً ومحسوباً

مازلت تجهد في التاريخ تكتبه حتى رأيناك في التاريخ مكتوباً (1)

مما سبق يتبين لنا أن خليل بن عرام مثل المدرسة الحولية التي برع فيها مؤرخوا المسلمين وبخاصة في عصر سلاطين المماليك ، وأجاد فيها رجال السيف من المماليك أمثال ابن تغري بردي وابن دقماق وابن إياس ، وغيرهم من المؤرخين .

## خليل بن شاهين الظاهري :-

وممن شارك من الكتابة التاريخية في الإسكندرية زمن دولة المماليك من رجال السيف غرس الدين خليل بن شاهين الشيخي الصفوي الظاهري ، وذلك نسبة للأمير شاهين الصفوي الظاهري المتوفي في عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م (٢) .

ولد مؤرخنا في منتصف شهر شعبان عام ٨١٣هـ/١٤١٠م بحارة الخاتونية بمدينة القدس ، حين كان أبوه نائباً بها في عهد الناصر فرج بن برقوق ، فنشأ بها ، والقدس وقتئذ من مراكز الحياة الثقافية في دولة المماليك – وحفظ القرآن الكريم وغير ذلك من علوم عصره (٣) .

وفي عام ٨٢٧هـ/١٤٢٤م ، قدم ابن شاهين إلى القاهرة مع والده بعد عزله من

---

(١) ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ١١ ص١٨٦ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ق٢ ص٢٧٦ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، جـ٤ ق٢ ص٩٠٧ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٥ ، ص٢٥٨ ، رقم ١٠٠٣ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ، ص٢٩١ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٣ ص١٩٦ .

(٣) ابن تغري بردي ، المنهل ، جـ٥ ، ص٢٥٨ ؛ السخاوي ، نفسه ، خليل بن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية القاهرة ، برقم ٦٩٢ تاريخ ، ورقة ٣١ أ ؛ عبد الباسط بن خليل ، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢٥٣ تاريخ تيمور ، ج٤ ق٢٣٠ ب ، ولكن المرحوم الدكتور محمد مصطفى زيادة ذكر أنه ولد في عام ١٣٧٢م أي عام ٧٧٤هـ وهذا غير صحيح ، انظر : المؤرخون في مصر في القرن ١٥م/٩هـ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص٢٣ .

وظائفه حيث خدم أبوه الأمير أزبك الدوادار الأشقر ، وبعد وفاة أبوه في عام ٨٣٤هـ/١٤٣٠ - ١٤٣١م ، خدم مؤرخنا الأمير أزبك وأصبح من جملة مماليكه ، ثم أصبح من مماليك السلطان الأشرف برسباي بعد القبض على أزبك ، وذلك بسفارة صهره زوج أخته الخواجا إبراهيم بن قرمش [١] .

وتولى ابن شاهين الحجابة بالإسكندرية ثم سعى في تولي وظيفة نظر الإسكندرية مضافاً لما بيده من حجابة الإسكندرية بعد أن رشا السلطان بالأموال ، وبالفعل جمع بين نظر الإسكندرية والحجابة بها في عاشر ربيع الآخر عام ٨٣٧هـ/١٤٣٤م [٢] .

وفي أثناء ذلك تزوج ابن شاهين بأصيلة أخت خوند جلبان زوجة الأشرف برسباي حيث عظمت حرمته وكثرت أمواله [٣] . مما جعله يسعى في نفس العام في تولي نيابة الإسكندرية مضافاً لما بيده من الحجوبية والنظر في مقابل ثلاثة آلاف دينار مع الوعد بدفع ثلاثة آلاف أخرى فأجابه السلطان إلى ذلك وعينه نائباً للإسكندرية والحاجب بها وناظرها [٤] .

وفي الحقيقة أن حالة خليل بن شاهين لتعد أصدق دليل على الحالة التي وصلت إليها نيابة الإسكندرية من التدهور ، الأمر الذي أدهش مؤرخي العصر ، لأنه لم يحدث من قبل الجمع بين النيابة والحجابة لشخص واحد ، فالمقريزي علق على ذلك بقوله " ولم ندرك مثل ذلك وهو أن يكون النائب حاجباً ، فإن موضوع الحاجب الوقوف بين يدي النائب والتصرف بأمره ، وهي الأيام كلها قد صرن عجايب حتى ليس فيها عجائب " [٥] وعلق نفس التعليق ابن الصيرفي بقوله " فياليت شعري إذا كان النائب هو الحاجب فماذا يصنع ؟ فإن الحاجب معد للوقوف بين يدي النائب ، وهذا أمر لم يعهد قبل هذا .

هي الأيام قد ساء كلها حتى ليس فيها عجايب [٦]

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل نجد أن ابن شاهين يستغل علاقته بالسلطان ويطلب منه السكن بدار السلطنة الموجودة بالإسكندرية وهي الدار التي ينزل بها السلاطين عند قدومهم إلى الإسكندرية،غير دار النيابة المخصصة لنواب المدينة مما جعله يتشبه بالسلطان ذاته ، وذكر ابن شاهين في كتابه وصفا كاملا لدار السلطنة وما

---

(١) ابن تغري بردي ، المنهل ، جـ٥ ، ص٢٥٨-٢٥٩ .
(٢) المقريزي ، السلوك ، جـ٤ ، ص٩٠٧ ؛ ابن الصيرفي ، نزهة ، جـ٣ ص٢٧٧ .
(٣) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ٣ ، ص٥١٣ .
(٤) المقريزي ، السلوك ، جـ٤ ص٩١٧ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ١٥ ص٤٤ ؛ ابن الصيرفي ، نزهة ، جـ٣ ، ص٢٨٨ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ٢ ، ص١٥٧ ؛ أحمد عبد الرازق ، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص٤٥ ؛ زيادة ، المؤرخون ، ص٢٤ ؛ **Darrage , l'Egypte , P.130 ; Abd ar-Raziq , les Gouverneurs d'Alexandrie , PP.148-149 , No 70.**
(٥) المقريزي ، السلوك ، جـ٤ ، ص٩١٧ .
(٦) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، جـ٣ ، ص٢٨٨ .

أحدثه بها من أثاثات [١] .

ويبدوا أن وظائف ابن شاهين قد جلبت عليه الكثير من الأموال واستغل ذلك في إرضاء نهم السلطان برسباي المولع بجمع المال سواء من الرشاوي في تولي الوظائف أو سياسته الاحتكارية ، ففي سابع شهر جمادى الأولى عام ٨٣٨هـ/١٤٣٥م سافر ابن شاهين إلى القاهرة ، ويعطي السلطان خمسة آلاف دينار ذهباً ، سوى القماش الحرير الذي يقدر بألف دينار [٢] .

ويظل ذلك دأب ابن شاهين ، ففي عشرين جمادى الاخرة عام ٨٣٩هـ/١٤٣٦م حمل هدية كبيرة للسلطان [٣] ، ويخلع عليه خلعه الاستمرار ، ولكن حاشية السلطان تتهم ابن شاهين أنه أخذ أموالاً من التجار الأوروبيين في مقابل السماح لهم بالشراء من تجار الإسكندرية في الوقت الذي منع السلطان ذلك تبعاً لسياسته الاحتكارية مما جعل السلطان يعزله [٤] .

ويتولى ابن شاهين عدة وظائف في دولة المماليك ، ففي يوم الخميس سابع شهر رجب عام ٨٣٩هـ/١٤٣٦م يتولى نظر دار الضرب ليكون مسئولاً عن ضرب العملة في القاهرة [٥] .

ثم يعين في منصب الوزارة في يوم الاثنين سابع شهر رمضان من نفس السنة [٦] ولكنه سرعان ما عزل في الشهر التالي [٧] ، ثم يصبح أمير حاج المحمل في عام ٨٤٠هـ/١٤٣٧م [٨] ، ثم يتولى نيابة الكرك في شهر ربيع الأول سنة ٨٤١هـ/١٤٣٨ [٩] ، وفي آخر العام ينقل لتولي نيابة ملطية [١٠] . ويستمر يتنقل من وظيفة إلى أخرى حتى وفاته في جمادى الآخرة سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م [١١] .

---

(١) ابن شاهين ، كشف الممالك ، ورقة ٤٣ ؛ زبدة كشف الممالك ، ص٤٠ .

(٢) المقريزي ، نفسه ، ص٩٣٦ ؛ ابن الصيرفي ، نفسه ، ص٣٠٩ .

(٣) المقريزي ، نفسه ، ص٩٦٧ ؛ ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ٤ ، ص١٧ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ١٥ ، ص٧٢ ؛ ابن الصيرفي ، نفسه ، جـ٣ ، ص٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٤) عبد الباسط بن خليل ، الروض الباسم ، ورقة ٢٣١ أ ؛ أحمد عبد الرازق ، نواب الإسكندرية ، ص٢٨ ، رقم ٢١ ؛

Abd ar-Raziq , les gouverneurs d'Alexandrie, P.149.

(٥) المقريزي ، السلوك ، جـ٤ ص٩٧٠ ؛ عبد الباسط ، الروض الباسم ، جـ٤ ورقة ٢٣١ أ ؛ السخاوي ، الضوء ، جـ٣ ص١٩٦ .

(٦) المقريزي، نفسه، ص٩٧٥؛ عبد الباسط، نفسه؛ خليل بن شاهين ، كشف الممالك ، ق١٣٣ ب؛

**Abd ar-Raziq , le " Vizirat " An. Isl. , XVI , 1980 , P.222 n°122.**

(٧) المقريزي ، السلوك ، جـ٤ ص٩٧٦ .

(٨) عبد الباسط ، نفسه ؛ ابن شاهين ، نفسه ، ق١٦٦ ب ؛ الجزيري ، درر الفرائد ، ص٣٢٧ .

(٩) ابن شاهين ، نفسه ، ق٤٧ ؛ عبد الباسط ، نفسه ، ورقة ٢٣١ أ .

(١٠) عبد الباسط ، نفسه ، ورقة ٢٣٢ أ .

(١١) نفسه ، ق٢٣٣ ب .

أما عن ثقافة ابن شاهين فنلاحظ أنه قد ولع بطلب العلم محباً له مقبلاً عليه فأخذ عن علماء عصره في شتى المعارف والعلوم فذكر " وقد حصل الإجتماع بجماعة منهم ، وقرأت عليهم علوما شتى ، وسمعت منهم ، وأتوا لي بالرواية عنهم ، فمنهم من هو باق إلى الآن ، ومنهم من اندرج بالوفاة إلى دار الكرامة ... " (١) .

وترك ابن شاهين العديد من المصنفات في العديد من العلوم من ذلك ديوان خطب وديوان شعر وأورد الغديد من شعره في كتبه ، وفي الفقه له " اجتماع الجمهور على مذمة شراب الخمور " و " المذاهب إلى اختلاف المذاهب " وفي التفسير " البرهان المستقيم في تفسير القرآن العظيم " وفي علم الحديث " التحفة المنيفة بالأحاديث الشريفة" وفي علم الطب " الغاية في الطب " وله في تفسير الأحلام " الإشارات في علم العبارات " و " الكوكب المنير في أصول التعبير " وفي الأنساب " الأنساب الشريف وما به من كل تليد وظريف " وله أيضاً " المعتمد في الغلط المستعمل " و " الذخيرة لوقت الخيرة " (٢) .

جهود ابن شاهين في الكتابة التاريخية :-

ساهم ابن شاهين في الكتابة التاريخية ، ليس في الإسكندرية فقط ، بل عصر المماليك الجراكسة كله ، فكتب كتاباً ضخماً يتكون من مجلدين ، اشتملا على أربعين باباً وسماه " كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك " (٣) و " جملة ذلك ستين كراساً في قطع الكامل معتمداً في ذلك ما شاهده العيان ، وتحققته من نقل الثقاة الأعيان ، ... " (٤) هادفاً به إلى " تعظيم ملك مصر وسلطانها " (٥) ثم اختصر هذا الكتاب وسماه " زبدة كشف الممالك ، وبيان الطرق والمسالك " كي لا يحصل للمتأمل فيه الملل ، بل يسهل له الوصول إلى كل مقصد وأمل ، واختصرت جملة عن الأصل من كل باب وفصل ، لكون اشتغالي بغيره من المصنفات ، فمن نظر فيه فليعتبر بغيره ولا يحزن على ما فات ، وجعلته للناظرين أولي الألباب مرتباً على اثنى عشر باب " (٦) ثم اختصر المختصر " زبدة " في مجلد لطيف الحجم ، سماه " زبدة الزبدة " فذكر " ... ثم رأيت ذلك الكتاب المصنف مطولا ، فانتخبت من ملخصه هذا المجلد " (٧) .

---

(١) ابن شاهين ، نفسه ، ق١١٣ ب .

(٢) ابن تغري بردي ، المنهل ، جـ٥ ، ص٢٦٠-٢٦١ ؛ عبد الباسط ، نفسه ، ق٢٣٠ أ-٢٣٢ ب؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ص٩٧ ، ٣٠٥ ، ٩٥٣ ، ١٤٩٦ ؛ البغدادي، إيضاح المكنون ، جـ١ ، ص٤٦٠ ، جـ٢ ص٥٩٦ ؛ عمر كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ٤ ، ص١٢٠ .

(٣) زبدة كشف الممالك ، ص٤ ، لم يذكر الدكتور زيادة هذا الكتاب ضمن مؤلفات ابن شاهين وإنما ذكر زبدة كشف الممالك وأنه في مجلدين يضمان بين دفتيهما أربعين فصلاً ، انظر ، المؤرخون في مصر ، ص٢٤ .

(٤) زبدة كشف الممالك ، ص٤ .

(٥) ابن شاهين ، كشف الممالك ( مخطوط ) ق٣ أ

(٦) زبدة كشف الممالك ، ص٤ ؛ عبد الباسط ، الروض الباسم ، جـ٤ ق٢٣٣ أ .

(٧) زبدة ، نفسه ؛ علي إبراهيم حسن ، استخدام المصادر ، ص١٨٦ .

إذن لدينا ثلاثة كتب لابن شاهين ، الأول " كشف الممالك ... " وهو في حكم المفقود والكتاب الثاني وهو " زبدة كشف الممالك ... " وهو مختصر الأول ، هو مازال مخطوطاً على الرغم من أنه يحمل اسم " كشف الممالك " وبدراسته اتضح أنه " زبدة كشف الممالك " وليس " كشف الممالك " كما يتضح من مقدمته " ثم أنني انتخبت هذا الكتاب من ذلك ، وسميته زبدة كشف الممالك ، ... " (١) والكتاب الثالث وهو اختصار المختصر أي " زبدة الزبدة " وهذا الكتاب طبع بتحقيق بولس راويس عام ١٨٩٤ ، ولكنه حمل اسم " زبدة كشف الممالك " فذكر في مقدمته " فأنتخبت من ملخصه هذا المجلد " (٢) .

ويتكون كتاب زبدة كشف الممالك ، من مقدمة واثنى عشر باباً ، أما المقدمة فأوضح فيها الهدف من تأليفه الكتاب ليكون نبراساً ومرجعاً لمن يريد أن يتولى أي منصب من مناصب دولة المماليك ليعرف أمور المملكة براً وبحراً وأحوال الممالك ووظائفها ، وما يتحصل من الأموال ومصارفها وما يحتاج إليه الملك والملوك ...

الباب الأول : في تشريف ملك مصر على سائر البلاد، ثم تحدث عن مكة والطائف وجدة والمدينة والينبوع وبيت المقدس ثم ذكر الديار المصرية ، وقلعة الجبل وذكر مصر والقاهرة وأقاليم مصر وثغر الإسكندرية والشام .

والباب الثاني: تناول فيه وصف السلطنة الشريفة ، والصفات التي يجب أن تتوافر في السلطان ، وصف ملابس السلاطين والخلفاء والأمراء والقضاة مشيراً إلى أن هذه الطوائف تنيف على مائة ، لكل منها قماش لا يوافق الأخرى ، والمواكب السلطانية .

والباب الثالث : في وصف أمير المؤمنين ( الخليفة ) وما يتعلق به ، معقباً بأن خلفاء بني العباس في مصر ليس لهم مع السلاطين حكم ، وإن كان لهم الولاء في مبايعة ملوك الأرض ، وفي وصف قضاة القضاة .

والباب الرابع : في وصف الوزير ، ومباشري الدولة وناظر الإنشاء وديوان الجيوش وديوان الخواص وغير ذلك من الدواوين .

والباب الخامس في ذكر أولاد الملوك ونظام الملك الشريف ، ونائب السلطنة وأتابك العساكر المنصورة والأمراء مقدمي الألوف ، وأمراء الطبلخانات والعشرينات والعشروات والخمسوات .

---

(١) يوجد هذا الكتاب في مكتبة أحمد الثالث تحت رقم ٢٩٩٠ ، ويوجد منه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية ، القاهرة تحت رقم ٦٩٢ تاريخ ، وتقع في أربع وسبعين ومائتي ورقة ، انظر: كشف الممالك ق٣ أ ؛ محمد كمال الدين عز الدين ، الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة ، دراسة عن التاريخ والمؤرخين ، رسالة دكتوراه ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ١٩٨٩ ، المجلد الثالث ، ص١٢٠-١٢١ .

(٢) زبدة كشف الممالك ( المطبوع ) ص٤ .

ستعتمد الدراسة لمنهج ابن شاهين على مخطوط معهد المخطوط المسمى " كشف الممالك " الذي اتضح أنه " زبدة " والمختصر المطبوع كذلك .

والباب السادس : تناول فيه أرباب الوظائف العسكرية والدينية والديوانية ، ومراكز الحمام البريدي ومراكز الثلج من دمشق إلى القاهرة ، ومراكز البريد في الديار المصرية.

والباب السابع : تحدث فيه عن البيوت السلطانية .

والباب الثامن : يتحدث فيه عن بقية البيوت السلطانية والمخازن من الشربخاناة والطشتخاناة وغيرها .

والباب التاسع خصصه لكشاف التراب المسئولين عن صيانة الجسور ، وعن الحفير والجراريف وما يحتاج إليه عند فيض النيل ، وما يقرر على القرى من الخراج .

والباب العاشر : عن أقسام دولة المماليك الإدارية .

والباب الحادي عشر : عن امراء العربان والتركمان والأكراد ، وعن التجاريد والمهمات الشريفة ، وذكر فتح اليمن والديار البكرية وفتح جزيرة قبرص .

والباب الثاني عشر : يتحدث فيه عن بعض الحكايات والتجارب والآداب الشرعية والسياسية والعامة مما استفاده من مطالعة التاريخ وغيره من التجارب التي ألم بها ، والهدف العظة والعبرة وتهذيب الأخلاق مما جعل " زبدة كشف المماليك " موسوعة معارف صغيرة غنية بالكثير من فروع المعرفة الجغرافية والتاريخية والإدارية والأدبية والعروضية والعلوم الفقهية والعلوم البحتية كعلم الرمل وتعبير الرؤيا .

تنوعت مصادر " كتاب زبدة كشف الممالك " فمكانه ابن شاهين في دولة الممالك أتاحت له المشاركة في العديد من أحداثها ، فضلاً عن مشاهدته للعديد من أمور الدولة ، والإطلاع على العديد من الوثائق مما لا تتوفر لغيره وتمثلت مصادر الكتاب فيما يلي :-

١ - <u>المشاركة</u> :-

فيذكر عن دار السلطنة بالإسكندرية وسكناه أياها . قوله :-

" وقد استأذنت المقام الشريف الملك الأشرف على السكنة فيها حين كنت نائب السلطنة الشريفة بالثغر فأمر لي بذلك وزوجني بأخت زوجته خوند الخوندات جلبان تغمدهم الله برحمته ، ولم يكن سبق لأحد ذلك من نواب الثغر ونصب بالقاعة العظمى من الحلل ما لا يوصف ، ومن جملة ذلك سبعة بشاخين مختلفة الألوان وأشياء عجيبة مما يطول شرحه ... " (١) .

٢ - <u>المشاهدة</u> :-

ومن المشاهدة مما قاله في قضاة القضاة :-

" وأنى رأيتهم تارة بعذبات بغير طيالسة ، وتارة بالطيالسة بغير عذب ، ... " (٢) .

٣ - <u>المشافهة</u> :-

من ذلك قوله :-

" ... وسمعت من لفظ السلطان الملك الأشرف ( برسباي ) يقول : أتانا من متحصل جده هذه السنة ما قيمته مائتا ألف دينار " (٣) .

وقوله :-

---

(١) زبدة ( المطبوع ) ، ص٤٠ .     (٢) زبدة ، ( مخطوط ) ق٩٨ ب .

(٣) نفسه ، ق١١ ب .

" وسمعت من لفظ من يعتمد على قوله أن لو حرّرت هذه الأماكن لزادت عن مدن كثيرة " (١) .

٤ - النقوش والآثار :-

من ذلك قوله :-

" ... ورأيت اسم سلطانين ، أحدهما الناصر صلاح الدين داود ، اسمه مكتوب بدار السلطنة بقلعة الكرك ، ورأيت اسم الآخر ، وهو الملك الناصر صلاح الدين يوسف مكتوب على دار السلطنة بثغر الإسكندرية المحروس " (٢) .

٥ - الوثائق :-

اطلع ابن شاهين على العديد من وثائق الدولة المملوكية بحكم مناصبه مقربه من بلاط الدولة .

من ذلك قوله :-

" ورأيت في بعض الأوقات كتب عهود بتفويض سلطنات لعدة ملوك من ديوان الخلافة أحدهم للملك الكامل خليل صاحب حصن كيفا ، والآخر لصاحب اليمن وآخر لصاحب الهند ، وآخر لصاحب مكة ... " (٣) .

فضلاً على أنه اعتمد على الكثير من المؤلفات السابقة في شتى فروع المعرفة في الأشياء التي لم يشارك فيها أو يحدثه عنها أحد (٤) .

عبر ابن شاهين عن عاطفة دينية قوية ، مُجِّلة للإسلام ولرسوله ، وتوقيره للعلماء وتقديره لهم وأفاض عليهم العديد من الألقاب ، وهذا طبيعي لرجل جمع بين علوم الشريعة وفنون الحرب وعلوم إدارة الدولة ونظمها فضلاً عن العلوم الأخرى .

لذا جاء كتابه مرجعاً مهماً في دراسة النظم الإدارية لدولة المماليك وبخاصة في عصر دولة المماليك الجراكسة .

ولكن يؤخذ عليه أن مؤلفه لم يحدد بصفة قاطعة متى استحدثت كل من هذه الوظائف وتلك الرسوم والنظم ، لذا يجدر بالباحث أن يعمد في دراسة الوظائف والنظم الواردة في هذا الكتاب أن يستكمل ما ورد في كتب النظم الإدارية لدولة المماليك مثل كتاب التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري ، وصبح الأعشى للقلقشندي ، والمقصد الرفيع للخالدي (٥) وهذا لا يقلل من قيمة ما كتبه ابن شاهين الذي انفرد .

نلخص من ذلك تنوع الدراسات التاريخية في الإسكندرية ، فهناك المؤرخون من الفقهاء والذين كانت لهم جهوداً كبيرة ذات أهمية لدراسة تاريخ المدينة ويرجع ذلك إلى فكرة المواطنة وحبهم للإسكندرية ، فابن العمادية كتب كتاباً في تاريخ المدينة مترجماً لأهم أعلامها والنازلين بها ولكن للأسف أن هذا الكتاب قد فقد ولكن هذا الكتاب مثل

---

(١) زبدة ( المطبوع ) ص٣٠ .
(٢) زبدة ( مخطوط ) ق٥٥ ب .
(٣) زبدة ( المطبوع ) ص٨٩ .
(٤) زبدة ( مخطوط ) ق١١٣ أ ، ١٠٧ ب ، ٢٠ أ ، ٢٣ أ .
(٥) علي إبراهيم حسن ، استخدام المصادر ، ص١٨٦-١٨٧ .

المصدر الوحيد للمؤرخين المتأخرين الذين كتبوا عن أعلام الإسكندرية حتى منتصف القرن السابع الهجري .

وأما النويري السكندري فقد كتب كتابه الإلمام كشاهد عيان لحملة القبارصة على الإسكندرية يدفعه في ذلك أن يكون ذلك درساً لمن يأتي من بعد لكي يحافظوا على الإسكندرية حتى لا يفعل بها مثل ما فعل القبارصة ، ويعد هذا الكتاب المصدر العربي الوحيد لتأريخ تلك الحادثة ، ونلاحظ عاطفة النويري السكندري الجياشة تجاه الإسكندرية بحيث أنه لم يؤلف هذا الكتاب لسلطان أو أمير أملاً في مال أو جاه وأن كتبه لكل حكام مصر ليكون ذلك عبرة لهم .

فضلاً عن ذلك نلاحظ أن نواب الإسكندرية قد شاركوا في الكتابة التاريخية فابن عرام كتب تاريخا عاما للإسلام كعادة أمراء المماليك الذين كتبوا في التاريخ أمثال بيبرس الدوادار صاحب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، وابن أيبك الدوادار صاحب كتاب كنز الغرر وجامع الدرر ، وابن دقماق صاحب كتاب الجوهر الثمين في تاريخ الملوك والخلفاء والسلاطين وابن إياس الذي أرخ لتاريخ مصر الإسلامية ، وللأسف فإن كتاب ابن عرام قد فقد .

كذلك كتب خليل بن شاهين نائب الإسكندرية كتاباً في تاريخ النظم الإدارية لدولة المماليك وقدم لنا العديد من المعلومات المهمة عن دولة المماليك ونظمها الإدارية مما يجعل للكتاب أهمية بالغة في دراسة نظم ورسوم دولة المماليك .

# الفصل السادس
# العمـــارة والفنـــون

## أولاً : العمــــارة :-

- **العمائر العسكرية**

الأسوار ، الأبواب ، الإبراج ، القلاع ، قاعات السلاح .

- **العمائر التجارية**

الأسواق ، الفنادق ، القياسر ، الوكالات ، الخانات .

- **العمائر الدينية والعلمية**

المساجد ، الأضرحة ، الخانقاوات ، الربط ، المدارس .

- **العمائر الإدارية**

دار السلطان ، دار النيابة ، دار العدل ، دار الضرب ، دار الطراز ، دار الصناعة

- **العمائر المدنية الاجتماعية**

الصهاريج ، الأسبلة ، الحمامات ، البيمارستان .

## ثانياً : الفنـــــون :-

- **فن النسيج**
- **فن الخزف**
- **فن الزجاج**

# الفصل السادس

## العمـــارة والفنـــون

تعتبر العمارة على مر العصور مرآة تعكس المقومات البيئية والحضارية للسكان سواء كانت من ناحية البيئة الثقافية ، أو من ناحية البيئة الطبيعية والمناخية ، مما جعلها تحمل في مجملها وتفاصيلها كثير من القيم المعمارية (١) .

فبيئة الإسكندرية الطبيعية والمناخية تركت أثرها على العمارة بها والمكونات المعمارية لها ، وحملت العمارة في الإسكندرية التراكم التاريخي للمدينة فظهر في طرز هذه العمارة وفي تخطيط المدينة وشوارعها ، وفرضت الأخطار التي تعرضت لها من جانب الصليبيين نمط من العمارة الحربية ، فكان للمدينة أسوار مزدوجة وأبواباً ضخمة وعشرات الأبراج والقلاع ، وأثرت ثقافة المرابطة والجهاد في المدينة في كثرة الرُبط المزدوجة الوظيفة الحربية والدينية وكثرة قاعات السلاح بالمدينة لحماية المدينة ضد المغيرين .

وكان لازدهار الإسكندرية التجاري أثره في كثرة العمارة التجارية من الأسواق والفنادق والقياسر والوكالات والخانات ، وأثر المناخ في العمارة بالإسكندرية فكثرة سقوط الأمطار وبخاصة في فصل الشتاء ، جعلت المعماري السكندري يضيف مكونات معمارية لتصريف هذه المياه وحماية البنيات من أثر الأمطار فجعل في أعلى هذه المباني المرازيب لتصريف المياه من أسطح المباني ، واستخدم صهاريج المياه الموجودة أسفل المدينة كبلاعات لشفط مياه الأمطار .

وترك وحدة المذهب الديني لأهل الإسكندرية أثره في بناء المدارس ، فمدارس الإسكندرية تدرس مذهب واحد ، لذا أصبحت المدرسة تتكون من إيوان واحد ، لأنه لا يشاركها مذهب آخر في التدريس بتلك المدرسة .

وكان للثقافة الصوفية واشتداد تيار التصوف في الإسكندرية في كثرة الزوايا والرُبط ، والأضرحة والقباب بالمدينة ، لذا تنوعت العمارة في الإسكندرية ما بين عمارة حربية كالأسوار والقلاع والأبراج وعمارة مدينة وتشمل العمارة التجارة والعمارة الصناعية والعمارة الخدمية والعمارة المائية .

فضلاً عن ذلك فأثرت ثقافة أهل الإسكندرية في الفنون التطبيقية التي أنتجتها المدينة فهناك فن النسيج والمعادن والزجاج والمينة ، والفخار وغيرها والتي لها طابعها الخاص الذي ميزها عن غيرها من المدن الأخرى ، حيث وصلتنا نماذج كثيرة للفنون التطبيقية للإسكندرية من خلال الاكتشافات الأثرية ، والقطع الأثرية المحفوظة في العديد من المتاحف في مصر وفي الخارج التي توضح مدى ما وصلت إليه الفنون التطبيقية في الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك .

وسوف نوضحه فيما يلي :-

---

(١) سهام أبو سريع ، التعبير العمراني والمعماري للاستعمالات الثقافية والتعليمية ، كلية التخطيط الإقليمي ، جامعة القاهرة ، رسالة دكتوراة ، ١٩٩٥ ، ص١٧٦ .

أولاً : العمـــــارة :-

تعد العمارة من أهم المجالات الفنية التي تفوق فيها المسلمون ، وهي تمثل الجانب المادي للثقافة فهي تظهر ثقافـة المجتمـع والبيئـة وعقليـة أصـحابها ، وقـد زاول المعماريون في الإسكندرية بناء جميع أنواع العمائر ، فخلفوا لنا كثيرا من الأبنية مـن عسكرية مثل الأسوار والأبواب والقـلاع والأبـراج ، ودينيـة كالمسـاجد والمـدارس والكتاتيب ، والتجارية مثل الفنادق والقياسر والوكالات والأسـواق ، واجتماعيـة مثـل الحمامات ، البيمارستان ، الإدارية مثل دار السلطنة ودار النيابة ، وصـناعية مثـل دار الطراز ودار السلاح ودار الصناعة ، والمائية مثل الصهاريج والأسبلة ، ولكل من هـذه العمائر تصميمه الخاص به والملائم لوظيفته .

ولفتت عمارة الإسكندرية الرحالة الذين زاروا المدينة ، فالعبدري يصـفها بأنهـا " مدينة الحصانة والوثاقة ، وبلد الإشراق اللامع والطلاقة ، وطـلاوة المنظـر وحـلاوة المذاقة ... مدينة فسيحة الميدان ، صحيحة الأركان ، مليحة البُنيان (١) " .

أما ابن بطوطة فذكر أنها " الثغر المحروس ، والقطر المأنوس ، العجيبـة الشـأن الأصلية البنيان ، بها ما شئت من تحسين وتحصين ... وجمعت بين الضخامة والإحكام مبانيها ...(٢) " .

وأشار البلوي بأنه " لم أر مدينة أحسن منها وضعا ، ولا أبدع ربعـا ، ولا أوسـع مسالك ، ولا أعلى مباني ولا أسمى مراقي ، ولا أجمل مراسم ، ولا أوضح معـالم ، ولا أملح أزقة ، ولا أعجب رونقا ، ورقة ... (٣) " ، وهذه النماذج مـن مشـاهدة الرحالـة لعمارة الإسكندرية دليل على ما وصلت إليه من تقدم وازدهار في العصر المملوكي .

العمارة العسكرية :-

عرفت الإسكندرية بحصنتها طوال تاريخها ، ومن أهـم العمـائر العسـكرية فـي الإسكندرية أسوارها ، هذه الأسوار التي وقف أمامها عمرو بن العاص لمدة أربعة عشر شهرا ، واتهم عمرو بن العاص بأنه هدم هذه الأسوار (٤) ، ثم تم تجديد هذه الأسـوار في عهد أحمد بن طولون (٥) ، ويقال أنه هو الذي أنشأ الأسوار العربية للمدينة وهـي أقل في المساحة من الأسوار اليونانية الرومانية (٦) .

---

(١) العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢١٠-٢١١ .

(٢) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٣٩ .

(٣) البلوي ، تاج المفرق ، جـ١ ص١٩٨ .

(٤) علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٧ ص١٦ ؛ الشيال ، الإسكندرية ، طبوغرافية المدينـة ، ص١٤ ؛ علية عبد السميع الجنزوري ، غارات أوروبا على الشـواطىء المصـرية فـي العصـور الوسطى ، تاريخ المصريين ، ١٩٨٧ ، ص١١-١٢ .

(٥) محمود الفلكي ، الإسكندرية القديمة ، ص٦٣ ؛ جراتيان ، الإسكندرية ، " وصف مصر " ، جـ٣ ص٣٧٠ ؛

Breccia , Alexandrea , P.61 ; Hussam al Din Ismail , The Forification of Alexandria During the Islamic Period , in Alexandrien Studies in Memoriam Daoud Abdu Daoud , Alexandria , 1993 , PP.153-161 .

وتعرضت أسوار المدينة طوال العصر الفاطمي للعديد من التدمير لكثرة الثورات بها ضد الدولة ، فقام الخليفة الآمر عام ٥١٧هـ/١١٢٣م بتجديد أسوارها [١] .

ووجه صلاح الدين الأيوبي اهتماماً خاصاً لتحصين الإسكندرية وبخاصة أسوارها فقام بإحاطة المدينة بسورين مزدوجين وذلك في أعوام ٥٦٦هـ/١١٧١م [٢] ، ٥٧٢هـ/١١٧٧م [٣] ، ٥٧٧هـ/١١٨٢م [٤] .

واهتم سلاطين المماليك بأسوار الإسكندرية فالسلطان بيبرس البندقداري قام بتحصين أسوار الإسكندرية ووضع عليها آلات الدفاع من المنجنقيات وغيرها في أعوام ٦٦٠هـ/١٢٦١م [٥] ، ٦٧١هـ/١٢٧٢م [٦] .

وتعرضت أسوار الإسكندرية للانهيار نتيجة للزلزال المدمر الذي وقع في عام ٧٠٢هـ/١٣٠٣م مما أدى إلى سقوط أربعين بدنة من جسم السور وسبعة عشر برجاً فندب الأمير بيبرس الدوادار – المؤرخ – إلى إعادة تعمير أسوار الإسكندرية فأتم ذلك[٧] وعلى الرغم من حصانة أسوار الإسكندرية إلا أنها سقطت في يد القبارصة عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م [١] .

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص١٠٦ .

(٢) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، جـ١ ص١٩١ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ص١٩٩ ؛ ابن أيبك الدواداري ، الدر المطلوب ، ص٢٧؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، مج٤ جـ١ ص١٢٧ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ص٣٢٠ .

(٣) أبو شامة ، نفسه ، جـ١ ص٢٦٩ ؛ ابن واصل ، نفسه ، جـ٢ ، ص٥٦ ؛ ابن أيبك الدواداري، نفسه ، ص٦١ ؛ أحمد مختار العبادي ، البحرية الإسلامية في مصر والشام ، ص٢٧٥-٢٧٦ .

(٤) أبو شامة ، نفسه ، جـ٢ ص٢٤ ؛ ابن واصل ، نفسه ، جـ٢ ص١١٢ ؛ ابن أيبك الدواداري ، نفسه ، ص٧١ ؛ عبد الله كامل ، الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية في عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب بقنا ، جامعة جنوب الوادي ، العدد ٤ ، ١٩٩٥ ، ص٢٥٤ ؛ Creswell (K.A.C) ,The Muslim Architecture of Egypt,11,Ayyubids and early Bahrite Mamluks , Oxford , 1959 , P.2.

(٥) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص٩١ ؛ ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ص٢٨٤ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ص٤٤٦ ؛ الخطط ، جـ١ ص٢٨٢ .

(٦) ابن عبد الظاهر ، نفسه ، ص٤١٥-٤١٦ ؛ العيني ، عقد الجمان ، جـ٢ ص٦٠ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ق١ ص٣٤٠ ؛ علي إبراهيم حسن ، دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، ص٤٢ .

(٧) ابن أيبك الدواداري ، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، ص١٠٠-١٠١ ، بيبرس الدوادار ، التحفة الملوكية ص١٧٣ ؛ أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، جـ٤ ص٥٠ ؛ مجهول ، تاريخ سلاطين المماليك ، ص١٢٦-١٢٨ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ص٣٦٠ ؛ ابن حبيب، تذكرة النبية ، جـ١ ص٢٥٣ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ص٩٤٣ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ص٢٩٨-٢٩٩ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ق١ ص٤١٧ .

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ، ص١٧٠ ؛ درويش النخيلي ، أضواء جديدة على أسوار الإسكندرية في أواسط القرن الثامن الهجري ( أواسط القرن الرابع عشر الميلادي ) دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص٢٠ .

وبعد خروج القبارصة من الإسكندرية ، حاولت الدولة إزالة آثار العدوان ، فقام نائب المدينة خليل بن عرام بإعادة تحصين المدينة ، وبناء ما تهدم من أسوارها وأبراجها وحفر خنادقها وغير ذلك من العمائر العسكرية (١) .

وتتميز أسوار الإسكندرية بأنها مزدوجة أي تتكون من سورين ، الأول خارجي ، والثاني داخلي وهو أعلى من الخارجي ، ويرى الدكتور عبد العزيز سالم ، أن أسوار الإسكندرية تأثرت في ذلك بأسوار مدن الأندلس مثل أشبيليه وبطليوس التي أحيطت بسور مزدوج في عصر الموحدين حيث يفتح في السور الأمامي (الخارجي) باب واحد ، بينما يفتح في الستارة الرئيسية ( السور الداخلي ) بابان (٢) .

وأشار الرحالة الأوربيون إلى حصانة ومتانة أسوار الإسكندرية (٣) ، وازدواج هذه الأسوار (٤) وحدود ومحيط هذه الأسوار (٥) ، وارتفاعها وشكلها (٦) .

ودعمت أسوار الإسكندرية بمئات الأبراج لتقوية هذه الأسوار ، ووصلتنا بعض هذه الأبراج مثل برج شرق (٧) ، وبرج الزهري (٨) ويقعان حالياً في حي باب شرق .

وزودت أسوار الإسكندرية بالعديد من الأبواب القوية والتي لا يستطيع العدو كسرها وهذه الأبواب لفتت انتباه الرحالة المغربي العبدري فذكر " ومن جملة إبداعها وإغرابها

---

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ، ص١٧٠ .

(٢) من جديد حول التأثيرات الأندلسية في العمارة المصرية الإسلامية ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، مج٢١ ، ١٩٨١-١٩٨٢ ، ص١٣٧ .

(٣)Ghistel ( Joos, van ) , le voyage en Egypte , de Joos van Ghistel , ( 1482-1483 ) , ( IFAO ), le Caire 1976 , PP.111-114 ; Fabri , le voyage en Egypte, (1483) , ( IFAO ) , le Caire 1975 , vol . 11, P.665 , 111 , P.953, 963; Belon , le voyage en Egypte de Pierre Belon du Mans ( 1547 ), ( IFAO ), Le Caire , 1970 , P.91; Palerne , Jean Forésien , (1581) , (IFAO) , 1971, P.90 .

(٤)MonConys (Balthasarde) , (1646-1647), (IFAO) , 1973 , PP.17-18, Lubenau (R), (1588), (IFAO) , 1972 , P.212 ; Gonzales , (1665-1666) (IFAO), 1977 , P.311 ; Veryard , (1678) , (IFAO) , 1981 , P.3 ; Morison, (1697) , (IFAO) , 1976 , P.6.

(٥) جراتيان ، وصف مصر ، جـ٣ ص٣٦٥-٣٦٧ ، ٣٦٩-٣٧٠ ، Fabri , op.cit, 11 , P.724, 111 , 943; sandys (George) , (1611) , (IFAO), 1973 , P.110, 106; Bretten ( Michael . Heberer , van ) , 1585-1586 ) , (IFAO), 1976, P.25.

(٦)Adler , Jewish Travellers , London , 1930 , 158; villamont, (1589) (IFAO) , 1971, P.233.

(٧) سحر القطري ، الاستحكامات الحربية بمدينة الإسكندرية ، ص٧٣-٩١ ، Toussoun (Omar) , Notes sur les Forts d'Alexandrie et de ses Environs dans (BSRAA), No 34, 1941، P.23 .

(٨) سحر القطري ، الاستحكامات الحربية ، ص٩٢-١٠٢ .

ما رأيت من إتقان أبوابها ، وذلك أن عضائدها وعتبها مع إفراط طول الأبواب كلها من حجارة منحوتة، يُتعجب من حسنها وإتقانها ، وكل عضادة منها حجر واحد ، وكذلك كل عتبة وأسكفه ولا أعجب من وضعها هنالك مع إفراط عظمها ، ولم يغير طول الزمان شيئا من ذلك ، ولا أثر فيه ، بل بقى بجدته ورونقه ، وأما مصاريعها فهي غاية في الإحكام ، ملبسة بالحديد ظهراً وبطناً بأدق ما يكون من الصنعة وأحسنه وأتقنه " (١)

وبنى على كل باب من أبواب الإسكندرية برجين كبيرين لحمايته ، ووجد بالإسكندرية أربعة أبواب رئيسية ، فباب البحر في السور الشمالي (٢) ، وباب رشيد في السور الشرقي (٣) وباب السدرة في السور الجنوبي (٤) ، والباب الأخضر في السور الغربي (٥) ، ووجد إلى جانب هذه الأبواب أبواب أقل منها ففي السور الشمالي باب ديوان الخمس أو باب الورد (٦) ، وباب الأقنية (٧) وفي السور الغربي باب الخوخة (٨) ، وفي السور الشرقي باب الزهري (٩) .

---

(١) العبدري ، رحلة العبدري ، ص٢١٢ .

(٢) مجهول ، الاستبصار ، ص٩٧ ويسميه باب اشتوم ، درويش النخيلي ، دراسة جديدة في طبوغرافية مدينة الإسكندرية زمن الملك الأشرف شعبان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص٢٤-٣٣ ؛

Fabri , le voyage , 11 , PP.683-684 ; combe , les levés , P.57, Notes sur les fosts , P.98 ; Notes de Topographie , P.121 ; De la colonne , P.117 ; les sultans , P.39 .

(٣) الحسن الوزان ، وصف أفريقية ، ص٥٧١ ؛ النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٧٤ ، جـ٣ ، ٢١٥ ؛ الشيال ، طبوغرافية ، ص٢١٠ ؛ تاريخ مدينة الإسكندرية ، ص٣١ ؛ عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص٤٤٤ ؛ النخيلي ، طبوغرافية ، ص٧-١١ ؛

Combe , les levés , PP.56-57 ; Notes de Topographie , P.135 .

(٤) ويسمى باب العمود ، وباب الشجرة أو باب التوابل ، انظر : ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٣٩ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٥ ؛ الشيال ، طبوغرافية ، ص٢١٢ ؛ النخيلي ، طبوغرافية ، ص٥٢-٥٤ ؛

Combe , les sultans , P.42 ; les levés , PP.57-58 ; De la colonne, P.105 .

(٥) النخيلي ، طبوغرافية ، ص٤٤-٤٥ ؛

Combe , Notes sur les Forts , P.96 ; Notes de Topographie , P.99 ; les levés , P.60 .

(٦) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢١٤ ، جـ٤ ص٥٢ ؛

Machaut , la prise d'Alexandrie , PP.84-85 ; Combe , les levés , PP.55-56 .

(٧) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٣ ص٢١٢ ؛ النخيلي ، طبوغرافية ، ص٤١ .

(٨) محمد يوسف الغرياني ، حول الكشف الأثري الجديد " باب الخوخة " محاضرة ألقيت بالجمعية الأثرية بالإسكندرية ، ١٩٧٨ ؛ سحر القطري، الاستحكامات ، ص٦٩-٧٢ .

(٩) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٧٤ ، جـ٣ ص٢١٥ ؛ النخيلي ، طبوغرافية ، ص١١ .

ومن العمائر العسكرية " القلاع والأبراج " والتي تخدم أغراضا دينية وحربية في آن واحد ، لعل أبرز قلاع الإسكندرية " قلعة قايتباي " التي أنشئت عام ٨٨٤هـ/١٤٧٩م [١] على أساس منار الإسكندرية الشهير على الطرف الشمالي الشرقي لجزيرة فاروس لتتحكم في الميناء الشرقي ، وأوقف عليها الأشرف قايتباي الأوقاف الكثيرة [٢] ، واهتم السلطان قنصوه الغوري بهذه القلعة وملئها بالأسلحة ومنع خروج أي منها وكتب مرسوماً بذلك علقه على برج هذه القلعة وهو بتاريخ عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م [٣] . وجددت هذه القلعة في العهد العثماني [٤] .

وفي نفس الوقت الذي قامت فيه قلعة قايتباي بنى الأمير يشبك من مهدي [٥] اليد اليمنى لقايتباي برجاً في منطقة السلسلة ليتحكم في الميناء الشرقي للإسكندرية مع قلعة قايتباي وسمى بالبرج الصغير ، وسميت قلعة قايتباي بالبرج الكبير [٦] ، ومدت سلسلة غليظة بين البرجين تسمى المآصر الأمر الذي منع دخول أي سفينة إلى الميناء الشرقي للإسكندرية غير مرغوب فيها [٧] .

---

(١) الغزى ، الكواكب السائرة ، جـ١ ص٢٩٩ ؛ عبد الباسط بن خليل ، نزهة الأساطين ، ص١٤٣؛ السخاوي ، وجيز الكلام ، جـ٣ ص٨٨١ ؛ عبد الرحمن عبد التواب ، قايتباي المحمودي، ص٢٠٣ ؛ محمد توفيق بلبع ، آثار السلطان قايتباي في الإسكندرية ( قلعة قايتباي ) رسالة ماجيستير ، آداب الإسكندرية ، ١٩٥٥ ؛ كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية في مصر ، ص٤٨ ؛ عبد الرحمن زكي ، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة ، ص١٥١-١٥٧ ؛ عبد العزيز سالم، تخطيط مدينة الإسكندرية ، ص١٠٨-١١٠ ؛ سحر القطري ، الاستحكامات ، ص١٠٣-١٥٢ ؛
Berchem , chateau du Sultan Qayt Bey à Alexandrie , corpus inscriptionum, l'Egypte , t.1 , Paris , 1894 , P.478; combe , les levés , P.63 ; Notes de topographie , P.131 ; le Fort Qayt Bay à Rosette , BSRAA , No 33 , P.320 ; De Cosson , Notes of the forts of Alexandria and environs , BSRAA, No33, 1939 , P.312 ; Forster , Alexandrie , P.198 ; Adler , Jewish , P.158 .

(٢) ابن إياس ، بدائع ، ص١٣٠-١٣٢ ، ١٥٥-١٥٦ ، ٣٢٩ ؛

(٣) Van Berchem , CIA No 321 , P.490 ; Ayalon , Gumpowder , P.112.

(٤) أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية ، سجل ١٠١ وثيقة رقم ١٧ ص٧ .

(٥) عن يشبك من مهدي ، انظر : السخاوي الضوء اللامع ، جـ١٠ ص٢٧٢ رقم ١٠٧٧ ؛ ابن أجا الحلبي ، تاريخ الأمير يشبك الظاهري ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، سامي أحمد عبد الحليم ، الأمير يشبك من مهدي ، ص١-٤٠ .

(٦) وثيقة وقف يشبك من مهدي على برج السلسلة رقم ١٨٨ محفظة ٢٨ دار الوثائق القومية ، ٦٦ أوقاف ، نشر الدكتور عبد اللطيف إبراهيم ، من وثائق التاريخ العربي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، العدد الثاني ، ١٩٧١ ؛ عبد الرحمن زكي ، قلعة صلاح الدين ، ص١٤٧ ؛ عبد العزيز سالم ؛ تاريخ الإسكندرية ص٢٩١-٢٩٢ ، ٤٥٥-٤٥٦ ؛ سحر القطري ، الاستحكامات ، ص٥٠ ؛
Combe , les levés , p62.

(٧) ميخائيل عواد ، المآصر في بلاد الروم والإسلام ، بغداد ، ١٩٤٨ ، ص٤٨ .

ومن العمارة العسكرية في الإسكندرية " خزائن السلاح " أو ما تعرف بـ " السلاح خاناه " وهي لفظة فارسية تعني " بيت السلاح " أو حواصل الذخيرة " و " الزرد خاناه " أي " بيت الزرد " [1] .

فمن الطبيعي أن يوجد في الإسكندرية خزائن للسلاح للدفاع عنها ضد خطر الأعداء وبخاصة الصليبيين الذين دابوا منذ أواخر عصر الدولة الفاطمية على مهاجمة الإسكندرية وحتى نهاية العصر المملوكي .

ووجد لدينا في الإسكندرية نوعين من خزائن السلاح ، الأولى : وهي خزائن السلاح الخاصة بالدولة وتحت إشرافها ، والثانية ، خزائن السلاح أو قاعات السلاح الخاصة لبعض أهل الإسكندرية .

وتعرف خزائن السلاح التي تملكها الدولة في الإسكندرية باسم " قصر السلاح " وتقع في غرب الإسكندرية خلف الباب الأخضر داخل الإسكندرية في مكان يسميه النويري السكندري " الزربية " [2] وهو عبارة عن قصر ضخم واسع الحق به مسجد ، يتكون من عدة قاعات كل قاعة منها باسم سلطان من سلاطين المماليك " وتتكون كل قاعة من عدة بيوت وفي كل بيت آلاف مؤلفة من السهام ، إلى غيرها من السيوف والرماح والمزاريق والأتراس والخوذ والقنابر والزرد والزرديات والأطواق والقرقلات ، والسواعد والركب والساقات والأقدام الحديد ، والقس الملولبة والجرح والركاب والإعلام ما لا ينحصر ، وفيه من حجارة العلاج والمدافع والنفط وحيل الحروب ومكايدها كثيراً " [3] .

ونجا هذا القصر من هجمات القبارصة على المدينة ، إذ وصلت عساكرهم إليه ، ولكن ظنوه أنه أحد أبواب المدينة لمجاورته للسور الغربي ، فخافوا أن يكسروا بابه خشية أن يكون خلفه كميناً يطبق عليهم [4] .

ووصف ابن شاهين الظاهري هذا القصر بقوله " بالثغر قصر السلاح مملوء بالعدد المتنوعة حتى أن لو جاء إليه أهل الديار المصرية لكفاهم في اللبوس " [5] .

والحق بهذا القصر إحدى القاعات تعرف بقاعة رماة القرافة المتطوعة وهي ممتلئة بأنواع الأسلحة [6] .

---

(١) ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص١٣٣-١٣٤ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، جـ٨ ص٢٢٧-٢٢٨ ؛ القلقشندي صبح ، جـ٤ ص١١-١٢ ؛ ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص١٢٢ ؛ الخالدي ، المقصد الرفيع ، ورقة ١٢٨ أ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، جـ٢ ص٢٠-٢١ ؛ نظم المماليك ، جـ٢ ص٢٢ ؛ نبيل عبد العزيز ، خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك ، المجلة التاريخية المصرية ، مج٢٣ ، ١٩٧٦ ، ص١٠٧-١٠٨ .

(٢) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٧٤ .

(٣) نفسه ، جـ٢ ص١٧٥ .

(٤) نفسه ، جـ٢ ، ص١٧٦-١٧٧ .

(٥) ابن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص٤٠ .

(٦) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ، ص١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ .

ويشرف على قصر السلاح مشرف وحراس ، يتولون أمداد هذا القصر بما يحتاج إليه من خشب وحديد [1] ، وأمدنا النويري باسم بعض المشرفين على قصر السلاح مثل الشيخ أحمد بن النشائي [2] وأبو عبد الله محمد بن يوسف حارس القصر [3] .

وأثناء وجود الأشرف شعبان بالإسكندرية عام ٧٧٠هـ/١٣٦٨م ، زار قصر السلاح وشاهد ما به من الأسلحة المدخرة من عهد الملوك السالفة بقاعات القصر المذكور ، وأمر بعمل قاعة سلاح باسمه مثل قاعات الملوك ، وملئت بالأسلحة [4] .

واهتم سلاطين المماليك بخزائن السلاح بالاسكندرية ، فتشير المصادر التاريخية المعاصرة إلى أن السلطان الظاهر برقوق قام بتجديد خزائن السلاح بالإسكندرية [5] .

ويبدو أن هذه الخزائن تعرضت للإهمال من جانب بعض نظار الإسكندرية ، مثل ناظر الإسكندرية ويدعى ابن الصغير الذي أخذ الرصاص من المجانيق الموجودة بقاعة السلاح ليعمر به حماما خاصاً به ، وعندما علم نائب الإسكندرية خليل بن شاهين بذلك أعلم السلطان الأشرف برسباي ، الذي أمر بانتزاعه منه وعمر به ابن شاهين المجانيق كما كانت ، وجدد منجنيق كبيراً ووضعه على قلعة الضرغام بالإسكندرية [6] .

ومن حسن الحظ أن وصلت إلينا من خزائن السلاح بالإسكندرية أعداد كبيرة من السيوف موزعة حالياً في خزائن السلاح بدار صناعة اسطنبول ، وخزانة السلاح الملكية بتورين ، وفي متحف المتروبولتيان بالولايات المتحدة ، وفي مجموعات خاصة[7] وتوجد عليها نقوش باسم حبس الخزانة بثغر الإسكندرية أو باسم خزائن السلاح بقصر السلاح بثغر الإسكندرية ، وأقدم هذه السيوف يحمل نقشاً نصه " حبس المقر الأبيض الأكز [8] الملكي الأشرفي في سنة تسع وستين وسبعمائة بالقاعة

---

(١) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٣٥٤ .
(٢) النويري السكندري ، نفسه ، جـ٢ ص١٥٢ .
(٣) نفسه ، جـ٢ ، ص١٧٦-١٧٧ .
(٤) نفسه ، جـ٤ ص١٧٠ ، جـ٦ ص١٧-١٨ .
ونظم النويري السكندري ذلك بقوله :-

| | |
|---|---|
| رسم السلطان أن يبني له | قاعة في القصر من عزم به |
| ليصير ذكره كذكر من | ملكوا من قبل واهتموا به |
| بنيت قاعته وامتلأت | من سلاح كامل سُميت به |

انظر : الإلمام ، جـ٦ ، ص٢١ .
(٥) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص٦١٧ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٣ ص٣٤١ ؛ ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، جـ١ ص٢١٢ ؛ مؤلف مجهول ، خزانة السلاح ، دراسة وتحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨ ، ص٨ .
(٦) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ٤ ، ص١٧ .
(٧) عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص٤٨٧-٤٨٨ .
(٨) الأكز أحد نواب الإسكندرية حيث تولى نيابتها في ذو القعدة عام ٧٦٧هـ/١٣٦٦م وعزل في شوال عام ٧٦٨هـ/١٣٦٧م واهتم بتحصين الإسكندرية بعد غزوة القبارصة . انظر :
النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٥ ، ص٢٧٧ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص١٢٣ ، ١٥٤ ،=

المعروفة بإنشائه بثغر الإسكندرية المحروس ومن أخذه ولم يرده كان عليه ذنبه " [1] .

والنقش الثاني : يتكون من سطر واحد على كل وجه يقرأ فيه [2] :

الوجه الأول " حبس الخزانة بثغر سكندرية "

الوجه الثاني " مما يحلا على أيام السيفي آرسطاي "

وأرسطاي نائب الإسكندرية في عهد الناصر فرج بن برقوق وتولى نيابتها في عام ٨٠٣هـ/١٤٠١م ، وتوفي عام ٨١١هـ/١٤٠٨م [3] .

والنقش الثالث من عهد السلطان المؤيد شيخ وقفه على خزانة السلاح بالإسكندرية عام ٨١٨هـ/١٤١٥م ، ويتكون من سطر واحد على وجه واحد فقط يقرأ فيه :

" حبس خزائن السلاح بثغر الإسكندرية الملك المؤيد أبو النصر شيخ سنة ثمانية عشر وثمانمائة " [4] .

والنقش الرابع سيف من عهد السلطان الأشرف برسباي بتاريخ المحرم سنة ٨٣٦هـ/أغسطس ١٤٣٢م ونصه :

" حبس الملك الأشرف برسباي عز نصره بخزائن السلاح بثغر الإسكندرية المحروس من متحصله في شهر المحرم سنة ستة وثلاثين وثمانمائة " [5] .

الأمر الذي يوضح مدى اهتمام سلاطين المماليك بالثغور المصرية وبخاصة الإسكندرية.

فضلا عن ذلك فقد وجد في الإسكندرية العديد من قاعات السلاح خاصة لأهالي الإسكندرية ، وذلك لإعداد المرابطين في سبيل الله بالسلاح وهذا يوضح طبيعة ثقافة المجتمع السكندري الذي تعود على هجمات وغارات الصليبيين ضد المدينة الأمر الذي هيأ المجتمع السكندري لصد هذه الغارات بإعداد قاعات أو مخازن للسلاح للمتطوعين ،

---

= ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٨ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ١ ص٤٨١ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ق٢ ص٩٩ ؛

Combe ( Etien ) , " les sultans mamlouks Ashraf shaban et Ghauri à Alexandrie " , B.S.R.A.A., No 30-31 , 1937 , P.40 ; Ahmad Abd ar-Raziq , les Gouverneurs D'Alexandrie , PP.134-135 no20 .

(1)Combe , " Nouveaux Sabres européens à inscriptions arabes " B.S.R.A.A. , X, P.158; Combe et de cosson , " European swords with arabic inscriptions from the Armowry of Alexandria, B.S.R.A.A., IX , 1937 , PP.30-31 .

(2)Combe , Nouveaux , P.159; combe et de cosson , European " P.231 .

(٣) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص١٠٣٧ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، جـ٢ ص٢٩٨ رقم ٣٦١ ؛ الدليل الشافي ، جـ١ ص١٠٤ رقم ٣٥٩ ؛

Abd ar-Raziq , les Gouverneurs , P.143, no50

(4)combe , Nouveaux , P.161 .

(٥) عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص٤٨٨ ؛

Combe et de cosson, "European Swords" PP. 225-246;Combe , "Nouveaux" P.158 .

من ذلك ما أشار إليه الرحالة ابن بطوطة من أن أحد تجار الإسكندرية يسمى ابن رواحة " له قاعدة معدة للسلاح ، فمتى كان خوف أو قتال جهز منها المائة والمائتين من الرجال بما يكفيهم من الأسلحة ، وبالمدينة قاعات على هذه الصورة لكثير من أهلها "(١)

وذكر المقريزي من أن ابن رواحة هذا كان كبير دار الطراز بالإسكندرية ، وأنه أحصى ما في قاعته من السلاح فبلغت " ستة آلاف عدة " ، صادرتها الدولة (٢) .

وأقام التاجر محمد بن سلام الكارمي قاعة القرافة برسم الرماة المتطوعة وتقع بجوار باب القرافة غرب الإسكندرية ودار السلاح وأوقف عليها أوقاف كثيرة (٣) .

ووجد قاعة للسلاح تسمى قاعة الذهيبي ، وتولى مشيختها هي ومشيخة قاعة القرافة محمد بن محمد بن أحمد المالقي السكندري ثم تولى المشيخة بهما بعده ابنه محمد المتوفي عام ٨٧٨هـ/١٤٧٣م (٤) .

نلخص من ذلك ، أن العمائر العسكرية في الإسكندرية دليل على الرغبة في الإحساس بالأمن في الوقت الذي كثرت فيه الأخطار الخارجية التي تهدد حياة سكان الإسكندرية ومصدر الرزق الرئيسي وهي التجارة في الوقت الذي ارتفعت فيه أصوات المنادين في الغرب الأوروبي بفرض حصار إقتصادي على دولة المماليك والقضاء على مصدر ثروتها وهي التجارة الخارجية ، مما يؤدي إلى سقوط هذه الدولة وبالتالي يمكن الاستيلاء على القدس .

وتدل كثرة العمارة العسكرية في الإسكندرية وقتئذ على ثقافة الجهاد لدى أهل الإسكندرية كرد فعل للأخطار الخارجية ، وكثر عدد المتطوعين القادمين إلى المدينة للدفاع عنها مما تطلب أعداد مخازن للسلاح لتسليح هؤلاء المتطوعين ، وكان لتجار المدينة دوراً هاماً في بناء هذه القاعات والمخازن ، وأوقفوا عليها الأوقاف للإنفاق عليها .

وقامت قاعات السلاح بالمدينة بصناعة ما تحتاج إليه من أسلحة مختلفة لسد إحتياجات الدفاع عن المدينة وحمايتها من غارات القراصنة الصليبيين وهذا الأمر تميزت به الإسكندرية عن غيرها من المدن المصرية لذا أطلق عليها النويري السكندري بالمدينة الحصينة .

تخدم التجارة والتجار ، وتنوعت هذه العمائر التجارية من الأسواق والفنادق والقيساريات ، والوكائل ( الوكلات ) ، والخانات .

الأسواق : جمع سوق ، وهو عبارة عن شارع ذو إتساع معين على جانبيه أفريزان للمارة وتصطف الدكاكين على جانبي الشارع وفي الغالب تقع الأسواق بوسط

---

(١) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٢١-٤٢ .
(٢) المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ، ص٢٨٦ .
(٣) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٥٤ .
(٤) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٩ ، ص١٩٩-٢٠٠ رقم٤٩٢ .

المدينة لسهولة الوصول إليها من جميع أطراف المدينة ، فيما تسمى القصبة أو المحجة، أي قلب المدينة [١] .

والوحدة المعمارية الأساسية للأسواق هي الحانوت أو الدكان ، وهو عبارة عن بناء مربع أو مستطيل ويوجد أمامه مصطبة عالية عن أرض الشارع ليعرض عليها التاجر بضائعه التي يريد بيعها [٢] .

ووجد في الإسكندرية في تلك الفترة العديد من الأسواق والتي تميزت بالتخصص في سلع معينة ، مثل سوق العطارين وهو متخصص في تجارة التوابل أو الكارم وسمى بشارع الفلفل [٣] ، وسوق الصاغة والشماعين [٤] وسوق الوراقين ، وسوق الجوار وهو خاص ببيع الاماء والجواري ويقع بجوار سوق العطارين أو يمثل جزء منها [٥] ، وسوق الخشابين [٦] ، وسوق الحدادين [٧] ، وسوق السلاح وسوق البزازين وسوق السمك [٨] ، وسوق النجارين ويقع بناحية زقاق المسك [٩] ، وسوق الصرافين ، وسوق الفاكهانية [١٠] .

القياسر [١١] : جمع قيسارية من العمائر التجارية التي وجدت بالإسكندرية ، وغيرها

---

(١) محمد عبد الستار عثمان ، المدينة الإسلامية ، ص٢٥٨ ؛ آمال العمري المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار – جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص١٨ ؛ أضواء على المنشآت التجارية في مصر المملوكية ، مجلة كلية الآثار ، ١٩٧٨ ، ص٦٩ ؛ قاسم عبده قاسم ، أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص٣ ؛ دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ، ص٣٥-٣٦ ؛ الشيخ الأمين محمد ، أسواق القاهرة ، منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك ، دكتوراه ، كلية البنات جامعة عين شمس ، ١٩٨١ ، ص٢٧٠ ؛

Weit (G) et Raymond (Andre),les marches du Caire , le Caire, 1979 , P.16.

(٢) رفعت موسى محمد ، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص٦٥-٦٦ .

(٣) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٦٦ ، جـ٤ ص٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ؛ كتاب ألف ليلة وليلة ، جـ٤ ص١٤٤ ؛ صبحي لبيب ، تاريخ تجارة الإسكندرية ص١٧ .

(٤) النويري السكندري ، نفسه ، جـ٢ ص١٧١ .

(٥) كتاب ألف ليلة وليلة ، جـ٤ ص١٤٥ ؛ النويري السكندري ، نفسه ، جـ٢ ، ص١٦٦ .

(٦) النويري ، نفسه ، جـ٢ ص١٦٦ .

(٧) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون ، سطر ٧٠ ، ٧٢ .

(٨) النويري ، الإلمام ، جـ٦ ، ص٤٠٣ ، نسخة الهند المخطوط ، لوحة ٢٠٥ ب .

(٩) وثيقة الناصر محمد بن قلاوون ، سطر ٣٣ ، ٤٣ ، ص٤٣١ ، ٤٣٢ .

(١٠) كتاب ألف ليلة وليلة ، جـ٤ ص١٤٤ .

(١١) القيسارية ، أصلها لاتيني Caesarea وهو مشتق من اسم قيصر Cesar أو قيصرية Cesarie وتحرف الاسم من قيصر مع مرور الزمن إلى قيسارية ، انظر :-

Dozy , Supplement , Tome . 2, P.432 ; Encyclopaedia of Islam , art «Kaisariya», v01 .2 , PP.700-701 ,

صالح لمعي مصطفى ، التراث المعماري الإسلامي في مصر ، ص٧ ؛ نعيم زكي فهمي ، طرق =

من المدن التجارية ، وهي عبارة عن بناء مربع أو مستطيل المساحة بوسطه صحن أو فناء سماوي يدور حوله الحوانيت ، ولهذا البناء مدخل واحد أو عدة مداخل بحسب موقعه ، ويتراوح عدد الحوانيت داخل القيسارية الواحدة ، ما بين ٣٠ إلى ٤٠ حانوت ، وبعض القياسر كانت مسقوفة حيث يبنى فوقها الرباع لسكن التجار ، أما التي لا يبنى فوقها مساكن فتكون مكشوفة الحوش (١) .

وتستخدم القياسر كسوق بيع بالجملة ، ويوجد لكل فئة من التجار أو الصناع مكان خاص بهم ، أي أنها أسواق متخصصة في سلعة معينة (٢) .

وعادة ما يلحق ببعض القياسر ميضأة للوضوء تشتمل على حوض ومراحيض ، وبيت برسم الاغتسال والوضوء ، وبئر ماء معين ، وفي الغالب تغلق القياسر ليلاً ويقوم على حراستها حارس أو حارسان (٣) .

ووجد بالإسكندرية العديد من القياسر والتي تخصصت في بيع نوعاً معيناً من السلع منها قيسارية العجم (٤) أو الأعاجم (٥) وهي مخصصة لبيع القماش الحرير ، وذكرت باسم سوق العجم أو سوق الأعاجم(٦)،وقيسارية الغزل(٧) وقيسارية النشا (٨) والقيسارية

=التجارة الدولية ، ص٢٩٥-٢٩٦ . ويرى البعض أنها جاءت من البازيليكية أي الكنيسة ذات الأروقة الثلاثة أوسعها الرواق الأوسط من الرواقين الجانبيين ، وهذا الاسم يطلق على الأسواق القائمة في وسط المدينة التي تحف بها البوائك والتي تحولت في المصطلح الدارج إلى قيسارية . سعد زغلول عبد الحميد ، العمارة والفنون في دولة الإسلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٦ ص٢٠٩ ويتفق الباحث مع رأي الدكتور سعد ، ونلاحظ أن الإسكندرية عرفت القيسارية قبل الفتح الإسلامي ، وذلك نسبة إلى معبد بطلمي يعرف باسم "معبد القياصرة " وأكمل بناءه الإمبراطور الروماني أغسطس ، ثم تحول إلى كنيسة وسميت قيصرية وتقع في قلب مدينة الإسكندرية ، وأشار ابن عبد الحكم إلى أن مسجد سليمان عند اللبخات بالقيسارية " والذي أصبح يسمى بعد ذلك باسم جامع العطارين لوقوعه بسوق العطارين ، انظر : ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص٦١ ؛

Pollia , Alexandrie aux preniers siécles chrishianisme , PP.16-17 ; Gascou, les Églises d'Alexandrie , PP.38-39 .

(١) آمال العمري ، المنشآت التجارية ، ص١٠٧ ؛ أضواء على المنشآت التجارية ، ص٦٧ ؛ صالح لمعي مصطفى ، التراث المعماري الإسلامي في مصر ، ص١٢٢ ؛ رفعت موسى ، الوكالات والبيوت الإسلامية ، ص٣٩-٤٠ ؛

Raymond , les marches , P.241 .

(٢) آمال العمري ، المنشات التجارية ، ص١١٨ .

(٣) رفعت موسى ، الوكالات ، ص٤٠ .

(٤) ابن الجزري ، تاريخ ابن الجزري ، جـ٢ ص١٨٧ ؛ ابن رشيد ، رحلة ابن رشيد ، ص٩-١٠

(٥) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون ، سطر ٧٣ ؛ النويري السكندري ، جـ٢ ص١٦٦ .

(٦) كتاب ألف ليلة وليلة ، جـ٤ ص١٥٢ .

(٧) المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، جـ٣ رقم ٣١٤٠ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ، ص١٢١ رقم ٩٣ .

(٨) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون ، سطر ٧٢ .

الجوكندارية المعروفة بسكن الصوافين (1) وقيسارية البزازين (2) .

الفنادق : جمع فندق من العمائر التجارية ، وهو مأخوذ من الكلمة اليونانية pandnkéium ثم نقلت إلى اللغة الإيطالية Fondachi وهي عبارة عن مبان كبيرة ، مربعة الشكل مكونة من عدة طوابق ، مظهرها مظهر القصر الحصين ، وبها فناء داخلي يجرى به عمليات فك البضائع وربطها ، وهي أجمل ما في الإسكندرية من مبان ، ويشغل الطابق الأرضي مخازن ذات قباب وعقود ، وفي الأدوار العليا مساكن للتجار (3) ويجد فيها التجار الأمن والحماية ، وهذه الفنادق اشتملت على قاعة تستخدم كديوان لعقد الاتفاقيات بين تجار الكارم والأجانب ، وتعقد به الصفقات التي تتخذ الصفة الرسمية ، لذا اعتبر الفندق بمثابة بورصة تجارية (4) والحق بهذه الفنادق عدة مبان خدمية مثل الحمام والفرن والكنيسة (5) .

والفندق يعد هبة من الدولة للأجانب وفقاً للاتفاقيات المعقودة بين الدولة المملوكية والدول الأوروبية (6) .

وذكر بنيامين التطيلي أنه وجد في الإسكندرية جاليات لثلاثين دولة في الإسكندرية لكل منها فندق مما يوضح كثرة الفنادق الخاصة بالأوروبيين في الإسكندرية .

ويذكر هايد أن البنادقة لهم فندقين ، ولكل من الجنوبيين والبيزيين فندق واحد ، وللفلورنسيين فندق وفندق لكل من الأنكونيين والباليرميين ، وللنابوليين فندق وغيرهم(7) ، وبلغ من شهرة فنادق الإسكندرية المعمارية أن الجمهوريات الأجنبية كانت تبني الفنادق في بلادها على طراز فنادق دول الفرنج في الإسكندرية ، مثال ذلك ، بنت البندقية فندق الألمان في أواخر العصور الوسطى على طراز فندق البنادقة بالإسكندرية(8) ، الأمر الذي يوضح ما تمتعت به فنادق الإسكندرية من شهرة كبيرة ومكانة مرموقة مما تعد تأثيرها في العمائر التجارية في البندقية نفسها وأصبحت تقلد

---

(1) نفسه سطر ٤٤ ، ٤٥ .

(2) النويري السكندري ، نفسه ، جـ٢ ، ص١٧١ ؛ درويش النخيلي ، طبوغرافية مدينة الإسكندرية ، ص٦٧ .

(3) هايد، تاريخ التجارة، جـ٣ ص٣٠٣؛ نعيم، طرق التجارة ، ص٢٨٨ ؛ آمال العمري ، المنشآت التجارية ص١٣٩ ؛ أضواء على المنشآت التجارية ، ص٦٨ ؛ الأشقر ، تجار الكارم ، ص٢٠٦ ؛ Dozy , Supplement 2 , P.284 ; Raymond , les Marches du Caire , PP.140-144

(4) صبحي لبيب ، سياسة مصر التجارية ، ص١٣٧-١٣٨ ؛ التجارة الكارمية ، ص١٢ ؛ الفندق ص٢٩٢ ؛ رفعت موسى ، الوكالات والبيوت ، ص٤٨ ؛

Letts , The Pilogrimage , P.96 .

(5) صبحي لبيب ، الفندق ، ٢٩٢-٢٩٣ .

(6) اشترطت العديد من الاتفاقيات التي عقدها دولة المماليك مع الدول الأوروبية توفير فندق للجالية الأوروبية ، وهي دليل أيضاً على وجود علاقات دبلوماسية إلى جوار العلاقات التجارية ، ويمثل الدولة الأجنبية قنصل مسئولاً عن مصالح بلده لدى سلطنة المماليك ، لمزيد من التفاصيل انظر :- صبحي لبيب ، الفندق ، ص٢٨٧-٣٠٥ .

(7) هايد ، تاريخ التجارة ، جـ٣ ص٣٠٤-٣٠٥.

(8) صبحي لبيب ، الفندق ، ص٢٩٢ .

العمائر التجارية في الإسكندرية وبخاصة الفنادق .

بالإضافة إلى وجود فنادق الجاليات الأجنبية في الإسكندرية، فوجد بالإسكندرية الكثير من الفنادق التي يمتلكها كبار تجار الإسكندرية، مثل فندق الدماميني والذي يقع في سوق الجواري بحي المرجانيين بالإسكندرية[١] ، وفندق الجوكندار[٢]، وفندق جمال الدين عبد الله بن حسن[٣]، وفندق الموزة أو الموز في شارع المرجانيين[٤] .

ووجدت بالإسكندرية الفنادق المتخصصة في نوع محدد من السلع ، مثل فندق الحرير المخصص لتجارة الحرير [٥] ، وفندق الطيبة ، وتعني تجارة الطب والعطور ، وأطلق هذا الاسم على نوع التجار الذين تخصصوا في الطب والعطور [٦] ، وفندق البيض والقصب ويقع بشارع المحجة إلى جوار المدرسة العوفية [٧] ، فندق الشيرج ويقع بناحية زقاق إلمسك [٨] ، وهذان الفندقان كانا وقفاً على خانقاة سرياقوس التي أنشأها الناصر محمد بن قلاوون ، ولحسن الحظ أن الوصف المعماري لهذين الفندقين تحتفظ بهما وثيقة وقف الناصر محمد [٩] .

ومن العمائر التجارية في الإسكندرية الوكالات أو الوكائل ، ومفردها وكالة [١٠] ، وهي تطلق على تلك العمائر التي أعدت لتكون سكناً للتجار الشرقيين ، ولحفظ بضائعهم، وترى الدكتورة آمال العمري أن كلمة وكالة لم تطلق إلا على المنشآت التجارية المصرية فقط [١١] .

ويبدو مما وصلنا من حجج وقف بعض الوكالات في الإسكندرية في العصر العثماني ، أن الوكالات تشبه القياسر والفنادق في التخطيط المعماري والوظائف التجارية [١٢] .

---

(١) النويري ، نفسه ، جـ٢ ص١٦٦ ؛ أحمد عبد الحميد خفاجى ، طبقة التجار ، ص٦٨ .
(٢) النويري السكندري ، نفسه .
(٣) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون ، سطر ٤٤ .
(٤) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٧١ ، جـ٤ ، ص٤٢ .
(٥) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون ، سطر ٥٥-٥٦ .
(٦) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ، ص١٦٦ ؛ محمد عبد الغني الأشقر ، ص٢٠٩ .
(٧) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون ، أسطر ١٥-٢٨ .
(٨) نفسه ، أسطر ٢٩-٤٠ .
(٩) تعد هذه الوثيقة النادرة من أهم الوثائق التي تحدد المعالم المعمارية للفنادق المتخصصة في العصر المملوكي ، ويرجع ذلك إلى اندثار هذا النوع من العمائر التجارية بحيث لم يعد منه ما يمكن الاستدلال على ما هيته ، لذا فعلى الأثريين الرجوع إليها لمعرفة التخطيط المعماري للفندق ؛
(10)Dozy , Supplement , 2 , P.432 .
(١١) آمال العمري ، المنشآت التجارية ، ص١٦٨ ؛ أضواء على المنشآت التجارية ، ص٦٩ ؛ رفعت موسى ، الوكالات والبيوت الإسلامية ، ص٥٢ .
(١٢) أمدتنا وثائق الوقف أرقام ٢٧٥١ ، ٢٣٨٣ ، ٢٣٨٤ ، قديم المحفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة بعدة وكالات بالإسكندرية بعضها مندثر وبعضها باق ، ثلاث وكائل باسم إبراهيم تربانة ، ووكالة مصطفى باشا الغزى ووكالة الوزير سنان ، ووكالة الشيخ حمزة، ووكالة عبد الباقي جوربجي، وقد نشر الدكتور عوض عوض العديد من هذه الوثائق في دراساته، مثل الآثار والأملاك=

وأمدتنا المصادر التاريخية المعاصرة باسم وكالة واحدة بالإسكندرية في العصر المملوكي ، وهي وكالة الكتان ، وهي متخصصة في بيع الكتان الذي قامت عليه صناعة النسيج في الإسكندرية ، وتقع هذه الوكالة في مقابلة الجامع الجيوشي أو العطارين (١).

ومن العمائر التجارية بالإسكندرية الخانات ، ومفردها خان ، وهي لفظة فارسية وتركية وتعني الحانوت أو الدكان (٢) ، وكانت تبني في داخل المدن وخارجها ، وأغلبها كانت تبني خارج المدن على الطرق التجارية لإيواء المسافرين أثناء عبورهم الطرق ذهابا وإيابا ، وكانت تلك الخانات تدعم بابراج للمراقبة منعاً من الاعتداء عليها (٣) .

وبنى في الإسكندرية قجماس الإسحاقي نائب المدينة خاناً لإيواء من يصل من المسافرين إلى الإسكندرية بعد الغروب خارج باب رشيد نظراً لغلق أبواب المدينة مع الغروب (٤) .

يتبين لنا مما سبق أن الازدهار التجاري الذي نعمت به الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك تطلب بناء العديد من العمائر التجارية لخدمة التجار والتجارة حيث كثر التجار بالإسكندرية من أجل التجار الأمر الذي تتطلب وجود مكان آمن ينزلون به ويخزنون بضاعتهم به ويعقدون به الصفقات التجارية مع التجار الآخرين .

ويتضح لنا مدى اهتمام دولة المماليك من إقامة الفنادق لنزول التجار الأوروبيين بالإسكندرية الذين كثروا بالإسكندرية حتى وصل عدد الجاليات الأوروبية بها أكثر من ثلاثين جالية مما لم يوجد في القاهرة عاصمة الدولة .

العمائر الادارية :-

تنوعت العمائر الإدارية الخاصة بالإدارة المملوكية في الإسكندرية ، وهي مباني حكومية ملك للدولة ، مثل دار السلطنة ، ودار النيابة ودار العدل ، وبيت المال دار ضرب العملة ، دار الطراز ، ديوان الخُمس وغيرها من العمائر الخاصة بإدارة ثغر الإسكندرية .

دار السلطنة أو دار السلطان ، وهي عبارة عن قصر ضخم يقع عند السور الغربي

---

=المعمارية لعبد الباقي جوريجي ، القاهرة ، ١٩٩٣ ؛ مسجد الحاج إبراهيم تربانة بالإسكندرية (١٠٩٧هـ/١٦٨٥م) ؛ وكالة الحاج عبد الباقي جوريجي بالإسكندرية ١١٧١هـ/١٧٥٨م ؛ وكالة جديدة في ضوء وثيقة الحاج إبراهيم بن عبيد المسراتي ، نشرت الأبحاث الثلاثة الأخيرة ، في مجلة كلية الاداب بسوهاج ، جامعة أسيوط ( وقتئذ ) العدد ١٦ ، يونيو ١٩٩٤ ، ص٢٧٩-٣٠٩ ، ص٣٥٥-٣٨٢ ، ص٤٩٩-٥٦٥ بالترتيب .

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ، ص١٦٦ .

(٢) الجواليقي ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، ص٢٣٩ ؛ طوبيا العنيسي ، تفسير الألفاظ الدخيلة ص٢٣ ؛ السيد أدي شير ، الألفاظ الفارسية المعربة ، ص٥٨ ؛ رفعت موسى، الوكالات ، ص٢٥ ؛ أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، ص١٢٤ ؛ حسن الباشا ، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية ، ص١٤٥ .

(٣) آمال العمري ، أضواء على المنشآت التجارية ، ص٦٨ ؛ المنشآت التجارية ، ص١٤٦ .

(٤) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٦ ص٢١٣ ؛ أحمد عبد الحميد خفاجي ، طبقة التجار ، ص٦٨.

للإسكندرية ومجاوراً للجامع الغربي ( عمرو بن العاص ) ،وباب الخوخة [١] وتقع هذه الدار في بعض مصورات الرحالة الغربيين باسم الحصن القديم Chateau Vieil ويذكرونه أيضاً في كتاباتهم [٢] .

ويرجع ابن شاهين الظاهري أنشاءها إلى المقوقس آخر حاكم بيزنطي لمصر ، ثم جوهر الموتفكي ثم جددها صلاح الدين بن أيوب ووضع اسمه عليها ثم جددها الملك الناصر فرج بن برقوق ثم جددها خليل بن شاهين الظاهري نائب الإسكندرية ، وتطل هذه الدار على الميناء الغربي للإسكندرية ، وجرت العادة إلا يسكنها إلا السلاطين [٣] .

وذكر ابن بطوطة أن أبو يحيى زكريا بن أحمد بن أبي حفص المعروف باللحياني ، سلطان دولة الحفصيين اللاجئ السياسي بالإسكندرية في عهد محمد بن قلاوون سكن هذه الدار بإذن الناصر محمد بن قلاوون فترة لجوئه في الإسكندرية [٤] .

وسكنها نائب الإسكندرية خليل بن شاهين فترة نيابته لها في عهد الأشرف برسباي بسبب أنه تزوج من أخت زوجه السلطان – أى عديله – التي تعد مكانتها من مكانة زوجه السلطان لذا سكنه بدار السلطنة بالإسكندرية [٥] . وقدم لنا ابن شاهين وصفاً رائعاً لهذه الدار فذكر ان " بها دور متسعة وهي عجيبة من عجائب الدنيا ، وبها دار عظيمة وبها تخت الملك قيل أنه لم تعمر دار أوسع منها ... وبها من الأعمدة الرخام الملونة والقياع المفروشة بالرخام الملون والأماكن المزخرفة والبساتين الحسنة " [٦] ويضاف " ونصبت بها سبعة بشاخين ملونة عجيبة ، ومن الأمتعة الفضة ، والبلور والتخوت المفضضة والأقمشة المذهبة ، والأمتعة العجيبة والحشم والخدم ، والطواشية ... إلى أن صارت هذه الدار مزخرفة ... وأنشأت بها اصطبلاً ومقعداً متسعاً ... " [٧] .

ومن العمائر الإدارية بالإسكندرية " دار الأمارة وهي مسكن ولاة الإسكندرية [٨] ثم أصبحت سكن نواب الإسكندرية وسميت دار النيابة [٩] وهي تطل أيضاً على الميناء الغربي للإسكندرية [١٠] وذكر القلقشندي أن موكب نائب الإسكندرية يخرج من هذه الدار إلى خارج باب البحر ثم يعود إليها مرة أخرى [١١]

---

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٦ ص١٨ .

(٢) النخيلي ، طبوغرافية مدينة الإسكندرية ، ص٤٨-٤٩ ؛

Albret ( 1634 ), PP.95 , 165-166 .

(٣) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك ، ص٤٠ ، وذكر أنه رأى اسم صلاح الدين منقوشاً عليها ، انظر: كشف الممالك ، ورقة ٥٥ ب .

(٤) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٤٠ .

(٥) ابن شاهين ، زبدة ، ص٤٠ ، كشف الممالك ، ورقة ٤٣ أ .

(٦) ابن شاهين ، زبدة ، ص٤٠ .

(٧) ابن شاهين ، كشف الممالك ، ورقة ٤٣ أ .

(٨) يذكر الكندي أن عتبةبن أبي سفيان قد بناها في عام٤٤هـ، انظر: كتاب الولاة والقضاة، ص٣٦

(٩) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٣ ص ٣٧٠، ٤٠٣

(١٠) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٠١ .

(١١) القلقشندي ، صبح ، جـ ٣ ص ٣٧٣

ومن العمائر الإدارية أيضاً " دار العدل " وتقع هذه الدار بين السورين من الناحية الشمالية بجوار باب البحر [1] ، وهي عبارة عن دار للقضاء ورد المظالم ، وتذكر المصادر المعاصرة في حوادث عام ٦٦١هـ/١٢٦٣م أن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري جلس بها ورد مظالم ومنع النساء الفرنجيات التي يعملن في مجال الدعارة من ممارسة هذه المهنة في الإسكندرية[2] .

ولكن النويري السكندري يذكر أن الأمير سيف الدين بكتمر الشهير بالوشاقي هو الذي بنى هذه الدار أيام ولايته وذلك ضمن حديثه عن أسباب حملة القبارصة بحادثة عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م [3] .

والعمائر الإدارية في الإسكندرية " دار الضرب " ويقصد بها دار ضرب العملة أو دارسك العملة ، وتعد دار الضرب الوحيدة في مصر قبل الفتح الإسلامي [4] واستمرت بعد الفتح في سك النقود ، وأن كانت العملة التي تسك بها في تلك الفترة لا تذكر بها الإسكندرية واكتفى بذكر اسم مصر [5] .

وبدأ يظهر اسم دار ضرب الإسكندرية في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في عام ٤٣٥هـ/١٠٤٣م [6] .

وفي عهد الخليفة الفاطمي الامر بأحكام الله تعد واحدة من أربع دور لضرب العملة في مشاركة القاهرة والفسطاط وقوص [7] واستقر الحال في العصر الأيوبي على مصر وجود دارين لضرب العملة ، بالقاهرة والإسكندرية [8] .

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، ج٦ ، ص١٣ .

(٢) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص٣٦٠ .

(٣) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ، ص٩٩-١٠١ .

(٤) إبراهيم نصحي ، مصر في عصر الرومان ، كتاب الحضارة المصرية ، جـ٢ ، ص١٤٢ ؛ نعمت علام ، فنون الشرق الأوسط في الفترات الهلنسيتة ، ص٣٤ .

(٥) عبد الرحمن فهمي ، دراسات في السكة في مصر الإسلامية ، رسالة دكتوراه ، ص٢٢٠ ؛ مجموعة النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ، ١٩٦٤ ص٤٣ ؛ النقود العربية ماضيها وحاضرة، ص١٨ ؛ صفاء حافظ المواني والثغور ، ص١٣٩ ؛ سهام محمد المهدي ، دار ضرب الإسكندرية ونقودها الإسلامية من الفتح العربي وحتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، رسالة دكتوراة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص١-٢ .

(٦) مايسة محمود داود ، المسكوكات الفاطمية ، ص١٥-١٧ ، ٣٧٤-٣٧٨ ؛ سهام المهدي ، دار ضرب الإسكندرية ، ص١٥-١٧ ؛

Miles, Fatimid Coins , New York ,1950, PP.50-51; lane-pool, catalogue of Arabic coins preserved in the khedivial library in Cairo , Cairo ,1984, P.181.

(٧) ابن المأمون البطائحي ، أخبار مصر ، ص٣٨ ؛ ابن ميسر ، أخبار مصر ، ص٩٢ ؛ ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية الزاهرة ، ص٣٣-٣٤ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص٩٤ ؛ الخطط ، جـ٢ ، ص٢٥٠-٢٥١ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٣ ص٣٤٨ ، ٤٣٩ .

(٨) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٣٣١ ؛ المخزومي ، المنهاج في علم خراج مصر ، ص٣٠-٣١ ؛ النابلسي ، لمع القوانين المضيئة ، ص٥٢-٥٣ ؛ ابن بعرة ، كشف الأسرار العلمية=

وازدهرت دار ضرب الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك ، بسبب كثرة جمل التجار الأوروبيين لمعدن الذهب والفضة والنحاس إلى الإسكندرية ، حيث يتم ضرب هذه المعادن إلى عملة ، وظل دار ضرب الإسكندرية تعمل حتى عام ٨٢٣هـ/١٤٢٠م في عهد المؤيد شيخ [١] . ووصلتنا عن هذه الدار عشرات النماذج من الدينار والدراهم والفلوس .

ومن أهم العمائر الإدارية في الإسكندرية " دار الطراز " وهي تمثل مصانع النسيج الرسمية التابعة للدولة وتنتج ما تحتاجه الدولة من الملابس والأقمشة والخلع الخاصة بالسلطان والوزراء والأمراء وأرباب الوظائف والهدايا التي ترسل إلى حكام الدول الأخرى ، وتقع هذه الدار بين السورين بجوار باب البحر في السور الشمالي للإسكندرية وزارها الأشرف شعبان أثناء زيارته للإسكندرية وقدم لنا النويري السكندري وصفاً رائعاً لصناعة النسيج بهذه الدار [٢] .

ومن العمائر الإدارية بالإسكندرية " دار الصناعة " ووجد بالإسكندرية داران لصناعة السفن أحدهما دار الصناعة الشرقية على الميناء الشرقي ، ودار الصناعة الغربية على الميناء الغربي ، وتعرضت هاتان الداران لتدمير أثناء حملة القبارصة ، ثم عادتا إلى سابق عهدهما وجهزت بهما السفن التي استولت على جزيرة قبرص في عهد الأشرف برسباي ، وجزيرة رودس في عهد الظاهر جقمق .

يتضح لنا أن الإسكندرية توفرت لها مجموعة من العمائر الإدارية التي تميزها عن غيرها من المدن المصرية في تلك الفترة فوجد بها دار السلطان وهي خاصة بالملوك والسلاطين ، وكذلك دار لحاكم المدينة أطلق عليها دار الأمارة ثم عندما أصبحت الإسكندرية نيابة أطلق عليها دار النيابة ، كما وجد بالإسكندرية دار تمثل السلطة

---

=تحقيق عبد الرحمن فهمي ، ص٣٠ ؛ حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص٤٩ ؛ إبراهيم جابر الجابر، النقود العربية والإسلامية في متحف قطر الوطني ، الدوحة ، ١٩٩٢ ، أرقام ٢٨٢٨ ، ٢٨٧٢ ، ٢٨٧٥ ؛ رأفت محمد النبراوي ، النقود الإسلامية منذ القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري ، زهراء الشرق ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص٨٦-٩١؛ سامح عبد الرحمن فهمي ، المسكوكات والقيم النقدية في وثائق المماليك البحرية في مصر ، رسالة دكتوراة ، كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٩٨٠ ص٣٢٣، ٣٣٧ ؛ الوحدات النقدية المملوكية ، جدة ١٩٨٣ ص٣١، ٣٢ ، ٢٣٢؛
Lavoix , catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliotheque Nationale , vol , 111 Egypte et Syrie , Paris , 1896 , No 451 , Pl.V ; Balog , The coinage of the Ayyu bids , London , 1980 , No . 235 ; Lane – Pool , catalogue of Arabic , No. 1316 , 1317 , 1318 , 1321 , B23 , 1325 ,

(١) رأفت النبراوي ، مسكوكات المماليك الجراكسة في مصر ، دكتوراة ، آثار القاهرة ، ١٩٨١ ، ص٥٣؛ السكة الإسلامية في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ١٩٩٦، ص٦٧؛
Balog, the coinage of Mamluk Sulatans of Egypt and Syria, NewYork, 1964, PP.50-51.

(٢) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٦ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص١٧٠ ؛ القلقشندي ، صبح ، جـ٣ ص٤٧٢ ، ٥٢٧ .

القضائية وهي دار العدل [1] .
وتميزت الإسكندرية في العصر المملوكي بوجود داراً للطراز وهي مصانع حكومية لنسج القماش الخاص بالدولة – والتي استمرت في العمل منذ العصر البطالمي – بل تعد دار الطراز الوحيدة في مصر وقتئذ بعد تدهور دور الطراز في منطقة شمال شرق الدلتا في دمياط وتنيس وبونه وشطا وغيرها من مراكز النسيج في مصر .
فضلاً عن ذلك وجد بالإسكندرية داراً لسك العملة تعادل دار ضرب القاهرة والتي أنتجت العديد من النقود الذهبية والفضية والنحاسية والتي ظلت في العمل حتى عهد السلطان المؤيد شيخ .
ووفر للإسكندرية وجود ميناءين من قيام ترسانة قوية لصناعة السفن الحربية التي تحتاجها دولة المماليك في حماية سواحلها بل وغزو القوى المعادية في عقر دارها كما فعل مع جزيرتي قبرص ورودس .
العمائر الدينية والعلمية :-
تحتل العمائر الدينية والعلمية المقام الأسمى بين العمائر الإسلامية سواء من حيث كثرة العدد ودرجة الحفظ وجمال الزخرف ومهارة الصنعة ومدى الفخامة .
وتنقسم هذه العمائر إلى أنواع عدة منها المساجد والمدارس والخانقاوات والأضرحة فضلاً عن الرُبط التي تجمع بين الوظيفة الدينية والوظيفة الحربية [2] .
تعد المساجد حجر الزاوية في العمارة الدينية ، واهتم بها المسلمون اهتماماً كبيراً ووجد بالإسكندرية حسبما ذكر المؤرخون عشرون ألف مسجد [3] ، وعلى الرغم من المبالغة في هذا العدد فإنه يدل بوضوح على مدى اهتمام أهل الإسكندرية ببناء المساجد
واشتهر من مساجد الإسكندرية في العصر المملوكي مسجدان ، أطلق عليهما مصطلح المسجد الجامع وهما جامع عمرو بن العاص ويعرف بالجامع الغربي ، وجامع العطارين أو الجيوشي ، ويطلق عليه الجامع الشرقي [4] .
ويعد جامع عمرو بن العاص أول مساجد الإسكندرية بناه عمرو بن العاص وهدمه الحاكم بأمر الله الفاطمي في عام ٣٩٤هـ/١٠٠٤م [5] ، ثم أعاد صلاح الدين بن أيوب بناءه في عام ٥٧٧هـ/١١٨١م [6] .
وهو مسجد ضخم مربع الشكل يشتمل على أربعة أواوين ، يضم إيوان القبلة ٢٩ بلاطة

---

(١) نفسه ، جـ٢ ص١٧٧ ؛ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٣٤٠ .
(٢) حسن الباشا ، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية ، ص٨٤ .
(٣) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٤١؛ الهروي ، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات ، ص٤٧-٤٨ ؛ ابن الوردي ، خريدة العجائب ، ص٢٦؛ ابن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك، ص٤٠ ؛
(٤) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ، ص٤٠ ؛
Combe , Notes sur les forts d'Alexandrie , P.99 .
(٥) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ، ص٤٩ ؛ الشيال ، تاريخ مدينة الإسكندرية ، ص٥١ .
(٦) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، جـ٢ ، ص٥٠٤ ؛ النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ، ص٣٨؛ المقريزي ، السلوك ، جـ١ ، ص٧٦ .

تقطعها خمسة أساكيب ، وبين كل عقدين من عقود واجهات الصحن سرة زخرفية ويتوسط صحن الجامع قبة للوضوء تحيط بها أحواض مقسمة تقسيماً هندسياً ، تكسوها بعض الزهور (١) ، وتبلغ أبعاد وجهات المسجد ١١٧م x ١٢٦م ، مما جعل مساحته تبلغ ١٤,٧٤٢ متر مربع (٢) .

ويعلو جدران المسجد شرفات مسننة الشكل ، ويدور بأعلى جدران المسجد نوافذ معقودة ، وللجامع مئذنة من ثلاث طوابق ، الأدنى مثمن ينتهي بشرفة بارزة قائمة على مقرنصات ، وتنفتح في كل ضلع من المثمن نافذة معقودة . أما الطابق الثاني فمثمن أيضاً أصغر حجماً وأقل ارتفاعاً من الطابق الأدنى ، وينتهي من أعلى بشرفة ثانية من الحجارة قائمة على مقرنصات ، وتنتهي المئذنة بطابق إسطواني الشكل تتوجه قبة مضلعة مسحوبة من أعلى ، مما يدل على أنها أقيمت في العصر المملوكي (٣) .

والجامع الثاني هو جامع العطارين أو الجيوشي ويعرف بالجامع الشرقي تميزاً عن جامع عمرو بن العاص المعروف بالجامع الغربي ، جدد هذا الجامع بدر الجمالي وسجل ذلك على لوحة رخامية في عام ٤٧٧هـ/ ١١٨٤م (٤) .

ويأخذ هذا الجامع أيضاً الشكل المربع وأبعاده ٥٤ متر x ٦٢ متر أي مساحته ٣٣٤٨ متر مربع (٢) ويشتمل هذا الجامع على أربعة أواوين أكبرهم إيوان القبلة ، ويتوسطه صحن مربع الشكل ، يضم روضة مزروعة (٣) ، وفيه يقول النويري السكندري (٥) :-

حوى روضة خضراء في وسط صحنه فأصبح ذاك الروض ريان مترعا

وتجدر الإشارة إلى أن عمارة هذين المسجدين تأثرت بمؤثرات أندلسية من حيث التخطيط المعماري من وجود الإيوانات الأربعة وجود الصحن وسط هذه الإيوانات ، فضلاً عن زراعة هذا الصحن وغرس الأشجار به وهو تقليد متبع في مساجد المغرب والأندلس كما يظهر في جامع قرطبة الذي أسسه عبد الرحمن الداخل عام ١٦٩هـ/٧٨٦م الذي عهد إلى عبد الله بن صعصعة بن سلام صاحب الصلاة بالمسجد بأن يغرس صحنه بالأشجار (٦)

---

(١) كتاب وصف مصر ، جـ١٩ ، اللوحة ٣٧ ؛ عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص٤٧٢ .
(٢) جراتيان لوبير ، دراسة عن مدينة الإسكندرية ، كتاب وصف مصر ، جـ٣ ، ص٣٠٨ .
(٣) انظر الشكل رقم في نهاية الدراسة .
(١) حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ ، ص٦١ ؛
Weit , Repertoire chronologique , t . 7 , P.225.
(٢) لوبير ، دراسة عن الإسكندرية ، وصف مصر ، جـ٣ ، ص٣٠٨-٣٠٩ .
(٣) وصف مصر ، جـ١٩ ، اللوحة ، ٣٨ ، ٣٩ .
(٤) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ، ص٤٥ ؛
Combe, Notes de topographie et d'histoire Alexandrine , P.133.
(٥) عبد العزيز سالم ، المساجد والقصور بالأندلس ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص١٩ ؛ بعض التأثيرات الأندلسية في العمارة المصرية الإسلامية ، مجلة المجلة العدد ١٢ ، ديسمبر ١٩٥٧ ، ص٨٨-٩٩؛ من جديد حول التأثيرات الأندلسية في العمارة المصرية الإسلامية ، ص٦٢٩ .

كما كان صحن جامع أشبيليه الذي يصفه ابن سعيد بالبستان ، يزهو بأشجار البرتقال التي تعطره وقت الأزهار وتشعله بقناديلها الحراء وقت ، ولهذا عرفه الأسبان المحدثون باسم " فناء البرتقال " El patio deles Noranjos ، ولقد سمح المجتهدون من فقهاء الأندلس بغرس الصحن في الجامع بناء على مذهب الإمام الأوزاعي مذهب أهل الشام (١) .

وتجدر الإشارة أيضاً إلى تأثير منار الإسكندرية في بناء المآذن لمساجد الإسكندرية وبخاصة مئذنتي جامع عمرو بن العاص وجامع العطارين ، وكذلك المآذن في بلاد المغرب والأندلس من حيث التخطيط المعماري (٢) .

ومن العمائر الدينية الأضرحة وتسمى أيضا قبة أو تربة ، وهو البناء الذي يقام على رفات ولي أو حاكم ويوضع فوق القبر تركيبه من الخشب المنقوش أو من الرخام أو الحجر ، وأغلب ما كانت تبنى الأضرحة على شكل قبة أو أبراج إسطوانية ذات سقف مخروطي (٣) .

وتتكون الأضرحة من أربعة تكوينات معمارية متطابقة لكل منها وهي عبارة عن ، فساقي الدفن المبنية في تخوم الأرض ، ويليها فوق سطح الأرض مربع يحدد مساحة القبة ، ثم يلي ذلك منطقة الانتقال التي تطورت مقرنصاتها من الداخل وتنوعت أشكالها من الخارج ، ثم يلي ذلك الرقبة المستديرة تعلوها القبة التي غشيت بالزخارف المتنوعة من الداخل والخارج (٤) .

وكثرت بالإسكندرية الأضرحة والتي أصبحت مزارات يقوم أهل الإسكندرية بزيارتها والتبرك بها والدعاء عندها ، فذكر ابن شاهين الظاهري " وبالثغر من المزارات والأماكن المباركة ما يطول شرحها منها مشهد دانيال عليه السلام ، وجابر الأنصاري ، وابن الحاجب المالكي وأبي بكر الطرطوشي وأبي العباس المرسي وياقوت العرش وعبد الله الرأس وقاسم القباري وأبي فتح الواسطى وغير ذلك من الصلحاء والأماكن المباركة" (٥)

وتنوعت الأضرحة والقباب في الإسكندرية فهناك أضرحة بعض الأمراء المماليك، مثل تربة الأمير طغية والأمير بلاط وقد سلب الفرنج أثناء حملة القبارصة شبابيك قبة

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد ، الحياة الدينية في دولة الإسلام ، ص٢٢٨ ؛ وثائق في شئون العمران في الأندلس المساجد والدور ، دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف ، القاهرة ، ١٩٨٣، ص١٥، ٤٩-٥٠ .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد ، الحياة الفنية ، ص٤٨٠-٤٨٢ ؛ سالم ، التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال فنون العمارة والزخرفة ، ص٤٤٠ ؛

**Salam , The influence of the light house of Alexandria on the minarets of North Africa and Spain , PP.636-644 .**

(٣) أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، ص١٢٣ ؛ حسن الباشا ، مدخل ، ص١٣٢ .

(٤) محمد حمزة الحداد ، القباب في العمارة المصرية الإسلامية ، ص٥٥ .

(٥) ابن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص٤١ .

تربة الأمير طغية وكسروا عمودي ضريحه وضريح الأمير بلاط [١] وأضيف إلى تربة الأمير طغية مسجد وأقيمت على سطح هذا المسجد عدة غرف للمدافعين الإسكندرية .

وهناك قباب ألحقت بمدرسة مثل قبة الست زهراء التركية زوجة الظاهر جقمق وأم المنصور عثمان والتي ماتت بالإسكندرية ، ودفنت بقبة في مدرسة ظاهر بـاب البحـر بالإسكندرية ، ورتب عندها قراء ليالي الجمع وإسماع الحديث في أيامها سـوى قـراءة في كل يوم [٢] .

ومن أضرحة المتصوفة في الإسكندرية ضريح أبو العباس المرسي وتلميذ يـاقوت العرشي وضريح الشيخ علي الموازيني وغيرهم كثير [٣] .

ومن العمائر الدينية في الإسكندرية الخانقاوات ، وهي خاصة بإقامة المتصـوفة[٤] ومن المعروف أن الإسكندرية وجد بها خانقاة واحدة وهي خانقاة بيليـك المحسـني [٥] وقامت الخانقاة في العصر المملوكي بعدة وظائف دينية كدار للعبادة ومسجد للصـلوات ومدرسة للتعليم ، وزودت بعدة غرف لسكن النازلين بها ، ومساكن لشـيوخ الخانقـاة والمدرسين ، ووجد بها قاعة لإجتماع النازلين بها وألحقت بها عدة منشآت خدمية مثل المطبخ والحمام والميضاة وعدة مخازن ومكتبة للحفاظ على الكتب [٦] .

ومن العمائر الدينية في الإسكندرية أيضاً الربط فضلاً عن وظيفتها العسـكرية لـذا نجد معظم رُبط الإسكندرية تقع خارجها وكثرة هذه الربط بالإسكندرية على اعتبارها دار رباط منذ الفتح الإسلامي واستمر طوال العصر الإسلامي [٧] .

ومن العمائر العلمية في الإسكندرية المدارس وتعد المدرسة في الإسكندرية وحيدة المذهب رصدنا مدرسة واحدة للمذهب الشافعي ، وكل المدارس للمذهب المالكي والتـي تبلغ ثلاثون مدرسة ، الأمر الذي ترك أثره في عمارة المدرسة كما في بلاد المغرب ، إذ تتكون المدرسة من فناء مستطيل تحيط به مبان من طبقتين ، وتضم هذه المباني قاعـة الدرس التي كانت تقام على أحد الضلعين الصغيرين ، وحجرات لسكنى الطلبة ، وتتكون قاعة الدرس من مساحة مربعة أو مستطيلة مقسمة إلى أقسام بواسطة دعائم ، ويوجـد عادة بها محراب يستخدم للصلاة [٨] .

---

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ص١٧٢ .
(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ١٢ ، ص٣٨ ، رقم ٢٢ .
(٣) نفسه ، جـ٨ ، ص٧٨ .
(٤) حسن الباشا ، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية ، ص١٣٠ .
(٥) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة .
(٦) دولت عبد الله ، معاهد تزكية النفوس ، ص٢٤٠ .
(٧) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة .
(٨) نعمت علام ، فنون الشرق الأوسط ، ص٢٥٦ ؛ محمد محمد الكحلاوي ، عمارة المدرسة بـين مصر والمغرب دليل على التواصل الحضاري ، ندوة التواصل الحضاري بين أقطار العالم العربي من خلال الشواهد الأثرية ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص٦٠٤-٦٠٥ ؛ زكي محمد حسن ، فنون الإسـلام ، ص١١٣ .

يتبين لنا مما سبق أن الإسكندرية اشتملت على العديد من العمائر الدينية والعلمية التي تعد من أهم مراكز نشر الثقافة في المجتمع السكندري ، وطبيعة هذا المجتمع المتدين ، وكذلك نلاحظ كثرة المؤسسات التي تخدم التصوف من الخانقاوات والزوايا والرُبط والقباب والأضرحة مما يوضح مدى تغلغل التصوف في المجتمع السكندري وتأثيره في أفكار هذا المجتمع .

العمائر المدنية الاجتماعية :-

وجد بالإسكندرية في العصر المملوكي العديد من العمائر التي تخدم أهل المدينة مثل الصهاريج والحمامات وتعد الصهاريج من أهم معالم الإسكندرية وهي عبارة عن قنوات تمد المدينة بالمياه العذبة تمر تحت الأرض لتزود منازل المدينة بما تحتاج إليه من ماء، وهذه القنوات والخزانات تأخذ مياهها من خليج الإسكندرية ثم يتفرع في هذه القنوات داخل المدينة ، ووجد بالإسكندرية خمس قنوات ، الأولى تسير في استقامة الخليج القديم نفسه من داخل المدينة إلى الميناء العربي ، والثانية فتبدىء من الخليج في استقامة الشارع المار بعمود السواري ، والثالثة تستمر مع الشارع الداخل بعيد ، من شارع العمود بقدر تسعمائة متر ، والرابعة تسير مع الشارع المار ببرج السلسلة ، والخامسة خارجة من سور المدينة من جهة الشرق ، وهذه القنوات تتبع في سيرها الحارات فتخرج منها فروع لتوصيل المياه إلى الصهاريج (١).

وجذبت هذه الصهاريج انتباه وإعجاب من رآها من الجغرافيين أو الرحالة سواء كانوا مسلمين أو أجانب ، والمؤرخون فابن جبير يذكر : " ... ومن العجب في وضعه أن بناءه تحت الأرض كبنائه فوقها وأعتق وأمتن ، لأن الماء من النيل يخترق جميع ديارها وأزقتها تحت الأرض ، فتتصل الآبار بعضها ببعض ويمد بعضها بعضا " (٢) .

أما ابن فضل الله العمري فذكر " وفي أوان زيادة النيل يمتلى هذا الخليج ويمتد إلى صهاريج داخل المدينة معدة لاختزان الماء بها لشرب أهلها نافذة من بعض الدور إلى بعض ، يمكن للنازل إلى صهريج منها الصعود من أي دار اختاره تحت تلك الصهاريج الآبار النبع بالماء المملوح ، فهي طبقات ثلاثة ، طبقة الآبار ، عليها طبقة للصهاريج ، عليها طبقة البناء " (٣) .

وذكر ابن الوردي " وبها الآبار العجيبة والرسوم الهائلة التي تشهد لبانيها بالملك والقدرة والحكمة ، والنيل يدخل إليها من كل جانب من تحت أقبية إلى معمورها ويدور بها وينقسم في دورها بصنعة عجيبة وحكمة غريبة يتصل بعضها ببعض أحسن اتصال "(٤) .

وأشار إلى هذه الصهاريج الرحالة الأندلسي القلصادي بقوله " وبناؤها تحت الأرض محكم " (٥) ولفتت الصهاريج أنظار الرحالة الأندلسي الحسن الوزان فذكر " وكل منازل

---

(١) النخيلي ، أضواء جديدة على أسوار الإسكندرية ، ص٩-١٠ .

(٢) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص٣٩ .

(٣) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ص١٥١-١٥٢ .

(٤) ابن الوردي ، جريدة العجائب ، ص٢٥ . (٥) القلصادي ، رحلة القلصادي ، ص١٢٥ .

الإسكندرية مبنية فوق صهاريج ماء ذات قناطر تقوم فوق أعمدة وأقواس ، ويصل ماء النيل حتى هذه الصهاريج [١] . ولا تخلو كتب الرحالة الأوروبيين الذين زاروا الإسكندرية من الإشارة إلى هذه الصهاريج وإعجابهم بها [٢] .

ومن حسن الحظ أن علماء الحملة الفرنسية صور بعض هذه الصهاريج وعملوا مساقط أفقية لها ومقاطع رأسية توضح التكوين المعماري لهذه الصهاريج [٣] ، واكتشف في الإسكندرية العديد من هذه الصهاريج ، مثل صهريج النبيه ، الذي يقع في منتصف حدائق الشلالات ( في حي باب شرق ) [٤] .

فضلاً عما تميزت بالإسكندرية من الصهاريج ، فإنها تميزت بوجود بالوعات لتصريف ماء الأمطار ، فقد فرضت الظروف المناخية للإسكندرية وكثرة الأمطار بها في فصل الشتاء أن يضيف المعماري السكندري بعض التكوينات للعمائر في الإسكندرية فأضاف مزاريب وهي عبارة عن مسورة في أعلى سقف المبنى تصرف المياه من أعلى هذه المباني إلى الشارع ، وفي نفس الوقت زود الشوارع بمجموعة من البالوعات لتصرف مياه الأمطار من هذه الشوارع إلى فتحات إلى الصهاريج والآبار ، وأشار إلى ذلك القلقشندي بقوله : " واستعمال الماء لعامة الأمر من آبارها ، وبجنبات تلك الآبار والصهاريج بالوعات تصرف منها مياه الأمطار ونحوها " [٥] وهذه خاصية ثقافية لا نجد لها مثيل في أي مدينة أخرى في العصور الوسطى وبخاصة إذا علمنا أن شوارع الإسكندرية كانت مبلطة ، الأمر الذي جعل الإسكندرية تسبق المدن الحديثة .

ومن العمائر المدنية في الإسكندرية " الحمامات " وهي عمائر اجتماعية وصحية وذلك نظراً لأهميتها في التطهر والنظافة ، ويلاحظ في بنائها أنها مصممة بحيث تتيح للمستحم أن ينتقل تدريجيا من الجو الحار إلى الجو البارد حتى لا يصاب بأذى [٦] .

واشتهرت الإسكندرية بحماماتها منذ العصر الروماني [٧] ، وذكر ابن عبد الحكم أنه وجد بالإسكندرية عند فتح عمرو بن العاص لها ١٢ ديماسا ، أصغرها يسع ألف مجلس ، وكل مجلس منها يسع جماعة نفر [٨] .

ونلاحظ أن معظم حمامات الإسكندرية تركزت في منطقة كوم الدكة أو ما يسمى بالديماس ، وهو الحمام واكتشف فيها الحمام الروماني . وأمدتنا المصادر المعاصرة

---

(١) الحسن الوزان ، وصف أفريقيا ، ص٥٧٢ ؛

(٢) Piloti , l'Egypte , PP. 23-24 ; Bretten ( 1585-1586 ) , PP.25-26 ; Brown , (1673-1679) , P. 21 ; Huntington (1695) , P.180 ; Morison , (1697) , P.6.

(٣) انظر كتاب وصف مصر ، جـ١٩ ، اللوحة رقم ٣٧ .

(٤) النخيلي ، دراسة عن أسوار الإسكندرية ، ص٨ هامش رقم ٢٩ .

(٥) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٤٠٤ .

(٦) حسن الباشا ، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية ، ص١٥٩ .

(٧) فوزي الفخراني ، حمامات الإسكندرية الرومانية ، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، العدد ١٦ ، ١٩٦٣ ؛ عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص٤٩٧ .

(٨) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص١٢١ ، وذكر النويري السكندري أنه وجد مائة حمام و١٢ ديماسا ، الإلمام ، جـ٢ ، ص٧ .

بأسماء بعض الحمامات في العصر المملوكي ، مثل الحمام المجاور للمدرسة العوفية بشارع المحجة – كوم الدكة لعله الحمام الروماني – ووصفته وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون بالحمام المستهدم (١) ، وحمام الأخوين (٢) ، وحمام ابن الصغير ناظر الإسكندرية (٣) .

وذكر بوتي Pauty أنه عثر في الإسكندرية على ستة حمامات قديمة من العصر الإسلامي ، وهي حمام حسن بك عبد الله بكوم الشقافة ، وحمام جامع الشيخ بشارع جامع الشيخ ، وحمام الذهب بشارع صلاح الدين ، وحمام الناضوري بشارع الضبطية ، وحمام المصري بشارع ساحل الغلال ، وحمام الشيخ بشارع أبي الدرداء ، ويعد حمام الذهب أجمل هذه الحمامات ، ويتردد عليه الرجال والنساء ، واشتمل هذا الحمام على أربعة مغاطس ، ونظام قاعة خلع الثياب فيه وعناصره المعمارية تدل دلالة قاطعة على قدمه ، ويتوسط هذه القاعة قبة تقوم على أربعة أعمدة من الرخام رؤسها كورنثية (٤)

وقام الرسام فاي من علماء الحملة الفرنسية برسم العديد من حمامات الإسكندرية وعمل لها مساقط أفقية وقطاعات رأسية (٥) .

والأسبلة من العمائر المدنية والمتصلة باستخدام الماء وشربه ، ولعبت دوراً اجتماعياً ، وهي جمع سبيل ، وهو مبني جرت عادة المسلمين على إقامته داخل المدن لسقاية المارة وإروائهم من باب التقرب إلى الله ، والسبيل الذي انقطع به الطريق (٦) .

ويتكون السبيل من طبقتين الأولى الصهريج لتخزين الماء وفوقه المزملة أو حجرة السبيل وصدرها السلسبيل وهو لوح من الرخام فيه وزخارف محفورة ينساب عليه الماء ليبرد ، ثم يوزع على أحواض الشبابيك ، وجرت العادة في العصر المملوكي أن يبنى عادة فوق المزملة طابق ثان يستعمل كتابا (٧) ، وذكرت وثيقة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون وجود سبيل في الإسكندرية يقع في زقاق المسك وله صهريج تحت الأرض (٨) .

والبيمارستان من العمائر المدنية والتي أدت دوراً صحياً وتعليمياً واجتماعياً ، ويتكون البيمارستان في العادة من غرف للمرضى وقاعة للتدريس وغرف للكشف وغرف لسكن الأطباء ومخازن للأدوية والآلات الجراحية وحماما ومطبخاً (٩) .

---

(١) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون ، ملاحق كتاب تذكرة النبيه ، جـ٢ ص٤٣٠ سطر ٢٨ .
(٢) نفسه ، ص٤٣٢ سطر ٤٦ .
(٣) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ٤ ، ص١٧ .
(4)Pauty , les Hammams du Caire , le Caire , 1933 , P.40.
(٥) كتاب وصف مصر ، جـ١٤ ، اللوحة رقم ٩٤ .
(٦) حسن الباشا ، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية ، ص١٥٨ .
(٧) أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، ص١٢٤ .
(٨) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون ، ص٤٣٢ سطر ٤١-٤٢ .
(٩) حسن الباشا ، نفسه ، ص١٥١ .

ووجد بالإسكندرية بيمارستان بناه صلاح الدين بن أيوب عرف بالبيمارستان الصلاحي [١] الذي استمر طوال العصر المملوكي وقام نائب الإسكندرية الأكز بإمداده بما يحتاج إليه من الأدوية والآلات الجراحية ، ووضع على رحبته سلسلة لمنع الدواب من الدخول بها [٢] .

مما سبق يتضح لنا مدى الرقي الحضاري للإسكندرية من كثرة العمائر المدنية التي تخدم المجتمع من الحمامات والصهاريج التي تميزت بها الإسكندرية على غيرها من المدن الإسلامية والأوروبية في تلك الفترة ، بل سبقت الإسكندرية الكثير من المدن من وجود بالوعات لصرف مياه الأمطار من شوارعها الأمر الذي يضعها في مقدمة مدن العالم وقتئذ .

---

(١) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص٤٠ ؛ عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص٤٨٠ ؛ حسن عبد الوهاب ، الإسكندرية في العصر الإسلامي ، ص٣٨٧ ؛ درويش النخيلي ، طبوغرافية ، ص٦٧
(٢) النويري السكندري ، الإلمام نسخة الهند ، ورقة ٢٠٤ ب .

ثانياً : الفنـــون :-

تمثل الفنون الجانب التطبيقي للثقافة ، إذ يظهر من خلالها ثقافة الفنان ومدى ارتباطه ببيئته وعقيدته ، فضلاً عن ذلك توضح مدى المؤثرات الخارجية على عقلية وثقافة الفنان ، وتنوعت الفنون التطبيقية والتشكيلية في الإسكندرية من النسيج بأنواعه والخزف والزجاج والبلور والتحف المعدنية من عملة وأسلحة وأدوات منزلية وغير ذلك من فنون اشتهرت بها الإسكندرية الأمر الذي يوضح لنا ثقافة الفنان السكندري ومدى ما وصل إليه من رقي حضاري .

النسيــج :-

يعد النسيج من أهم فنون الإسكندرية التي اشتهرت بها ويرجع ذلك إلى العصرين البطلمي والروماني [1] واحتفظت الإسكندرية بتلك المكانة في العصر الإسلامي ، إذ شاركت الإسكندرية غيرها من مراكز صناعة النسيج في مصر كدمياط وشطا وديبق وتنيس وغيرها من مدن الدلتا بخاصة في المنسوجات الكتانية والحريرية ، في حين اختص الصعيد بالمنسوجات الكتانية والصوفية [2] .

واشتهرت دار الطراز بها في إنتاج أفضل أنواع الأقمشة الكتانية والحريرية ، فذكر الجاحظ المتوفي في عام ٢٥٥هـ/٨٦٩م أن " ضمن ما يستجاد من الثياب الوشي الإسكندراني الكتان البحت " [3] ويرجع ابن عبد الحكم إلى " أن الإسكندر هو أول من عمل الوشي بالمدينة . [4] ويؤكد ذلك ابن زولاق بأن " بها مناسج الكتان والغلائل والمعتب الذي يحمل إلى الآفاق " [5] ووصلتنا عدة قطع من الكتان نسجت بطراز الإسكندرية يحتفظ بها متحف الفن الإسلامي ترجع إلى القرن ٣هـ/٩م [6] .

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق ، تاريخ صناعة النسيج في الإسكندرية على عهد البطالمة ، الإسكندرية ، دون تاريخ ، ص٩-١١ ؛ طراز الإسكندرية ،مقال بكتاب مؤتمر الآثار بالبلاد العربية الأول ١٩٤٧ ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص١٦٥-١٦٩ .

(٢) سعاد ماهر ، النسيج الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٢١-٢٢ ؛ عاصم محمد رزق ، مراكز الصناعة في مصر الإسلامية ، ص١٠٤ ؛ السيد طه أبو سديرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية ، ص ١٥؛ صفي على ، مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي ، ص١٤٣ .

(٣) الجاحظ، التبصرة بالتجارة، القاهرة، ١٩٣٥،ص٢٥. (٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٣٦

(٥) ابن زولاق ، فضائل مصر وأخبارها وخواصها ، تحقيق علي محمد عمر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩ ، ص٦١ ؛ ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، دار الكتب ، ١٩٦٩ ، ص٥٨ ؛ عبد العال عبد المنعم الشامي ، مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجري، رسالة ماجيستير، آداب القاهرة، ١٩٧٣ ، ص٢٤٢

(٦) سعاد ماهر ، النسيج الإسلامي ، ص٢١ ؛ زكي محمد حسن ، أطلس الفنون الزخرفية ، ص١٩٣ شكل ٥٨٥ ؛ كنوز الفاطميين ، ص١١٦ ؛ الفنون الإسلامية ، ص٢٥٠ ؛ مرزوق ، طراز الإسكندرية ، ص١٦٩ ؛

Weit , Renpertioire , Tome 2 , P.15 No 614 , P.173 , No 646 , P.260 , No 778 , P.251 , No 762,Tome 3, P.22 No.837 .

ويعد العصر المملوكي العصر الذهبي لفن النسيج في الإسكندرية ، ويرجع ذلك إلى تدهور منطقة شمال شرق الدلتا ومدنها كدمياط وشطا وديبق وتنيس وغيرها من مراكز النسيج في مصر قبل العصر المملوكي ، وأصبحت الإسكندرية الوريث الطبيعي لتلك المراكز (١) .

وتكاد تجمع المصادر التاريخية المملوكية على تفوق الإسكندرية في فن النسيج ، فذكر ابن الوردي بأن " بها يعمل من الثياب الفاخرة كل عجيب ومن الأعمال الباهرة كل غريب ليس في معمور الأرض مثلها ، ولا في أقصى الدنيا كشكلها يحمل منها إلى سائر الأقاليم في الزمن الحادث والقديم " (٢) ، وذكر ذلك القلقشندي بقوله " وفيها ينسج القماش الفائق الذي ليس له نظير في الدنيا ، وإليها تهوى ركائب التجار في البر والبحر ، وتمير من قماشها جميع أقطار الأرض " (٣) .

وأشار المقريزي إلى أن " الثياب المنسوجة بالإسكندرية لا نظير لها وتُحمل إلى أقطار الأرض وفي ثياب الإسكندرية ما يباع الكتان منه إذا عمل ثياباً يقال لها الشرب كل زنة درهم بدرهم فضة ، وما يدخل في الطرز فيباع بنظير وزنه مرات عديدة " (٤) .

أما ابن شاهين الظاهري نائب الإسكندرية فذكر أنه " يعمل بهذا الثغر-الإسكندرية- من الأقمشة العجيبة التي لا توجد في غيره ، والأشياء المفردة مما لو أردنا أن نشرح ذلك لاحتجنا إلى عدة مجلدات " (٥) وذكر السيوطي أن " بالإسكندرية يعمل الوشى الذي يقوم مقام وشى الكوفة " (٦) .

ويمكننا أن نميز في الإسكندرية في العصر المملوكي ، مجموعتين من مصانع النسيج ، الأولى مصانع حكومية وتتمثل في دار الطراز ، والثانية وهي المصانع الأهلية وهي ملك أهل الإسكندرية ، وتعد دار الطراز الإسكندرية أهم دار طراز في العصر المملوكي حيث اعتمدت الدولة اعتماد كلياً فيما تحتاج إليه من أقمشة ومنسوجات فكانت الدولة المملوكية تقوم بصناعة كسوة الكعبة المشرفة بدار الطراز بالإسكندرية ، ومن المعروف أن كسوة الكعبة اعتبرتها دولة المماليك دليلاً على نفوذها على بلاد الحجاز ومصدر سلطتها الروحية في العالم الإسلامي ، لذا منعت أن يكسوا الكعبة أحداً من ملوك المسلمين مثل ملك بني رسول باليمن أو شاة رخ ملك دولة المغول ، وكانت كسوة الكعبة قبل العصر المملوكي تنسج بدور طراز شطا وديبق ودمياط وتنيس ، وبتدهور هذه المدن أصبحت الإسكندرية هي مركز صناعة الكسوة في دولة المماليك .

---

(١) جمال محمود مرسي ، المنسوجات الحريرية في مصر المملوكي ، ماجيستير ، آداب القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص٢٥-٢٦ ؛

**Claude Cahein, " Un texte inedit relaif au Tiraz Egyptien , Art Asiatiques , XI , PP.165-168 .**

(٢) ابن الوردي ، خريدة العجائب ، ص٢٥ .

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٣ ص٤٠٤ . (٤) المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٢٦٣.

(٥) ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص٤١ .

(٦) السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص٣٢٦ .

وكانت الكسوة تنسج من الحرير ، فأشار المقريزي في حوادث عام ٧١٩هـ/١٣١٩م إلى أن " السلطان الناصر محمد بن قلاوون اهتم بعمل كسوة الكعبة لذا " تقدم إلى كريم الدين الكبير لتجهيزه ، والسفر إلى الإسكندرية لعمل ثياب أطلس – الحرير – برسم كسوة الكعبة " (١) وهذا نص هام يدل على أن دور الطراز في الإسكندرية بدأت في عهد الناصر محمد تصنع كسوة الكعبة ، فإن النصوص التي بين أيدينا تشير إلى أن الكسوة كانت تصنع في دور الطراز بتنيس وديبق ودمياط .

فضلاً عن ذلك فإن الدولة المملوكية اعتمدت على دار الطراز بالإسكندرية بإعداد الخُلع (٢) التي تخلع على أرباب الوظائف ، وأصبح يوجد بروتوكول خاص لكل وظيفة من وظائف الدولة سواء أكانت عسكرية أم إدارية أم دينية ، فأشار العيني في حوادث عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م إلى أن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري قام بزيارة الإسكندرية فأقام بها أياماً " وفرق تعابي (٣) القماش على الأمراء ووصلهم بالهبات ، وعمهم بالصلات " (٤) ويذكر المقريزي في حوادث عام ٧٥٩هـ/١٣٥٨م " وكثر في شهر رمضان إكرام السلطان حسن للأمير صرغتمش ، وأمر فعمل له بثغر الإسكندرية قبانخ(٥) ، ... فلما دخل عليه صرغتمش ليعوده ألبسه القبانخ " (٦) .

وأمدت دار الطراز بالإسكندرية سلاطين المماليك بالأقمشة التي يهدونها للسلاطين في البلاد المجاورة ، فيذكر ابن فضل الله العمري بقوله " ولقد أراني خواجا جمال الدين يوسف الماخوري مقاطع شرباً (٧) أبيض من الصنف الممرش استعملها بالإسكندرية على أنه يقدمها للسلطان أبي سعيد ، كأنها جناح الزنبور ، لا أظن أنه يعادلها في الدنيا قماش " (٨) .

وأهدى الظاهر بيبرس الملك المنصور ناصر الدين محمد صاحب حماة الأمتعة

---

(١) المقريزي ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص١٤٠-١٤١ ؛ السلوك ، جـ٢ ، ص١٩٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ٩ ، ص٥٨ ؛ أحمد مختار العبادي ، الحياة الاقتصادية ، ص٣٤٠ .

(٢) الخلع ، جمع خلعة ، وهي ما خلعته فطرحته على أخر ، أو لم تطرحه ، وهي تعبر في العصر المملوكي على تقليد الوظيفة للمُخلع عليه ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ٢ ، ص٧٦ .

(٣) العتابي : صنف من قماش خشن مخطط بحمرة وصفرة ، انظر : البقلي،التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص٢٤٢ .

(٤) العيني، عقد الجمان، ج٢ ص٤٧-٤٨ ؛ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص٣٦٠-٣٦١ .

(٥) القبانخ : يتكون اللفظ من شطرين " قبا " و " نخ " أما القباء فهو ملبوس فرجية قفطان ، وأما النخ فنوع من النسيج الثمين كان يصنع في تبريز ويمتاز بالرقة .
انظر : السلوك ، جـ٣ ق١ ص٤١ ، هامش رقم ٢ للدكتور محمد مصطفى زيادة .

(٦) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ص٤١ .

(٧) الشرب : هو مارق من الكتان ، وهو من الأنواع النفيسة الفاخرة ، وأما ما غلظ من الكتان فهو الخفيف ، انظر : الثعالبي ، فقه اللغة ، ص٢٦ .

(٨) ابن فضل الله الغمري ، مسالك الأبصار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، ص٨٤-٨٥ .

الفاخرة من عمل دار الطراز بالإسكندرية [١] .
بالإضافة إلى دار الطراز في الإسكندرية فوجد بها آلاف المصانع الأهلية التي يصنع بها القماش السكندري [٢] ولدنيا عدة احصاءات لعدد الأنوال التي ينسج عليها القماش في الإسكندرية نوضحها في الجدول التالي :-

| السنة | عدد الأنوال | ملاحظات |
|---|---|---|
| قبل عام ٦٩٥هـ | ١٢,٠٠٠ نوال | |
| بعد عام ٦٩٥هـ | دون ١٠٠ نول | |
| عام ٧٩٧هـ/١٣٩٤م | ١٤,٠٠٠ نول | |
| عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م | ٨٠٠ نول | |

جدول بعدد أنوال النسيج في الإسكندرية

يتبين لنا من الجدول السابق أن عدد أنوال النسيج في الإسكندرية قبل مجاعة عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م بلغت ١٢,٠٠٠ نول [٣] ، ولكن في عام ٦٩٤-٦٩٥هـ/١٢٩٤-١٢٩٥م ، أصبحت مصر بوباء شديد أصيبت به الإسكندرية وكان من أهم آثاره موت كثير من أهل الإسكندرية بحيث انخفض عدد الأنوال التي تنسج القماش إلى دون الألف نول مما يوضح الأثر السيىء لهذا الوباء [٤] .

وبعد قرن من الزمان في عام ٧٩٧هـ/١٣٩٤م بلغ عدد الأنوال في الإسكندرية ١٤ ألف نول [٥] لنسج القماش على الرغم من الإسكندرية مرت في الثلاثين عام السابقة بعدة حوادث أدت إلى تدهورها ، منها حملة القبارصة على الإسكندرية عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م ، وتعرض الإسكندرية لعدة أوبئة في أعوام ٧٦٣هـ/١٣٦٢م ، وعام ٧٧٥هـ/١٣٧٣م ، وعام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م ، وعام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م ، وعام

---

(١) ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، ص٢٩٥ .

(2) M . A . Marzouk , Alexandria as a textile centre , B . I . S . A . C , Vol . XIII , 1955 , P.126 .

(٣) ابن الجزري ، تاريخ ابن الجزري ، جـ١ ، ص٢٨٢ .

(٤) مجهول ، تاريخ سلاطين المماليك ، ص٣٦ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ٤ ، ص٢٢٧-٢٢٨؛ ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، جـ٨ ، ص١٩٣ ، ١٩٩ ؛ المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص٣٣-٣٩ ؛ حامد زيان ، الأزمات الاقتصادية ، ص٣٢-٣٩ ؛ حياة ناصر الحجي ، المجاعة والطاعون ، ص١٤٩-١٧٤ ،

Mounira chapoutot , une Grande Crise à la Fin du XIIIe siécle en Egypte (JESHO) , Vol XXVI , 1983 , PP.217-245 ; Dols , Plague in Early Islamic , JAOS , Vol 94 , 1974 , P.374 .

(٥) المقريزي ، السلوك ، جـ٤ ص٩١٣ ؛ ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ٣ ، ص٥١٦ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ١٥ ، ص٤١ ؛ ابن الصيرفي نزهة ، جـ٣ ، ص٢٨٣-٢٨٤ ؛ مجهول ، حوليات دمشقية ، ص١٠٠ ؛

Darrage , L'Egypte , P.17.

٧٩٥هـ/١٣٩٢م وهذا الوباء الأخير فقدت الإسكندرية عشرة آلاف نسمة [(١)] ، وعلى الرغم من ذلك فوجد بالإسكندرية ١٤ ألف نول ، وبخاصة إذ علمنا أن عدد سكان الإسكندرية عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م مائة ألف نسمة حسبما ذكر النويري السكندري أي أن الذين يعملون على الأنوال يقدرون نسبة ١٤٪ من سكان الإسكندرية عدا العاملون بالغزل ، والصبغ والبيع بما يعادل عدد النساج أي نسبة ٢٨٪ من سكان الإسكندرية يعملون في مجال النسيج في الإسكندرية في أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي .

ولكن تراجع هذا العدد في الربع الثاني من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي إلى ٨٠٠ نول فقد تم حصر عدد هذه الأنوال عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م في عهد الأشرف برسباي فبلغت ٨٠٠ نول والفرق شاسع بين الرقمين ، ويرجع معظم المؤرخون المعاصرون ذلك إلى ظلم ولاة الأمور ، وسوء سيرتهم ، وعدم العدالة [(٢)] .

ويمكننا أن نضيف عامل أخر أدى إلى هذا التدهور وهو الوباء الذي وقع عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م أي قبل هذا الإحصاء بأربعة سنوات فقط ، ووصف هذا الوباء بأنه " الفناء العظيم " [(٣)] و " الفصل الكبير " [(٤)] وأثر هذا الوباء في الإسكندرية أيما تأثير حيث استمر لمدة سبعة أشهر من شهر جمادى الأولى إلى شهر ذو القعدة ، حتى أنه كان يموت بها في اليوم الواحد ما بين مائة إلى مائة وخمسين نسمة أي فقدت المدينة ما بين ١٨ ألف إلى ٢٧ ألف نسمة في هذا الوباء مما أثر في صناعة النسيج في الإسكندرية [(٥)] .

وعلى الرغم من ذلك ظلت صناعة النسيج بالإسكندرية مزدهرة ، يؤكد ذلك قول ابن شاهين الظاهري ، ويعمل بهذا الثغر من الأقمشة العجيبة التي لا توجد في غيره

---

(١) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٤ ، ص١٢٧-١٢٨ ؛ جـ٦ ، ص٤٢٣-٤٢٤ ؛ المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص٤٠ ؛ السلوك ، جـ٣ ، ص٤٠٢-٥٤٤ ؛ ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ١ ص٢١٩، ٣١٥ ، ٤٥٦ ؛ ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، جـ١ ص٨٧-٨٨ ، ١٣١ ؛
Dols ,The Second Plague Pandemic and its Recurrences in the Middle East , (JESHO), vol.22 , 1979 , PP.168-175.

(٢) المقريزي ، السلوك ؛ جـ٤ ص٩١٣ ؛ ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ٣ ، ص٥١٦ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ١٥ ، ص٤١ ؛ ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، جـ٣ ، ص٢٨٣-٢٨٤ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٧ ص٢١٨ ؛ السخاوي ، وجيز الكلام ، جـ٢ ، ص٥٣٠ ؛
Baker ( patricial ) , Islamic Textiles , British Museum press , London , 1995, P.78 .

(٣) ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ١٤ ، ص٣٣٨

(٤) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ، ص١٢٨ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، جـ٤ ، ص٨٢٤ ؛ ابن حجر ، أنباء ، جـ٣ ، ص٤٣٧ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ١٤ ، ص١٧٤ ؛ ابن الصيرفي ، نزهة ، جـ٣ ، ص١٨٦ ؛ ابن إياس ، بدائع، جـ٢ ، ص١٣٢ ؛
Darrage , l'Egypte , P.59.

والأشياء المفردة مما لو أردنا أن نشرح ذلك لاحتجنا إلى عدة مجلدات [١] ، والمعروف أن ابن شاهين بدأ كتابة كتابه هذا في عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م بعد هذا الإحصاء [٢] . ومع ذلك فاختصت الإسكندرية بإنتاج كثير من الأقمشة الممتازة مثل السقلاطون[٣] والشرب ، والمنمر [٤] والمفرج [٥] والطرد وحش [٦] .

ولم يترك النساجون في الإسكندرية حادثة تمر دون أن يسجلوها فيما يصنعونه من أقمشة ومن ذلك أنه اكتشف بالجهة الشرقية من القاهرة عمودان كبيران من الرخام الأبيض بقصر الزمرد أحد قصور الفاطميين مما أحدث ضجة كبرى في القاهرة , وتجمع الناس لمشاهدة هذين العمودين لذا اقترحوا في الإسكندرية قماشاً سموه جر العمود للبس النساء من الحرير [٧] .

وشاع هذا الزي بين النساء وعملن نماذج من ثياب الحرير وتطريز المناديل , فذكر المقريزي " وعملوا نموذجات من ثياب الحرير وتطريز المناديل عرفت بجر العمود , وشاع هذا القماش في مصر وأقبل النساء عليه [٨] .

واحتفظت وثائق الجنيزا بعدة نصوص تفيد وجود أقمشة من صناعة الإسكندرية في قوائم زواج بعض اليهود [٩] .

وحملت شهرة الإسكندرية في النسيج النساج على تقليد أقمشتها مما دفع ابن الحاج إلى تحذير الناس مما يفعله التجار الذين يتجرون في القماش الإسكندراني ، وهو أنهم يشترون القماش الخام الأبيض من بلاد مختلفة ، مما يشبه قماش الإسكندرية ، ثم يقصرونه – يبيضونه – بالإسكندرية ، ويبيعونه على أنه إسكندراني , وهذا غش لأن المشتري لو علم أنه غير إسكندراني لم يرض به ، ولم يعط فيه من الثمن إلا دون ما

---

(١) زبدة كشف الممالك ، ص٤١ .

(٢) ارجع إلى الفصل الخاص بالتاريخ والمؤرخون .

(٣) السقلاطون : هو نوع من النسيج كان يصنع من الحرير ويطرز بخيوط من الذهب , انظر : عاصم رزق ، مراكز الصناعة , ص١١٩ .

(٤) المنمر : نسيج حريري يزدان برسوم مخططة أو مرقشة تشبه جلد النمر . انظر : القلقشندي ، صبح جـ٤ , ص٥٣ . ابن منظور ، لسان العرب ، جـ١٢ ، ص٢١٨ .

(٥) المفرج : نسيج رقيق تتداخل فيه خيوط الذهب ، عاصم رزق ، مراكز الصناعة ، ص١١٩ .

(٦) الطردوحش : هو النسيج الذي يزين في مناظر الصيد يشتمل على وحوش يطاردها الصيادون انظر : عاصم رزق ، مراكز الصناعة ، ص١١٩ .

(٧) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ، ص٢٥١-٢٥٢ ,

(٨) **المقريزي ، الخطط ، جـ٢ ، ص٢٤٨ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص١٨٤ . ومدح نور** الدين علي بن محمد الشهير بابن حجر نسيج الإسكندرية بقوله :-

إسكندرية كم ذا ... يسمو قماشك عزا

فطمت نفسي عنها ... فلست أطلب بزا

انظر : المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ، ص٢٦٣ .

(٩) **Ashtor , Histoire des Prix , P.350 ; History of the Jews in Egypt and Syria under the Rule of the Mamluks , III, Jewsalem , 1970 , PP.67 , 68 , 182-184 .**

أعطاه أولا [1] .

الأمر الذي يبين لنا مدى ما وصلت إليه صناعة النسيج بالإسكندرية في العصر المملوكي من شهرة ومكانة عالية حتى أنهم تقلدوه .

وارتبط بصناعة النسيج في الإسكندرية صناعة السجاد وهو ينسج على أنوال مثل القماش , ويحتفظ متحف الفن والصناعة بفينا بثلاثة قطع من السجاد تنسب إلى الإسكندرية في العصر المملوكي [2] .

الخــــزف [3] :-

يعد الخزف من أهم الفنون التطبيقية في الإسكندرية بعد النسيج ، حيث اشتهرت الإسكندرية منذ العصر البطلمي ثم الروماني بصناعة الخزف ، وأنتجت العديد من التحف الفخارية الصغيرة للزينة كالكؤوس ذات الرسوم البارزة , وكانت تغطى كلها باللون الأخضر ، أما جزؤها الداخلي فكان لونه يميل إلى الإصفرار [4] ويوجد بالمتحف اليوناني والروماني في الإسكندرية عشرات القطع من هذا الخزف [5] .

واستمرت الإسكندرية في إنتاج الخزف في العصر الإسلامي وبخاصة منذ العصر الفاطمي فالأيوبي والمملوكي وكشفت الحفائر الأثرية التي قام بها الأستاذ آلان ويس A.J.Wace أستاذ الآثار بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٤٨ في منطقة كوم الدكة عن كشف ثلاثة آلاف قطعة من الخزف حفظت بالمتحف اليوناني الروماني ومتحف جامعة الإسكندرية , ونشر ارثر لين A.Lane تقريرا عن نتائج هذه الاكتشافات الأثرية , والتي كشفت عن قطع هائلة من الخزف الفاطمي والخزف الشائع في عصر المماليك وكشفت عن بقايا النباتات البحرية ومخلفات الحريق وكتل زجاجية توضح وجود مصنع

---

(١) ابن الحاج ، المدخل الى تنمية الأعمال بتحسين النيات ، ٤ أجزاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٥ ، جـ٤ ، ص٢٨٤ .

(٢) حسين محمد نور عبد النور ، السجاد المملوكي ، دراسة أثرية فنية في ضوء مجموعة متحف الفن والصناعة بفينا ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، رسالة دكتورة غير منشورة ، ١٩٩١ ، ص٣١٦ .

(٣) الخزف : كل أنواع الفخار المزجج بأي نوع من الطلاءات ، ويصنع من طينة غير طبيعية ، الجيدة فيها تتكون من ثلاث مواد مرنة وخشنة وصاهرة ، عن تعريف الخزف ، انظر :-
أحمد عبد الرازق أحمد ، الفخار المصري المطلي في العصر المملوكي ، رسالة ماجيستير غير منشورة ، آداب القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص٨٢ ؛ سعيد الصدر ، الخزف ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص١٢٩؛ مدينة الفخار ، ص١٥ ؛ سعد الخادم ، فن الخزف ، ص٦ ؛ سعاد ماهر ، الفنون الزخرفية ، دراسات في الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، جـ١ ص٢٨٣ ؛ محمود إبراهيم حسين ، الخزف الإسلامي في مصر ، نهضة الشرق ، ١٩٨٤ ، ص٩ .

(٤) Lane ( Arthur ) , Early Islamic Pottery , London , P.9 .

(٥) عزت حامد قادوس ، آثار الإسكندرية القديمة ، ص ٦٩- ٧٥ .

للخزف في منطقة كوم الدكة [(١)] .

وكشفت الحفائر التي قامت بها البعثة البولندية في كوم الدكة في عامي ١٩٦٣-١٩٦٤ ، عن وجود كميات كبيرة من الخزف المملوكي المصنوع بالإسكندرية ، فضلاً عن كميات من الخزف المصري والخزف الفيومي المصنوع بالفيوم ، وخزف مصنوع ببلده ، طود بإقليم قوص والخزف السوري .

وكذلك تم اكتشاف كميات كبيرة من الخزف المنسوبة للعديد من البلاد الأجنبية من شرق آسيا كالصين والهند وخزف اليمن ، وتم اكتشاف كميات من الخزف الأوروبي مثل الخزف الإيطالي والبيزنطي ( اليوناني ) والقبرصي بالإضافة إلى الخزف الأندلسي وخزف شمال أفريقيا ( بلاد المغرب ) [(٢)].

وللأسف يرجع بعض الباحثين وجود هذه الكميات من الخزف الأجنبي في الإسكندرية مما يدل قطعاً على أن الصناع الإسكندريين كانوا يقومون بتقليد هذه المنتجات المستوردة في صناعتهم المحلية [(٣)].

ولكننا نرجع ذلك الى مكانة الإسكندرية في حركة التجارة العالمية ؛ فمدينة الإسكندرية تعد أكبر مدينة تجارية في العصور الوسطى ولها علاقاتها الدولية مع جميع مدن العالم التجارية الأخرى حيث قام تجار الإسكندرية وبخاصة الكارم برحلات تجارية إلى الصين والهند مرورا باليمن والحجاز وبالتالي من السهل الحصول على الخزف

---

(١) حفائر جامعة الإسكندرية ، كتاب " الإسكندرية ، الذي أصدرته غرفة الإسكندرية التجارية ، ١٩٤٩ ، ص١١٧ ؛

Lane ( A. ) , " Archaeological Ecavations at Kom el – Dick , A preliminary Report on the Medieval pottery " Bulletin the Faculty of Arts , university of Alexandria , vol .5 , 1949 , 142-147 ; Marzouk ( M.A. ) , " Three signed speciments of Mamelouk pottery from Alexandria " Ars Orientalis , 2 , 1957 , PP.497-510; " Egyptian Sgraffito Ware Excavated at Kom el-Dickka in Alexandria " Bulletin of the Faculty of Arts , vol .13 , 1959 , PP.3-23 ; Véronique Français , " La céramique Médiévale d'Alexandria Colloque in ternational d'archéologie islamique , ( 1 FAO ), 36-1998 , P.321 ; Dabrowski ( Leszek ) , " Résumé des recherches archéologiques Faites autour du fort Kom el Dikka en Alexandrie " , Bulletin of the faculty of Arts , XIV , 1960 , PP.39-49 .

(٢) Kubiak ( Wladyslow ) , " les fouilles polonaises á Kom el-Dick " in 1963 et 1964 , dans , BSAA , No.42 , ( 1FAO ), le Caire , 1967 , P.47 ; V. Francois , Céramiques médiévales a Alexandrie , ( 1FAO ) , 1999 ; " les Céramiques médiévales d'Alexandrie un témoigmage archéologique d'importance , dans Alexandrie médiévale 1 , PP.57-64 ; Gayraud , " Alexandrie médiévale et la méditerranée , l'indice des importations Céramiques , dans Alexandrie médiévale 1 , PP.65-69.

(٣) عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص٥٣٠ .

الصيني والهندي واليمني ، والقدوم به إلى الإسكندرية ، فضلاً عن إمكانية الحصول على طريقة صناعة هذا الخزف .

ومن ناحية أخرى بالنسبة إلى وجود الخزف الأوروبي وبخاصة الإيطالي في الإسكندرية ، فيرجع ذلك إلى قوة العلاقات التجارية بين المدن والدول الأوروبية والإسكندرية ، يدل على ذلك وجود ثلاثين جالية أوروبية في الإسكندرية ، واستقرار بعضهم لعدة سنوات بالإسكندرية ، فمن السهل قدومهم بالكثير من القطع الخزفية من بلادهم لاستخدامها كالمسارج أو الأواني المستخدمة للطعام وغيرها .

وبالنسبة للخزف الأندلسي والمغربي الموجود بالإسكندرية ، فهذا أمر طبيعي نظراً لقوة تأثير المغاربة والأندلسيين في الإسكندرية ، نظراً لاستقرار كثير منهم بها ومن الممكن أن يكون من بينهم من يعمل في مجال الخزف .

وتميز الخزف السكندري بوجود خطوط هندسية وصور حيوانية وأشكال نباتية على تلك القطع المعثور عليها من كوم الدكة وكوم الناضورة .

فضلاً عن ذلك تميزت القطع الخزفية التي عثر عليها مجمل كتابات نسخية مملوكية مثل " الأميري " و " المولوي " و " الملكي " و " المقرى " وهي ألقاب خاصة بأمراء المماليك (١) .

كما عثر على قطع الخزف أسماء أشهر الخزفين في العصر المملوكي وهو شرف الأبواني (٢) وابن فتوح وغيرهم من الخزافين في العصر المملوكي (٣) .

يتضح لنا مما سبق تفوق الإسكندرية في فن الخزف والذي عبر عن ثقافة الفن السكندري والذي برع في استخدام الأشكال الهندسية والنباتية والحيوانية في الخزف .

<u>الزجـــــاج</u> :-

اشتهرت الإسكندرية بإنتاج الزجاج في العصر الروماني ويحتفظ المتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية بالعديد من القطع الزجاجية والفسيفساء مما عثر عليه في حفائر منطقة القباري (٤) .

واستمرت الإسكندرية في إنتاج الزجاج في العصر الإسلامي , حيث صنعت من الزجاج الأواني والقارورات والأختام (٥) .

وكشفت الحفائر الأثرية بكوم الدكة عن كميات من القطع الزجاجية والبللورية وقطع من الزجاج المزين بزخارف مذهبة ومموهة بالمينا من النوع الشائع في

---

(١) Marzouk , Egyptian Sgraffito , P.20.

(٢) Marzouk , Three Signed , P.497 ; Abd Al Raziq ( A. ) , " Documents sur la poterie d'époque mamelouke sharaf al Abawani " An. Isl. 7 , 1967 , P. 21-32.

(٣) François , Céramiques médiévales , P.49 , No.91 , Pl.91 .

(٤) هنري رياض ، دليل آثار الإسكندرية ، ص٣٨-٧٩ .

(٥) زكي محمد حسن ، الفن الإسلامي في مصر ، ص١١٧ .

المشكاوات [1] .

فضلاً عن ذلك ذكر المقريزي مدينة الإسكندرية بين المدن التي اشتهرت بإنتاج الزجاج في مصر ، كما أمدتنا وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون بأن من ضمن الأوقاف " جميع الصبانة التي هي الآن زجاجة برسم عمل الزجاج بثغر الإسكندرية المحروس بناحية حمامي الآخوين " [2] مما يؤكد وجود مصانع لإنتاج الزجاج بالإسكندرية في العصر المملوكي .

من العرض السابق يتضح لنا أن الإسكندرية في العصر المملوكي تنوعت بها فنون العمارة الإسلامية من العمارة الحربية المتمثلة في أسوارها وأبراجها وأبوابها وربطها وقاعات السلاح التي يمتلكها السلاطين والمملوكة لأهل الإسكندرية الأمر الذي يوضح مدى إحساس أهل الإسكندرية بالخطر والرغبة في الأمن ، مما قوى روح الجهاد لدى السكندريين وكثرة وجود المتطوعين بها على اعتبار الإسكندرية دار رباط .

ويتبين لنا مما سبق كثرة العمائر التجارية بالإسكندرية من الفنادق والقياسر والوكالات والخانات وهذا ليس بغريب على مدينة كالإسكندرية في مكانتها التجارية في العالم وقتئذ ، والتي تميزت بكثرة وجود فنادق خاصة للأوروبيين مما لم يتوفر للقاهرة عاصمة الدولة المملوكية ، مما جعل لفنادق الإسكندرية نموذجاً يحتذى به في بناء الفنادق في المدن الأوروبية مما يؤكد التأثيرات المعمارية للإسكندرية في الدول الأوروبية .

وتوضح الدراسة أفراد الإسكندرية بوجود مجموعة كبيرة من المنشآت المدنية لا نجد لها مثيل في أي من المدن المعاصرة سواء داخل مصر أو خارجها وهي الصهاريج والتي أشاد بها الرحالة المسلمون والأجانب .

كما اشتملت الإسكندرية على مجموعة كبيرة من العمائر الإدارية وبخاصة دار ضرب العملة والتي أتاحت جميع أنواع العملة في العصر المملوكي حيث وصلتنا العديد من قطع النقود التي أنتجتها ، وكذلك دار الطراز ودار الصناعة .

وتؤكد الدراسة تفوق الإسكندرية في مجال الفنون الزخرفية التطبيقية وبخاصة النسيج والخزف والزجاج ، والتي كشفت الحفائر الأثرية مدى تقدم الإسكندرية في هذه الفنون .

---

(١) عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص٥٣٢ ؛

(٢) وثيقة وقف الناصر محمد ، ص٤٣٢ سطر ٤٦ .

# الفصل السابع

## التصوف

- عوامل ازدهار التصوف .

- اتجاهات التصوف .

الأول : الطرق الصوفية .

- الطريقة الرفاعية

- الطريقة الشاذلية

الثاني : التصوف الرسمي .

- أصحاب الربط والخانقاوات

الثالث : الزهـــاد .

الرابع : الدراويش ( المجاذيب ) .

# الفصل السابع
## التصوف

شكل التصوف تياراً رئيسياً للفكر والثقافة في مصر عصر سلاطين المماليك ، إذ يعد أكثر جوانب الحياة الدينية ازدهاراً ، وأعظمها ذيوعاً ، وأوسعها انتشاراً ، فانتشرت الطرق الصوفية انتشاراً عريضاً ، وتغلغلت في أوساط المجتمع المصري ، فلا عجب أن يتصوف أهل مصر والوافدون إليها في هذا العصر على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم ومذاهبهم ونحلهم ومنازلهم الدينية والدنيوية ، فالفقير والغني والحاكم والمحكوم ، والعالم والجاهل ، والسني والشيعي ، والمتفلسفون ، كل أولئك تصوفوا إما تصوفاً نظرياً ، أو تصوفاً عملياً . ولم يشهد التاريخ ظاهرة كهذه في أي بلد أو أي عصر غير مصر في العصر المملوكي .

ويرجع سبب ازدهار هذه الظاهرة إلى عدة عوامل تضافرت فيما بينها أدت في النهاية إلى قوة تيار التصوف ، منها افتقاد العدل الإجتماعي والشعور بالظلم والجور في ظل حكم الأقلية العسكرية والإقطاعية والمتمثلة في المماليك ، حيث حكموا دولتهم من خلال القوة العسكرية وسيطروا على كل موارد البلاد المالية وأصبح المماليك يمثلون قمة الهرم الطبقي في المجتمع المصري ، واستخدم المماليك القوة ضد أي حركة معارضة لحكمهم وأصبح حكم البلاد حكرا عليهم (١) .

وساعد على ازدهار التصوف في مصر في العصر المملوكي تشجيع سلاطين وأمراء المماليك للمتصوفة وبنوا لهم الخانقاوات والزوايا والربط وأصبح شيخ الخانقاة يصدر له منشوراً من ديوان الإنشاء وأغدقت على هؤلاء الشيوخ الأوقاف والحبوس للإنفاق عليهم وعلى أتباعهم ، بحيث أصبح التصوف بمثابة اغتراب وتغييب للوعي ، وهو أمر كفل للنظم المتسلطة البقاء والاستمرار ، ومن ثم لم تتقاعس عن الترويج لها (٢) .

وساعدت على انتشار التصوف في العصر المملوكي كثرة الأوبئة والمجاعات التي ألمت بمصر ، ودفعت الأزمات الاقتصادية وانتشار الفقر إلى اعتقاد الشعب المصري في قدرات الشيوخ والأولياء ، عسى أن تكون كراماتهم طوق النجاة لهم للخروج من تلك الأزمات والهموم بأسرع وقت ممكن (٣) .

فضلا أدت كثرة الأوبئة والمجاعات والأزمات الاقتصادية إلى انضمام العديد من أفراد الشعب في الخانقاوات التي يتوفر لهم فيها المأكل اللذيذ والمسكن المريح والمال

---

(١) محمود إسماعيل ، دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي ، سينا للنشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة، ١٩٩٤ ، ص٦٩-٧٢ .

(٢) محاسن الوقاد ، الطبقات الشعبية ، ص١٧٣ ؛ أحمد صبحي منصور ، العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف ، سلسلة تاريخ المصريين عدد ١٨٦ ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص٣٩.

(٣) محاسن محمد الوقاد ، الطبقات الدنيا في القاهرة في عصر دولة المماليك ، ماجيستير آداب عين شمس، ١٩٩١، ص٢٠١؛ عثمان علي محمد عطا، الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي والإجتماعي، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٢١٣، القاهرة، ٢٠٠٢ ، ص٢٦٥ .

الوفير فضلاً عن عبادة الله ، بعكس الحال خارج الخانقاة . [1]

وكذلك أدت الحروب الصليبية وحروب المغول التي تعرضت لهـا منطقـة الشـرق الأدنى الإسلامي إلى ازدهار حركة التصوف . ولعل أهم أسباب انتشـار التصـوف فـي مصر كثرة قدوم الوافدين إلى مصر من مشايخ الصوفية وبالأخص المغاربة والأندلسيين مثل ابن عربي (٥٦٠-٦٣٨هـ/١١٦٤-١٢٤٠م ) والسـيد أحمـد البـدوي (٥٩٦-٦٧٨هـ/١١٩٩-١٢٧٩م ) وأبو الحسن الشاذلي (٥٩٣-٦٥٦هـ/١١٩٦-١٢٥٨م ) وتلميذه أبو العباس المرسي المتوفي في ٦٨٦هـ/١٢٨٧م وغيـرهم والـذين أسسـوا طرقاً انتظم فيها المريدون وأصبح لهم أوراداً خاصة بكل منهم ، كل هذه العوامل مجتمعة أدت إلى سيطرة التصوف على المجتمع المصري في العصر المملوكي .

وقد عرفت الإسكندرية التصوف قديماً منذ القرن الثاني الهجري / التاسع الميلادي " حيث أشار الكندي إلى أنه " ظهرت بالإسكندرية طائفة يسـمون بالصـوفية يـأمرون بالمعروف فيما زعموا ويعارضون السلطان في أمره فترأس عليهم رجل منهم يقال لـه أبو عبد الرحمن الصوفي [2] . وذلك في سنة ٢٠٠ هـ/٨١٥م في ولاية السـري بـن الحكم ، ويمكن أن نتخذ هذه السنة تاريخاً تقريبياً لظهور التصوف في مصر .

ومما زاد التصوف قوة في الإسكندرية اتخاذها دار رباط في سبيل الله منـذ الفـتح الإسلامي لها وكثر وفود المرابطين في سبيل الله ، وبنيت بها الأربطة (الربط) الكثيـرة والتي جمعت بين الوظيفة العسكرية والوظيفة الدينية حيث اتخذت كدار عبادة ، وساعد من نمو هذه الربط هجرة أعداد كبيرة من المغاربة والأندلسيين إلى الإسكندرية وبخاصة في عصري الأيوبيين والمماليك .

وقد لعب المغاربة والأندلسيون دوراً كبيراً في التصوف في الإسكندرية في العصـر المملوكي بحيث يمكننا القول أن معظم المتصوفة في الإسكندرية كـانوا مـن المغاربـة والأندلسيين مثل أبو الحسن الشاذلي وأبو العباس المرسي ومحمد بن سليمان الشاطبي.

ويمكننا أن نميز في الإسكندرية بين عدة اتجاهات للتصوف ، الاتجـاه الأول وهـم أصحاب الطرق الصوفية ولدينا طريقتين انطلاقاً من الإسكندرية للانتشار داخـل مصـر ومنها إلى خارجها الأولى الطريقة الرفاعية التي ظهـرت بـالعراق وقـام أبـو الفـتح الواسطي بنشرها في مصر متخذاً من الإسكندرية مركز انتشـار لهـا ، ثـم الطريقـة الشاذلية التي أسسها أبو الحسن الشاذلي متخذاً من الإسكندرية مركز انتشار لهـا فـي جميع أنحاء العالم الإسلامي.

والاتجاه الثاني متصوفة الربط الذين اتخذوا منها ملجأ وسكناً تنفق الدولة علـيهم وتوقف عليهم الأوقاف الكثيرة.

---

(١) توفيق الطويل ، التصوف في مصر إبان العصر العثماني ، تاريخ المصريين رقم ٢١ ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص٣٩ .

(٢) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص١٦٢-١٦٣ ؛ المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٢٧٩ ؛ آدم متز ، الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ص١٢-١٣ ؛ صفي علي محمد ، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط ، ص٢٠٠ ؛ شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، جـ٦ ، ص٦١ .

والاتجاه الثالث للتصوف فيمثله العلماء الزهاد الذين ارتبطوا بالكتاب والسنة وامتنعوا عن الدوران في فلك الدولة مثال أبو القاسم القباري السكندري .

والاتجاه الرابع للتصوف في الإسكندرية وهم الدراويش أو المجاذيب وهؤلاء انحلوا عن الفرائض الدينية وانحرفوا إلى الرذيلة ولا ينسبون إلى علم ولا ديانة .

وساد التصوف باتجاهاته الأربعة جميع طبقات المجتمع السكندري ، وأحدث ذلك رد فعل لدى بعض علماء الإسكندرية الذين رفضوا بعض مظاهر الإنحراف لدى بعض المتصوفة .

واتخذ بعض مشايخ التصوف الشعراء لنظم القصائد لإبراز كرامات هؤلاء الشيوخ ومدحهم مثال ذلك الشاعر البوصيري الذي يمكننا أن نطلق عليه شاعر الطريقة الشاذلية فضلاً كتابه كتب المناقب لهؤلاء الشيوخ وإبراز مكانتهم وتعدد الكرامات والمعجزات التي أحاطت بهؤلاء الشيوخ مثال ذلك ما كتبه ابن عطاء الله السكندري تلميذ أبو العباس المرسي عن شيخه أبو العباس وأستاذه أبو الحسن الشاذلي في كتابه " لطائف المنن " وما كتبه ناصر الدين بن المنير عن مقامات القباري مما جعل هؤلاء الشيوخ من القوة التي لا يمكن المساس بها أو الاقتراب منها وإلا يناله مالا يتخيله من عقاب .

الاتجاه الأول : الطرق الصوفية :-

خلال القرون السبت الأولى من التاريخ الهجري ، تجلت إيجابيات التصوف حين كان نزعة للزهد والتقى في مبدأ نشأته . ودعوة لمقاومة مفاسد النزعة الدنيوية التي غمرت العالم الإسلامي بعد الفتوحات . ويعبر القشيري عن ذلك بقوله : " فلما ظهرت البدعة وتشاحنت الفرق ، انفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوالق الغفلة باسم الصوفية " (١) .

على أن هذه المفاسد التي تصدى لها المتصوفة خلال القرنين الأولين لم تكن ذات طابع أخلاقي بقدر ما كانت تعبر عن ظروف اجتماعية وسياسية تمثلت في ظهور اتجاهات دنيوية على حساب الدين وفرقة سياسية عبرت عنها الفرق التي نشأت إبان الفتنة الكبرى ، وحين تفاقمت المشكلات السياسية والإجتماعية في العصر الأموي ، تحول التصوف من كونه نزعة فردية للزهد إلى حركة جماعية ذات أطر فكرية ، تشكل إطاراً فلسفياً ينطلق من فكرة وحدة الوجود (٢) .

وفي منتصف القرن الخامس الهجري تحول التصوف إلى حالة من الاغتراب فنحى نحوا غيبيا متأثرا في ذلك بالأفلاطونية المحدثة واتخذ طابعاً هرطقيا (٣) . وحين حسم

---

(١) القشيري ،الرسالة القشيرية ، تحقيق عبد الحليم محمود ، دار الكتاب الحديث ، د.ت ، ص٤-٥

(٢) محمود إسماعيل ، دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي ، ص٧٠-٧١ .

(٣) امتزج التصوف في القرنين السادس والسابع الهجريين وما بعدهما بالفلسفة سواء كانت يونانية وفارسية وهندية ومسيحية وطبع هذا التصوف بالغموض ، ذو لغة اصطلاحية خاصة ويحتاج فهم مسائله إلى جهد غير عادي وعرف متفلسفة الصوفية الفلسفة اليونانية ومذاهبها وبخاصة الفلسفة الأفلاطونية المحدثة ونظريتها في الفيض أو الصدور Emanation والفلسفة المعروفة بالهرمسية=

الصراع الاجتماعي في القرن السادس الهجري لصالح الإقطاعية العسكرية صار التصوف أيدولوجية شعبية ، وأصبح غطاء فكرياً للنظم الإقطاعية العسكرية التي ناهضت النزعات العقلانية لصالح التي ناهضت النزعات العقلانية لصالح الخرافة والشعوذة . ففشت الطرقية بمظاهرها السلبية المعبرة عن انحطاط الحضارة العربية الإسلامية [١] .

لقد ظهرت الطرق الصوفية كنظام اجتماعي ومؤسسة شعبية تساندها النظم الإقطاعية العسكرية ، وتأثر النظام الطرقي بالسلك التنظيمي للحركة الإسماعيلية الشيعية ، فمراتب الصوفية الطرقية من القطب إلى الوتد إلى البدل إلى المريد تقابله عند الإسماعيلية مقامات الإمام وداعي الدعاة والنقيب والتابع ، فضلاً عن أن مشايخ هذه الطرق الصوفية بدون استثناء ينسبون إلى البيت العلوي انطلقوا جميعاً من بلاد المغرب والأندلس ومنه إلى الحجاز ثم إلى العراق ، ومن العراق يتم إرسال الشيخ إلى المكان المحدد لوجوده [٢] ، ولو أخذنا نماذج لمشايخ الطرق في مصر مثل الطريقة الأحمدية نسبة للسيد أحمد البدوي الذي انطلق من المغرب ثم إلى الحجاز ثم إلى العراق ومنها إلى بلدة طنتدا ( طنطا ) [٣] . وأبو الحسن الشاذلي الذي انطلق من الأندلس ثم إلى الحجاز ثم إلى العراق ثم إلى المغرب ثم تونس فالإسكندرية والاثنان ينسبان إلى أولاد علي بن أبي طالب والطريقة الرفاعية المنسوبة للسيد أحمد الرفاعي وأصله علوي أيضاً ثم أرسل أتباعه إلى مصر مبشرين بطريقته .

الطريقة الرفاعية :-

نلاحظ أن أول طريقة صوفية عرفتها الإسكندرية ومصر الطريقة الرفاعية المنسوبة للسيد أحمد الرفاعي نسبة إلى بني رفاعة من قبائل العرب وصاحب النسب العلوي الذي استقر ببلده أم عبيدة بالبطائح بالقرب من مدينة واسط بالعراق ، وتعرف طريقته بالرفاعية والأحمدية والبطائحية ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية ، والنزول في النار ، وينام أحدهم في جانب الفرن والخباز يخبز في الجانب الآخر ، وتوقد لهم النار العظيمة ، ويركبون الحيوانات المفترسة [٤] .

---

=Hermeticism وهي منسوبة إلى هرمس وهي فلسفة قديمة لعبت دوراً هاماً في الفكر الهليني المتأخر بالإسكندرية ، ويعتبر السهروردي المقتول وابن سبعين على وجه الخصوص من المتأثرين بالهرمسية ، انظر: أبو الوفا التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الإسلامي ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص١٨٧-١٨٨ .

(١) محمود إسماعيل ، المرجع السابق ، ص٧١ .

(٢) كامل مصطفى الشيبي،الصلة بين التصوف والتشيع، دار المعارف، القاهرة ،١٩٦٩، ص٤٤٥ .

(٣) عبد الصمد الأحمدي ، الجواهر السنية والكرامات الأحمدية ، القاهرة ١٢٨٧هـ ؛ الشعراني ، الطبقات الكبرى ، جـ٢ ، ص١٨٣-٢٠٠ ، رقم ٢٨٧ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، السيد أحمد البدوي شيخ وطريقه ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص٥٥-٨٩ ؛ محمد فهمي عبد اللطيف ، السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص٤٠-٤١ .

(٤) الشعراني ، الطبقات الكبرى ، جـ١ ، ص١٤٠-١٤٥ ، رقم ٢٦٣ ؛ الشبلنجي ، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ١٩٩٩ ، ص٣٧٩ .

ورغبة من الرفاعي في نشر طريقته في مصر ومنها إلى بلاد المغرب والأندلس حيث يكثر أولاد البيت العلوي أرسل أحد مريديه وهو أحمد بن صدقة بن أحمد بن الخضر بن القاسم المعروف بأبي الفتح الواسطى الذي اتخذ من الإسكندرية مركزاً لإنتشار الطريقة الرفاعية [١] ، وأشار إلى ذلك صفي الدين بن أبي المنصور بقوله : " ورأيت بالثغر الشيخ الإمام القدوة العارف الكبير أبو الفتح . كان عظيم الشأن ، شهرته عظيمة ، وأذن له السيد أحمد الرفاعي – نفع الله به – بالتوجه لديار مصر بإشارة عليه ظهر حكمها . فلما وصل الثغر ظهرت عليه الأحوال السنية والمعارف الجلية . الهمة العلية واستجابت له البلاد وانقادت له أعيان الناس ، وكان له لسان ناطق ، وإشارات عليه ، ونفاذ همة . واتسعت دائرته ، وزارته الملوك وحديثه مشهور " [٢] .

وعندما استقرت الأمور لأبي الفتح الواسطي بالإسكندرية أرسل أحد مريديه ويسمى عمرانا إلى رواق أحمد الرفاعي بالبطائح لإحضار أهله للإسكندرية [٣] .

وكثر أتباع الواسطي بالإسكندرية ، ورباهم وأرسلهم إلى قرى ومدن مصر ليكونوا شيوخا لها مثل الشيخ عبد السلام القليبي نسبة لبلدة قليب أبيار ، والذي اتسعت دائرته واستجاب له خلق كثير [٤] والشيخ عبد الله البلتاجي الذي يعد كبير أصحاب الشيخ أبي الفتح ، كلهم يعترفون له بالحرمة [٥] والشيخ عبد القادر الأسكندراني [٦] ، والشيخ ضرغام المسيري [٧] . والشيخ بهرام الدميري ، والشيخ عبد الوهاب الدريني ، والشيخ عبد العزيز الدريني [٨] والشيخ علي المليجي [٩] .

ويبدو أن الأمور لم تسير مثل ما أراد أبو الفتح الواسطي بالإسكندرية إذ وقف له فقهاء الإسكندرية وأنكروا عليه حاله ويأتي رأسهم خطيب جامع العطارين (الجيوشي) ، وعقدوا له مجالس للمناظرة وهو يقطعهم بالحجة على حذ قول الشعراني [١٠] .

وكعادة الشعراني أراد إضفاء الكرامات لمشايخ الصوفية ، وإبراز قدراتهم الخارقة للعادة وأضفى على الشيخ أبو الفتح الواسطي العديد من الكرامات ، فذكر " وكان خطيب جامع العطارين من أشدهم عليه ، فبينما هو – الخطيب – يوماً فوق المنبر والأذان بين يديه تذكر أنه جنب فمد له الشيخ أبو الفتح كمه فوجده زقاقاً فدخله فرأى فيه ماء ومطهرة فاغتسل ، وخرج فجلس على المنبر ، فلما ستره الشيخ هذه السترة اعتقد وصار من أجل أصحابه " [١١] .

---

(١) المقريزي ، المقفى الكبير ، جـ١ ، ص٤١٤ ، ٤٥٣ .
(٢) صفي الدين بن أبي المنصور ، رسالة ، ص٧٤ .
(٣) نفسه ، ص٧٦ .
(٤) نفسه ، ص٧٤ .
(٥) نفسه ، ص٧٥ ؛ الشعراني ، الطبقات الكبرى ، جـ١ ص٢٠٢ .
(٦) صفي الدين ، نفسه ، ص٧٥ .
(٧) نفسه ، ص٧٥-٧٦ .
(٨) الشعراني ، الطبقات ، جـ١ ، ص٢٠٢ رقم ٢٩٤ .
(٩) نفسه ، جـ١ ، ص٢٠٢ ، رقم ٢٩٣ .
(١٠) ، (١١) نفسه ، جـ١ ، ص٢٠٢ ، رقم ٢٩٢ .

وعلى الرغم من سذاجة هذه القصة ، فإن لها مدلول آخر فهي تمثل قوة ردع لكل المعترضين على الشيخ وإظهار كرامات الشيخ الباهرة وهذه من سمات التصوف في العصر المملوكي هو إضفاء الكرامات والمعجزات لشيوخ التصوف ومن يعترض من الفقهاء فمصيره العزل والموت والنفي وتتكرر هذه الحكاية مع السيد البدوي وقاضي القضاة ابن دقيق العيد (١) ، وأبو الحسن الشاذلي وقاضي تونس (٢) .

وظل أبو الفتح الواسطي بالإسكندرية ينشر الطريقة الرفاعية منها إلى جميع البلاد المصرية ، ومنها إلى بلاد المغرب والأندلس حتى وفاته والتي اختلف فيها المؤرخون فالشعراني يذكر وفاته في " نحو الثمانين والخمسمائة ودفن بالإسكندرية وقبره بها ظاهر يزار " (٣) ، في حين يذكر المقريزي وفاته في ١٤ شوال سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م(٤) ، في حين يذكر بعض الباحثين عام وفاته عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م(٥) وينسب إليه بعض الباحثين رباط يقع شرقي مسجد أبو العباس المرسي وهو باسم الشيخ السعيد الأمين المفضل المرتضى أطكين شهاب الدين أبو علي منصور ، بن الشيخ السعيد الأمين أبو الفتوح نصر بن الشيخ أبي الفضل جعفر الواسطي القاضي العدل والمتوفي في رابع شهر شعبان الشريف سنة اثنتين وسبعين وستمائة ويبدو أن هذا الرباط ينسب لغير أبو الفتح الوسطي لاختلاف اسم صاحب اسم الرباط المكتوب على القبر (٦) .

ويرى علي سالم عمار أن صاحب هذا القبر هو علي بن أبي الفتح الواسطي وأخته فاطمة بنت أبي الفتح الواسطي وأم إبراهيم الدسوقي صاحب الطريقة البرهامية (٧) ، وأن قبر أبو الفتح الواسطي يقع بجوار أبو الدرداء بالإسكندرية (٨) .

وأحدثت وفاة أبو الفتح الواسطي فراغا في الإسكندرية بين الصوفية ، وحسبنا أن نعلم أنه لما وصل خبر وفاته إلى خلفاء الرفاعي بالعراق مركز الطريقة الرفاعية وقع

---

(١) عن هذه القصة ، انظر : عبد الصمد ، الجواهر السنية ، ص٧٢-٧٣ ؛ سعيد عاشور ، السيد البدوي ، ص١٣٠-١٣٢ ؛ عبد الله صابر ، السيد البدوي دراسة نقدية ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٩٩١ ، ص١٨-٢٠ ؛ محمد فهمي عبد اللطيف ، السيد البدوي ، ص٤٦ .

(٢) ابن الصباغ ، درة الأسرار ، ص٢٦-٢٧ .

(٣) الطبقات الكبرى ، جـ١ ، ص٢٠٢ .

(٤) المقفى الكبير ، جـ١ ، ص٤١٤ .

(٥) علي سالم عمار ، أبو الحسن الشاذلي ، جـ١ ، ص٧٦-٧٧ ؛ عامر النجار ، الطرق الصوفية في مصر في القرن السابع الهجري ، ص١٢٣ .

(٦) حسن عبد الوهاب ، الإسكندرية في العصر الإسلامي ، ص٣٩٣ ؛ الشيال ، الإسكندرية ، ص٢٢٨؛ تاريخ مدينة الإسكندرية، ص٨٨ ؛ عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص٤٨٠-٤٨١ .

(٧) يعتبر أبو الفتح الواسطي جد الشيخ إبراهيم الدسوقي شيخ الخرقة البرهانية المتوفي في عام ٦٧٦هـ/١٢٧٧م ، انظر : الشعراني ، الطبقات الكبرى ، جـ١ ، ص١٦٥-١٨٣ ، رقم ٢٨٦ ؛ المناوي ، الكواكب الدرية ، جـ٢ ، ص٥-١٥ .

(٨) علي سالم عمار ، أبو الحسن الشاذلي ، ص٧٨ ، ويذكر حسن عبد الوهاب إن هذا لرباط في وسطه قبران الأمر الذي يؤكد ما ذكر علي سالم عمار ، انظر : الإسكندرية ، ص٣٩٣ .

اختيارهم على السيد أحمد البدوي مبعوثاً من الطريقة الرفاعية إلى الإسكندرية سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م وفي هذا تقدير كبير لمركز الواسطي ومكانته [١] . ولكن البدوي اتجه إلى بلده طنتدا ( طنطا ) لتكون مركز انطلاق له بدلاً من الإسكندرية والتي ظهر فيها أبو الحسن الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية بالإسكندرية [٢] .

الطريقة الشاذلية :-

تنسب هذه الطريقة إلى أبي الحسن الشاذلي ، وهو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب [٣] أي أصله علوي ، ولد في عام ٥٩٣هـ/١١٩٧م ببلدة غمارة بالقرب من مدينة سبتة بالمغرب الأقصى ، وبها تعلم القرآن والحديث على يد شيوخها ، ثم رحل إلى مدينة فاس وهناك التقى بالشيخ عبد الله بن أبي الحسن بن حرازم ، وهو أكبر تلاميذ الشيخ أبي مدين التلمساني [٤] ، الذي لعب

---

(١) علي سالم عمار ، نفسه ، ص٧٧ ؛ عامر النجار ، نفسه ، ص١٢٣ ؛ سامح كريّم ، أعلام في التاريخ الإسلامي في مصر ، ص٢٣٨-٢٣٩ .

(٢) روى المناوي في الكواكب الدرية " أن أبا الحسن الشاذلي لما قدم الإسكندرية وكان بها الشيخ أبو الفتح الواسطي ، وقف بظاهرها وأستاذنه ، فقال الواسطي ( طاقية لا تسع رأسين ) فمات في تلك الليلة ، وذلك لأن من دخل على فقير بلداً بغير إذنه ، فإن كان أحدهما أعلى من الآخر سلبه حاله وقتله ، ولذلك ندبوا الاستئذان . الأمر الذي يوضح حسب رواية المناوي أن سبب موت أبو الفتح الواسطي قدوم الشاذلي إلى الإسكندرية .

(٣) الذهبي ، العبر ، جـ٣ ، ص٢٨٢ ؛ ابن الصباغ ، درة الأسرار ، ص٢٢ ؛ ابن عطاء الله ، لطائف المنن ، ص٧٥ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، ص٢٨٧ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٢١ ، ص٢١٤-٢١٧ ، رقم ١٣٩ ؛ نكت الهيمان ، ص ٥٦ ؛ ابن قنفذ ، الوفيات ، ص٣٢٣ ؛ الكوهن ، طبقات الشاذلية ، ص١٥ ؛ المناوي ، الكواكب الدرية ، جـ٢ ، ص١٢٦-١٣٧ ، رقم ٥٦٩ ؛ النبهاني ، جامع كرامات الأولياء ، جـ٢ ، ص١٧٥-١٧٧ ؛ مصطفى بن محيي الدين نجا الشاذلي ، كتاب كشف الأسرار ، ص٢٢-٢٣ .

(٤) أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي من ناحية أشبيلية ، ومن حصين يقال له قطنيانة من عمل أشبيلية ثم انتقل إلى المغرب إلى مدينة فاس ليأخذ عن علمائه من المغاربة وساقة هذا الطريق إلى الشيخ أبو يعزى يلنور بن ميمون المتوفي عام ٥٦١هـ/١١٦٥م وهو من كبار الصوفية في بلاد المغرب الأقصى عنه انظر : الكتاني ، سلوة الأنفاس ، جـ١ ، ص١٧٤ ، ابن الزيات ، التشوف إلى رجال التصوف ، ص١٩٥-٢٠٥ ؛ المعزي في مناقب أبي يعزي ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ميكروفيلم رقم ٢٢٧٧٠٣ ؛ابن قنفذ القسطنطيني ، أنس الفقير وعز الحقير ، الرباط ، ١٩٦٥ ، ص٢١ ، ثم انتقل أبو مدين إلى مكة والتقى بعبد القادر الجيلاني ثم عاد إلى المغرب وتوفي بتلمساني في عام ٥٩٤هـ/١١٩٧م ، انظر : ابن قنفذ ، أنس الفقير ، ص٢١ ؛ ابن الزيات ، التشوف إلى رجال التصوف ، ص٣١٦ ؛ الكتاني ، سلوة الأنفاس ، جـ١ ، ص٣٦٤ ؛ ابن مريم البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ص١٠٨ ؛ النبهاني ، كرامات الأولياء ، جـ٢ ، ص٣٩ ؛ الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق ، عادل نويهض ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص٢٢-٣٢ ، رقم ١ .

دوراً كبيراً في ظهور الطرق الصوفية وتنظيمتها والعمل بوعي وتخطيط كاملين لإقامة هذه الطرق فاختار تلاميذه بذكاء وبعثهم بعد أن زودهم بتعاليمه حتى أصبحوا فيما بعد شيوخ الطرق الصوفية وروادها ، فمما لاشك فيه أن جميع الطرق الصوفية في العالم الإسلامي قد خرجت من تحت عباءة أبو مدين التلمساني ت ٥٩٤هـ/١١٩٨م . وتتلمذ أبو مدين علي الشيخ أبو يعزى ثم رحل إلى المشرق والتقى أبو مدين التلمساني بالشيخ عبد القادر الجيلاني بمكة [١] وفي هذا اللقاء تم الاتفاق بين العلويين في العراق والعلويين في المغرب على توحيد جهودهم في السيطرة على العالم الإسلامي من خلال تربية المريدين والإتباع من خلال إنشاء عدة تنظيمات فأخذ نفس الهرم التنظيمي الشيعي والأفكار الشيعية . وأصبحت مكة هي مركز انطلاق الطرق الصوفية التي يتزعمها أفراد من البيت العلوي حرصوا كل الحرص على إبراز هذا النسب مثل عبد القادر الجيلاني ، وأحمد الرفاعي ، أبو الحسن الشاذلي ، وأحمد البدوي وغيرهم وأتم أبو مدين بارشاد الجيلاني علومه الصوفية وتأثر بطريقته ، وأسس أبو مدين طريقته المدنية وهي مثل الطريقة القادرية وهي مبنية على الجهر بذكر الجلالة . وعلى يد أبومدين ظهرت الطرق الصوفية وتربى مؤسسوها عليه أو على تلاميذه ومن أهم تلاميذه محيي الدين بن عربي مؤسس الطريقة الأكبرية وأهم المنادين بوحدة الوجود والاتحاد وهي من الطرق الصوفية التي تأثرت بالفلسفة اليونانية وحفيد أبو مدين السيد أحمد البدوي لأمه وهي فاطمة بنت أبي مدين التلمساني ، وأبو مدين أستاذ ابن مشيش أستاذ أبو الحسن الشاذلي ، وأستاذ عبد الله بنْ أبي الحسن بن حرازم أستاذ أبو الحسن الشاذلي [٢] .

تتلمذ أبو الحسن الشاذلي علي عبد الله بن حرازم ولبس منه خرقة التصوف ، ثم رحل إلى تونس وتلقى على علمائها علوم الشريعة وتفقه على مذهب مالك ، ويذكر الدكتور الشيال بأن الجو في تونس كلها يضوع منه شذى تعاليم أبي مدين وروحانيته ، وتأثر الشاذلي بهذا الجو تأثراً شديداً وعشق التصوف وحياة المتصوفة [٣] .

ثم سافر أبو الحسن الشاذلي إلى العراق لتجديد التعاقد مع العلويين في العراق من أتباع عبد القادر الجيلاني ، وأتباع أحمد الرفاعي ، وبالفعل التقى في عام ٦١٨هـ/١٢٢١م مع أبي الفتح الواسطي تلميذ الرفاعي – والذي سيأتي إلى الإسكندرية لنشر الطريقة الرفاعية – وتأثر أبو الحسن به وأمره أن يرجع إلى بلاد

---

(١) عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ولد في جيان سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م وزحل إلى بغداد سنة ٤٧٨هـ/١١٨٥م ، وأنشأ الطريقة القادرية وتوفي ببغداد عام ٥٦١هـ/١١٦٥م ، انظر : الشعراني ، الطبقات الكبرى ، جـ١ ، ص١٢٦-١٣٢ رقم ٢٤٨ ؛ المناوي ، الكواكب الدرية، جـ٢ ، ص٨٨-٨٩ ؛ أبو الوفا التفتازاني ، الطرق الصوفية في مصر ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، مجلد ٢٥ ، جـ٢ ، عام ١٩٦٨ ، ص٧٢ ؛ مدخل إلى التصوف الإسلامي ، ص٢٣٦-٢٣٧ .

(٢) عامر النجار ، الطرق الصوفية ، ص١١٨-١١٩ ، ١٨١ .

(٣) الشيال ، أعلام الإسكندرية ، ص١٦٥ .

المغرب ، وهنا تذكر الكتب الخاصة بمناقب أبي الحسن الشاذلي بأن أبو الحسن طلب معرفة القطب فقال له أبو الفتح الواسطي تتطلب القطب بالعراق والقطب ببلادك ، فرجع للمغرب واجتمع بالقطب الجليل أستاذه الروحي الكبير أبي محمد عبد السلام بن مشيش ( دشيش ) ببلاد المغرب(١) .

وبعد صحبة ابن مشيش يأمر أبو الحسن بالرحيل إلى أفريقية ( تونس ) إلى بلده شاذلة حيث يسمى بالشاذلي وهنا تجمع حول الشاذلي الأتباع والمريدون ، وهنا ترجع كتب المناقب عداء قاضي الجماعة بتونس ابن البراء له ويتهمه بأنه جاسوس فاطمي ، وكيف انتصر أبو الحسن عليه ، المهم أن اتهام قاضي تونس له نصيب من الصحة وإلا ما اتهمه به (٢) .

ثم رحل الشاذلي إلى الإسكندرية وهنا تظهر قدرة أبو الحسن الشاذلي ، حيث كان يوجد بالإسكندرية أبو الفتح الواسطي أستاذ أبو الحسن في العراق ولكن يرفض أن يدخل أبو الحسن الإسكندرية حتى يستأذن الشيخ أبو الفتح الواسطي كما جرت العادة عند المتصوفة ، فقال له : الشيخ أبو الفتح لا يجتمع رأسان في طاقية واحدة ، فمات أبو الفتح الواسطي في ليلته . ويرجع ابن الصباغ رحيل أبو الحسن إلى الإسكندرية نتيجة لرؤيا رآها ، أمره فيها النبي أن ينتقل إلى الديار المصرية ، وهنا تشابه واضح بين رؤيا الشاذلي ورؤيا أحمد البدوي الذي انتقل إلى طنطا نتيجة لرؤيا رأى فيها النبي يأمر بالانتقال من العراق إلى مصر . وهذه الرؤيا من أسلحة هؤلاء المتصوفة التي استخدموها بمهارة فائقة حيث أن الأمر لا يرجع إليهم أنما يرجع إلى أمر النبي الواجب طاعته وكان ذلك في عام ٦٣٤هـ/١٢٣٦م أي في عهد الملك الكامل محمد الأيوبي ، وهنا ينزله السلطان في أحد أبراج سور الإسكندرية والذي أوقفه السلطان عليه وعلى أولاده ووصفه ابن الصباغ بأنه " في أسفله ماجل كبير ومرابط للبهائم ، وفي الوسط منه مساكن للفقراء ، وجامع كبير ، وفي أعلاه أعليه لسكناه ولعياله ، وتزوج هناك ، وولد له أولاد " (٣) .

وانطلقت من الإسكندرية الطريقة الشاذلية في جميع أنحاء مصر والعالم الإسلامي ، وبدأ أبو الحسن الشاذلي حركة دائبة في نشر طريقته في جميع مدن وقرى مصر ويرسل تلاميذه إليها ليكونوا شيوخا بها ، فضلا عن متابعة حركة العلويين بالذهاب إلى مكة

---

(١) ابن الصباغ ، درة الأسرار ، ص٢٣ ، ونلاحظ أن السيد أحمد البدوي قام بنفس الرحلة من بلاد المغرب إلى مكة ومنها إلى العراق وطاف بأوليائه ثم أمر بالذهاب إلى مصر حيث نزل طنتدا (طنطا حالياً) .

(٢) من المعروف في تلك الفترة أن كتاب سير المتصوفة أفاضوا عليهم من الكرامات والقوى الخارقة ما ترهب كل من يعترض أو ينتقد تصرفاتهم فجعلوا قاضي تونس الذى اعترض على أبوالحسن الشاذلي والذي سينتهي مصيره إلى العزل أو الموت ، كما نسجوا نفس القصة مع السيد البدوي الذي اعترض عليه قاضي القضاة ابن دقيق العيد ، والذي ألقاه البدوي في جزيرة نائية وسلبه العلم وهكذا نسجت مجموعة من القصص اختاروا لها أشخاص مهمين من الفقهاء كانت نتيجة اعتراضهم أن سلبوا العلم منهم ، بما يمثل منطقة خطر لمن يفكر في الاعتراض أو النقض .

(٣) ابن الصباغ ، درة الأسرار ، ص٣٣ .

سنوياً في موسم الحج منعاً لإثارة الشكوك في طريقته [١] .

وحث الشاذلي على العمل وعدم التكاسل وحث على لبس الملابس الجديدة وعدم لبس الملابس القديمة والمرقعات ، وهذا ضروري في مجتمع مثل مجتمع الإسكندرية المزدهر اقتصادياً وحيث وجود رأسمالية تجارية قوية بالمدينة فإذا دعا إلى ترك العمل لم يتبعه أحد ، فضلاً عن رغبة في اكتساب الفقهاء الموجودين في المدينة الذين غلب عليهم التدين والزهد من أمثال المكين الأسمر شيخ القراءات بالإسكندرية ، وابن عطاء الله السكندري [٢] .

وظل أبو الحسن الشاذلي ينشر طريقته من الإسكندرية حتى وفاته عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ودفن بصحراء عيذاب في بلده حميثرا [٣] ، وقام أحد أتباعه فيما بعد من بناء ضريح على قبره وزاره النويري السكندري في عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م أثناء رحلته للحج[٤] .

وخلف الشاذلي في قيادة الطريقة الشاذلية تلميذه وتابعه أبو العباس المرسي ، وهو أحمد بن عمر بن محمد الأنصاري المرسي نسبة لمدينة مرسية بجنوب شرق الأندلس وكان أبوه أحد التجار بها ، مات أبوه عام ٦٤٠هـ/١٢٤٢م أثناء رحلته إلى الحج أمام شواطئ بونه – عنابة بالجزائر حاليا – . وانتقل أبو العباس المرسي وأخوه إلى تونس وهناك التقى بالشيخ أبو الحسن الشاذلي ثم غادر تونس مع أبي الحسن إلى الإسكندرية واستقر أبو العباس بالإسكندرية وبعد موت أبو الحسن خلفه أبو العباس المرسي ، وأخذ أبو العباس تربية المريدين والأتباع مثل أبو الحسن الشاذلي [٦] . ولعل أهم تلاميذ المرسي أحمد بن عطاء الله السكندري والذي يعد أهم شخصية في المدرسة الشاذلية وهو الذي دون الفكر الصوفي الطريقة الشاذلية ، حيث أن أبا الحسن لم يترك

---

(١) علي سالم عمار ، أبو الحسن الشاذلي ، جـ١ ص١٠٢-١٠٣ .

(٢) عن تصوف أبو الحسن الشاذلي ، انظر : عبد الحليم محمود ، أبو الحسن الشاذلي ، الصوفي المجاهد العارف بالله ، أعلام العرب رقم ٧٢ ، القاهرة ١٩٦٧ ؛ قضية التصوف المدرسة الشاذلية ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص١٥-١٧٣ ؛ على سالم عمار ، أبو الحسن الشاذلي ، الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٩٦١ .

(٣) اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ٤ ، ص١٤٠-١٤٧ .

(٤) النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٥ ، ص٢٢٤ .

(٥) ابن عطاء الله ، لطائف المنن ، ص٧٥-١٩٥ ؛ بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة ، جـ٩ ، ص٢٨٤ ، ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٧ ، ص٢٦٤ ، رقم ٣٣٢٥ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ١ ، ص٥٤٨ رقم ٥٣٨ ؛ المناوي ، الكواكب الدرية ، جـ٢ ص٢٢-٢٨ رقم ٤٩٥ ؛ حسن السندوبي ، أبو العباس المرسي ومسجده الجامع بالإسكندرية ، القاهرة ، ١٩٤٤ ؛ عبد الحليم محمود ، العارف بالله أبو العباس المرسي ، أعلام العرب ، رقم ٨٤ ، ١٩٦٩ ؛ قضية التصوف ، ص١٧٥-٢٧٩ .

(٦) توفي أبو العباس المرسي بالإسكندرية في عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م ودفن بضريحه خارج الإسكندرية بجزيرة فاروس وأصبحت المقبرة التي دفن بها تعرف به ، وأصبح المرسي من أهم أعلام الإسكندرية ويقع مسجده في ميدان المساجد المطل على الميناء الشرقي للإسكندرية بحر الأنفوشي .

كتب وكان يقول كتبي تلاميذي ولم يترك إلا مجموعة من الأوراد والأحزاب ، وكذلك فعل أبو العباس المرسي .

ونلاحظ أن حياة ابن عطاء الله السكندري مرت بثلاثة أطوار ، طورين منها بمدينة الإسكندرية ، وطور ثالث وأخير بمدينة القاهرة ، فالطور الأول وهو الواقع قبل عام ٦٧٤هـ/١٢٧٥م وقد نشأ فيه ابن عطاء الله طالباً لعلوم عصره الدينية من تفسير وحديث وفقه وأصول ونحو وبيان وهو من أسرة اشتهر أفرادها بالعلم .

والطور الثاني فيبدأ من سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م وهي السنة التي صحب فيها أبا العباس المرسي ، وينتهي بارتحاله منها إلى القاهرة وفيه تصوف على طريقة الشاذلي مع عدم انقطاع في نفس الوقت عن طلب العلوم الدينية ، ثم اشتغل بتدريسها في جامع العطارين .

والطور الثالث فيبدأ بارتحاله من الإسكندرية إلى القاهرة ليقيم بها وينتهي بوفاته بالقاهرة سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م حيث اتخذ من الأزهر مركز انطلاق لطريقته ودرس به كتاب الحكم الذي يحتوي على تصوف الشاذلي وكذلك كتبه الأخرى [١] .

وترك ابن عطاء الله السكندري العديد من المصنفات التي شرح فيها التصوف الشاذلي يأتي في مقدمتها كتاب " الحكم " والذي وضعت عليه عشرات الشروح [٢] ، وكتاب " المناجاة العطائية " وكتاب " التنوير في أسقاط التدبير " [٥] وفي هذا الكتاب يوضح ابن عطاء الله فلسفته التي تدور حول إسقاط الإنسان لتدبيره مع الله تعالى والرضا بما يورده عليه [٦] وكتاب " تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس " وهو عبارة عن مواعظ صوفية يحث فيها مريده على التزام الآداب الشرعية والصوفية [٧] . وكتاب " القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد " وهي رسالة يوضح فيها مذهبه في الإلهيات والبحث في الذات الإلهية ، وصفاتها ، وأسمائها ، وأفعالها ، وطريق معرفتها

---

(١) تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الجذامي السكندري الشاذلي ، انظر : ابن فرحون ، إلديباج ، جـ١ ، ص٢٤٢-٢٤٣ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ١ ، ص٢٩١-٢٩٣ ، رقم ٧٠٠ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، جـ٩ ، ص٢٣-٢٤ ، رقم ١٢٩٧ ؛ السخاوي الحنفي ، تحفة الأحباب وبغية الطلاب ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص٤٥٠ ؛ الذهبي ، الإعلان ، ص٢٩٧؛ ذيل العبر ، جـ٤ ، ص٢١-٢٢ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٨ ص٢٨٠ ؛ ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٨ ، ص٥٧ ، رقم ٣٤٧١ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ١ ، ص٥٩٧-٥٩٨ ، رقم ٥٧٨ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ص٤٢٤ ؛ المناوي ، الكواكب ، جـ٣ ، ص٥-٧ .

(٢) أبو الوفا التفتازاني ، ابن عطاء الله السكندري وتصوفه ، ص٩-٦٢ ، ويعد هذا الكتاب من أهم ما كتب عن ابن عطاء الله وتصوفه إذ يعد رسالة علمية حصل صاحبها بها على درجة الماجستير .

(٣) نفسه ، ص٦٤-٧٨ .

(٤) نفسه ، ص٧٩-٨١ .

(٥) نشر هذا الكتاب بتحقيق محمد أحمد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د.ت .

(٦) طبع بالقاهرة عام ١٣٠٥هـ .

(٧) أبو الوفا التفتازاني ، ابن عطاء الله ، ص٨٤-٨٥ .

وغير ذلك [١] وكتاب " مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح " وهو يتضمن قواعد الرياضيات الصوفية العملية ، كالذكر والعزلة ، والخلوة [٢] . و " عنوان التوفيق في آداب الطريق " وهو شرح لقصيدة في آداب الصحبة للشيخ أبي مدين الغوث التلمساني وهي عبارة عن واحد وعشرين بيتاً وشرحها أيضاً محيي الدين بن عربي تلميذ أبو مدين الأمر الذي يوضح العلاقة بين ابن عربي والشاذلية [٣] وله العديد من المصنفات الأخرى [٤] .

ومن أعلام الطريقة الشاذلية ياقوت بن عبد الله الحبشي العرش تلميذ أبو العباس المرسي ، ويعلل الشعراني سبب تسميته بالعرش لأن قلبه كان لم يزل تحت العرش وما في الأرض إلا جسده ، وقيل لأنه كان يسمع آذان حملة العرش [٥] .

وتولي ياقوت العرش مشيخة الشاذلية بالإسكندرية بعد وفاة أبو العباس المرسي ، ثم الشاذلية بعد وفاة ابن عطاء الله ، ويختلف الشيخ ياقوت عمن سبقه في أنه أقرب إلى فئة المجاذيب من الفقهاء حيث تميز كل من أبو الحسن الشاذلي وأبو العباس المرسي وابن عطاء الله بأنهم نالوا صيباً من العلم الشرعي .

وذكر ابن تغري بردي بأنه " كان شيخاً صالحاً مباركاً ذا هيبة ووقار وسمت وصلاح وله أحوال وكرامات " [٦] أما المناوي فوصفه بالولي الكبير الشيخ العارف بالله صاحب الأوصاف فالحميدة والكرامات العديدة والأحوال السنية والمقامات العلية والأنفاس الصادقة والأنوار البارقة [٧] .

وذكر المناوي بأنه " كان إذا شهدته شهدت له بالولاية ، وإذا شهدك أشهدك الهداية " [٨] وأشار ابن حجر إلى أنه كان يقول " أنا أعلم الخلق بالا إله إلا الله " [٩] .

وتوفي ياقوت العرش بالإسكندرية في عام ٧٣٢هـ/١٣٣٢م [١٠] وضريحه يجاور مسجد أبو العباس المرسي بميدان المساجد بالإسكندرية [١١] .

---

(١) نشر بدار جوامع الكلم ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
(٢) نشر بتحقيق محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
(٣) المطبعة العثمانية ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ .
(٤) أبو الوفاء نفسه ، ص٩٠-٩٣ .
(٥) الشعراني ، الطبقات الكبرى ، جـ٢ ، ص٢٠ ؛ النبهاني ، جامع كرامات الأولياء ، جـ٢ ، ص٢٨٤ .
(٦) ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ٩ ، ص٢٩٥ .
(٧) اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ٤ ، ص٢٨٤ .
(٨) المناوي ، الكواكب الدرية ، جـ٣ ، ص٧١ ، رقم ٦٨٢ .
(٩) ابن حجر ، الدرر ، جـ٩ ، ص١٨٣ ، رقم ٤٩٨٨ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٦ ، ص١٠٣ .
(١٠) الذهبي ، ذيل العبر ، جـ٤ ، ص٩٣ ؛ الكوهن ، طبقات الشاذلية ، ص١٠١-١٠٢ ؛ المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ص٣٥٥ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ، ص٤٢٥ ؛ ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ق١ ، ص٤٦٢ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، ص٤٢٧ .
(١١) سجلات الشهر العقاري بالإسكندرية ، سجل ٤١ ملف ١٧٢ ، ص١٠٢ ؛ سجل ٤١ ، ملف ١٥١ ، ص٨٦ ؛ علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٧ ، ص٦٩ ؛ نقولا يوسف ، أعلام من الإسكندرية ، ص١٧٤ .

ونلاحظ أن كل من درس الطريقة الشاذلية يؤكد التزامها بالكتاب والسنة ، وأنها تدعو إلى العمل مع ترك التدبير لله في حين يذهب الدكتور أحمد صبحي منصور إلى أن الشاذلية وأتباعه يؤخذ عليهم أنهم في العديد من أقوالهم وشعرهم يقولون بنظرية وحدة الوجود (١) .

الخلاصة أن الطرق الصوفية قد انطلقت من نظرية سياسية علوية تهدف على السيطرة على العالم الإسلامي ولو بطريقة غير مباشرة يستطيعوا من خلالها إخضاع الحكام والمحكومين لسيطرتهم ، وتميز بين دولة الباطن ودولة الظاهر ، واتخذ هذه الحركة من مكة ثم العراق مركز انطلاق لمؤسس تلك الطرق وبخاصة بعد سقوط الدولة الفاطمية الشيعية على يد صلاح الدين الأيوبي والذي اتخذ هو الآخر من التصوف وسيلة لنشر نفوذه عن طريق أنشأ الخانقاوات . فاشتدت حركة الطرق وبخاصة في مصر واتخذوا من المدن البعيدة عن العاصمة مركزاً لنشر أفكارهم ومبادئهم مثل طنطا للبدوي ، والإسكندرية لأبي الفتح الواسطي وبعده أبو الحسن الشاذلي ، الأمر الذي أدى إلى إقامة دولة الدراويش في مصر .

متصوفة الرُبط والخانقاوات والزوايا :-

اشتهرت الإسكندرية بأنها دار رباط منذ أيام عمرو بن العاص ، حيث ورد في فضل الرباط بها أحاديث كثيرة ، وأقوال مأثورة وكتبت عدة رسائل في فضل الإسكندرية وفي فضل الرباط بها (٢) .

وتميز عصر سلاطين المماليك ومن قبله العصر الأيوبي المعروف بعصر سيطرة الإقطاع وقاموا بإنشاء دور للمتصوفة من الخانقاوات والزوايا والربط ، وفازت الإسكندرية بإقامة عشرات الربط بها سواء من جانب الدولة أو ولاتها أو تجار الإسكندرية ، ونزل بها المتصوفة وبخاصة من المغاربة والأندلسيين من أجل المرابطة في ثغر الإسكندرية والتعبد بها واشتهر العديد من هؤلاء المتصوفة وقام سلاطين الأيوبيين والمماليك بزيارة هؤلاء الشيوخ وإقامة الأضرحة لمن مات منهم (٣) .

وتميز هؤلاء المتصوفة أنهم لم ينتظموا في طريقة معينة من الطرق الصوفية التي ظهرت وقتئذ ، مع الأخذ في الإعتبار أن لهؤلاء الشيوخ أتباعاً ومريدين ، فضلاً عن ذلك فلم يصدر عن هؤلاء المتصوفة أقوالاً تخالف الشرع من القرآن الكريم أو السنة النبوية بل تميز الكثير منهم بإجادة العلوم الشرعية ، بل تركوا مؤلفات قيمة في هذه العلوم (١).

---

(١) أحمد صبحي منصور ، العقائد الدينية ، ص١٠٤ ، ١٠٧-١١١ ، ١١٣ ، ١٣٦ ، ١٩٤ ، ٢٥٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٣٠٤ .

(٢) ابن الصباغ ، فضائل الإسكندرية ، ص٣-٦ ؛ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص١٧٨ ؛ المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٢٧٠ ؛ النويري السكندري ، الإلمام ، جـ٢ ، ص١٣٥-١٣٦ ؛ جـ٣ ، ص٧١ ؛ ابن دقماق الانتصار ، ق٥ ، ص١١٦-١٢٢ ؛ ص١٢٤-١٢٦ .

(٣) ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، ص٩٧ .

(٤) المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص٦٩٦-٦٩٧ ، رقم ٢٣١٠ .

ويمكننا أن نطلق عليهم صوفية رسميون تنفق الدولة عليهم النفقات النقدية والعينية ، وكثرة الأوقاف عليهم ، بعكس أصحاب الطرق الصوفية الذين ابتعدوا عن سيطرة الدولة ، ورفضوا إنفاق الدولة عليهم [١] كنوع من الاستقلال عن سلطة الدولة .

ومن هؤلاء المتصوفة الذين التزموا الربط بالإسكندرية ، أحمد بن محمد اللخمي ، المشهور بالشيخ أبو العباس الرأس [٢] ، وسبب هذه التسمية أنه سكن برأس خارجه في البحر – منطقة لسان السلسلة بالميناء الشرقي بحي الشاطبي أمام مكتبة الإسكندرية حالياً – فيذكر صفي الدين بن أبي المنصور بأنه " بنى فيها بنفسه مكاناً عمره ، شرى جيره ولبنه بنفسه إلى أن تكمل خارجاً في البحر يخاض إليه بأحجار كبار منصوبة فعرف به " [٣] .

وبعد أن كثر أتباعه ومريدوه وذاعت شهرته انتقل إلى محرس ( رباط ) سوار [٤] وقام بتعميره وأنشأ به صهريجاً ، وصار هذا الرباط بفضل أبو العباس الرأس كعبة الثغر لابد لكل أحد منه من الملوك وأكابر الناس وسائر العالم [٥] .

ويضيف صفي الدين بأنه " متفق على سيادة هذا الشيخ وتفرده في وقته وأحواله عظيمة وكراماته كثيرة ، ومكانه إلى الآن كعبة يعظم به كل من يتولاه " [٦] .

ويبدو أنه ترك عدة مؤلفات ، إذ يذكر المقريزي في ترجمه ابن أخته أبى عبد الله محمد بن أحمد أنه حدث عن خاله بشيء من تواليفه [٧] ، ومات أبو العباس الرأس عام ٦١٥هـ/١٢١٨م ودفن تجاه محرسه [٨] ثم قام الظاهر بيبرس البندقداري ببناء ضريح عليه وأعتنى به [٩] .

وخلف أبو العباس الرأس عدة مريدين وأتباعاً في الإسكندرية أشهرهم أبو عبد الله الشاطبي الكبير [١٠] والشيخ عمر التلمساني الذي تولى بعد أبى العباس الرأس مشيخة الرباط [١١] .

---

(١) ابن عطاء الله ، لطائف المنن ، ص ١٠٢ .
(٢) المقريزي ، المقفى ، جـ١ ، ص٦١٣-٦١٤ ، رقم ٥٩٥ .
(٣) صفي الدين بن أبي المنصور ، رسالة ، ص٧٦ .
(٤) ينسب هذا الرباط إلى أحد الوزراء الفاطميين من عهد الخليفة الآمر يسمى سوار ويقع ظاهر الإسكندرية منطقة رأس السلسلة التي تسمى رأس لوخياس منطقة الشاطبي حالياً ، انظر : المقريزي، اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص١٥٣ .
(٥) صفي الدين بن أبي المنصور ، رسالة ، ص٧٦ .
(٦) نفسه .
(٧) المقريزي ، المقفى الكبير ، جـ٥ ، ص٢٩٤ ، رقم ١٨٧٨ ؛ جـ٦ ، ص٣٦٣ ، ص٢٨٤٨ .
(٨) المقريزي ، نفسه ، جـ١ ، ص٦١٤ .
(٩) ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، ص٢٧٢ .
(١٠) صفي الدين بن أبي المنصور ، نفسه ، ص٧٦-٧٧ .
(١١) نفسه ، ص٧٢ .

ومن أبرز أتباع أبو العباس الرأس ، الشيخ محمد سليمان الشاطبي نزيل الإسكندرية [1] ، والمولود بمدينة شاطبة عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م ، وأخذ علم الحديث والقراءات والتفسير بمدن الأندلس ، ثم رحل إلى المشرق وزار المدينة المنورة ودمشق وغيرها من المدن ، واستقر به الحال بالإسكندرية حيث نزل برباط سوار وأصبح أحد أتباع أبو العباس الرأس ، وتولى مشيخة الرباط بعد عمر التلمساني ، وذاع صيته وزادت شهرته ، " وقصده الناس للتبرك والصلاح ولبسوا منه خرقة التصوف " [2] .

وذكر المناوي في الكواكب الدرية بأنه " زاهد معروف ، عمله على جهات البر موقوف ، وعابد مشهور ، علم أحواله وكراماته منشور . يقصد للزيارة ، ويتبرك بماله من الإشارة ... " [3] .

أما الذهبي فيذكر بأنه " أحد المشهورين بالعبادة والتأله ، يقصد بالزيارة ويتبرك بلقائه ... " [4] .

ووصفته المصادر التاريخية بأنه " أحد أولياء الله تعالى شيخ الصالحين ، صاحب الكرامات المشهورة ، جمع بين العلم والعمل والورع والزهد ، والإنقطاع إلى الله تعالى والتخلي عن الناس ، والتمسك بطريق السلف " [5] .

وأقام سنين في رباط سوار ، وعلت كلمته ، وانحازت الإسكندرية له ، وكثر أصحابه وولاهم أكثر محارس الإسكندرية ومساجدها [6] ، أي أنه جعل من رباط سوار والذي اشتهر فيما بعد باسمه ( رباط الشاطبي ) معمل تفريخ للأتباع ثم يبعث بهم إلى رُبط الإسكندرية الأخرى وكذلك مساجدها وفي ذلك تشابه مع الطرق الصوفية ومشايخها الذين يربون الأتباع والمريدين ثم يرسلونهم إلى الأماكن التي يريدون الانتشار بها ويؤكد ابن شداد ذلك بقوله " وانتشر في البلاد من تلامذته خلق كثير " [7] .

وترك الشاطبي العديد من المصنفات جمعت بين العلوم الشرعية وعلوم التصوف ، مثل كتاب " المسلك القريب في ترتيب الغريب " وكتاب " اللمعة الجامعة في العلوم

---

(١) محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن عبد الملك بن علي بن يوسف بن إبراهيم بن خلف بن عبد الكريم ، أبو عبد الله بن أبي الربيع الحميري ، المعافري الشاطبي ، انظر :
ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٣ ، ص١٢٨ ، رقم ١٠٧١ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص٦٩٦ ، رقم ٢٣١٠ ؛ الداوودي ، طبقات المفسرين ، جـ٢ ، ص١٥٠ ، رقم ٤٩٣ ؛ المقرى ، نفح الطيب ، طبعه إحسان عباس ، جـ٢ ، ص٣٥٥ ، رقم ٨٧ ؛ المراكشي ، الذيل والتكملة ، جـ٦ ، ص٢٢٠ ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، جـ٣ ، ص٧٢ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ، ص٥٢١ ؛ سحر عبد العزيز سالم ، شاطبة ، ص٣١٨ .
(٢) ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ٢ ، ص١٤٩ ، رقم ٣٠٤٤ .
(٣) المناوي ، الكواكب الدرية ، جـ٢ ، ص١٩٣ ، رقم ٥٩٦ .
(٤) الذهبي ، العبر ، جـ٣ ، ص٣٢٦ .
(٥) المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص٦٩٦ ؛ الداوودي ، طبقات المفسرين ، جـ٢ ، ص١٥٠ ؛ المقري ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص٣٥٥ .
(٦) صفي الدين بن أبي المنصور ، رسالة ، ص٩١ .
(٧) ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، ص٩٧ .

النافعة " وفي تفسير القرآن العزيز ، وكتاب " شرف المراتب والمنازل في معرفة العالي في القراءات والنازل " وكتاب " المباحث السنية في شرح الحصرية " وفي التصوف كتاب " الحرقة في إلباس الخرقة " ويبدو أنه ينتقد فيه إلباس الخرقة الصوفية من الشيخ إلى المريد ، وكتاب " المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد " وفيه يوضح فيه آداب التي يجب أن يلتزم بها الشيخ والمريد ، وكتاب " النبذ الجلية في ألفاظ اصطلح عليها الصوفية " وله كتاب " زهر العريش في تحريم الحشيش " وكتاب " الزهر المضىء في مناقب الشاطبي " وكتاب " الأربعين المضيئة في الأحاديث النبوية " (١) .

وبلغ الشاطبي مكانة كبيرة لدى سلاطين دولة المماليك وبخاصة الظاهر بيبرس البندقداري الذي اعتاد زيارة الشيخ الشاطبي في كل زيارة له للإسكندرية في عام ٦٦١هـ/١٢٦٣م (٢) ، وفي عام ٦٦٢هـ/١٢٦٤م (٣) ، وتوفي الشاطبي بالإسكندرية في عام ٦٧٢هـ/١٢٧٣م ودفن بتربة شيخه أبو العباس الرأس (٤) ، ويطلق اسمه على الحي الذي يوجد به وهو حي الشاطبي (٥) .

ولم يقتصر الأمر على المرابطة في الإسكندرية والنزول في الربط على المتصوفة ، بل وفرت لهم الدولة بيوتاً خاصة بهم ينزلون بها وهي الخانقاوات وأول من أقامها في مصر صلاح الدين بن أيوب وهي خانقاة سعيد السعداء أو الخانقاة الصلاحية وتبعه في ذلك أمراءه ثم سلاطين المماليك ووصلنا من الإسكندرية خانقاه واحدة وهي خانقاة بيلبك المحسني واسم اثنين من شيوخها وهما مجد الدين موسى الأقصرائي المتوفي في عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م (٦) ، وأحمد بن حمزة الأشليمي المتوفي في عام ٨٤٩هـ/١٤٤٥م(٧) ولا يعني ذلك أن الإسكندرية لا يوجد بها خانقاوات أخرى ولكن المصادر المعاصرة لم تذكرها كما أغفلت أشياء كثيرة تخص بالإسكندرية وقتئذ .

وجرت العادة إذ أتى قادم إلى الخانقاة لكي يقيم بها أن يقف بباب الخانقاة مشدود الوسط وعلى كاهله سجادة ، وبيمناه العكاز وبيسراه الإبريق ، فيعلم بواب الخانقاة

---

(١) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ٣ ، ص١٢٨ ؛ ابن الجزري ، غاية النهاية ، جـ٢ ، ص١٤٩؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٥ ، ص٦٩٦ ؛ الداوودي ، طبقات المفسرين ، جـ٢ ، ص١٥٠ ؛ المقري ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص٣٥٥ ؛ إسماعيل البغدادي ، هدية العارفين ، جـ٢ ، ص١٢٩.

(٢) النويري ، نهاية الأرب ، جـ٣٠ ، ص٨٨ ؛ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص

(٣) ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، ص٢٧٢ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، جـ٣٠ ، ص١٠٦-١٠٧ ؛ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص٢١٨ .

(٤) بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة ، جـ٩ ، ص١٥١ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، جـ٣ ، ص٧٢ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص٢٣٤ ، ٢٤٥ ؛ الذهبي ، العبر ، جـ٣ ، ص٣٢٦ ، الكوهن ، طبقات الشاذلية الكبرى ، ص٦٧-٦٨ ، الشيال ، تاريخ مدينة الإسكندرية ، ص١٨٠ ؛ عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص٤٨١ .

(٥) سحر عبد العزيز سالم ، شاطبة ، ص٣١٨ .

(٦) ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٥ ، ص٤٧٣ ، رقم ١٨٨٨ .

(٧) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ٢ ، ص١٣٢ ، رقم ٣٨٢ .

بمكانه فيخرج إليه ، ويسأله من أي البلد أتى وبأي الزوايا نزل في طريقه ، ومن شيخه، فإذا عرف صحة قوله أدخله الخانقاة وفرش له سجادته في موضع يليق به وأراه موضع الطهارة ، فيجدد الوضوء ، ويأتي إلى سجادته ، فيحل وسطه ، ويصلي ركعتين ، ويصافح الشيخ ومن حضر ، ويقعد معهم [١] ..

ويتوفر لهؤلاء المتصوفة النازلين بالخانقاوات الرواتب العينية والنقدية من اللحوم والفواكه والخبز ، وأوضحت وثائق وحجج وقف الخانقاوات في العصر المملوكي الشروط التي يجب أن تتوافر في الصوفية النازلين بالخانقاة ، على أن يكونوا من العارفين بطرائق الصوفية ، وآدابهم ، بغض النظر عن جنسيتهم وأعمارهم [٢] .

وأوضحت وثائق الوقف مواعيد وظيفة التصوف في الخانقاة فبعض الخانقاوات وظيفة التصوف بها بعد الفجر ، وفي أخرى بعد صلاة العصر . وفي البعض الآخر بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر ، لذا يقوم شيخ الخانقاة بتقسيم الصوفية إلى قسمين ، يحضر أحد القسمين وظيفة التصوف في الصباح ، والقسم الثاني يحضر في العصر [٣] .

وتتم وظيفة التصوف حيث يجلس شيخ الخانقاة في صدر المجلس على سجادته ويأخذ بقية الصوفية مجالسهم على قدر مرتبتهم في الفضل ، ويتقدم خادم المصحف وخادم الربعة بالمصحف والكرسي ويجعلان المصحف بين يدي الشيخ رافعين له على الكرسي ، ويدور خادم الربعة وخادم السجادة بأجزاء الربعتين الشريفتين على الحاضرين فيأخذ كل جزأه ويقرأ به إلى أن تنتهي قراءة الشيخ أو يقفل المصحف الشريف ، فيتناوب قراء الصفة باليمنة واليسرى القراءة والأذكار ورفع العشر على ما جرت به عادت أمثالهم في ذلك ، فإذا فرغوا من القراءة ولم يبق إلا الدعاء قام المادح وأنشد من مدح خير الورى محمد وكلام القوم ما يحصل به الطرب والتواجد للسامعين ، ثم يجلس المادح ويدعو الداعي [٤] .

ويبدو أن هذه الخانقاوات جذبت أعداداً كبيرة من مدعي التصوف وبخاصة من غير العرب ، الأمر الذي انتقده شمس الدين محمد بن أحمد الأسكندراني المعروف بابن الفوية وهو من العلماء الزهاد وكان أديباً ظريفاً ، وأجاد النظم مع حسن المحاضرة وجودة المذكرة ، وقام ابن الفوية بذم هؤلاء النزلين بالخانقاوات بقوله [٥] :-

أعجامنا قد أصبحت قلوبهم وجدا بحب الخانقات خافقة
لا تعجبوا فكل كلب نابح ولا يُحب الكلب إلا خانقه

وهو في ذلك يتفق مع رأي القباري الذي اعترض على سكن الخانقاوات .

---

(١) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٢٠ .
(٢) محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الإجتماعية ، ص٢١٠ .
(٣) نفسه ، ص٢١١ .
(٤) وثيقة وقف السلطان الغوري ٨٨٣ أوقاف ، سطر ١٤٩٨ وما بعده .
(٥) ابن حجر ، الدرر ، جـ٣ ، ص٤٥٥-٤٥٦ ، رقم ٣٤٨٤ ؛ ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ٢ ، ص٥٨٩ ، رقم ٢٠٢٣ ؛ ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٤ ، ص٢٦٢-٢٦٣ ، رقم ١٤٦٧ ؛ الوافي ، جـ٢ ، ص١٥٣ .

وانتقد ابن الجوزي المتصوفة النزلين في الربط والخانقاوات فيقول " رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص ، يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون عن عطاء ماكس ، وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة وأوقفوا عليها الأموال الخبيثة ، وأكثر زمانهم ينقض في التفكه بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا ، فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه في زرمانقته - يعني ياقته من الداخل - فغلبت عليه السوداء فيقول : حدثني قلبي عن ربي " (١) وخارج الأربطة عاش الصوفية عالة على أموال الحكام ، يقول ابن الجوزي : " ولقد بلغنا أن بعض الصوفية دخل على بعض الأمراء الظلمة ، فوعظه فأعطاه شيئاً فقبله ، فقال الأمير : كلنا صيادون وإنما الشباك تختلف ... وقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لي قد مضى إلى الأمير فلان يهنئه بخلعة وقد خلعت عليه ، وكان ذلك الأمير من كبار الظلمة فقلت : ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفوا على رؤسكم بالسلع " (٢).

وهكذا حصل ارتباط بين الحكام من الأيوبيين والمماليك- في عصر سيطرة الإقطاع- وبين المتصوفة فأقام هؤلاء الحكام الخانقاوات للمتصوفة ووفروا لهم كل سبل الراحة ، وقام المتصوفة ، بالسيطرة على المجتمع ونشروا فيه السلبية والاتكالية والزهد في الدنيا حتى يتمتع الحكام بالسيطرة والحكم وأصبح الشعب بفعل هؤلاء المتصوفة في خدمه سادائهم من الإقطاعيين . إذ يوجد علاقة نفعية متبادلة بين الطرفين فرضتها الظروف المحيطة بهم .

الزهـــــاد :-

الاتجاه الثالث للتصوف في الإسكندرية يمثله الزهاد من العلماء والفقهاء الذين كانت لهم سمات تخالف الصفات الكلاسيكية كشيوخ التصوف ، حيث ارتبطوا بالكتاب والسنة ، ولم يصدر عنهم ما يخالف المعلوم من الدين بالضرورة ظاهرياً أو باطنياً ، ولم يحاولوا الظهور والشهرة في المجتمع ولم ينظم أحدهم أتباعاً ومريدين في طريقة معينة ، ولم يصدر عن أحدهم أحزاب وأوراد كما فعل أصحاب الطرق الصوفية ، ولم يدوروا في فلك الدولة ، ورفضوا النزول في الخانقاوات التي أنشأها سلاطين وأمراء المماليك ، بل وقفوا من نزلاء الخانقاوات موقفاً عدائياً ، بل رفض بعضهم مقابلة السلاطين ولم يسمحوا لهم بالزيارة إلا كمثل أي إنسان عادي .

واتصفوا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعتمدوا في معيشتهم على عمل أيديهم ولم يلبسوا المرقعات ، واهتموا اهتماماً كبيراً بتحصيل العلوم الشرعية من التفسير والقراءات والحديث والفقه وعلوم اللغة وغيرها من علوم العصر ، لذا أطلق عليهم مصطلح الصوفية العمليون (٣) .

ويأتي على رأس زهاد الإسكندرية في العصر المملوكي أبو القاسم القباري ، وهو

---

(١) ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، مطبعة النهضة ، القاهرة ، ١٩٢٨ ، ص١٦٩-١٧٠ .
(٢) نفسه ، ص١٧٩-١٨٠ ؛ أحمد صبحي منصور ، العقائد الدينية ، ص٨٣ .
(٣) علي صافي حسين ، الأدب الصوفي ، ص١٨ ؛ أحمد صبحي منصور ، العقائد الدينية ، ص٢٦

قطب الدين أبو القاسم محمد بن منصور بن يحيى المالكي السكندري ، الشهير بالقباري[1] ، ولد بالإسكندرية في عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م ، وتلقى العلوم الدينية في طفولته التي كان يتلقاها الصبية في عصره ، وكان مقبلاً على الدراسة محباً للعلم ، فذكر تلميذه ناصر الدين بن المنير في ترجمته للقباري [2] " وحبب إليه سماع العلم " [3] على الرغم من إصابته بثلاث عاهات وهي الشم والسمع وعدم التذوق ، فكان قوي الحفظ ، وقوي الذاكرة ، رقيق الشعور ، مرهف الحس ، هادئاً يفكر بإمعان لا يثور أبداً لا يعرف القلق ، ولا يعرف مثل أي إنسان به عاهة واحدة [4] .

واعتمد القباري في معاشه على بستان ورثه عن أبيه – في الحي المعروف به حالياً – فذكر صفي الدين بن أبي المنصور من أنه " أنشأ بستاناً على خليج الإسكندرية اقتصر عليه وسكن فيه ويأكل من مغله وكان البستان ضعيف الحال ، كان يزرع فيه الفول أكثر أكله منه وينسج ما يلبسه منه " [5] .

وظل على ذلك من سقى بستانه من خليج الإسكندرية ، ولكنه عندما علم أن السلطات قامت بتطهير خليج الإسكندرية في عام ٦٢٨هـ/١٢٣١م في عهد الكامل محمد ، وأنها استخدمت في حفر تسخير الناس والعسف والظلم في حفره ، وترك سقي بستانه من ماء الخليج ، وحفر بئراً لكي يسقيه منه ، حتى لا يدخل بستانه

---

(١) القباري ، نسبة إلى القبار أو الكبار ، وهو نوع من الثمار مثل التفاح الأخضر الصغير ، كان يطعمه لزواره فاشتهر به .
السلفي ، معجم السفر ، ص١٩٣ ؛ محمد محمود زيتون ، القباري زاهد الإسكندرية ، ص٣٤ ؛ وذكر ابن العماد الحنبلي باسم القباد بدلاً من القباري وهو تحريف ، انظر : شذرات الذهب ، جـ٥ ، ص٣١٢ . في حين ينسبه الدكتور سعد زغلول عبد الحميد إلى المغرب فذكر " أما سيدي القباري فهو أبو القاسم بن منصور بن يحيى اللكي المشهور بالقباري الأسكندراني وهو مغربي " والحقيقة أن الدكتور سعد قد أخطأ في قراءة المالكي وهو نسبة إلى مذهب الإمام مالك ، فقرأها اللكي ونسبة إلى مدينة لك وهو اسم المدينتين أحدهما بأقليم جليقية بالأندلس ، والأخرى من نواحي برقة ، ولكن المصادر المعاصرة تجمع على أنه اسكندراني الأب ولم تذكر تلك المصادر أن أصله مغربي أو أندلسي انظر : سعد زغلول عبد الحميد ، الأثر المغربي والأندلسي ، ص٢٤٢ .
(٢) كتب قاضي الإسكندرية ناصر الدين بن المنير ت ٦٨٣هـ/١٢٨٤م ، رسالة في مناقب أستاذه أبو القاسم القباري سماها " منح مولانا الباري في مناقب الشيخ أبو القاسم بن منصور بن يحيى المالكي الإسكندري القباري "
انظر : إسماعيل البغدادي ، إيضاح المكنون ، جـ٢ ، ص٥٧٧ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٥ ، ص٣١٢ .
وللأسف هذا الكتاب فقد وقام بتلخيصه الشيخ أحمد حمزة تحت اسم " مقامات سيدي أبو القاسم بن منصور بن يحيى الإسكندري المعروف بالقباري " وهو ما زال مخطوطاً بمكتبة البلدية بالإسكندرية تحت رقم ١٦٨٥ .
(٣) جمال الدين الشيال ، أعلام الإسكندرية ، ص٢٢٥-٢٢٦ .
(٤) سعد القاضي ، العارف بالله سيدي أبو القاسم بن يحيى القباري ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠١م
(٥) صفي الدين ، رسالة صفي الدين ، ص٦٩ ؛ الذهبي ، العبر ، جـ٣ ، ص٣٠٦-٣٠٧ .

شيء من الحرام [1] .

وأشارت المصادر المعاصرة على زهد القباري وورعه فالمناوي ذكر بأنه " زاهد أخلص في العمل ، واجتهد في قطع الأمل ، ومال إلى العزلة ، واستعد للرحلة ، كان كثير الورع والخضوع ، غزير الأخبات والخشوع ، مبارك الطلعة ، مشهور الذكر بين الصوفية والسمعة يأمر بالمعروف واقتفاء آثار " [2] .

أما بيبرس الدوادار فذكر " كان أحد المشايخ المشهورين بكثرة الورع والتحري في المأكل والملبوس والإنقطاع والتخلي ، وترك الإجتماع بأبناء الدنيا والإقبال على ما يعنيه " [3] .

فالتصوف عند القباري الزهد في الدنيا والعزلة عن الناس مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ بالأسباب ورفض عطاءات السلاطين والأمراء ، رفض القباري السكن في الخانقاوات ، واستنكر ذلك في قوله : " من قعد في خانقاه فقد سأل ، ومن لبس مرقعة فقد سأل ، ومن لبس مسبحة فقد سأل ، ومن فتح مصحفاً في مسجد فقد سأل " [4] وهنا يعدد القباري أساليب مدعي التصوف من السكن في الخانقاوات التي أقامها سلاطين الأيوبيين ومن بعدهم سلاطين وأمراء المماليك ، الذي يمكننا انطلق عليه التصوف الرسمي الذي شجعته الدولة ووفرت له النفقات الكثيرة ، وكذلك كشف القباري عن أساليب مدعي التصوف من لبس الملابس المرقعة ، ولبس المسابح الكبيرة حول أعناقهم ساقطة على صدورهم ، وكذلك فتح المصاحف في المساجد ، فلم يكن القباري يتبع طريق المدعين من المتصوفة والفقراء والمتدروشين الذين يتظاهرون بالعبادة والفقر ولبس المرقعات ، ويلتزمون تبعاً لذلك حياة الكسل والتراخي ، ويلتمسون سبل الرزق بالسؤال وإراقة ماء الوجه ، حيث يرى أن العمل فريضة وعبادة ، وأن السؤال مذلة ومهانة [5] .

ولم يقبل القباري شيئاً من أحد إلا بأجر ، من ذلك ما ذكره صفي الدين بن أبي المنصور " من أن شخصاً كان جالساً بجانبه فرأى على طرف ثوب الشيخ القباري شيئاً إما تراباً أو غيره فنفضه عن ثوبه فأنكر عليه وألزمه بأن يأخذ منه قطعة من فضة سوداء أجرة نفضه لما كان على طرف ثوبه [6] . بل كان يتورع من أن يأكل ثمره ساقطة من بستانه تحت أشجاره ولا يشاهد سقوطها من شجره خوفا من أن تكون من شجر غيره قد حملها طائر فسقطت منه في بستانه [1] .

---

(1) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، جـ٣ ، ص ٥٦

(2) المناوي ، الكواكب الدرية ، جـ٢ ، ص٤٧-٤٨ .

(3) بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة ، جـ٩ ، ص١٢٦ .

(4) الشيال ، القباري ، مجلة الثقافة ، عدد ٦٠ بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٦٤ ؛ أعلام الإسكندرية ، ص٢٢٨ ؛ نقولا يوسف ، أعلام من الإسكندرية ، الطبعة الثانية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص١٨٧ ؛ سامح كريم ، أعلام في التاريخ الإسلامي في مصر ، ص٢٥٧-٢٥٩

(5) الشيال ، أعلام الإسكندرية ، ص٢٢٨ .

(6) صفي الدين ، رسالة ، ص٦٩ .

(7) أبو شامة ، ذيل كتاب الروضتين ، ص٢٣١ .

لذا حاول سلاطين الأيوبيين مثل الكامل محمد والعادل ابنه والصالح نجم الـدين، وسلاطين المماليك من أمثال الظاهر بيبرس التقرب إليه ولكنه كان يرفض مقـابلتهم إلا نادراً وبشروطه ، فيذكر منصور بن أبي منصور " وكان الملوك يجيئون إليه فلا يلتفت إليهم ولا يظهر عنه لهم إكرام إلا القدر الذي يضطر أن يفعله مع أقل الخلـق ، يفعلـه معهم من كلام أورد سلام لا غير " (١) .

فحاول الملك الكامل زيارته أثناء وجوده بالإسكندرية ، ووقف ببابه زماناً طويلاً فلم يلتفت إليه ، ثم بعد ذلك خرج القباري إلى بابه وكلمه وهو واقف ، ولـم يمكنـه مـن الدخول إلى موضعه (٢) .

فأراد الملك العادل أبو بكر بن الكامل محمد أن يزور القباري ويجتمع بـه للتبـرك وأرسل إليه خادماً من خواصه بألف دينار وأرسل إليه عالماً مـن علمـاء الإسـكندرية للتوسط له لقبول الهدية والإذن بالزيارة ، فكان رد القباري بأن قال للخادم : لا يغـرنكم هذا بمواعيده وأطماعه رد الدنانير إلى صاحبك وقل له : لو عرفـت أصـحابها لأشـار عليك أن تعيدها إليهم ولكن هذا فات وأنا لا أتقلد وسخا – أي مال مجهول الأصـل – لا آخذاً ولا معطياً (٣) .

وأثناء زيارة السلطان بيبرس البندقداري للإسكندرية في عـام ٦٦١هـ/١٢٦٣م رغب في زيارة الشيخ القباري ، وطلب الإذن في ذلك ولكنه رفض الإذن له ، واشـترط أن يأتي السلطان للقائه في بستانه والشيخ في غرفة أعلى البستان والسـلطان واقـف أسفل ، وكان المؤرخ ابن واصل شاهد عيان على ذلك اللقاء حيث صحب الظاهر بيبرس في تلك الزيارة ، فلما أتى وتحدث إليه لم يكن للشيخ القباري حاجة يزجيها للسلطان إلا نصحه إياه أنه يعني بعمارة الثغر وتحصينه ، فضلاً عن إبطال عدة مكوس ظالمة لأهـل الإسكندرية ، وتطهير الثغر من الفرنجيات اللاتي يعملن في الدعارة بالمدينة واللاتي كثر عددهن مما جعل الظاهر يأمر بتطهير الثغر منهن (٤) .

كان للقباري مكانة كبيرة في مجتمع الإسكندرية ، إذ كـانوا يعتقدونـه ويطلبـون الدعاء ويزدحمون عليه في أثناء سيره في أسواق الإسكندرية ، فيطلب منهم الإنصراف حتى لا يعوقه ذلك عن حساب ما يشتريه ويبيعه (٥) .

ومما يدلل على مكانة القباري لدى أهل الإسكندرية ، أنه باع دابة إلى رجل ، وبعد

---

(١) صفي الدين ، نفسه .

(٢) ابن الصابوني ، تكملة أكمال الأكمان ، ص٢٧٨ ، رقم ٢٦٥ ؛ زيتون ، القبـاري ، ص١٥٠ ؛ سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ٢ ، ص٢٩٧-٢٩٨ .

(٣) سعاد ماهر ، نفسه ، جـ٢ ، ص٢٩٨ .

(٤) النويري ، نهاية الأرب ، جـ٣٠ ، ص٨٨ ؛ ابن عبد الظاهر ، الـروض الزاهـر ، ص١٧٦ ؛ بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة ، جـ٩ ، ص١٢٤-١٢٥ ؛ ابن شـداد ، تـاريخ الملـك الظـاهر ، ص٢٧٢ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، حوادث عام ٦٦١هـ ، مخطوط باريس ص٤٢٣ أ نقلاً عن الشيال ، تاريخ مدينة الإسكندرية ، ص٩٨-٩٩ ؛ العيني ، عقد الجمان ، جـ١ ، ص٣٩٠-٣٩١ ؛ عاشور ، المجتمع المصري ، ص٣١ ؛ سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص٢٧٨-٢٧٩ .

(٥) سعد القاضي ، القباري ، ص٤٨ .

أيام جاءه الرجل الذي اشتراها فقال : " يا سيدي إن الدابة التي اشتريتها منك لا تأكل عندي شيئاً " ، فنظر إليه القباري وقال له : وما مهنتك ، فقال : رقاص عند الوالي ، فقال له : إن دابتنا لا تأكل الحرام ، ثم رد إليه دراهمه ومعها دراهم كثيرة اختلطت بها فلا تميز ، فاشترى أهل الإسكندرية من الرقاص كل درهم بثلاثة من أجل بركة الشيخ القباري [١] .

بل نجد أن أهل الإسكندرية يشترون ما تركه القباري والذي لا يساوي خمسين درهماً بمبلغ عشرين ألف درهم ، حتى الإبريق الذي يتوضأ فيه للصلاة اشترى بمبلغاً عظيماً من المال [٢] .

ولم تقتصر شهرة القباري على الإسكندرية ، بل تعدى ذلك إلى بلاد الروم بما عليه من الزهد والورع والتدقيق [٣] ، وعندما علم أهل دمشق بوفاته ، قام خطيب الجامع الأموي بها بصلاة الغائب عليه بعد صلاة الجمعة [٤] .

ومات القباري بالإسكندرية في يوم الاثنين سادس شعبان عام ٦٦٢هـ/١٢٦٦م بجبل الصقيل غربي الإسكندرية ، في بستانه وحضر جنازته الخاص والعام [٥] ، وأصبح هذا المكان نواة حي القباري بالإسكندرية وأقيم على ضريحه مسجد صغير قام بتوسيعه ولي مصر محمد سعيد باشا [٦] .

ومن زهاد الإسكندرية ، الشيخ الصالح الزاهد مالك بن يَدّوُ المغربي نزيل الإسكندرية ، ذكر المنذري بأنه " صحب جماعة من الصالحين ، وانتفع به جماعة .. وقيل أنه سأل الله تعالى أنه يُحمل ذكره فلم تكن شهرته بحيث ما تقتضيه رتبته " [٧] ورائه صفي الدين بن أبي منصور بالإسكندرية فذكر ، وممن رأيته بثغر الإسكندرية الشيخ الإمام القدوة مالك ، كان عظيم الشأن يعظمه جميع رجال الثغر ، متفق على ترجيحه وعظم قدره " [٨] .

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٥٧؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٥٢٠ .
(٢) أبو شامة ، تراجم رجال القرنين ٦ ، ٧هـ ، ص٢٣١ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الجنان ، جـ٢ ، ص٣١٥-٣١٦ ؛ ابن كثير ، البداية ، جـ١٣ ، ص٢٥٧ .
(٣) صفي الدين بن أبي منصور ، رسالة ، ص٦٩ .
(٤) أبو شامة ، نفسه ، ص٢٣١ .
(٥) ابن الصابوني ، تكملة ، ص٢٧٨ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ٤ ، ص١٦٠ ؛ الكوهن ، طبقات الشاذلية ، ص٦٥-٦٦ ؛ الذهبي ، العبر ، جـ٣ ، ص٣٠٧ ؛ دول الإسلام ، جـ٢ ، ص١٦٨ ؛ الإعلان ، ص٢٧٧ ؛ ابن حبيب ، درة الأسلاك ، ورقة ٣٤ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٥٢٠ ؛ المناوي ، الكواكب الدرية ، ص٤٨ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٥ ، ص٣١٢ .
(٦) سجلات الشهر العقاري بالإسكندرية رقم ٤١ ملف ١٧٢ ص١٠٢ ؛ سجل رقم ٦٥ ، ملف ٣١٣، ص١٧٣ ؛ نقولا يوسف ، أعلام من الإسكندرية ، ص١٨٨ ؛ الشيال ، أعلام الإسكندرية ، ص٢٣٠ ؛ محمد محمود زيتون ، القباري ، ص٦٥ ؛ سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٢ ، ص٢٩٩
(٧) المنذري ، تكملة وفيات النقلة ، جـ٣ ، ص١٩٧ ، رقم ٢١٤٢ .
(٨) صفي الدين ، رسالة ، ص٦٩ .

ومن زهاد الإسكندرية في العصر المملوكي والذين كانوا علماء وفقهاء واتصفوا بالزهد ، عبد الله بن منصور الإسكندراني المعروف بالمكين الأسمر المتوفي في عام ٦٩٢هـ/١٢٩٣م شيخ الإقراء بالإسكندرية في وقته ، اتصف بالصلاح والتقوى ، فيذكر ابن الجزري في تاريخه بأنه " كان شيخا صالحاً ، عابداً ، عارفاً بالقراءات " (١) ويصفه اليافعي بـ " الشيخ الكبير السيد الشهير صاحب القلب المستنير العارف بالله الخبير الذي شاع فضله ، واشتهر المعروف بالمكين الأسمر " (٢) .

وذكر ابن تغري بردي بأنه " الشيخ المعتقد العارف بالله " (٣) ويؤيد تمسكه بالدين والشرائع مع زهده في الدنيا ما نقله تلميذه الرحالة المغربي ابن رشيد قوله (٤) :-

مالي لدى ربي جزيل وسيلة ... إلا أتباعي دينه ويقيني

والدين حصن للفتى وعقيدتي ... أن القليل من اليقين يقيني

ومن زهاد الإسكندرية أيضاً عبد الله بن محمد المرجاني نزيل الإسكندرية المتوفي عام ٦٩٩هـ/١٣٠٠م ، ذكر ابن أيبك الصفدي أنه " الواعظ المذكر الزاهد ، مفتياً عالماً مفسراً ، مذكراً حلو العبارة كبير القدر له شهرة في الآفاق ، وله قدم في التصوف والعبادة والزهد ، ولم يصنف شيئاً ولا كان أحد يقدر يعيد ما يقوله لكثرة ما يقول على الآية ولربما فسر في الآية الواحدة على لسان القوم ثلاثة أشهر " (٥) .

ومن الزهاد أيضا عمر بن النصير ، الزاهد العابد الأديب الإسكندراني والمتوفي بها عام ٧١١هـ/١٣١١م ، ويعرف بالزاهد الحريري (٦) .

ومن العلماء الزهاد في الإسكندرية تاج الدين عمر بن علي بن سالم اللخمي الإسكندراني المتوفي في عام ٧٣٤هـ/١٣٣٤م والمعروف بالفاكهاني فهو عالم في اللغة والقراءات والتفسير والحديث والأصول والفقه والأدب ، مع ذلك صحب جماعة من الأولياء وتخلق بأخلاقهم وتأدب بآدابهم ، وذكر ابن أيبك الصفدي بأنه " شيخاً فقيهاً مالكياً نحوياً له ديانة وتصوف ومصنفات " (١) .

---

(١) البرزالي ، المقتفى لتاريخ أبي شامة ، جـ١ ، ورقة ٢٠٦ ب ؛ ابن الجزري ، تاريخ ابن الجزري ، جـ١ ، ص١٨٨-١٨٩ .

(٢) اليافعي ، مراة الجنان ، جـ٤ ، ص٢٢١ .

(٣) ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ٢ ، ص٧٤١ ، رقم ٢٥٣٠ .

(٤) ابن رشيد ، رحلة ابن رشيد ، ص١٩ .

(٥) ابن أيبك الصفدي ، الوافي ، جـ١٧ ، ص٥٩٥ ، رقم ٥٠٢ ؛ العيني ، عقد الجمان ، جـ٤ ، ص١٠٧ .

(٦) الأدفوي ، الطالع السعيد ، ص٤٤٣-٤٤٧ ، رقم ٣٤١ ؛ ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٣ ، ص٦٤٠ رقم ١٢٧٨ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٣ ، ص٢٥٠ ، رقم ٣٠٣٠ ؛ الذهبي ، معجم شيوخ الذهبي ، ص٤٠٣ رقم ٥٨٣ ؛ ذيل العبر ، جـ٤ ، ص٢٨ ؛ تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص١٤٩٥ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٣٨٨ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٦ ، ص٨؛ ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ١ ، ص٥٠١ ، رقم ١٧٤٢ .

(٧) ابن أيبك الصفدي ، أعيان العصر ، جـ٣ ، ص٦٤٤ ، رقم ١٢٨٢ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، جـ٢ ، ص٨٠-٨١ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٣ ، ص٢٥٤-٢٥٥ ، رقم ٣٠٣٨ ؛ ابن الوردي،=

ومن زهاد الإسكندرية شرف الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد العزيز الإسكندراني الشهير بابن المصفى المتوفي عام ٧٤٤هـ/١٣٤٣م ، ووصفه ابن حجر بأنه " من أعيان علماء أهل الثغر يخرج به أهل الإسكندرية فهو شيخ من أفتى منهم الطلبة ، وكان عالماً خاشعاً متقللاً من الدنيا على طريق السلف الصالح ، وحدث وأفتى وشغل الناس مدة " (١) وأخذ عنه الرحالة خالد البلوي في منزله من الإسكندرية ، وذكر أنه ألبسه " خرقة التصوف " (٢) .

ومن العلماء الذين اتصفوا بالزهد والصلاح ، الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عثمان بن علي الحميري الصنهاجي المعروف بالفاسي نزيل الإسكندرية ، تلميذ الشيخ أبو محمد بن أبي حمرة ، وكان من الصلحاء المشهورين والزهاد المعروفين ، قائماً بالحق ، له شهرة بالصلاح والزهد ، مات بالإسكندرية في عام ٧٢٦هـ/١٣٢٦م (٣) .

ومحمد بن عبد الرحمن بن الحداد الفاسي الصنهاجي ، المعروف بابن الحداد المتوفي في عام ٧٢٢هـ/١٣٢٢م وله ميل إلى طريقة التصوف ، ويعرف كلام أهل الطريق، شيخاً حسن الأخلاق لطيف الشمائل، حلو المفاكهة، حسن الملبس، حدث بالإسكندرية (٤) .

إذن شارك العلماء والفقهاء في حركة التصوف في عصر سلاطين المماليك ، معتمدين في ذلك على علمهم مع الرغبة في التقشف والإجتهاد في العبادة ، وأصبح التصوف في ذلك العصر هو التدين فالمتدين عليه بالتصوف .

الـــدراويش :-

عُرف عصر سلاطين المماليك نوعاً من مدعي التصوف أطلقت عليهم المصادر المعاصرة " الدراويش " (٥) أو " المجاذيب " (٦) وهذه الفئة اشتهرت بأفعالها الغريبة التي زعموا أنها من الدين (٧) وازدهرت طوائف المجاذيب في العصر المملوكي ولهم مطلق الحرية في القول والفعل (٨) ، فالمجذوب لا يطالب بأدب من الأداب مع وجود الكشف – إدعاء الغيب – وبقائه عليه (٩) . أي أن المجذوب لا يسأل عما يفعل ومهما

---

=تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، ص٤٢٤ ؛ السيوطي ، حسن ، جـ١ ، ص٤٥٨ ؛ ابن إياس ، بدائع، جـ١ ق١ ، ص٤٦٩ .

(١) ابن حجر ، الدرر ، جـ١ ، ص٢٢٩-٢٣٠ ، رقم ٥٤٨ ؛ ابن رافع السلامي ، الوفيات ، جـ١ ص٤٧٢-٤٧٣ ، رقم ٣٨٩ .

(٢) البلوي ، تاج المفرق ، جـ١ ، ص٢٠٣ .

(٣) ابن الجزري ، تاريخ ابن الجزري ، جـ٢ ، ص١٣٣ ؛ المقريزي ، المقفى ، جـ٦ ، ص٢٦٩ رقم ٢٩٦٨ ؛ ابن حجر ، الدرر ، جـ٤ ، ٢٤٦ ، رقم ٤٢٠ .

(٤) المقريزي ، المقفى ، جـ٦ ، ص٢٠-٢١ ، رقم ٢٣٩٧ .

(٥) الشربيني ، هز القحوف في شرح قصيدة أبو شادوف ، بولاق ، ١٨٩٠ ، ص٧٦ .

(٦) السخاوي ، الذيل على رفع الإصر ، ص٣٧ .

(٧) سعيد عبد الفتاح عاشور ، المجتمع المصري ، ص١٦٦ .

(٨) الشعراني ، اليواقيت والجواهر ، المطبعة الأزهرية ، ١٣٠٨هـ ، ص١٥٤ .

(٩) نفسه ، ص١٥٥ .

قال وفعل فهو متمتع بعلم الغيب مع أنه لا يعلم الغيب إلا الله .
واعتبر ابن خلدون المجاذيب نوعاً من الأولياء مع سقوط التكاليف منهم (١) ، بحيث أصبح إدعاء الجذب غطاء لأصحاب الدعوات المتطرفة يتخلصون بها من المحاكمات .
وفضل ابن عطاء الله السكندري المجذوب على سالك الطريق على يد شيخ ، لأن المجذوب طويت له الطريق ولم تطو عنه ، أي أن الله اختار المجذوب واختصر عليه الطريق ، والسالك تركه الله يقطع الطريق ويسلكها بنفسه (٢) . وعلل الشعراني سبب ذهاب عقلهم بالتجلي الإلهي الذي أتاهم على غفلة فذهب بعقولهم ، وتكون حالة المجذوب بحسب الحالة التي جذب في أثنائها فإن جذب في حال قبض – أي اكتئاب – فعمره كله قبض ، وإن جذب في حال بسط فعمره كله بسط وضحك (٣) .
وساد الاعتقاد بأنهم يعيشون في عالم آخر ، وإن من شأن المجاذيب أنك ترى أحدهم ماشياً وهو راكب ، وتراه يأكل في رمضان وهو صائم لم يفطر ، وتراه عارياً وهو مرتدي لثيابه (٤)
وتمتع هؤلاء المجاذيب بتقديس المماليك لهم ، فالسلطان برقوق اعتقد الزهوري المجذوب حتى لقد كان الأخير يبصق في وجهه (٥) ، ولما افتتح برقوق مدرسته دخل عليه مجذوب وأعطاه طوبة وأمره أن يضعها في المدرسة ، فوضعها السلطان في قنديل وعلقه في المحراب ، يقول ابن إياس " فهي باقية في القنديل إلى الآن " (٦) .
كثر هؤلاء المجاذيب في الإسكندرية في العصر المملوكي ، وأغلبهم من المغاربة والأندلسيين ، ومن هؤلاء عبد الله بن محمد بن سهل المرسي الملقب بالشيخ نهار ، وكان للناس فيه اعتقاد زائد ، وكان مسلوباً يدعى له بالولاية ، ويقع منه تخليط (٧) . وكان يتحدث بالمغيبات وله كرامات (٨) ، وتذكر عنه مكاشفات كبيرة (٩) . ويصفه ابن تغري بردي " بالشيخ المعتقد الصالح المجذوب صاحب الكرامات الخارقة والأحوال العجيبة " (١٠) .
وزادت مكانة الشيخ نهار في المجتمع السكندري بجميع فئاته وطبقاته ، وممن اعتقده نائب الإسكندرية صلاح الدين بن عرام وكان ابن عرام يخدمه كثيراً ، وذكر

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، جـ٣ ، ص١١٠٣ .
(٢) ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، ص١١١ .
(٣) الشعراني ، نفسه ، ص١٥٥-١٥٦ .
(٤) أحمد صبحي منصور ، العقائد الدينية ، ص٣٢١ .
(٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ١٣ ، ص٦٠ .
(٦) ابن إياس ، بدائع ، جـ١ ق٢ ، ص٣٧٣ .
(٧) ولي الدين العراقي ، ذيل العبر ، جـ٢ ، ص٤٧٨ .
(٨) المقريزي ، السلوك ، جـ٣ ، ص٣٥١ ، ٥١١ .
(٩) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ١ ، ص١٨٤ ، ١٨٩ .
(١٠) ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، جـ٢ ، ص٧٦٢ ، رقم ٢٥٩٤ .

له أنه سيموت مقتولاً موسطاً أو مسمراً ، وذلك قبل قتل ابن عرام بعدة سنوات ، وابن عرام يقول له : في الغزاة إن شاء الله تعالى ، وعندما صلب ابن عرام للقتل في عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م نتيجة لقتله الأمير بركة الجوباني ، قال يا سيدي الشيخ نهار هذا اليوم الذي وعدتني ، فإنا لله وإنا إليه راجعون " (١) .

وقال في هذا المعنى الشاعر شهاب الدين بن العطار قوله (٢) :-

| | |
|---|---|
| وَعْدُ ابن عرام قديمٌ بما | قد نال من شيخ رفيع المنار |
| يا ليلة بالسجن أبدت له | ما قاله الشيخ نهار جهار |

مات الشيخ نهار بالإسكندرية يوم الاثنين خامس عشرى جمادى الأولى عام ٧٨٠هـ/١٣٧٨ ودفن بتربة الديماس – كوم الدكة – (٣) .

ويذكر السخاوي في ترجمة أبي بكر بن أحمد بن محمد الزكي المصري الشافعي الضرير والمعروف بالسعودي المتوفي في عام ٨٤٧هـ/١٤٤٣م من أن أمه سافرت به في صغره إلى الإسكندرية فرآه الشيخ نهار فقال لها أنه يكف بعد قليل ، ثم أصبح ضريراً كما ذكر نهار لأمه (٤) .

وهذه الغيبيات التي يذكرونها كانت تقوي من مكانة هؤلاء المتصوفة لدى طبقات المجتمع من العامة إلى الحكام على الرغم من جهالة وسذاجة هؤلاء المدعين للكشف .

وممن اعتقده أهل الإسكندرية الشيخ أبو بكر بن عبد الرازق الدكالي المالكي ، سكن الإسكندرية واعتقده أهلها لما رأوه من أحواله وكراماته وتوفي بمكة عام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م (٥) .

وسالم بن عبد الله بن سعادة بن طاحين القسنطيني نزيل الإسكندرية ، وكان للناس فيه اعتقاد (٦) وعبد العزيز بن مسلم المستناني – نسبة لقبيلة من قبائل المغرب – المغربي ثم السكندري المالكي المتوفي عام ٨٧٤هـ/١٤٦٩م مذكور بالولاية ممن أخذ من الشيخ سالم ، لقيه السخاوي بالإسكندرية فأول ما وقع بصره على السخاوي شرع يذكر بعزم وجد ساعة طويلة ، ثم دخل منزله من شدة الوجد ويصفه السخاوي بأنه "إنسان عليه حفز وسكون وهيبة ، ولأهل الثغر فيه اعتقاد زائد وإذا رأيته علمت أنه يخشى الله " (٧) .

وكذلك ابنه محمد بن عبد العزيز بن مسلم ، الشمس أبو عبد الله المستناني المغربي السكندري المالكي المتوفي في عام ٨٧٥هـ/١٤٧٠م ، كان يعتقد المنصور عثمان بن الظاهر جقمق حيث ارتبط به أثناء نفيه بالإسكندرية ، وله فيه مزيد اعتقاد

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ١١ ، ص١٩٤ .
(٢) نفسه ، ص١٨٧ .
(٣) السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٤٢٦ ؛ ابن العماد ، شذرات ، جـ٦ ، ص٢٦٧ .
(٤) السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ١١ ، ص٢٤-٢٥ ، رقم ٦٢ .
(٥) نفسه ، جـ١١ ، ص٤٧ ، رقم ١١٩ .
(٦) نفسه ، جـ٣ ، ص٢٤٢ ، رقم ٩٠٩ ؛ ابن حجر ، ذيل الدرر ، ص٢٦١ ، رقم ٤٩١ .
(٧) السخاوي ، الضوء ، جـ٤ ، ص٢٣٥ ، رقم ٦٠٨ .

مع استفاضة ذكره بالصلاح والعلم وعقل وسكون [١] .

وهكذا أصبح لهؤلاء المجاذيب مدعي التصوف والذين أسقطوا فرائض الإسلام وأتوا بأشياء يرفضها أي عاقل المكانة العالية ليس في مجتمع الإسكندرية فقط بل شمل ذلك العصر المملوكي كله في مصر والشام وبنظرة في كتاب الطبقات الكبرى للشعراني يتبين لنا أساليب ووسائل وصور الجذب والمجذوبين الذين وضعهم الشعراني ضمن طبقات المتصوفين ، فمنهم من كان يتبول على الناس من على منبر المسجد أثناء خطبة الجمعة ، ومنهم من يأتيه التمساح من النهر يبكي بدموع غزيرة فيقلع أسنانه ، ومنهم من يركب الأسد ويسير به في الشوارع ، هذا يوضح لنا ما وصلت إليه الحياة الفكرية والروحية في العصر المملوكي من التخلف والسذاجة ، والبعد عن صحيح الدين .

من ذلك يتبين لنا أن التصوف يعد تياراً هاماً ورافداً كبيراً ترك أثره في جميع نواحي الحياة في العصر المملوكي والناحية الفكرية والثقافية والعلمية خاصة ، وأصبح من أهم سمات الحياة الثقافية في الإسكندرية ، بل الديار المصرية وقتئذ .

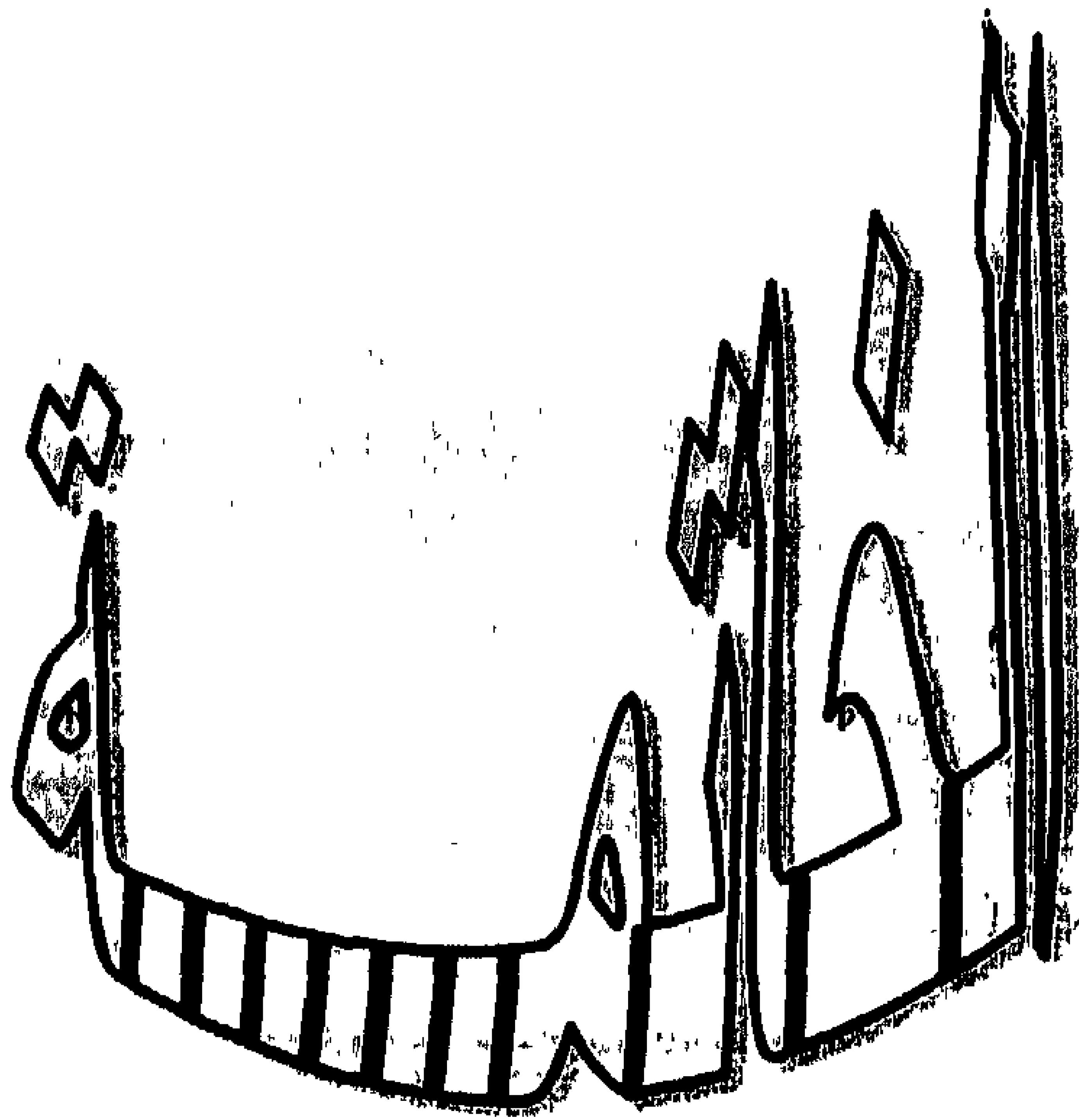
وتعددت أشكال التصوف والذي شجعته الدولة المملوكية لنشر السلبية في المجتمع وتقربوا إلى شيوخ التصوف بكل أشكالهم من أصحاب طرق إلى أصحاب الرُبط والخانقاوات ، والزهاد والدراويش أو المجاذيب ، وأصبح لهؤلاء المتصوفة سلطان يفوق سلطان السلاطين المماليك .

واتسمت التنظيمات الطريقية بالارتباط بالتشيع والرغبة في إقامة دولة شيعية باطنية وتزعم ذلك العديد من الشخصيات مثل الجيلاني والرفاعي وأبو مدين التلمساني ، وتلاميذهم من أمثال أخمد البدوي ، وأبو الحسن الشاذلي .

وكشفت الدراسة عن سطوة الدراويش في العصر المملوكي ، والذين تخلوا عن فرائض الدين وأتوا بأفعال غريبة آثارت دهشة الجميع ولكن كثر اعتقاد الناس بهؤلاء المجاذيب الذين اتخذوا من التنبؤ بالغيبيات سبيلاً لشهرتهم .

---

(١) نفسه ، جـ٨ ، ص٦٣ ، رقم ١٠٠ .


الخاتمة

## الخاتمة

كشفت لنا هذه الدراسة عن مدى الازدهار الذي نعمت به الحياة الثقافية في الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك ، حيث تضافرت العديد من العوامل التي أدت إلى ذلك .

وأوضحت الدراسة الدور الذي قام به ولاة ونواب الإسكندرية من رعاية الحياة العلمية والثقافية ومساهمتهم في بناء العديد من مراكز الثقافة من مدارس وخانقاوات وربط ، وكان لبعضهم مكتبات خاصة كبيرة احتوت على أمهات الكتب ، ومشاركتهم الفعالة في مجالات الحياة الثقافية فاهتموا بالعلوم النقلية كالحديث والتفسير والفقه والتاريخ ، وأصبح اثنان منهم من أشهر المؤرخين في العصر المملوكي وهما خليل بن عرام ، وخليل بن شاهين الظاهري .

وبينت الدراسة الدور الكبير الذي قام به المغاربة والأندلسيين في الحياة الثقافية في الإسكندرية حيث لعبت رحلة الحج التي قام بها المغاربة والأندلسيين دوراً هاماً في حركة الثقافة بين الإسكندرية – أول محطة لاستقبال هؤلاء المغاربة في مصر – وبلاد المغرب والأندلس حيث أخذوا عن علماء الإسكندرية ورجعوا بهذه العلوم إلى بلادهم مما أثرى الحركة الفكرية في بلاد المغرب والأندلس ، كما استقر العديد من هؤلاء المغاربة والأندلسيين في الإسكندرية وكان أغلبهم من العلماء والفقهاء والمحدثين والمتصوفة مما أدى إلى ازدهار الحياة الثقافية في الإسكندرية .

وأكدت الدراسة على دور تجار الإسكندرية في الحياة الثقافية بها ، إذ يعد التجار في الإسكندرية أهم فئات المجتمع السكندري اهتماماً بالعلم والثقافة ، فالثراء الكبير الذي نعموا به من وراء التجارة عادت أرباحه على الثقافة في الإسكندرية ، فقاموا ببناء الكثير من مراكز الثقافة فمعظم مدارس الإسكندرية وربطها بناها التجار ، وشارك هؤلاء التجار مشاركة قوية في جميع مجالات الثقافة بالإسكندرية فكان منهم الفقهاء وعلماء الحديث وعلماء التفسير والقراءات والشعراء والأدباء وترك بعضهم الكثير من المؤلفات الفقهية ودواوين الشعر وتولوا العديد من المناصب الدينية في الإسكندرية مثل قضائها وحسبتها وخطابة المسجد الجامع بها مما يوضح الدور الهام للرأسمالية التجارية في النهضة الثقافية في العصر المملوكي عامة وفي الإسكندرية خاصة .

وكشفت الدراسة عن مدى الاحتكاك الثقافي بين الإسكندرية والمدن والدول الأوروبية والتي ارتبطت بعلاقات تجارية كبيرة مع الإسكندرية ، إذ وجد بالإسكندرية أكثر من ثلاثين جالية أوروبية بها واستقر الكثير منهم بالإسكندرية ، مما أدى إلى وجود احتكاك ثقافي بين هؤلاء التجار الأوروبيين وأهل الإسكندرية ، إذ لم يقتصر الأمر على التجارة فقط ، بل قويت العلاقات الثقافية بينهم واكتسب أهل الإسكندرية العديد من المصطلحات الأوروبية في لغة حديثهم ، ووجد فئة من التراجمة كواسطة بين هؤلاء الأوروبيين وأهل الإسكندرية ، بل أن الكثير من أهل الإسكندرية أجادوا اللغات الأوروبية نتيجة لهذا الاحتكاك ، ولعل أهم نتائج هذا الاحتكاك وجود قاموس عربي – أعجمي ، أعجمي – عربي – كان أهل الإسكندرية يطلقون على الأوروبيين الفرنج والعجم –

يسمى كتاب " الترجمان " استخدمه أهل الإسكندرية في معاملتهم اليومية مع الأوروبيين وللأسف هذا الكتاب في حكم المفقود .

وبينت الدراسة كثرة مراكز الإشعاع الثقافي في الإسكندرية من مساجد وبخاصة جامعي عمرو بن العاص المعروف بالجامع الغربي وجامع العطارين أو الجيوشي المعروف بالجامع الشرقي حيث لعبا دوراً هاماً في نشر الثقافة الإسلامية في الإسكندرية، فضلاً عن كثرة الربط بالإسكندرية بسبب اتخاذ الإسكندرية دار رباط وقد لعبت هذه الربط دوراً هاماً عسكرياً ودينياً وأصبحت ملجأ للمتصوفة ، وكثرة الزوايا والخانقاوات والمكتبات الخاصة ولعبت حوانيت الوراقة دوراً هاماً في نشر الكتاب وأصبحت ملتقى للعلماء والمثقفين .

وكشفت الدراسة عن أن الإسكندرية تعد أول مدينة مصرية عرفت المدارس منذ العصر الفاطمي حيث وصلنا أربع مدارس من هذا العصر ، وستة من العصر الأيوبي ، حتى وصل عدد المدارس التي استطعنا التوصل إليها في العصر المملوكي إلى إحدى وثلاثون مدرسة ، قام تجار الإسكندرية ببناء معظمها ، ولكن تكمن الصعوبة في دراسة المدارس عدم وصول أي من حجج الوقف الخاصة بها ، فضلاً عن ندرة المعلومات عنها بحيث لم نعرف في كثير الأحيان غير اسم المدرسة فقط .

وأسهمت الدراسة في الوقوف على وضع العلوم في الإسكندرية في العصر المملوكي ، بل في العصر المملوكي عامة ، حيث دار معظمها حول العلوم النقلية ، ووصلت إلى درجة كبيرة من الانحطاط وعدم الابتكار والإبداع ، واقتصر عمل المشتغلين بها من العلماء إلى دراسة أمهات الكتب المشهورة في كل علم ، ثم قاموا بتلخيص واختصار هذه الكتب ، ثم قاموا بشرح هذه المختصرات ووضع الحواشي عليها ووضع الشروح على الشروح ، واختصار الشروح ، مما جعل العلوم تحصيل حاصل .

وأكدت الدراسة أيضاً على الدور الهام الذي لعبه الأدب السكندري من معالجة قضايا المجتمع السكندري وما تعرضت له الإسكندرية من نكبات كالزلازل والأوبئة والطواعين أو هجمات خارجية مثل حملة القبارصة عليها وما خلفته من آثار سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ونفسية لأهل الإسكندرية ، وعبر الأدب عن التيارات الثقافية في الإسكندرية مثل تيار التصوف الذي تغلغل في المجتمع المصري كله وقتئذ ، وكذلك قام خيال الظل دوراً هاماً في التعبير عن الصراع الإسلامي الصليبي من خلال إحدى تمثلياته التي اتخذت من منار الإسكندرية اسماً لها على اعتبار أن الإسكندرية تعد من أهم نقاط الاحتكاك العسكري مع الصليبيين خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين .

وأوضحت الدراسة مدى اهتمام علماء الإسكندرية بعلم التاريخ حيث ساهموا في دراسة تاريخ الإسكندرية من خلال ما كتبه ابن العمادية عن تاريخ الإسكندرية في العصر الإسلامي ، بل سجل أحد نزلاء الإسكندرية أحداث حملة القبارصة على الإسكندرية في كتاب يعد المصدر العربي الوحيد لدراسة هذه الحملة وكشاهد عيان لهذه الحملة .

وكشفت الدراسة عما تمتعت به الإسكندرية من ثراء معماري ، حيث كثرة العمائر في الإسكندرية والتي تميزت بها عن غيرها من المدن ، بل نجد المعماري السكندري بلغ درجة عالية من الرقي المعماري بما أضافه لتلك العمائر من لمسات فنية لحماية تلك العمائر من الأخطار كالأمطار فوضع مواسير لتصريف المياه من على أسطح تلك العمائر تصب الماء في الشوارع ، ثم زود هذه الشوارع – وكانت مبلطة – بمجموعة من البالوعات لشفط هذه المياه .

وأوضحت الدراسة مدى تقدم الفنون التطبيقية في الإسكندرية ، كفن النسيج والخزف والزجاج ، والتي بلغت درجة عالية من الشهرة العالمية بحيث أصبح القماش السكندري أفضل أنواع القماش في العالم وقتئذ .

وبينت الدراسة مدى تغلغل تيار التصوف وقوته في الإسكندرية والذي ترك أثاره في جميع طبقات المجتمع السكندري ، وكان معظم هؤلاء المتصوفة من المغاربة والأندلسيين ، وارتبطت الطرق الصوفية في تلك الفترة بالتنظيمات العلوية الإسماعيلية مما يبين الارتباط بين التصوف والتشيع .

وكشفت الدراسة عن المعوقات التي وقفت في سبيل ازدهار الحياة الثقافية في الإسكندرية ، بل أدت إلى انهيار الإسكندرية نفسها مع نهاية دولة المماليك ، كالزلازل والأوبئة والطواعين ، وغارات الصليبيين ، والاضطرابات السياسية ، والانهيار الاقتصادي والذي كمل بتحويل طريق التجارة من مصر إلى رأس الرجاء الصالح مما أدى إلى تدهور أحوال الإسكندرية بصفة عامة والثقافية بصفة خاصة .

# الملاحق

# الملحق رقم ( ١ )

## لوحة تجديد الجامع الجيوشي ( العطارين ) [1]

" بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشى إلا الله مما أمر بإنشائه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصري عند حلول ركابه بثغر الإسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خراباً فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفا إلى الله تعالى وذلك في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربع مائة "

(1) Wiet, Repertoire chronologique d'Epigraphie arabe, T.7,P225

## الملحق رقم (٢)[1]

## اللوحة التأسيسية لدار الحديث التكريتية بالإسكندرية

" بسم الله الرحمن الرحيم أن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً . أوقف هذا المسجد المبارك ودار الحديث العبد الراجي رحمة ربه عبد اللطيف بن رشيد التكريتي لتلاوة الكتاب العزيز ، وقراءة الأحاديث النبوية وطلب العلـــم الشريف على مذهب أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمة الله عليـــه في شهر المحرم سنة ثمان وسبعين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمـــد وعلى آله وأصحابه "

(1) Wiet, Repertoire chronologique, T.12,P248.

## الملحق رقم (٣) [1]
## شاهد قبر برباط الواسطي بالإسكندرية

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي . كل نفس ذائقة الموت ، إنما توفون أجوركم يوم القيامة توفى الشيخ السعيد الأمين المفضل المرتضي أطكين شهاب الدين أبو علي منصور بن الشيخ السعيد الأمين أبو الفتوح نصر بن الشيخ أبي الفضل الواسطي القاضي العادل . ليلة الجمعة رابع شهر شعبان الشريف سنة إثنتين وسبعين وستمائة رحمة الله تعالى ونور ضريحه "

[1] حسن عبد الوهاب ، الإسكندرية في العصر الإسلامي ، ص ٣٩٣ .

# الملحق رقم (٤) [١]
# حال أوقاف الجامع الجيوشي
# وضريحي أبي العباس المرسي والموازيني

١ - لدى مولانا السيد محمد أفندي دام فضله

٢ - بعد أن ثبت قبل تاريخه لديه أحسن الله إليه تعطيل جميع الغيط الكائن بصفة الخليج الناصر المعروف بغيط الخطيب الجاري في وقف الجامع المعمور بذكر الله

٣ - تعالى الكاين داخل الثغر بوسطه المعروف بالجيوشي والعطارين بحق النصف والنصف الثاني في وقف الوليين العارفيين بالله سيدي أبي العباس المرسي والموازيني

٤ - عمت بركتهم وأن أرض كامل الغيط تحرست وضعفت أشجاره وقلت غلته وفقدت ساقيته والقنوات الموصلة المياه إليه ومات غالبية

٥ - أشجاره وإن الغيط المذكور له مدة تزيد على خمسة عشر سنة تقدمت على تاريخه لم تسقى بالماء أحد عشر سنة فتته وقنواته ولعدم في تجدديه ويصرف عليه ليتقي عيبة وتدمر

٦ - منفعته وأنه محتاج لمن ينظر بنور الله تعالى ويسعى في إحيايه لاحتياج الجامع وضريحي الوليين المذكورين أعلاه لاحتياج الشرعي لشهادة من

٧ - بعد الكشف الشامل عند الله تعالى على كامل الغيط المذكور ينوب بالمحكمة المشار إليها مع الشهود يأتي ذكرهم فوجد الغيط المذكور متصفاً بالضعف .

(١) وثيقة رقم ١٥٢ ، سجل رقم ٤١ ، ص ٨٧ ، أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية ، المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

## ملحق رقم (٥) [١]

## مرسوم تعيين منشد ومادح بضريح ياقوت العرش

١ - أشهد على نفسه محان أفندي المومي إليه أعلاه أنه قرر الشيخ الفاضل المادح سليمان ابن الشيخ الفاضل
٢ - صاوي الـ المحترم المادح الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ العلامة العمدة
٣ - عين أعيان السادة الفقهاء المالكية والمادح بالثغر المرقوم في وظيفة
٤ - الانشاد ومدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خير العباد وصحبته كل يوم سبت في كل جمعة من طلوع الشمس بمقام ولي الله تعالى العارف بالله سيدي ياقوت
٥ - العرش لحال ضريحه محرر ظاهر الثغر بقرب مقام ولي الله تعالى والعارف بالله سيدي أبي العباس المرسي عمت بوليتهما وقراه ما تيسر من القرآن
٦ - العظيم وأهد ثواب أذلك إلى روح النبي صلى الله عليه وسلم وإلى أهله وصحابته وتبعيهم والأولياء والصالحين والعاملين والمسلمين والمسلمات والمؤمنين
٧ - والمؤمنات الأحيا منهم والأموات احتساباً بالوجه الكريم وثواب الثواب من الملك الرحيم

شهر رجب الفرد الأصم سبع وستين وألف

[١] وثيقة رقم ١٥١ ، سجل رقم ٤١ ، ص٨٦ ، أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

# الملحق رقم (٦) [١]

# تعيين مؤذن بجامع العطارين

١ - أشهد على نفسه الكريمة حرسها الله تعالى وحماها وشكر في فعل الخيرات شيخ الإسلام المومي إليه حسن الله إليه أنه قرر المحترم الزيني حجازي بن المحترم الحاج عطية بن عبد الحق بن علي العبد الفقير الكادوجي في وظيفة
٢ - الأذان في الأوقات الخمسة في كل يوم في الجامع المعمور بذكر الله تعالى الكاين بوسط الثغر المرقوم بوسطه المعروف بالجيوشي والعطارين بما له في المعلوم
٣ - استيمار الوقف وقدره في كل يوم نصفا واحدا من الأنصاف الفضة تقرير شرعيا مقبولا القبول الشرعي وذلك لما ظهر واتضح لمولانا الشاهد شيخ
٤ - الإسلام أفندي في أهلية حجازي المذكور وعفته وأمانته واستقامته وصيانته وخدمته للجامع المذكور قبل تاريخه وعليه العمل في ذلك بتقوى
٥ - الله تعالى وطاعته في سره وعلنيته فإنه في سلكه طريق الحق نجا ومن يتق الله يجعل له مخرجا وأذن مولانا أفندي المومي إليه أعلاه للناظر على الجامع المذكور في دفع
٦ - النصف الفضة لحجازي المذكور من جملة الوقف على الجامع المذكور الإذن الشرعي وبه شهد في ثامن شهر رجب الفرد والأصم من شهور سنة سبع وستين
٧ - وألف من الهجرة النبوية على مشرفها أفضل الصلاة وأزكى التحية شهود الحال
٨ - أفندي
٩ - القاضي
١٠ - الحاكم

[١] وثيقة رقم ١٥٠ ، سجل ٤١ ، ص٨٦ أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية ، المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

# الملحق رقم (٧) [١]

١ - تعيين جوق قراء كل يوم خميس بضريح سيدي جابر الأنصاري خارج الإسكندرية
٢ - غرة شهر رجب سنة سبع وستين وألف
٣ - لدى مولانا شيخ الإسلام السيد محمد أفندي دام فضله
٤ - نشهد وأبقى مولانا أفندي المومي إليه أعلاه الشيخ الفاضل قاسم بن الشيخ العلامة العمدة نور الدين علي بن فياض البلقهاي الأصل من أعيان السادة الفقها
٥ - بالثغر المرقوم في وضع قراء جوق في كل يوم خميس في مقام ولي الله تعالى والعارف بالله سيدي جابر الأنصاري وعلى ختم الباري الكاين ضريحه خارج الثغر المرقوم
٦ - أعلاه عمت بركاته بما له من المعلوم من استيمار الوقف وقدره في كل يوم نصفا واحدا قلوريا نحاسا لا غير من سنة تجدده إلا ما بوظيفته
٧ - المذكورة للشيخ قاسم المذكور من الشيخ عبد السلام بن المرحوم القاضي حسن بدر الدين
٨ - ذلك قبل تاريخه بطيب قلب وانشراح صدر ..

[١] وثيقة رقم ١٤٩ ، سجل رقم ٤١ ، ص٨٦ ، أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

# الملحق رقم (٨)[١]

## مرسوم بالتعيين في وظيفة الإمامة والخطبة والأذان بالإسكندرية

١ - لدى مولانا السيد محمد أفندي دام فضله أمين

٢ - قرر مولانا أفندي المومي إليه أعلاه الشيخ الفاضل زين الدين رمضان بن الشيخ الصالح العمدة عز الدين أبي عبد الله محمد الشهير بابن غازي في وظيفة الإمامة والخطبة

٣ - بالجامع الكاين داخل الثغر المرقوم بباب السدرة وفي وظيفة الأذان وصلاة الظهر والعصر في كل يوم بالجامع المعمور بذكر الله تعالى المعروف بجامع شعبان الكاين داخل

٤ - الثغر المرقوم بسوق باب البحر بما لذلك من المعلوم الشاهد به استيمار الواقفين المصروف للأيمة والمؤذنين المتقدمين بالجامعين المذكورين وقدر ذلك من الأنصاف الفلوس

٥ - النحاس خمسة وسبعون نصفا فلوسا نحاسا ومن الأنصاف الفضة خمسة وثلاثون نصصفا فضة عن كل شهر تمضي من تاريخه من ذلك ما يخص وظيفة الإمامة والخطابة

٦ - بجامع باب السدرة المبدأ بذكره مبلغ الفلوس النحاس وقدره خمسة وسبعون نصفا فلوس نحاسا حسابا عن كل يوم نصفان إثنان ونصف نصف .

٧ - يخص وظيفة الأذان في كل شهر خمسة عشر نصفا فضة ما يوعز وظيفة صلاة الظهر والعصر عشرون نصفاً فضة كل شهر عوضا في ذلك عن الشيخ خليفة

٨ - ابن السمعيل التوقيني لفراغه عن ذلك ونزوله عنه للشيخ رمضان عن طيب قلب وانشراح صدر ومتروك وفراغا شرعيين لما ظهر واتضح لمولانا أفندي المومي إليه

٩ - إنه قرا عنه الشيخ رمضان واستحقاقه لذلك

١٠ - ... غرة شهر رجب سنة سبع وستين وألف .

[١] وثيقة رقم ١٤٥ سجل رقم ٤١ لسنة ١٠٦٧هـ ، ص٨٤ ، أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

# ثبت المصادر والمراجع

# ثبت المصادر والمراجع


القرآن الكريم :-

أولاً : الوثائق غير المنشورة :-

- وثيقة رقم ١٤٥ سجل رقم ٤١ بتاريخ ١٠٦٧هـ ، خاصة بتعيين في وظيفة الأمامة والخطبة بجامع باب السدرة ، أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية والمحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- وثيقة رقم ١٥٠ سجل رقم ٤١ بتاريخ عام ١٠٦٧هـ خاصة بتعيين مؤذن بجامع العطارين بالإسكندرية ، أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية .
- وثيقة رقم ١٤٩ سجل رقم ٤١ بتاريخ ١٠٦٧هـ و خاصة بتعيين منشد بضريح سيدي جابر الأنصاري خارج ثغر الإسكندرية ، أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية .
- وثيقة رقم ١٥١ سجل رقم ٤١ بتاريخ رجب ١٠٦٧هـ وخاصة بتعيين منشد ومادح بضريح ياقوت العرش ، أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية .
- وثيقة رقم ١٥٢ سجل ٤١ وخاصة بوقف غيط على جامع العطارين بحق النصف ومقام أبو العباس المرسي ومقام الشيخ علي الموازيني بحق النصف ، أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية .
- وثيقة رقم ١٧٢ سجل ٤١ ، وخاصة بنفقات مساجد وجوامع ومقامات الأولياء ومدارس الإسكندرية في عام ١٠٩٩هـ ، أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية .
- وثيقة رقم ٣١٣ سجل ٦٥ وخاصة بنفقات مساجد وأضرحة الإسكندرية في عام ١١٢٩هـ . أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية .
- وثيقة رقم ١٧ سجل ١٠١ ، والخاص بتجديد قلعة قايتباي ، أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية .
- وثيقة وقف شاهين بن عبد الله المحسني ، بتاريخ ٢٧ ٨٠٨هـ/١٤٠٤م رقم ٦٣ محفظة ١٠ دار الوثائق القومية بالقاهرة .
- وثيقة وقف الأمير قجماس الإسحاقي رقم ٦٨٣ أوقاف جديدة بتاريخ ١١ شعبان سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٥م ، أرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة .

ثانياً : الوثائق المنشورة :-

- وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون ، مؤرخة ٨ جمادى الأولى ٧٢٦هـ/١ مايو ١٣٢٦م دار الوثائق القومية رقم ٢٥ محفظة ٤ ، ورقم ٣١ محفظة ٥ ، نشر د. محمد محمد أمين ، ملاحق كتاب تذكرة النبيه لابن حبيب ، الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٩٨٢ .
- وثيقة السلطان عثمان بن جقمق ، رقم ٢٢٥ج أوقاف ، نشر د. عبد اللطيف إبراهيم علي ، الوثائق العربية في العصور الوسطى ، مجلة أم درمان الإسلامية العدد الثاني ، ١٩٦٩ .

- وثيقة استبدال عقار بظاهر باب رشيد بثغر الإسكندرية رقم من ٦٧ج أوقاف بتاريخ ٢٦ ربيع الأول سنة ٨٧٩هـ خاصة بالأمير قجماس الإسحاقي ، نشر محمد محمد أمين ، فهرست وثائق القاهرة .
- وثيقة بيع رقم ٦٧٦ج أوقاف بتاريخ ربيع الآخر سنة ٨٧٩هـ خاصة بالأمير قجماس الإسحاقي ، نشر محمد محمد أمين ، فهرست وثائق القاهرة .
- وثيقة وقف الأمير يشبك من مهدي رقم ١٨٨ محفظة ٢٨ دار الوثائق القومية ، ووثيقة رقم ٦٦ محفظة ١١ ، نشر عبد اللطيف إبراهيم علي ، من وثائق التاريخ العربي ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم ، عدد ٢ ، ١٩٧١ .
- وثيقة وقف السلطان الغوري رقم ٨٨٢ أوقاف ، نشر عبد اللطيف إبراهيم علي ، دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغوري ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة القاهرة ، ١٩٥٦ .
- وثائق في شئون العمران في الأندلس ، المساجد والدور مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي ، نشر محمد عبد الوهاب خلاف ، القاهرة ١٩٨٣ .

ثالثا : المصادر المخطوطة :-

أحمد حمزة :-

- مقامات سيدي أبي القاسم بن منصور بن يحيى الإسكندري المعروف بالقباري ، المتوفي سنة ٦٦٢هـ ، ترجمة موجزة للشيخ القباري اختصرها عن كتاب " منح مولانا الباري في مناقب الشيخ أبو القاسم بن منصور بن يحيى المالكي الإسكندري القباري " لناصر الدين أحمد بن المنير ، ت ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م ، مخطوطة بمكتبة البلدية بالإسكندرية تحت رقم ١٦٨٥ .

ابن حبيب : الحسن بن عمر ، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م

- درة الأسلاك في دولة الأتراك ، ٣ أجزاء ، مخطوط مصور بجامعة القاهرة ، تحت رقم ٢٢٩٦١ .

الخالدي : عبد الله بن لطف الله محمد بن بهاء الدين ، ت ٩٣٧هـ/١٥٣٠م

- كتاب المقصد الرفيع المنشأ الهادي إلى صناعة الإنشاء ، مخطوط مصور بجامعة القاهرة ، تحت رقم ٢٤٠٤٥ .

ابن الزيات التادلي : أبي يعقوب يوسف بن يحيى ، ت ق ٧هـ/١٣م .

- المعزي في مناقب أبي يعزى ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٢٤٩ تاريخ تيمور ميكروفيلم ٢٢٧٧٠٣ .

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت ٩١١هـ/١٥٠٥م .

- رسالة في فضل ثغر الإسكندرية ، مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم ١٣٧٤ .

ابن شاكر الكتبي : فخر الدين محمد بن شاكر ، ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م .

- عيون التواريخ ، جـ٢١ ، نسخة مصورة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٤٩٧ تاريخ ميكروفيلم ٢٣٤٨٣٢ .

ابن شاهين ، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ، ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م .
- كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم ٦٩٢ تاريخ .
ابن شاهين الظاهري ، عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري ، ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م
- الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ، ٤ أجزاء ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٣ تاريخ تيمور .
ابن الصباغ : أبو علي الحسن بن عمر بن أبي إسحاق .
- فضائل الإسكندرية ، نسخة مصورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، محفوظة بمكتبة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، تحت رقم ٧٧٩م .
العيني : بدر الدين محمود بن أحمد ، ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م .
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، حوادث من عام ٧١٠-٧٨٤هـ ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٥٨٤ ، ميكروفيلم ٣٦٤١١ .
النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م .
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، جـ٣٠ ، جـ٣١ ، مخطوط مصور بجامعة القاهرة ، تحت رقم ٢٦٠٨٥ ، دار الكتب المصرية ميكروفيلم رقم ٤٢٧٠٨ ، ٤٣٣٣٠ .
النويري السكندري ؛ محمد بن قاسم بن محمد ت بعد عام ٧٧٧هـ/١٣٧٥م .
- الإلمام بما جرت الأحكام فيما جرت به الأيام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية ، دار الكتب رقم ٥٨٦٧ تاريخ ، ميكروفيلم رقم ٥٨٦٧ .
- نسخة الهند ، مصورة بمكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية رقم ٧٣٨م .
<u>رابعاً : المصادر العربية</u> :-
ابن الآبار : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أب بكر القضاعي البلنسي ، ت ٦٥٩هـ/١٢٦١م .
- التكملة لكتاب الصلة ، جزاءن ، نشر السيد عزت العطار الحسيني ، القاهرة ، ١٩٥٥-١٩٥٦ .
- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم ، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م .
- الكامل في التاريخ ، تحقيق محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨ .
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
ابن الأثير : أبي العلوات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ، ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م .
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ .
ابن أجا الحلبي : شمس الدين محمد بن محمود بن خليل الحلبي ت ٨٨١هـ/١٤٧٦م .

- تاريخ الأمير يشبك الظاهري ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
ابن الأخوة : محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت ٧٢٩هـ/١٣٢٩ .
- معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
الأدريسي: أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن أدريس المعروف بالشريف الأدريسي من علماء القرن السادس الهجري .
- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت .
الأدفوي : كمال الدين ابي الفضل جعفر بن ثعلب الأدفوي ، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م .
- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، تحقيق سعد محمد حسن ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
الأسنوي : جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي ، ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م .
- طبقات الشافعية ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧
الاصطخري : أبي إسحق الفارس ، ت ق ٤هـ/١٠م .
- كتاب مالك الممالك ، ليدن ، ١٩٢٧ .
ابن أبي أصيبعة : موفق الدين العباس أحمد بن القاسم الخزرجي ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار الثقافة ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٧٩ .
ابن الأكفاني : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري البخارى ، ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م .
- كتاب إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ، نشر يان يوسف ويتكام ، دار ترلوخت ، ليدن ، ١٩٨٩ .
ابن إياس : أبي البركات محمد بن أحمد الحنفي ، ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م .
- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- نزهة الأمم في العجايب والحكم ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٥ .
- نشق الأزهار في عجايب الأقطار ، نشر لانجلز ، باريس ، د.ت .
ابن أيبك الدواداري : أبو بكر بن عبد الله ، ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م .
- كنز الدرر وجامع الغرر .
جـ٦ : " الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية " ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٦١ .
جـ٧ : " الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب " تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
جـ٨ : " الدرة الذكية في إخبار الدولة التركية " تحقيق أولرخ هارمان ، القاهرة ، ١٩٧١ .

جـ٩ : " الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر " ، تحقيق هانس روبرت رويمر ، القاهرة ١٩٦٠ .
ابن أيبك الصفدي : صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك ، ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م .
- أعيان العصر وأعوان النصر ، ٦ أجزاء ، تحقيق علي أبو زيد وآخرون ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩٨ .
- الوافي بالوفيات ، صدر منه ٢٢ جزء والباقي مخطوط ، نشر جمعية المستشرقين الألمانية ، فسبادون .
- نكت الهيمان في نكت العميان ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة ، ١٩١١ .
ابن بسام : ابن الحسن علي بن بسام الشنتريني ، ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ٨ أجزاء ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
ابن بسام : محمد بن أحمد بن بسام المحتسب ، ت ق ٨هـ/١٤م .
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائي ، بغداد ، ١٩٦٨ .
ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال ، ت ٦٧٨هـ/١١٨٢م .
- كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، جزاءن نشر السيد عزت العطار الحسيني ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي ، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م .
- تحفة النظار في غرائب الأمصار ، المعروفة برحلة ابن بطوطة ، تحقيق طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩٢ .
ابن بعرة : منصور بن بعرة الذهبي الكاملي ، د.ت .
- كتاب كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق عبد الرحمن فهمي ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
البقاعي : إبراهيم بن عمر ، ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م .
- إظهار العصر لأسرار أهل العصر ، تحقيق محمد سالم بن شديد العوفي ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
البكري : أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب ، ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م .
- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، نشر دي سيلان ، الجزائر ، ١٩١١ .
البكري الصديقي ؛ محمد بن السرور ، ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م .
- النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، تحقيق عبد الرازق عبد الرازق عيسى العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
البلوي : خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم ، ت القرن ٨هـ/١٤م .
- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، تحقيق الحسن محمد السائح ، الإمارات ، د.ت .
بنيامين التطيلي : ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م .
- رحلة بنيامين ، ترجمة عزرا حداد ، بغداد ، ١٩٤٥ .

البوصيري : شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد ، ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م .
- ديوان البوصيري ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
بيبرس الدوادار : ركن الدين بن عبد الله المنصوري ، ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م .
- التحفة الملوكية في الدولة التركية ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- مختار الأخبار ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٣٣ .
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، دار عيد للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ٢٠٠١ .
التادلي : أبي يعقوب يوسف بن يحيى الشهير بابن الزيات ، ت ق ٧هـ/١٣م .
- التشوف إلى رجال التصوف ، تحقيق أحمد التوفيق ، الدار البيضاء ، ١٩٨٤ .
التجيبي : القاسم بن يوسف ، ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م .
- مستفاد الرحلة والاغتراب ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ، تونس ، ١٩٧٥ .
ابن تغري بردي : جمال الدين يوسف بن تغري بردي ، ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م .
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق محمد محمد أمين جـ١ ، ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ونبيل محمد عبد العزيز جـ٣ ، ٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥-١٩٩٤ ، وباقي الكتاب مخطوط .
- الدليل الشافي على المنهل الصافي ، جزاءن ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، منشورات مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، الجزء الأول ، ١٩٩٠ .
- منتخبات من حوادث الدهور ، ٤ أجزاء نشر وليم بوبر ، كاليفورنيا ، ١٩٣٠-١٩٤٢ .
- مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة ، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، دار الكتب المصرية ١٩٩٧ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٦ جزء ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩-١٩٧٢ .
التهانوي :
- كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق لطفي عبد البديع ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
التنبكتي : أحمد بابا التنبكتي التكروري السوداني ، ت ١٠٣٦هـ/١٦٣١م .
الثعالبي : أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابور ، ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م .
- فقه اللغة وسر العربية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
الجاحظ : أبي عثمان عمر بن بحر ، ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م .
- التبصرة بالتجارة ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
- البيان والتبيين ، ٤ أجزاء ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٥١ .

ابن جُبير : أبي الحسين محمد الكناني ، ت ٦١٤هـ/١٢١٧م .
- رحلة ابن جبير ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
ابن الجزري : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي ، ت ٧٣٨هـ/١٣٣٧م .
- تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان وأبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ١٩٩٨ .
ابن الجزري : شمس الدين محمد بن محمد ، ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م .
- غاية النهاية في طبقات القراء ، تحقيق برجشتراسر ، القاهرة ، ١٩٣٣ .
- النشر في القرارات العشر ، دمشق ، ١٣٤٥هـ .
الجزيري : عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري ، ت ٩٧٧هـ/١٥٦٩م .
- درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ .
ابن جلجل : أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي ، ت ٣٧٧هـ/٩٨٧م .
- طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
الجواليقي : أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الخضر ، ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م .
- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الكتب المصرية ، ١٣٦١هـ .
ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي ، ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آبان ، ١٣٧٥هـ .
- تلبيس أبليس ، مطبعة النهضة ، القاهرة ، ١٩٢٨ .
الجوهري : إسماعيل بن حماد .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤ .
ابن الجيعان : شرف الدين أبو البقاء يحيى علم الدين شاكر ، ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م .
- التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، نشر مورتيز ، بولاق ، ١٨٩٨م .
ابن أبي حاتم الرازي ، ت ٣٢٧هـ/٩٣٨م .
- الجرح والتعديل ، حيدر آباد ، ١٩٥٢ .
ابن الحاج الفاسي : أبو عبد الله محمد بن العبدري ، ت ٧٣٧هـ/١٣٣٦م .
- كتاب المدخل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥ .
ابن حبيب : الحسن بن عمر ، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م .
- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦-١٩٨٦ .

ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي ، ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- ذيل الدرر الكامنة أو تاريخ المائة التاسعة ، تحقيق عدنان درويش ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، تحقيق علي محمد البجاوي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٦ .
- لسان الميزان ، حيدر آباد ، ١٣٣١هـ .
- أنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق حسن حبشي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٩-١٩٩٢ .
- كتاب نزهة الألباب في الألقاب ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١ .
- رفع الإصر عن قضاة مصر ، حامد عبد المجيد ، القاهرة ، ١٩٥٧-١٩٦٢ .
- تهذيب التهذيب ، حيدر أباد ، ١٣٢٧هـ .
الحسن الوزان : جان ليون الأفريقي ، ت ٩٥٧هـ/١٥٥٠م .
- وصف أفريقيا ، ترجمة عبد الحميد حميدة ، الرياض ، ١٩٧٩ .
الحسيني الدمشقي : شمس الدين أبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن ، ت ٧٦٥هـ/١٣٦٣م .
- ذيل تذكرة الحفاظ ، دمشق ، ١٣٤٧هـ .
- ذيل العبر في خبر من غبر (٧٤١-٧٦٤هـ) .
الحميدي : أبي عبد الله محمد بن فتوح ، ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م .
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
الحميري : محمد بن عبد المنعم ، ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م .
- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٤ .
ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي النصيبي ، ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م .
- صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٩٢ .
الخزرجي : علي بن الحسن الخزرجي ، ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م .
- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، جزءان ، القاهرة ، ١٩١١م .
الخصاف : أبو بكر أحمد بن عمر الشيباني ، ت ٢٦١هـ/٨٧٥م .
- كتاب أحكام الأوقاف ، القاهرة ، ١٩٠٤ .
ابن الخطيب : لسان الدين محمد السليماني ، ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م .
- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣ .

- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام ، نشر ليفي بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م .
- تاريخ ابن خلدون ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، نهضة مصر ، د.ت .
- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، القاهرة ، ١٩٥١ .

ابن خلكان : أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٨ .

الداوودي : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد ، ت ٩٤٥هـ/١٥٣٨م .
- طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

الداري الغزي : تقي الدين بن عبد القادر التميمي الحنفي ، ت ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م .
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، الرياض ، ١٩٨٣-١٩٨٩ .

ابن دانيال : شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي الموصلي ، ت ٧١٠هـ/١٣١٠م .
- خيال الظل تمثيليات بن دانيال ، تحقيق إبراهيم حمادة ، القاهرة ، ١٩٦٣.

ابن دقماق : إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ، ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م .
- الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، الرياض ، ١٩٨٦ .
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، د.ت .

الدمشقي : شيخ الربوة شمس الدين محمد بن أبي طالب ، ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م .
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، نشر Merhen ، ليبزج ، ١٩٢٣ .

الدميري : محمد بن الموسى ، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م .
- حياة الحيوان الكبرى ، القاهرة ، ١٣١٩هـ

الذهبي : محمد بن أحمد بن قايماز ، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م .
- الإعلام بوفيات الأعلام ، تحقيق رياض عبد الحميد مراد ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩١ .
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ٤٢ جزء ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٦ .
- تذكرة الحفاظ ، ط٣ ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م

- دول الإسلام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- سير أعلام النبلاء ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥ .
- معجم شيوخ الذهبي ، تحقيق روحية عبد الرحمن السيوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ .
- معجم محدثي الذهبي أو المعجم المختص ، تحقيق روحية عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- طبقات القراء ، ٣ أجزاء ، تحقيق أحمد خان ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٧ .
- المعين في طبقات المحدثين ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، دارة الصحوة ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
- ميزان الاعتدال في معرفة الرجال ، تحقيق علي البجاوي ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- العبر في خبر من غبر ، ٥ أجزاء ، بيروت ، د.ت.
- المشتبه في الأسماء والنسب ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

الرازي : محمد بن أبي بكر الرازي
- مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، دار الحديث ، القاهرة ، د.ت.

ابن رافع السلامي : تقي الدين أبي المعالي محمد بن رافع ، ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م
- كتاب الوفيات، تحقيق صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢.

ابن رُشيد السبتي : محمد بن عمر بن محمد بن إدريس ت ٧٢١هـ/١٣٢١م .
- ملء العيبة بطول الغيبة ، ٣ أجزاء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٨١ .

الزبيدي : أبو بكر محمد بن الحسن ، ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م .
- طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

الزبيدي : محمد مرتضى الزبيدي ، ت ١٢٠٥هـ/١٧١٩م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، بيروت ، د.ت.
- ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب ، تحقيق مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

ابن الزبير :
- صلة الصلة ، القسم الثاني ، تراجم الغرباء ، نشر محمد بن شريفة ، المغرب ، ١٩٨٤ .

زروق :
- حكم ابن عطاء الله ، تحقيق عبد الحليم محمود ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٨٥.

الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله ، ت ٧٧٣هـ/١٣٧١م .
- البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٥٧.
- إعلام الساجد بأحكام المساجد ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
الزهري : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، د.ت.
- كتاب الجغرافيا تحقيق محمد حاج الصادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، د.ت.
ابن زولاق : الحسن بن إبراهيم بن حسن بن زولاق ، ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م .
- فضائل مصر وأخبارها وخواصها ، تحقيق علي محمد عمر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
ابن سباط :
- صدق الأخبار أو تاريخ ابن سباط ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، لبنان ، ١٩٩٣.
السبكي : تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م.
- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، د . ت .
- معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد علي النجار وآخران ، القاهرة ، ١٩٤٨.
السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ، ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م .
- الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع ، ١٢ جزء ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢ .
- التبر المسبوك في ذيل السلوك ، القاهرة ، ١٨٩٦ .
- الذيل على رفع الإصر أو بغية العلماء والرواة ، تحقيق جودة هلال ، محمد محمود صبيح ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- الذيل التام على دول الإسلام تحقيق حسن إسماعيل مروة ، الكويت ، ١٩٩٢ .
- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام ، ٤ أجزاء ، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٥.
- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني ، تحقيق حامد عبد المجيد ، ط٢ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، نشر أسعد طرابزوني الحسيني ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، القاهرة ، د.ت.
السخاوي الحنفي : أبي الحسن نور الدين علي بن أحمد بن عمر بن خلف ، د.ت.
- تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ، ط٢ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد ، ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م .
- الطبقات الكبير ، ١١ جزء ، تحقيق على محمد عمر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

ابن سعيد المغربي : علي بن موسى بن محمد ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م .
- اختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي ، تحقيق إبراهيم الابياري ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
- المغرب في حلى المغرب ، تحقيق زكي محمد حسن وآخرون ، القاهرة ، ١٩٥٣.
- المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، تحقيق حسين نصار ، ط٢ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
- كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، بيروت ، ١٩٧٠ .
السمعاني : أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، ٥٦٢هـ/١١٦٦م .
- أدب الإملاء والاستملاء ، تحقيق ماكس فايسفايلر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨١ .
السلفي : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهاني ، ت ٥٧٦هـ/١١٨٠م .
- معجم السفر ، مكة المكرمة ، د.ت.
السهروردي : معارف المعارف ، القاهرة ، ١٩٣٩ .
ابن سودون : نزهة النفوس ومضحك العبوس ، القاهرة ، ١٢٨٠هـ .
السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت ٩١١هـ/١٥٠٥م .
- تأييد الحقيقة العالية وتشييد الطريقة الشاذلية ، نشر عبد الرحمن الغماري ، القاهرة ، ١٩٣٤ .
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط٢، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، ١٩٦٤ .
- طبقات المفسرين ، طهران ، ١٩٦٠ .
- كتاب النقاية ، القاهرة ، ١٣١٧هـ .
- كتاب اتمام الدراية لقراء النقاية ، القاهرة ، ١٣١٧هـ .
- نظم العقيان في أعيان الأعيان ، تحقيق فيليب حتى ، نيويورك ، ١٩٢٧ .
- كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ، المدينة المنورة ، ١٤٠٤هـ .
- تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- الاتقان في علوم القرآن ، القاهرة ، ١٩٣٥ .
شافع بن علي الكاتب العسقلاني المصري ، ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م .

- كتاب الفضل المأثور من سيرة الملك المنصور ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .
ابن شاكر الكتبي : محمد بن شاكر بن أحمد ، ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م .
- فوات الوفيات ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- عيون التواريخ ، ج٢٠، تحقيق السامرائي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠ .
أبو شامة : شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي ، ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م .
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، نشر السيد عزت العطار الحسيني ، دمشق ، ١٩٤٧ .
ابن شاهين الظاهري : غرس الدين خليل بن شاهين ، ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م .
- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، نشر بولس راويس ، باريس ، ١٨٩٤ .
- كتاب الاشارات في علم العبارات ، على هامش كتاب تعطير الأنام في تعبير المنام لعبد الغني النابلسي ، المطبعة الأزهرية المصرية ؛ القاهرة ، ١٣٠١هـ .
الشبلنجي : مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي ، ت ١٢٩٨هـ/١٨٩٥م
- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ١٩٩٩ .
الشجاعي :
- تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده ، تحقيق بربارة شيفر المعهد الألماني للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٧٨.
ابن شداد : بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم ، ت ٦٣٢هـ/١٢٣٩م .
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط٢ ، الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
ابن شداد : عز الدين بن شداد ، ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م .
- تاريخ الملك الظاهر ، نشر أحمد حطيط ، فسبادن ، ١٩٨٣ .
الشعراني : عبد الوهاب بن أحمد بن علي ، ت ٩٧٣هـ/١٥٦٥م .
- الطبقات الكبرى ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- اليواقيت والجواهر ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ؛ ١٣٠٨هـ .
الشربيني : يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني ، ت .ق ١١هـ/١٧م
- هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف ، بولاق القاهرة ، ١٣٠٨هـ
الشوكاني : محمد بن علي الشوكاني ، ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تحقيق حسين عبد الله العمري ، دمشق ، ١٩٩٨ .
الشيرازي : أبو اسحق إبراهيم بن علي ، ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م .

- طبقات الفقهاء ، بغداد ، ١٣٥٦هـ .
الشيزري : عبد الرحمن بن نصر ، ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م .
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني ، ط٢ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨١ .
ابن الصابوني : جمال الدين أبي حامد محمد بن علي المحمودي ، ت ٦٨٠هـ/١٢٨١م
- تكملة إكمال الأكمال ، تحقيق مصطفى جواد ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٥٧ .
صاعد بن أحمد الأندلسي ، ت ٦٤٢هـ /١٢٤٤م .
- طبقات الأمم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، د.ت. .
ابن الصباغ : الشيخ الحميري المعروف بابن الصباغ ، د.ف .
- درة الأسرار وتحفة الأبرار ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ٢٠٠١ .
صفي الدين بن أبي المنصور ، ت ق٧هـ /ق ١٣م .
- رسالة صفي الدين بن أبي المنصور في مناقب شيخه أبو العباس الحرار ، تحقيق ديني جريل ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
الصقاعي : فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي ، ت ق ٨هـ /١٤م .
- تالي كتاب وفيات الأعيان ، نشر جاكلين سوبله ، دمشق ، ١٩٧٤ .
ابن الصلاح : أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ، ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م
- طبقات الفقهاء الشافعية ، تحقيق محيي الدين علي بخيت ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ، ١٩٩٢ .
ابن الصيرفي : علي بن داوود الجوهري ، ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م .
- إنباء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠ - ١٩٩٤ .
الضبي : أحمد بن يحيي بن أحمد بن عميرة ، ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م .
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
طاش كبرى زاده : أحمد بن مصطفى بن خليل ، ت ٩٦٨هـ/١٥٦٠م .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، ٣ أجزء ، تحقيق كامل بكري ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، د.ت. .
طافور : رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي ، ترجمة حسن حبشي دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
الطرابلسي : برهان الدين إبراهيم بن موسى ، ت ٩٢٢هـ/١٦١٦م .
- الإسعاف في أحكام الأوقاف ، القاهرة ، ١٩٠٢ .
ابن طولون شمس الدين محمد بن طولون ، ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م .
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، تحقيق محمد أحمد الدهمان ، دمشق ، ١٩٨١ .
ابن الطوير : عبد السلام بن حسن القيسراني ، ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م .
- نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، بناء ونشر أيمن فؤاد سيد ، بيروت ، ١٩٩٢
الطبري : محمد بن جرير الطبري ، ت٣٠٢هـ
- تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٧١ .
ابن ظافر الأزدي : بدائع البدائه ، دار الطباعة الأميرية المصرية ، ١٢٧٨هـ .
ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
ابن عباد النفزي الرندي :
- شرح الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري ، تحقيق محمد عبد المقصود هيكل ، القاهرة ، ١٩٨٨ .
- مختصر ابن عباد في مناقب وأذكار القطب الشاذلي ، مصر ، ١٢٧٨هـ .
- الأذكار العالية والأسرار الشاذلية ، الإسكندرية ، ١٢٨٨هـ .
العبادي : ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ، تحقيق أحمد عمر هاشم ، محمد زينهم عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري ، ت ٩٢٠هـ/١٩١٤م .
- نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
ابن عبد الحق : صفي الدين بن عبد المؤمن البغدادي ، ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م .
- مراصد الاطلاع عن أسماء الأمكنة ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الحكم ، ت ٢٥٧هـ/٨٧١م .
- فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩م .
عبد الصمد الأحمدي : الجواهر السنية والكرامات الأحمدية ، القاهرة ، ١٢٨٧هـ .
ابن عبد الظاهر : محيي الدين بن عبد الظاهر ، ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م .
- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦ .
- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ، ١٩٦١ .
- الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
العبدري : محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود ، ت.ق ٨هـ/١٤م .
- رحلة العبدري ، تحقيق علي إبراهيم كردي ، دمشق ، ١٩٩٩ .
ابن العبري : أبو الفرج بن هارون الملطي ، ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م .

- تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، د.ت .
ابن عجيبة : أحمد بن محمد بن عجيبة الحسيني المغربي الفاسي الشاذلي ، د.ت
- أيقاظ الهمم في شرح الحكم ، القاهرة ، ١٩٠٦ .
ابن عذاري المراكشي : أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشي ، ت ٧١٢هـ/١٣١٢م .
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت ، ١٩٨٣ .
العراقي : ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن العراقي ، ت ٨٢٦هـ/١٤٢٢م .
- الذيل على العبر في خبر من غبر ، ٣ أجزاء تحقيق صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩ .
ابن عرب شاه : فاكهة الخلفاء ومفكاهة الظرفاء ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ .
عطاء ملك الجويني : تاريخ فتح العالم جهانكشاي ، نقله عن الفارسية محمد التوبخي ، دار الملاح للطباعة والنشر ، ط ١ ، حلب ، ١٩٨٥ .
إبن عطاء الله السكندري : أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله ، ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م .
- مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح ، تحقيق محمد زينهم عزب ، مدبولي ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
- لطائف المنن ، تحقيق عبد الحليم محمود ، ط٢ ، دارة المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
- كتاب الحكم ، نشر عبد الحميد صالح حمدان ، مدبولي ، القاهرة، د.ت.
- التنوير في إسقاط التدبير ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- عنوان التوفيق في آداب الطريق ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ .
ابن العماد : أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي ، ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ، د.ت.
ابن العماد الأصفهاني : محمد بن محمد الأصفهاني الشهير بالعماد الكاتب ، ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م .
- جريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء مصر.
ابن العمادية : وجيه الدين منصور بن سليم الإسكندراني ، ت ٦٧٣هـ/١٢٧٤م .
- ذيل تكملة الأكمال ، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي ، مكة المكرمة ، ١٤١٩هـ
عياض : القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي ، ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م .
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٧ .

عيسى الصفتي :
- أحكام الرزق الصادرة عن الإمام أو نائبه ، القاهرة ، ١٣١٤هـ .
- عطية الرحمن في ارصاد الجوامك والأطيان ، القاهرة ، ١٣١٤هـ
العيني : بدر الدين محمود بن أحمد ، ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م .
- السيف المهند في سير الملك المؤيد شيخ المحمودي ، تحقيق فهيم محمد شلتوت دار الكتاب العربي .
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان مواد عام ٦٤٨- ٧٠٧هـ ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧- ١٩٩٢ .
- حوادث عام ٧٨٤- ٨٠١هـ ، تحقيق إيمان عمر شكري ، مدبولي، ٢٠٠٢م,
- حوادث عام ٨١٥- ٨٢٤هـ ـ تحقيق عبد الرازق الطنطاوي القرموط ، القاهرة، ١٩٨٥ .
- حوادث عام ٨٢٥ - ٨٥٠هـ ، تحقيق عبد الرازق الطنطاوي القرموط ، القاهرة، ١٩٨٩ .
الغبريني : أحمد بن أحمد بن عبد الله ، ت ٧١٤هـ/١٣١٤م
- عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ، ١٩٦٩ .
الغزاوي : علاء لدين علي بن عبد الله البهائي ، ت ٨١٥هـ/١٤١٢م .
- مطالع البدور في منازل السرور ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ .
الغزي :
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، دار الآفاق الجديدة ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٩ .
ابن فارس : أبو الحسين أحمد بن فارس ، ت د. ت.
- مقاييس اللغة ، ط٢ ، مكتبة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ .
فاريتما : الحاج يونس المصري قام بالرحلة عام ١٥٠٤-١٥٠٩م .
- رحلات فاريتما ، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
الفاسي المكي : تقي الدين محمد بن أحمد الحسني ، ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م .
- العقد الثمين في تاريخ البلد الثمين ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨ .
أبو الفدا : عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر الأيوبي ، ت ٧٣٢هـ /١٣٣٢م .
- المختصر في أخبار البشر ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ .
- تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.
ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ، ت ٨٠٧هـ /١٤٠٤م .
- تاريخ ابن الفرات ، المجلد الرابع ، تحقيق حسن محمد الشماع ، جامعة البصرة، البصرة ، د.ت.

- تاريخ ابن الفرات ، أجزاء ٧ ، ٨ ، ٩ ، تحقيق قسطنطين رزيق ، نجلاء عز الدين ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٣٦-١٩٤٢م .
ابن فرحون المالكي : برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ، ت ٧٩٩هـ /١٣٩٦م
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق محمد الأحمدي ، أبوالنور، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
ابن الفرضي : عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ، ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م .
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، نشر السيد عزت العطار ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .
أبو الفضائل بن نظيف الحموي : التاريخ المنصوري ، تحقيق أبو العيد داوود ، دمشق، ١٩٨٢م .
ابن فضل الله العمري : أبو العباس أحمد بن يحيى ، ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م .
- التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، الجزء الأول ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة ، ١٩٢٤ .
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٥م .
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق دوروتياكرا فولسكي ، المركز الإسلامي للبحوث ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجري ، تحقيق دوروتياكرا فولسكي ، المركز الإسلامي للبحوث ، بيروت ، ١٩٨٥م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، في الحيوان والنبات والمعادن ، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان ، ط٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦م .
ابن فهد المكي : محمد بن محمد بن فهد ، ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م .
- اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، جامعة أم القرى ، د.ت.
ابن فهد المكي : محمد بن محمد بن فهد ، ت ٨٧١هـ/١٤٦٦م .
- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ، دمشق ، ١٣٤٧هـ .
ابن الفوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، بغداد ، ١٣٥١هـ .
الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب ، ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م .
- القاموس المحيط ، ترتيب الطاهر أحمد الزاوي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
القابسي : الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين ، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

القاشاني : كمال الدين عبد الرزاق القاشاني ، ت . ق. ٨ هـ /١٤م .
- اصطلاحات الصوفية ، تحقيق كمال إبراهيم جعفر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨١ .
ابن القاضي : أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي ، ت. ١٠٢٥هـ/١٦١٦م .
- درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧١ .
ابن قاضي شهبة : تقي الدين أبي بكر بن أحمد ، ت. ٨٥١هـ/١٤٤٧م .
- طبقات الفقهاء الشافعية ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت.
- طبقات النحاة واللغويين ، تحقيق محسن عياض ، بغداد ، ١٩٧٤ .
- الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد ، بيروت ، ١٩٧١ .
- تاريخ ابن قاضي شهبة ، تحقيق عدنان درويش ، دمشق ، ١٩٧٧ .
ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم ، ت. ٢١٣هـ/٨٢٨م .
- المعارف ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
القرطبي : أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم ، ت . ٦٥٦هـ/١٢٥٨م .
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، ٧ أجزاء ، دمشق ، ١٩٩٦ .
- كتاب كشف القناع عن الوجد والسماع ، دار الصحابة والتراث ، طنطا ، ١٩٩٢
القرماني : أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي ، ت . ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م .
- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، بغداد ، ١٢٨٢هـ .
القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ، ت. ٦٨٢هـ/١٢٨٣م .
- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.
القشيري : الرسالة القشيرية ، تحقيق عبد الحليم محمود ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة، د.ت.
القفطي : جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، ت. ٦٤٦هـ /١٢٤٨م .
- إنباء الرواة على أنباء النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢ .
القلصادي : أبو الحسن علي بن محمد القرشي الأندلسي ، ت. ٨٩١هـ/١٤٨٦م .
- رحلة القلصادي ، تحقيق محمد أبو الأجفان ، تونس ، ١٩٧٨ .
القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي ، ت. ٨٢١هـ/١٤١٨م .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القاهرة ، ١٩١٩- ١٩٢٢ .
- ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر ، ج١ ، نشر محمود سلامة ، القاهرة، ١٩٠٦ .
ابن قنفذ القسنطيني : أبو العباس أحمد بن الخطيب ، ت. ٨٠٩هـ/١٤٠٦م .
- كتاب الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- أنس الفقير وعز الحقير ، الرباط ، ١٩٦٥ .

الكتاني : سلوة الأنفاس ومحادث الأكياس في من أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ١٣١٦م .
ابن كثير الدمشقي : عماد الدين إسماعيل بن عمر ، ت. ٧٧٤هـ/١٣٧٢م .
- البداية والنهاية ، ١٤ جزء ، دار الكتب العلمية ، ط٣ ، بيروت، ١٩٨٧ .
- طبقات الفقهاء الشافعيين ، تحقيق أحمد عمر هاشم ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف ، ت. ٣٥٠هـ/٩٦١م .
- الولاة والقضاة ، نشر رفن جست ، بيروت ، ١٩٠٧ .
اللكنوي : أبو الحسنات محمد بن عبد الحي ، ت . د.ت.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ .
مارينو سانوتو : كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها ، نقله إلى العربية الأب سليم رزق الله ، دار الريحاني ، بيروت ، ١٩٩١ .
مالك بن أنس : أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك ، ت. ١٧٩هـ/٧٩٥م .
- الموطأ ، رواية يحيي بن يحيي ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٧ .
المالكي القيرواني : عبد الله بن أبي عبد الله ، ت. ق. ٤هـ /١٠م .
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥١ .
ابن المأمون البطائحي : أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
المجاري : أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي ، ت.٨٦٢هـ/١٤٥٨م .
- برنامج المجاري ، تحقيق محمد أبو الأجفان ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٢ .
مجهول : تاريخ سلاطين المماليك ، نشر زترستين ، ليدن ، ١٩١٩ .
مجهول : الإيجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية ، نشر أحمد رمضان أحمد ، هيئة الآثار المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
مجهول : خزانة السلاح ، نشر نبيل محمد عبد العزيز ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
مجهول : حوليات الدمشقية ، تحقيق حسن حبشي ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
مجهول : الاستبصار في عجائب الأبصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، ط٢، الدار البيضاء ، ١٩٨٥ .
المخزومي : أبو الحسن علي بن عثمان ، ت. ٥٨٥هـ/١١٨٩م .
- المنتقى من كتاب المنهاج في علم خراج مصر ، تحقيق كلود كاهن، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

المراكشي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري ، ت. ٧٠٣هـ/١٣٠٣م .
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق محمد بن شريفة ، المغرب ، ١٩٨٤ .
المراكشي : عبد الواحد المراكشي ، ت. ٦٢٠هـ/ ١٢٢٤م .
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد زينهم عزب ، دار الفرجاني ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
ابن مريم البستاني : أبو عبد الله محمد بن مريم التلمساني ، من أهل القرن ١٨ هـ
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، الجزائر ، ١٩٠٨ .
المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين ، ت. ٣٤٦هـ/٩٥٧م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
مفضل بن أبي الفضائل ، ت. ٨هـ/١٤م .
- النهج السديد والدر الفريد في تاريخ ما بعد ابن العميد ، نشر بلوشيه ، ١٩١٩
المقدسي : محمد بن أحمد المقدسي المعروف بالبشاري ، ت. ٣٩٠هـ/٩٩٩م .
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٢ ، ليدن ، ١٩٦٧ .
المقري : أحمد بن محمد المقري التلمساني ، ت. ١٠٤١هـ/١٦٣١م .
نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ١٩٨٨ .
- أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٩٣٩ .
المقريزي : أحمد بن علي ، ت. ٨٤٥هـ/١٤٤٢م .
- السلوك لمعرفة دول الملوك ٤ أجزاء تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، ١٩٣٦ ـ ١٩٧٣ .
- المواعظ والاعتبار لذكر الخطط والآثار ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، د.ت.
- رسائل المقريزي ، تحقيق رمضان البدري ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق عدنان درويش ، دمشق، ١٩٩٥ .
- المقفى الكبير ، ٨ أجزاء تحقيق محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ١٩٨٩ ـ ١٩٩٢ .
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، الجزء الأول ، تحقيق جمال الدين الشيال ، الجزء الثاني والثالث ، تحقيق محمد حلمي محمد ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٤٠ .
- التبر المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والسلاطين والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت.

- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الإعراب ، تحقيق عبد المجيد عابدين ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٩ .
ابن مماتي : الأسعد بن مماتي ، ت. ٦٠٦هـ/١٢٠٩م .
- قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، ١٩٤٣ .
المناوي : عبد الرؤوف المناوي ، ت .١٠٣١هـ/١٦٢٢م .
- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية أو طبقات المناوي الكبرى ، ٤ أجزاء، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
المنذري : عبد العظيم بن عبد القوي ، ت. ٦٥٦هـ/١٢٥٨م .
- التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق بشار عواد معروف ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١ .
المنستيري : محمد بن محمد بن مخلوف ، ت.ق ١١هـ/١٧م .
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت.
ابن منظور : محمد بن أبي العز المصري ، ت. ٧١١هـ/١٣١١م .
- لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت.
ابن المنير : نصر الدين أحمد بن محمد بن المنير ، ت. ٦٨٣هـ/١٢٨٤م .
- الإنتصاف من الكشاف ، على هامش تفسير الكشاف للزمخشري ، المطبعة العامرة الشرقية ، القاهرة ، ١٣٠٧هـ .
ابن الميسر : محمد بن علي بن جلب بن راغب ، ت. ٦٧٧ هـ /١٢٧٨م .
- المنتقى من أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨١ .
النابلسي : عثمان بن إبراهيم النابلسي الصفدي ، ت. بعد عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م .
- لمع القوانين المضيئة ، نشر كلود كاهن ، دمشق ، ١٩٦١ .
ابن ناظر الجيش : عبد الرحمن بن محب الدين محمد التميمي ، ت. ٧٨٦هـ/١٣٨٤م
- تثقيف التعريف للمصطلح الشريف ، تحقيق رودلف فسلي ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
ناصر خسرو علوي : أبو معين الدين ناصر القبادياني المروزي ، ت. ٤٨١هـ/١٠٨٨م .
- سفر نامه ، ترجمة يحيي الخشاب ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩٣ .
ابن نجيم : زين العابدين إبراهيم بن نجيم ، ت. ٩٧٠هـ/١٥٦٢م .
- الرسائل الزينية ، تحقيق خليل الميس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٠ .
ابن النديم : محمد بن اسحاق ، ت. ٣٧٨هـ/٩٨٨م .
- الفهرست ، طهران ، ١٩٧١ .
النبسوي : محمد بن أحمد ، ت. د.ت.

- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق حمدي حافظ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٣ .
أبو نعيم : أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، ت. ٤٣٠هـ /١٠٣٨م .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، القاهرة ، ١٩٣٨ .
النعيمي : عبد القادر بن محمد ، ت. ٩٩٧هـ/١٥٨٩م
- الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، بيروت ، ١٩٩٠ .
النويري : أحمد بن عبد الوهاب ، ت. ٧٣٢هـ/١٣٣١م .
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٣١ جزء ، القاهرة ، ١٩٢٣ - ١٩٩٢ .
النويري السكندري : محمد بن قاسم بن محمد ، ت. بعد عام ٧٧٧هـ/١٣٧٥م .
- الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية ، ٧أجزاء ، تحقيق أتين كومب وعزيز سوريال عطية ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، ١٩٦٨ - ١٩٧٦ .
الهروي : أبو الحسن علي بن أبي بكر ، ت. ٦١١هـ/١٢١٤م .
- كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات ، نشر جانين سورديال - طومين ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، ١٩٥٣ .
الوادياشي : محمد بن جابر الوادياشي التونسي ، ت.٧٤٩ هـ/١٣٤٨م .
- برنامج الوادياشي ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، جامعة أم القرى ، ١٩٨١ .
ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم ، ت. ٦٩٧هـ/١٢٩٨م .
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج١-٣ تحقيق جمال الدين الشيال ، ١٩٥٣-١٩٦٠ ، ج٤-٥ تحقيق حسنين محمد ربيع ، ١٩٧٢ - ١٩٧٧ .
ابن الوردي : سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي ، ت. ٧٤٩هـ/٣٤٨م .
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، القاهرة ، ١٣٠٩هـ .
- تاريخ ابن الوردي ، النجف ، ١٩٦٩ .
- مقامات ورسائل ابن الوردي ، قسطنطينية ، ١٣٠٠هـ .
الوطواط : محمد بن إبراهيم بن يحيي الكتبي ، ت. ٧١٨هـ/١٣١٨م .
- غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة ، دار الطباعة العامرة ببولاق، د.ت.
- من مباهج الفكر ومناهج العبر ، دراسة وتحقيق عبد العال عبد المنعم الشامي ، الكويت ، ١٩٨١ .
ابن أبي الوفاء القرشي ، ت. ٧٧٥هـ/١٣٧٣م .
- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، حيدر آباد ، د.ت.
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ٤ أجزاء ، ترجمة حسن حبشي ، سلسلة تاريخ المصريين ، القاهرة ، ١٩٩٥ .
الونشريسي : أبو العباس أحمد بن يحيي ، ت. ٩١٤هـ/١٥٠٩م .

- المعيار المغرب والجامع المغرب ، نشر محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١ .
اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد ، ت. ٧٦٨هـ/١٣٦٦م .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، بيروت ، ١٩٧٠ .
ياقوت : أبو عبد الله الرومي ، ت. ٦٢٦هـ/١٢٢٩م .
- معجم البلدان دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- ارشاد القريب أو معجم الأدباء ، القاهرة ، ١٩٢٣ .
اليماني : عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ، ت. ٧٤٣هـ/١٣٤٢م .
- إشارة التعيين في تراجم النحاه واللغويين ، تحقيق عبد المجيد دياب ، الرياض ، ١٩٨٦ .
اليوسفي : موسى بن محمد بن يحيي اليوسفي ، ٧٥٩هـ/١٣٥٨م .
- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق أحمد حطيط ، عالم الكتب ، بيروت،١٩٨٦ .
اليونيني : قطب الدين أبي الفتح موسى بن سليمان ، ت. ٧٢٦هـ/١٣٢٦م .
- ذيل مرآة الزمان ، ٤ أجزاء ، حيدر آباد ، ١٩٥٥ .

خامسا : ***المراجع العربية والمعربة*** :-


- ابتسام مرعي خلف الله ، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٥ .
- أبرار كريم الله ، من هم التتار ، ترجمة رشيدة رحيم الصبروتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- إبراهيم أحمد شعلان ، شرف الدين بن أسد المصري ، أديب شعبي من القرن الثامن الهجري ، مجلة الفنون الشعبية ، القاهرة ، العدد ٢٤ ، ١٩٨٨ .
- ________ الشعب المصري في أمثاله العامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٢ .
- إبراهيم أحمد العدوي ، مصر الإسلامية ، هيئة الآثار المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- إبراهيم جابر الجابر ، النقود العربية الإسلامية في متحف قطر الوطني ، الدوحة،١٩٩٢ .
- إبراهيم حسن سعيد ، البحرية في عصر سلاطين المماليك ، دارة المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
- إبراهيم حمادة ، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- إبراهيم الدسوقي جاد الرب ، ابن مكانس والشعر في عصر المماليك ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
- إبراهيم علي طرخان ، النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ________ مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- إبراهيم بن محمد المزيني ، رحلات المغاربة إلى المشرق الإسلامي في عصر الحروب الصليبية ، ندوة بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق ، اتحاد المؤرخين العرب ، ١٩٩٧ .
- ________ المشاهدة والمعاينة مصدراً من مصادر التدوين التاريخي عند المسلمين ، مجلة الدارة ، العدد ٢ ، الرياض ، ١٤٢٢هـ .
- إبراهيم مدكور ، الحياة الثقافية بين القاهرة وبغداد ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- أحمد أحمد بدوي ، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
- _____ الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، القاهرة ، د.ت.
- أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
- _____ ظهر الإسلام ، ط٦ ، القاهرة ، د.ت.

- أحمد تيمور ، خيال الظل والتماثيل المصورة عند العرب ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
- ـــــ التصوير عند العرب ، القاهرة ، ١٩٤٣ .
- أحمد حامد الأخميمي الشاذلي ، المواهب السنية في المآثر الشاذلية ، مكتبة الجندي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- أحمد دراج ، الوثائق العربية المحفوظة في دور الأرشيف الأوروبية ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- أحمد رمضان أحمد ، الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربي ، جدة ، د.ت.
- أحمد سيد محمد ، الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- أحمد سعيد ، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي ، دار الشرق الجديد ، بيروت ، د.ت.
- أحمد شلبي ، تاريخ التربية الإسلامية ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- أحمد صادق الجمال ، الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي ، القاهرة ، ١٩٦٦
- أحمد صبحي منصور ، العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٨٦ ، القاهرة ، ٢٠٠٠
- أحمد عبد الحميد خفاجي ، طبقة التجار في مصر المملوكية وأثرها في المجتمع المصري ، مجلة كلية الآداب جامعة طنطا ، العدد الأول ، ١٩٨٢ .
- أحمد عبد الرازق أحمد ، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
- ـــــ نواب الإسكندرية في كتاب الضوء اللامع ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، المجلد الأول ، القاهرة ، ١٩٨٢ .
- ـــــ وسائل التسلية عند المسلمين ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، المجلد الثالث ، ١٩٨٥ ، ودراسات الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
- ـــــ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، العلوم العقلية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩١ .
- ـــــ تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٩٣ .
- ـــــ المرأة في مصر المملوكية ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٤٦ ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
- أحمد عبد الكريم سليمان ، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- أحمد عبد اللطيف حنفي ، مصر في عين الرحالة المغربي التجيبي السبتي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة حلوان ، العدد الخامس ، يناير ١٩٩٩ .

- أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، دمشق ، ١٩٣٩ .
- أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- أحمد فؤاد الأهوني ، التربية في الإسلام ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
- أحمد فؤاد سيد ، مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- أحمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- ______ تاريخ البحرية المصرية في عصر الأيوبيين والمماليك ، ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية ، الإسكندرية ، ١٩٧٣ .
- ______ دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي ، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية في ذكرى الدكتور أحمد فكري ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ .
- ______ بعض مظاهر العلاقات التاريخية بين مصر والأندلس ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، مج ٢٣، عام ١٩٨٥-١٩٨٦ .
- ______ في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٥٥
- ______ مدينة الإسكندرية في العصرين الفاطمي والأيوبي ، تاريخ الإسكندرية عبر العصور ، ط٢ ، الإسكندرية ، ١٩٩٩ .
- ______ والسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، جامعة بيروت العربية ، ١٩٧٢ .
- أحمد النجار ، الإنتاج الأدبي في الإسكندرية في العصرين الفاطمي والأيوبي ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ، ١٩٤٠ .
- إسماعيل البغدادي ، هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، جزءان ، استانبول ، ١٩٥١ .
- ______ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، استانبول ، ١٩٤٥ .
- آشتور ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادي عبلة ، دار قتيبة ، دمشق ، ١٩٨٥ .
- آمال العمري ، أضواء على المنشآت التجارية في مصر المملوكية ، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة ، العدد الثاني ، ١٩٧٨ .
- إيمان عمر شكري ، السلطان برقوق ، مؤسس دولة المماليك الجراكسة ، مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .
- أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

- ــــــ المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي ، ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٥١ ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- بارتولد ، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ، ١٩٨١ .
- ــــــ تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- بروان ، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي ، ترجمة إبراهيم الشواربي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- بوركهارت ، العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية ، ترجمة إبراهيم شعلان ، ط٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
- بكري الشيخ أمين ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، ط٣ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- بوفيل ، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ترجمة الهادي أبو لقمة ، بنغازي، ١٩٨٨ .
- بول كالة ، منار الإسكندرية في خيال الظل المصري ، شتورتجارت ، ١٩٣٠ .
- ــــــ صورة عن واقعة الإسكندرية في عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م ، ترجمة وتعليق درويش النخيلي وأحمد قدري ، مطبوعات جمعية الآثار بالإسكندرية ، العدد الثالث ، ١٩٦٩ .
- توفيق سلطان اليوزبكي ، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي ، الموصل ، ١٩٧٥ .
- توفيق الطويل ، التصوف في مصر آبان العصر العثماني ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٢١، القاهرة ، ١٩٨٨ .
- ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٩٤ .
- جارسان ، ازدهار وانهيار حاضرة مصرية " قوص " ، ترجمة بشير السباعي ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- جاستوف فييت ، المواصلات في مصر في العصور الوسطى ، ترجمة محمد وهبي ، كتاب في مصر الإسلامية ، نشر زكي محمد حسن ، القاهرة ١٩٣٧ .
- جامعة الإسكندرية ، حفائر جامعة الإسكندرية ، كتاب الغرفة التجارية بالإسكندرية، ١٩٤٩ .
- جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣
- جست ، "الإسكندرية" دائرة المعارف الإسلامية ، إشراف مهدي علام .
- جمال الدين الشيال ، الإسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها منذ أقدم العصور من الوقت الحاضر ، المجلة التاريخية المصرية ، أكتوبر ١٩٤٩ ، دار المعارف، ١٩٥٢ .

- ـــــــــ الإسكندرية في العصرين الأيوبي والمملوكي ، كتاب الغرفة التجارية بالإسكندرية ، ١٩٤٩ .
- ـــــــــ أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، العدد ١١ ، ١٩٥٧ .
- ـــــــــ الصلات الثقافية بين الإسكندرية وبلاد المغرب في العصر الإسلامي ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، العدد ١٥ ، ١٩٦١ .
- ـــــــــ أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ـــــــــ أبو بكر الطرطوشي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ـــــــــ تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
- ـــــــــ تاريخ مصر الإسلامية ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٠٠
- جوزيف نسيم يوسف ، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب بالعصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ .
- ـــــــــ مجتمع الإسكندرية في العصر المسيحي ، ندوة مجتمع الإسكندرية عبر العصور ، الإسكندرية ، ١٩٧٥ .
- جيلان عباس ، آثار مصر القديمة ي كتابات الرحالة العرب والأجانب ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- حامد زيان ، الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
- ـــــــــ الإسكندرية منارة للعلم في البحر المتوسط عصر سلاطين المماليك ، ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
- حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ـــــــــ مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية ، القاهرة ، د.ت.
- ـــــــــ الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
- الحسن بن الحاج الكوهن الفاسي ، كتاب طبقات الشاذلية الكبرى ، المسماه جامع الكرمات العلية في طبقات السادات الشاذلية ، المكتبة الفاسية المصرية ، القاهرة، ١٣٤٧هـ .
- حسن السندوبي ، أبو العباس المرسي ومسجده الجامع بالإسكندرية ، القاهرة، ١٩٤٤ .
- حسن شميساني ، الحافظ شمس الدين الذهبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ .
- ـــــــــ شمس الدين ابن خلكان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ .

- حسن عبد الوهاب ، الإسكندرية في العصر الإسلامي ، مجلة الكتاب ، يناير ١٩٤٧ .
- ______ تاريخ المساجد الأثرية ، ط٢ ، بيروت، ١٩٩٣ .
- ______ طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر ، مجلة المجمع العلمي المصري، مج ٣٨ ، ج٢ ، ١٩٥٦-١٩٥٧ .
- ______ توقيعات الصناع على آثار مصر الإسلامية ، مجلة المجمع العلمي المصري ، مج ٣٩ ، ١٩٥٧ .
- حمدي حافظ ، الدولة الخوارزمية والمغول ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
- ______ الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
- حسين أمين ، المدارس الإسلامية في العصر العباسي وأثرها في تطوير التعليم ، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية في ذكرى الدكتور أحمد فكري ، الإسكندرية، ١٩٨٣ .
- حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، القاهرة ، ١٩٨٦
- ______ الحضارة ، عالم المعرفة ، العدد ٢٣٧ ، الكويت ، ١٩٩٨ .
- ______ المساجد ، عالم المعرفة ، العدد١ ، الكويت ، ١٩٧٧ .
- حياة ناصر الحجي ، المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك في الفترة ما بين عامين ٦٩٤-٦٩٥هـ/١٢٩٤-١٢٩٥م ، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية جامعة قطر ، العدد ٧ ، ١٩٨٤ .
- خالد عزب ، بخارى الشريفة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، د.ت.
- خطاب عطية ، التعليم في العصر الفاطمي الأول ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
- درويش النخيلي ، السفن الإسلامية على حروف المعجم ، ط٢ ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٩ .
- ______ أضواء جديدة على أسوار الإسكندرية على أوساط الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ .
- ______ دراسة جديدة في طبوغرافية مدينة الإسكندرية زمن الملك الأشرف شعبان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ .
- دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ترجمة محمد سلم النعيمي ، بغداد ، ١٩٧٨.
- دولت عبد الله ، معاهد تزكية النفوس في مصر ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- ديل ، البندقية جمهورية ارستقراطية ، تعريب أحمد عزت عبد الكريم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
- ديماند ، الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

- راشيل آريبه ، رحالة من المغرب إلى المشرق ، ترجمة سحر عبد العزيز سالم ، بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية ، شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ .
- رأفت النبراوي ، السكة الإسلامية ، في مصر وعصر دولة المماليك ، الجراكسة، القاهرة ، ١٩٩٣ .
- ______ النقود الإسلامية ، منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري ن زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
- رشدي صالح ، " مسرح خيال الظل في العالم الإسلامي " المجلة ، سبتمبر،١٩٥٩ .
- رفعت موسى محمد ، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩١ .
- روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي ، بغداد ، ١٩٦٣ .
- ريتزتيانو ، " صفحة من تاريخ العلاقات بين غليالم الثاني النورماندي وصلاح الدين الأيوبي ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، العدد ٥ ، ١٩٤٩ .
- زاهر رياض ، مصر وإفريقيا ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
- زبيدة محمد عطا ، مكتبات المدارس في العصرين الأيوبي والمملوكي ، ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، ١٩٩٢ .
- زكي علي ، الإسكندرية ، تأسيسها وبعض مظاهر الحضارة فيها في عصر البطالمة ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، العدد الثاني ، ١٩٤٤ ، العدد الرابع ، ١٩٤٨ .
- ______ الإسكندرية في عصر البطالمة والرومان ، كتاب الغرفة التجارية بالإسكندرية ، ١٩٤٩ .
- زكي مبارك ، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- ______ المدائح النبوية في الأدب العربي ، دار الشعب ، القاهرة ، د.ت.
- زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت.
- ______ فنون الإسلام ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- ______ الفن الإسلامي في مصر ، بيروت ، ١٩٨١ .
- ______ كنوز الفاطميين ، بيروت ، ١٩٨١ .
- ______ أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، بيروت، ١٩٨١ .
- سامح عبد الرحمن فهمي ، الوحدات النقدية ، جدة ، ١٩٨٣ .
- سامح كريم ، أعلام في التاريخ الإسلامي في مصر ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- سامية عطا الله ، الأمثال الشعبية المصرية ، بيروت ، ١٩٨٤ .

- ستيفن رنسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- سحر عبد العزيز سالم ، العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩١ .
- ______ شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٥ .
- ______ بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ج١ ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ .
- ______ القبائل اليمنية في الإسكندرية ، ضمن كتاب تاريخ مصر الإسلامية بالاشتراك مع السيد عبد العزيز سالم ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٣ .
- سعاد ماهر ، الحصير في الفن الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- ______ البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ______ مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- ______ تطور العمائر الإسلامية بتطور وظائفها ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ١٨ ، ١٩٧١ .
- ______ النسيج الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- ______ الفنون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
- ______ الفنون الزخرفية ، دراسات في الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٥.
- سعد الخادم ، فن الخزف ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة في القرنين ٦ ، ٧هـ / ١٢ – ١٣م ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، مج ٨ ، ١٩٥٤ .
- ______ الأثر المغربي والأندلسي في مجتمع الإسكندرية في العصور الوسطى الإسلامية ، مجتمع الإسكندرية عبر العصور ، الإسكندرية ، ١٩٧٥ .
- ______ الإسكندرية الإسلامية ، كتاب تاريخ الإسكندرية عبر العصور ، ط٢ ، الإسكندرية ، ١٩٩٩ .
- ______ محمد بن تومرت ورحلته العلمية في المغرب والأندلس والمشرق ، ندوة المغرب وعلاقتها بالمشرق ، ١٩٩٧ .
- سعيد إسماعيل على ، معاهد التربية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
- سعيد حامد الصدر ، مدينة الفخار ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- ______ الخزف ، القاهرة ، ١٩٤٠ .

- سعيد عبد الفتاح عاشور ، قبرص والحروب الصليبية ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
- ______ أوروبا في العصور الوسطى ، النظم والحضارة ، القاهرة ، ١٩٥٩
- ______ مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
- ______ المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٦٢
- ______ السيد البدوي شيخ وطريقة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- ______ الظاهر بيبرس ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- ______ العصر المماليكي في مصر والشام ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- ______ الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
- ______ مصر معبراً للثقافة الإسلامية في حوض البحر المتوسط ، ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
- ______ واخران ، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٦ .
- سمير علي الخادم ، الشرق الإسلامي والغربي المسيحي ، دار الريحاني ، بيروت، ١٩٨٩ .
- سهام الفريح ، ابن قلاقس ، حياته وشعره ، حولية كلية الآداب جامعة الكويت. الحولية الأولى ، العدد ٣ ، ١٩٨٠ .
- السيد أدي شير ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة ، بيروت ، ١٩٠٨ .
- السيد الباز العريني ، المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- السيد السيد النشار ، تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
- السيد طه أبو سديرة ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩١ .
- السيد عبد العزيز سالم ، تخطيط مدينة الإسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي، بيروت ، ١٩٦٣ .
- ______ المساجد والقصور في الأندلس ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- ______ التخطيط ومظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى ، مجلة المجلة ، العدد٩ ، سبتمبر ١٩٥٧ .
- ______ بعض التأثيرات الأندلسية في العمارة المصرية الإسلامية ، مجلة المجلة ، العدد ١٢ ، ديسمبر ١٩٥٧ .
- ______ من جديد حول التأثيرات الأندلسية في العمارة المصرية الإسلامية ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، مج ٢١،١٩٨١- ١٩٨٢
- ______ تأثير منار الإسكندرية في عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، مج ٢٣، ١٩٨٥- ١٩٨٦ .
- ______ التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال فنون العمارة والزخرفة ، ندوة العلاقات المغربية – المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

- ـــــــ التاريخ والمؤرخون العرب ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ .
- ـــــــ مدينة مرسية موطن الشيخ الزاهد العارف القطب الأكبر أبو العباس المرسي ، دراسات أثرية وتاريخية ، مطبوعات جمعية الآثار بالإسكندرية ، العدد٣، ١٩٦٩ .
- ـــــــ المغرب الكبير في العصر الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨١.
- ـــــــ تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ .
- ـــــــ تخطيط الإسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي ، تاريخ الإسكندرية عبر العصور ، ط٢ ، الإسكندرية ، ١٩٩٩ .
- ـــــــ بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩١ – ١٩٩٢ .
- سيدة إسماعيل كاشف ، تعريب مجتمع الإسكندرية ، مجتمع الإسكندري عبر العصور ، الإسكندرية ، ١٩٧٥ .
- شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ـــــــ الفكاهة في مصر ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
- ـــــــ الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- ـــــــ تاريخ الأدب العربي ، ج٦ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- صالح لمعي مصطفى ، التراث المعماري الإسلامي في مصر ، بيروت ، ١٩٨٤
- صبحي لبيب ، تاريخ تجارة الإسكندرية في القرن الرابع عشر ، مجلة الغرفة التجارية بالإسكندرية ، ١٩٥١ .
- ـــــــ التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ٤ ، ع٢ ، ١٩٥٢ .
- ـــــــ سياسة مصر التجارية في عصري الأيوبيين والمماليك ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ٢٨ – ٢٩ ، ١٩٨١ – ١٩٨٢ .
- ـــــــ القندق ظاهرة سياسية اقتصادية قانونية ، ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
- صفاء حافظ ، المواني والثغور المصرية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٦
- الصفصافي أحمد المرسي ، تأثير خيال الظل في القره كوز التركي ، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، مج ١٦، ١٩٨٧ .
- صفي علي محمد ، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
- صلاح الدين محمد نوار ، دور المغاربة والأندلسيين في الجهاد ضد الصليبيين والمغول في بلاد الشام ، المؤتمر العلمي الأول ، كلية الدراسات العربية والإسلامية بالفيوم ، ١٩٩٥ .

- عاصم محمد رزق ، خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ، مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٧ .
- ______ مراكز الصناعة في مصر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٩ .
- عامر النجار ، الطرق الصوفية في مصر ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨
- عبد الحليم محمود ، أبو الحسن الشاذلي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ______ العارف بالله أبو العباس المرسي ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- ______ قضية التصوف المدرسة الشاذلية ، القاهرة ، ١٩٨٨ .
- عبد الرحمن أبو رأس ، شيخ الشيوخ بالديار المصرية في الدولتين الأيوبية والمملوكية ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
- عبد الرحمن زكي ، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- ______ غزوة الإسكندرية ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ٤ ، ع٢ ، ١٩٥٢ .
- عبد الرحمن علي الحجي ، التايخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٤ .
- عبد الرحمن فهمي ، مجموعة النقود العربية وعلم النميات ، فجر السكة الإسلامية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- ______ النقود العربية ماضيها وحاضرها ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- عبد الرحمن عبد التواب ، قايتباي المحمودي ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
- عبد الحميد شيحة ، الوطن في الشعر الأندلسي ، القاهرة ، ١٩٩٧ .
- عبد الحميد يونس ، خيال الظل ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- عبد الحي الكتاني ، فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٢ .
- عبد الستار الحلوجي ، لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات ، دار الثقافة ، القاهرة، ١٩٨٣ .
- عبد العال سالم مكرم ، المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٠ .
- عبد العال الشامي ، نظم الري والزراعة في الكتابات العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢
- ______ مدن مصر وقراها في القرن الثامن الهجري ، مجلة كلية الآداب جامعة المنيا ، مج ٩ ، ع١ ، ١٩٩١ .
- عبد العزيز الأهواني ، كتب برامج العلماء في الأندلس ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج١ ، ١٩٥٥ .
- عبد العزيز عبد الدائم ، الرعاية الطبية في عصر المماليك ، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة ، ع٢ ، ١٩٧٧ .

- ـــــــ الصراع بين القوى المسيحية ودولة المماليك الجراكسة في مياه البحر المتوسط ، ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
- عبد العليم القباني ، شعراء الإسكندرية في العصور الإسلامية ، القاهرة ، د. ت.
- ـــــــ البوصيري ، حياته وشعره ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- عبد الغني محمود عبد العاطي ، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- عبد اللطيف إبراهيم ، دراسات في الكتب والمكتبات ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
- عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
- ـــــــ الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجئ الحملة الفرنسية ، القاهرة ، د.ت.
- عبد الله خوشيد البري ، القرآن وعلومه في مصر ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- عبد الله صابر . السيد البدوي ، دراسة نقدية ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٩٩١
- عبد الله فياض ، الإيجازات العلمية عند المسلمين ، بغداد ، ١٩٦٧ .
- عبد الله كام موسى ، الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية في عصر الحروب الصليبية ، مجلة كلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادي ، ع٢ ، ١٩٩٥ .
- عبد المنعم ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- ـــــــ تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ط٥ ، بيروت ، ١٩٨٦
- عثمان علي عطا ، الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .
- عثمان الكعاك ، مراكز الثقافة في المغرب ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، د.ت.
- عثمان موافي ، لون من أدب الرحلات ، الإسكندرية ، ١٩٧٣ .
- عزت زكي حامد قادوس ، آثار الإسكندرية القديمة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠ .
- ـــــــ فنون الإسكندرية القديمة ، الإسكندرية ، ٢٠٠١ .
- ـــــــ تخطيط مدينة الإسكندرية القديمة ، تاريخ الإسكندرية عبر العصور ، ط٢، الإسكندرية ، ١٩٩٩ .
- عزيز سوريال عطية ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة فيليب صابر يوسف، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
- ـــــــ كتاب الإلمام للنويري الإسكندراني ، دراسة نقدية تحليلية ، ترجمة جوزيف نسيم يوسف ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج١٤، ع٢، ١٩٨٣ .
- عفاف سيد صبرة ، العلاقات بين الشرق والغرب ، دار النهضة العربية ، القاهرة، ١٩٨٣ .
- ـــــــ التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة، ١٩٨٧ .

- ـــــــ المدارس في العصر الأيوبي ، ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- عفيفي محمود إبراهيم ، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب ، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠١ .
- علاء طه رزق ، السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك ، دار عين ، القاهرة ، ٢٠٢ .
- علي إبراهيم أبو زيد ، تمثيليات خيال الظل ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
- علي إبراهيم حسن ، دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، ط ٢، القاهرة، ١٩٤٨ .
- ـــــــ استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- علي أحمد ، المغاربة العاملون في مصر منذ ق٥ – ق٩ هـ ، ندوة بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق ، ١٩٩٧ .
- علي سالم عمار ، أبوالحسن الشاذلي ، القاهرة ، ١٩٥١ .
- علي السيد علي ، التراجمة في عصر سلاطين المماليك ، مجلة كلية التربية ، جامعة قطر ، سبتمبر ١٩٩٢ .
- ـــــــ الهجرات المغولية إلى مصر ، مجلة المؤرخ المصري ، ع١٥ ، ١٩٩٥
- ـــــــ الحياة الثقافية في المدينة المنورة عصر سلاطين المماليك ، دار عين ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- علي صافي حسين ، الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- علي مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، ج ٧، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
- عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين .
- ـــــــ معجم مصنفي الكتب العربية في التاريخ والتراجم والجغرافية والرحلات، بيروت ، ١٩٨٦ .
- عمر طوسون ، تاريخ خليج الإسكندرية القديم ، الإسكندرية ، ١٩٤٢ .
- عمر كمال توفيق ، الجاليات الأوروبية في الإسكندرية العصور الوسطى ، مجتمع الإسكندرية عبر العصور ، الإسكندرية ، ١٩٧٥ .
- فتحي عثمان ،شرح البردة للبوصيري ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- فؤاد حسنين علي ، قصصنا الشعبي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
- فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
- فؤاد عبد المعطي الصياد ، المغول في التاريخ ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- فؤاد فرج ، الإسكندرية ، القاهرة ، ١٩٤٢ .
- فوزي محمد أمين ، المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

- ـــــــ أدب العصر المملوكي الأول قضايا المجتمع والفن ، الإسكندرية ،١٩٩٣
- قاسم عبده قاسم ، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
- ـــــــ الأدب الشعبي وسيلة للتعرف على الحياة الفكرية للشعوب ، مجلة الفنون الشعبية ، ع ٢٤ ، ١٩٨٨ .
- ـــــــ الرؤية الحضارية للتاريخ ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
- ـــــــ فكرة التاريخ عند المسلمين ، القاهرة ، ٢٠٠١ .
- ـــــــ بين التاريخ والفولكلور ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
- ـــــــ صوت المقاتل الصليبي في المصادر العربية ، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢٧ ، ١٩٨١ .
- ـــــــ الحروب الصليبية في ألف ليلة وليلة دراسة في تأثير الحروب الصليبية على الوجدان الشعبي العربي ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، مج٣ ، القاهرة، ١٩٨٥ .
- كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ١٩٨٧ .
- كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
- كومب ، بعض منتخبات من كتاب الإلمام بالإعلام ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية مج ٣، ١٩٤٦ .
- لابدوس ، مدن إسلامية في عهد المماليك ، ترجمة علي ماضي ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- لوبير ، دراسة عن الإسكندرية ، كتاب وصف مصر ، ج٣ ، ترجمة زهير الشايب، القاهرة ، ٢٠٠٢ .
- لطفي سيد نصار ، وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر ، القاهرة، ١٩٩٩ .
- محاسن محمد الوقاد ، اليهود في مصر المملوكية ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
- ـــــــ الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
- ـــــــ الحجابة زمن سلاطين المماليك ، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط ، مج ٣ ، ٢٠٠٣ .
- مايسة محمود داوود ، المسكوكات الفاطمية ، القاهرة ، ١٩٩١ .
- محمد أبو زهرة ، ابن تيمية ، القاهرة ، ١٩٩١ .
- محمد البشير ظافر الأزهري ، طبقات المالكية ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
- محمد جمال الدين سرور ، دولة بني قلاوون في مصر ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
- ـــــــ دولة الظاهر بيبرس في مصر ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
- محمد رمزي ، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- محمد زغلول سلام ، الأدب في العصر المملوكي ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

- ـــــــ الأدب في العصر الأيوبي ، الإسكندرية ، ١٩٩٠ .
- محمد زكريا عناني ، حول خيال الظل في مصر ، مجلة الكاتب ، يناير ١٩٧٧
- محمد سيد كيلاني ، الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- محمد صبحي عبد الحكيم ، مدينة الإسكندرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- محمد عبد العزيز مرزوق ، تاريخ صناعة النسيج في الإسكندرية على عهد البطالمة ، الإسكندرية ، د. ت.
- ـــــــ طراز الإسكندرية ، مؤتمر الآثار في البلاد العربية الأول ١٩٤٧ ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- محمد عبد الغني الأشقر ، تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي ، القاهرة، ١٩٩٩ .
- محمد عبد المنعم خفاجى ، الأدب في الطراز الصوفي ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- محمد عبد الهادي شعيرة ، الإسكندرية من العصر العربي إلى نهاية العصر الفاطمي ، كتاب الإسكندرية ، الإسكندرية ، ١٩٤٩ .
- محمد عطية الأبراشي ، التربية الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- محمد فهمي عبد اللطيف ، السيد البدوي أو دولة الدراويش في مصر ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- محمد قنديل البقلي ، التعريف ومصطلحات صبح الأعشى ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- محمد كامل حسين ، التشيع في الشعر المصري في عصر الأيوبيين والمماليك ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، مج ١٥ ، ج١ ، ١٩٥٣ .
- ـــــــ دراسات في الشعر عصر الأيوبيين ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
- ـــــــ الحياة الفكرية والأدبية بمصر ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
- محمد كامل الفقي ، الأدب العربي في العصر المملوكي ، ط ٣ ، القاهرة، ١٩٨٤
- محمد كمال الدين عز الدين ، مجالس الإملاء في مصر في ظل حكم سلاطين المماليك ، ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- ـــــــ فهرس وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- محمد محمد الكحلاوي ، آثار مصر الإسلامية في كتابات الرَحالة المغاربة والأندلسيين ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- ـــــــ عمارة المدرسة بين مصر والمغرب دليل على التواصل الحضاري ، ندوة التواصل الحضاري بين أقطار العالم العربي من خلال الشواهد الأثرية ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
- محمد مسعود ، المنحة الدهرية في تخطيط الإسكندرية ، الإسكندرية ، ١٣٠٨هـ

- محمد مصطفى زيادة ، السجون في مصر في العصور الوسطى ، مجلة الثقافة ، الأعداد ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٧٩، عام ٤٣- ١٩٤٤ .
- ـــــــ المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي / التاسع عشر الهجري، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- محمد نور الدين عبد المنعم ، الألفاظ الفارسية في العامية المصرية ، كتاب دراسات في الحضارة الإسلامية التقاء الثقافتين العربية والفارسية ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
- محمود إبراهيم حسين ، الخزف الإسلامي في مصر ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- محمود إسماعيل ، دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٤
- ـــــــ سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ، الجزء الثالث ، طور الانهيار ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، ٧ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٧- ١٩٦٥ .
- محمود الفلكي ، رسالة عن الإسكندرية القديمة ، ترجمة محمود صالح الفلكي ، الإسكندرية ، ١٩٦٦ .
- مصطفى بن محيي الدين نجا الشاذلي ، كتاب كشف الأسرار لتنوير الأفكار في الطريقة وشرح الوظيفة الشاذلية اليشرطية ، ط٥ ، بيروت ، ١٩٨٢ .
- منزل ، خيال الظل ، ترجمة عبد الحميد يونس ، دائرة المعارف الإسلامية ، مج١٥ ، ص ٤٧٩٥ - ٤٧٩٧ .
- هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ترجمة أحمد رضا، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- نبيل محمد عبد العزيز ، خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ٢٣ ، ١٩٧٦ .
- نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
- ـــــــ الجغرافية والرحلات عند العرب ، بيروت ، ١٩٦٢ .
- أبو الوفا التفتازاني ، ابن عطاء الله السكندري وتصوفه ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- ـــــــ الطرق الصوفية في مصر ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، مج ٢٥ ج ٢ ، ١٩٦٨ .
- ـــــــ مدخل إلى التصوف الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
- يوسف النبهاني ، جامع كرمات الأولياء ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

## سادسا : الرسائل العلمية :

* أحمد عبد الرازق أحمد ، الفخار المصري المطلي في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٦٨ .

* أحمد عبد اللطيف حنفي ، الدور السياسي والحضاري للمغاربة والأندلسيين في مصر في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة طنطا ، ١٩٩٢ .

* أحمد محمد الطوخي ، نشأة مملكة غرناطة الإسلامية في أسبانيا ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٤ .

* أحمد محمود محمد دقماق ، مساجد الإسكندرية الباقية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بعد الهجرة ، رسالة ماجستير كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٩٤ .

* أسامة حسن عبد المنعم ، أهل السنة في العصر الفاطمي ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، ١٩٩١ .

* أمال حامد العمري ، المنشات التجارية في القاهرة في العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ .

* أماني أحمد محمد عبد المجيد ، التاريخ السياسي للأندلس فيما بين موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م وقيام دولة بني الأحمر سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٦ .

* جمال محمود مرسي ، المنسوجات الحريرية في مصر المملوكية ، ماجستير ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ .

* حبشي سيد نصر ، المجتمع المصري في الشعر المملوكي ، رسالة دكتوراه ، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، ١٩٨٠ .

* حسن أحمد عبد الجليل البطاوي ، المعممون ودورهم في مصر عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٩٥ .

* حسين محمد نور عبد النور ، السجاد المملوكي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٩١ .

* رأفت محمد النبراوي ، مسكوكات المماليك الجراكسة في مصر ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٨١ .

* سالم مرزوق بسيوني الرفاعي ، خلفاء السيد البدوي ودورهم السياسي والحضاري في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة طنطا ، ١٩٩٢ .

* سامح عبد الرحمن فهمي ، المسكوكات والقيم النقدية في وثائق المماليك البحرية في مصر ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٨٠ .

* سامي أحمد عبد الحليم ، الأمير يشبك من مهدي وأعماله المعمارية بالقاهرة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٠ .

* سحر محمد القطري ، الاستحكامات الحربية بمدينة الإسكندرية في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة طنطا ، ١٩٩٢ .

* سرمان الفريدوي ، مذكرات ابن الحاج النميري الأندلسي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، د.ت.

* سعاد حسن علي الضويني ، الطب والرعاية الصحية في مصر المملوكية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٩٩٩ .
* سهام أبو سريع محمد هارون ، التعبير العمراني والمعماري للاستعمالات الثقافية والتعليمية ، رسالة دكتوراه ، كلية التخطيط العمراني ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٥ .
* سهام محمد المهدي سليم ، تجليد الكتب في مصر في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ .
* ______ دار ضرب الإسكندرية ونقودها الإسلامية من الفتح العربي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٨٥ .
* صبري علي الشربيني جازية ، شعر الطبيعة في مصر في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، ١٩٩٦ .
* عبد الرحمن فهمي ، دراسات في السكة في مصر الإسلامية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، د.ت.
* عبد العال عبد المنعم الشامي ، مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٣ .
* ______ مدن الدلتا في العصر العربي ، من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، قسم الجغرافية ، ١٩٧٧ .
* عبد الفتاح يوسف عرابي ، قوص في عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجيتير ، كلية الآداب سوهاج جامعة أسيوط ، ١٩٩٠ .
* عبد اللطيف إبراهيم علي ، دراسات تاريخية وأثرية على وثائق من عصر الغوري، دكتوراه ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٥٦ .
* عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم ، الحياة الثقافية والعلمية في نيسابور ، منذ بداية القرن الثالث حتى أوائل القرن الخامس الهجري ، دكتوراه ، كلية الآداب جامعة القاهرة، ٢٠٠٠ .
* عصام جمال سليم غانم ، دور الوقف في التعليم بمصر ، ١٢٥٠- ١٧٩٨م ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات التربوية جامعة القاهرة ، ٢٠٠٤ .
* محاسن محمد الوقاد ، الطبقات الدنيا في القاهرة في عصر دولة المماليك ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٩٩١ .
* محمد توفيق بلبع ، آثار السلطان قايتباي في الإسكندرية (قلعة قايتباي) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، ١٩٥٥ .
* محمد سعد السيد عزب ، الحياة الفكرية في إقليم خوارزم في العصرين السلجوقي والخوارزمي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة الزقازيق ، ٢٠٠٤ .
* محمد الصغير عبد اللطيف ، العلاقات التجارية بين مصر وأوروبا في عصر الأيوبيين ودولة المماليك البحرية ، شهادة العالمية من درجة أستاذ في التاريخ الإسلامي ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٤٥ .
* محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة أسيوط ، ١٩٨٠ .

* محمد كمال الدين عزالدين علي ، الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة ، دراسة عن التاريخ والمؤرخون ، رسالة دكتوراه ، كلية البنات جامعة عين شمس ، ١٩٨٩ .
* محمد محمد أمين ، تاريخ الأوقاف في مصر عصر سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ .
* هبة الله محمد فتحي حسن ، الفنون الشعبية في مصر الإسلامية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٨٣ .
* ناطق صالح مطلوب ، نيل الابتهاج بتطرير الديباج لأحمد بابا التكروري ، تحقيق ودراسة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٩٧٣ .
* ______ فهارس شيوخ العلماء في المغرب والأندلس حتى القرن العاشر الهجري ، مع تحقيق فهرسة شيوخ ابن جابر الوادياشي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٩٧٨ .
* نبيل محمد عبد العزيز ، نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية مع مقدمة تاريخية عن نظام الفروسية في عصر سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ .
* نجاح صلاح الدين القابسي ، رحلة ابن رشيد السبتي الفهري ، تحقيق الجزء الثالث من الرحلة ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٩٧٨ .
* نصر عوض حسين عينر ، صناعة النسيج في العصر المملوكي في مصر ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب بسوهاج جامعة أسيوط ، ١٩٨٣ .
* ياسر حلمي أحمد عبده ، طبقةالتجار في مصر في عصر دولة المماليك وأثرهم في المجتمع المصري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة طنطا ، ١٩٩٦ .
* يسري أحمد عبد الله زيدان ، الفقهاء والعامة في مصر والشام في القرنين السادس والسابع الهجريين ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، ١٩٩٦ .

سابعاً :- المصادر والمراجع الأوروبية :-


Abd Ar-Raziq ( Ahmad ),
- " Documents sur la poterie d'époque Mamelouke , Sharaf Al Abawani " An. Isl, VII le Caire , 1967 .
- " La chasse au Faucon d'aprés des Céramiques du musée du Caire " , An. Isl., X, le Caire , 1970 .
- Le Femme au temps des Mamlouks en Egypte, (IFAO), le Caire , 1973 .
- " Le vizirat et les vizro d'Egypte au temps des Mamluks " , An. Isl. XVI, le Caire , 1980 .
- " Les Governeues d'Alexandrie au temps des Mamluks " , An. Isl., XVIII, le Caire , 1982 .

Abouseif (D.B.),
- " Notes sur l'Architecture musulmane d'Alexandrie " dans Alexandrie Medievale 1 , (IFAO), 1998 .

Adler (E.N.),
- Jewish Travellers , London , 1937 .

Ahmad Isaa Bey ,
- Histoire des Bimaristans à l'époque Islamique , le Caire , 1928 .

Akanc (Grigor of),
- History of the nation of the Archers (The Mongols) Trans to English by R.P. Blake and R.N. Frye, Massachusetts, 1954 .

Alarcon (Max) Linares (R.Garcia de)
- Los documentos arabes diplomaticos del Archivo de la Corona de Aragon, Madrid , 1940 .

Amari ,
- I Diplomi Arabi Del R. Archivio Fiorentino Flarence, 1863-1867 .

Arculf (the Bishop) ,
- The travels of Bishop Arculf in Holy Land Towards A.D. 700, in wright (Thomas) editor , Early Travels in palestine , New York , 1969

Arnold (Thomas),
- Preaching of Islam London , 1935 .

Ashtor (Eliyaho) ,
- Histoire des prix et des salaries dans l'orient Medieval , Paris , 1969 .
- History of the jews in Egypt and syria under the rule of the Mamluks , Jerusalem , 1970 .
- A social and Economic History of the near east in the middle ages , London , 1976 .

Atiya (Aziz Surial) ,
- The crusade in the later middle ages , London , 1938 .
- Egypt and Aragon , Leipzig , 1938 .

Ayalon ,
- " The plague and its effects upon the Mamluk army ", B.S.O.A.S. , XV, 1953 .
- Studies on the transfer of the Abbasid caliphate form Bagdad to Cairo , in Arabica, vol. XII , 1960 .
Balog (Paul) ,
- The coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria , New York , 1964 .
- The coinage of the Ayyubids , London , 1980 .
Belon de Mans (Pierre) ,
- Voyage en Egypte de années 1547 , (IFAO), le Caire 1970 .
Berchem (Maxvan),
- Materiaux pour carpus insciptionum arabi carum ., I , Egypte , MIFAO , t 19 , le Caire , 1894-1903 .
- Chateau du Sultan Qayt Bey à Alexandrie , corpusimscriplionum l'Egypte , t. 1 , Paris , 1894 .
Blunt (Henry),
- Voyages en Egypte des années 1634 , 1635 , (IFAO), le Caire .
Breccia (E),
- Alexandrea ad Aegyptum , Bergamo, 1914 .
Bremond (Gabriel) ,
- Voyage en Egypte de années (1643-1645) , (IFAO) , le Caire , 1974 .
Bretten (Michael Heberer , Von),
- Voyage en Egypte de années (1585-1586), (IFAO) , le Caire , 1976 .
Brown (Edward),
- Voyages en Egypte des années 1673-1674 , (IFAO) , le Caire, 1974 .
Cahen (Claude) ,
- " Bagdad au temps de ses derniers calipls " , in Arabic , IX , 1962 .
- " Doūanes et commerce dans les parts méditerranéens de l'Egypte medievale de aprés le Minhadj d'al-Makhzumi ", JESHO, VII, 1964 .
- " Un texte indit relative au Tiraz Egyptien ", Art Asiatiques , XI .
Capmany ,
- Memorias Historicos Sobre la marine commercio y artes de la Antigua ciudad de Barcelona , Madrid , 1779-1792 .
Carl Johan ,
- " Some Mamluk Embroideries " , Ars Islamica , vol4-5 , 1937-1938 .
Chabbi (J) ,
- " KhanKāh " , E.L., vol. IV, PP. 1057-1058 .
- " Ribāt " , E.I., vol. VIII, . 510-523 .
Chapoutot (M),
- " Une Grande Grise à la Fin du XIII siècle en Egypte ", JESHO, vol. 26, 1983 .
Clarke (D),

- " Alexandrea ad Aegyptum Asurvey " in Bulletin of the faculty of arts , Alexandria university , vol. 5 , 1949 .

Combe (Etien),

- " Alexandrie musulmane "Notes de topographie et d'histoire de la ville, depuis la conguête arabe jusqu à nos jours , dans , BSRGE, XV, 1933 .
- " De la colonne pomée au phare d'Alexandrie "BSRAA, No 34 , 1941 PP. 104-122 .
- Les sultans mamlouks Ashraf shaban et Ghauri a Alexandrie BSRAA, No 30 , 1936 , PP. 34-48 .
- " Le fort Quat-Bay a Rosette " , dans BSRAA, No 33, 1939 .
- " Notes sur les forts d'Alexandrie , et de ses environs ", dans BSRAA, No 34 , 1940-1941 , PP. 95-103 .
- " Notes de topographie Alexandrine " , BSRAA, No 34 , 1944 .
- " Notes de topographie et d'Histoire Alexandrine , BSRAA, No 36 , 1942 .
- " Les leves de Gravier d'Ortieres a Alexandrie " Bulletin of the faculty of arts , university of Alexandria , vol. 1 , 1943 .
- " Pierre Martyz d'Anghiera et le drogman du sultan Ghauri " Bulletin of the faculty of arts of Alexandria ", vol. 11 , 1944 .
- " Le texte d'Al-Nuwairi sur l'attaque d'Alexandrie ", Bulletin of the faculty of arts, university of Alexandria, vol. 111 , 1946 .
- " Nouveaux sabers europeens a inscriptions arabes de l'Arsenal d'Alexandrie , BSRAA, vol. X .

Combe & du Cosson ,

- " European swords with arabic inscriptions from the Armoury of Alexandria ", BSRAA, vol. 1X

Combridage ,

- History of Iran , vol. 5 , 1968 .

Coppin (Jean),

- Voyage en Egypte des annees , 1636-1646, (IFAO), le Caire , 1971 .

Corbett,

- " The life and works of Ahmad Ibn Tulun ", JRAS, 1891 .

Dabrowski (Leszek),

- " Resume des recherches archeologiques faites autous du fort Kom el Dikka en Alexandrie " Bulletin of the faculty of arts , Alexandria , XIV, 1960 .

Darrag (Ahmad),

- L'Egypte sous le regnede Barsbay , Damas, 1961 .

Decobertet et Gayroud,

- " Une Ceramique d'epoque Mamelouke Trouvee Tod , An. Isl. Vol. XVIII, 1982 .

Decosson,

- " Notes of the forts of Alexandria and environs ", BSRAA, No 33 , 1939 .

Creswell,

- Muslim Architecture in Egypt, I, Oxford, 1952 .

Depping (G.B.),

- Histoire du commerce entre le levant et l'Europe depuis les Crasa des jusque a la foundation des colonies d'Amerique , pairs , 1865 .

Dodge (Bayaed),

- Muslim Education in Medieval times , the middle east institute , Washington , 1962 .

Dols,

- " Plague in early Islamic ", JAOS, vol. 94, 1974 .
- Block Death in the middle east , New Jersey , 1977 .
- " The second plague pandemicand its recurrences in the middle east ", JESHO , vol. 22 , 1979 .

Dozy,

- Dictionnaire detaille des noms des vetements chez les arabes , Amesterdam, 1845 .
- Supplement aux dictionnaire arabes , 2 vols., leiden , 1881 .

Empereur (Jean-yues),

- " Ceramiques medievales a Alexandrie " Alexandrines 2, (IFAO), 1999 .

Fabri (Felix),

- Le voyage en Egypte de Felix Fabri, 1483, (IFAO), le Caire , 1975 .

Fischel (W.),

- " The spice trade in Mamluk Egypt " JESHO , vol. 1 , 1958 .

Farster (Edward Morgan),

- Alexandrie , une histoire et une guide , Valtaire, 1990 .

Francais (Veronique),

- " La ceramique Medievale D'Alexandrie : Kom El-Dikka et Kom El-Nadoura ", Deux Depotoirs de la periode Islamique dans, colloque international d'archeologie Islamique (IFAO) , 36-1998 PP. 319-323 .
- Les ceramiques medievales d'Alexandrie : un temoignage archeologique d'importance , dans Alexandrie medievale 1 , (IFAO), Etudes Alexandrines 3-1998, PP. 57-64 .
- Ceramiques medievales a Alexandrie , contribution a l'histoire economique de la ville, (IFAO), Etudes Alexandrine 2-1999 .

Gayroud,

- " Alexandrie medievale et la mediterranee : l'indicedes importations ceramiques ", dans, Alexandrie medievale 1, 1998 .

G Histele (Joos Van),

- Voyage en Egypte de Joos Van GHistele 1482-1483, (IFAO), le Caire, 1976

Goiten,

- A mediterranean Society , los Angeles ,1967 .
Gonzales,
- Voyage en Egypte , 1665-1666 (IFAO), le Caire , 1977 .
Guest (R.),
- " Alexandrie " , dans . Encyclopedie de l'Islam .
Harant (Christophe),
- Voyage en Egypte, 1598, (IFAO), le Caire, 1972 .
Huntington (R.),
- Voyages en Egypte pendant les annees 1678-1701, (IFAO), le Caire, 1981 .
Harold (Davis),
- Alexandria the golden city, Illinois , 1957 .
Hussam Al Din Ismail,
- " The Forification of Alexandria During the Islamic period " in Alexandrien studies in Memoriam Daoud Abdu Daoud , Alexandrie, 1993 .
Irwin (Robert),
- The Middle East in the Middle ages, The Early Mamluk Sultanate , London, 1986 .
Jacqualine (Sablet),
- " Documents et Nolvles Abd Al-Latif Al Tekriti et la-famille des Bani Kwwayk, Arabica, XV, May, 1952 .
Jondet (Gaston),
- Atlas Historique de la ville et des ports d'Alexandrie, le Caire, 1921 .
Kahle (Paul),
- " Die Katastroph des Mittelalterlichon Alexandria ", Melanges Maspere, vol. 3, 1940 .
- " The Arabic Shadow play in Egypt, JRAS, 1940 .
- Islamiche schattens pielfiguren aus Agypten ", der Islam, vol. 1 .
Kubiak (Wlaelyslaw),
- " Les Fuilles polonaises a Kom el-Dick " en 1963 et 1964 , dans BSRAA, No 42, (IFAO), le Caire, 1967 .
Labib (S.),
- Handels Geschichte Agyptens in sputmittelalter (1171-1517), Wiesbaden, 1965 .
- " Egyptian commercial policy in the middle ages " studis in the conomic History of the middle east, ed by cook , London, 1970, PP. 63-92 .
- " Iskandriyya " in Encyelopoedi of Islam , vol. IV.
Lamm (Carl Johan),
- " Some Mamluk embroideries ", Ars Islamica, vol. 4-5, 1937-1938 .
Lane (A.),

- " Archaeological Excavationa at Kom el-Dick A preliminary report on the Medival pottery " Bulletin of the faculty of arts, university of Alexandria, vol.5 , 1949 .

Lane-Poal (Stanley),
- A history of Egypt in the middle ages, fourth edition, London, 1925 .
- Catalogue of oriental coines in British Museum, vol.IV, the coinage of Egypt, London, 1879 .
- Catalogue of the collection of Arabic coins preserved in the Khedivial library in Cairo, Arab world printing house, Cairo, 1984 .

Larrivaz (S.J.),
- Les saints peregrinations de Bernard de Breydenboch , 1483, le Caire , 1904 .

Lavoix (H.),
- Catologue des Monnaies Musulmans de la Bibliotheque Nationale, vol.111, Egypte et Syrie , paris, 1896 .

Leiser (G.),
- " Notes on the Madrase Medieval ", Islamic Society, M.WLXXVI, 1986 .

Lettes,
- The pilgrimage of Arnold Von Harff , London, 1946 .

Lithgow (William),
- Voyage en Egypte des anees 1611 et 1612, (IFAO), le Caire, 1973 .

Lubenau (R.),
- Voyages en Egypte pendant les annees 1587-1888, (IFAO), le caire , 1972 .

Machaut (Guillaume, de),
- La prise d'Alexandrie au chronique du Roi Pierre les de lusignan, publiee par M.L. de Mas Lalrie, Geneve, 1877.

Makdisi (G.),
- " The Rise of colleges institution of learn in Islam and the west, Edinburgh, 1981 .

Marzouk (M.A.),
- " Alexandria as a textile centre , B.I.SA.C, vol.X111, 1955 .
- " Three signed specimens of Mamluk pottery from Alexandria ", ars orientalis , t.11, 1957 .
- " Egyptian sgraffeto ware excavated at Kom ed-Dikka in Alexandria "Bulletin of faculty of arts, university Alexandria, vol.13, 1959 .

Mas-Latrie,
- Traites de paix et de commerce , Paris, 1865 .

Miles (George),
- Fatimid coins , New York, 1950 .

Monconys (Balthasarde),
- Voyage en Egypte (1646-1647), (IFAO), le caire, 1973 .

Morison (Athoine),
- Voyage en Egypte, (1697), (IFAO), le caire, 1976 .
Muir (Sir William),
- The caliphate, its rise decline and fall .
- The Mamlouk or slave dynasty of Egypt, Amesterdam, 1968 .
Mounira (Chapoutot),
- " Une Grande Crise a la fin du X111, esiecle en Egypte ", JHSHO, vol.XXVI, 1983 .
Neitzschitz (George Von),
- Voyages en Egypte des annees 1634-1635, (IFAO), le caire 1974 .
Newton (A.P.),
- Travellers in the middle ages, London, 1936 .
Nicholson,
- Literary history of the arabs, London, 1914 .
Palerne (Jean Foresien),
- Voyages en Egypte, 1581, (IFAO), le caire, 1971 .
Pitts,
- Voyages en Egypte , 1678-1701, (IFAO), le caire, 1981 .
Patricia, (L.Baker),
- Islamic textiles, British Museum Press, London, 1995 .
Paul Nwyia,
- Ibn " Ata Allah (m 709/1309) et la Naissan ce de la confrerie sa dilite, beyrouth, 1986 .
Pauty,
- Les Hammams du caire, le caire, 1933 .
Pelliot (Paul) et Hambis (Louis),
- Histoire des campagnes des Gengis Khen, Leiden, 1951 .
Pernoud (R.),
- Les villes marchan des aux Xive et XV esiecles, Paris, 1948 .
Persons, (Edward),
- Alexander , the Alexandrian library, London, 1952 .
Piloti,
- L'Egypte au commercement du Quinzieme siecle le aire , 1950 .
Rocchetta (Aquilante),
- Voyages en Egypte dans annees 1597-1601, (IFAO), le caire, 1974 .
Roland (Pierre Gayraud),
- Alexandrie medievale et la Mediterranee : l'indice des importations ceramiques, dans Alexandrie medievale 1 .
Salma (Ibrahim),
- L'Enseignement Islamique en Egypte, etude pedago – sociologique, le caire , 1939 .
Salem (Abd El Aziz),

- " The influence of the light house of Alexandria on the minarets of north Africa and Spain ", Estudios en la Historia civilize a coin y arte del Islam, vol.2, 1992 .
- " D'Alexandrie a Almeria une famille Alexandrine au Moyen Age les Bani Khülayf ", Estudios .

Sandys (George),
- Voyages en Egypte des annêes 1611 et 1612, (IFAO), le caire, 1973 .

Santon (M.AA)y De Linaties (R.G.),
- Los Documentos Arabes Diplomdicas del Archiro de la corona de Aragon Madrid-Granada, 1940 .

Thorau (Peter),
- The Lion of Egypt, New York, 1987 .

Toussoun (Omar),
- " Notes sur les forts d'Alexandrie et de ses Environs ", BSRAA, No34, 1941 .

Vatikiotis,
- " Notes d'Archeologie arabe " J.A., 1891 .

Veryard (E.),
- Voyages en Egypte pendant les annees 1678-1701 (IFAO), le caire, 1981 .

Villemont (Le seigneurde),
- Voyages en Egypte, 1589-1591, (IFAO), le caire , 1971 .

Villehardouin,
- Voyages en Egypte, 1587-1601, (IFAO), le caire, 1974 .

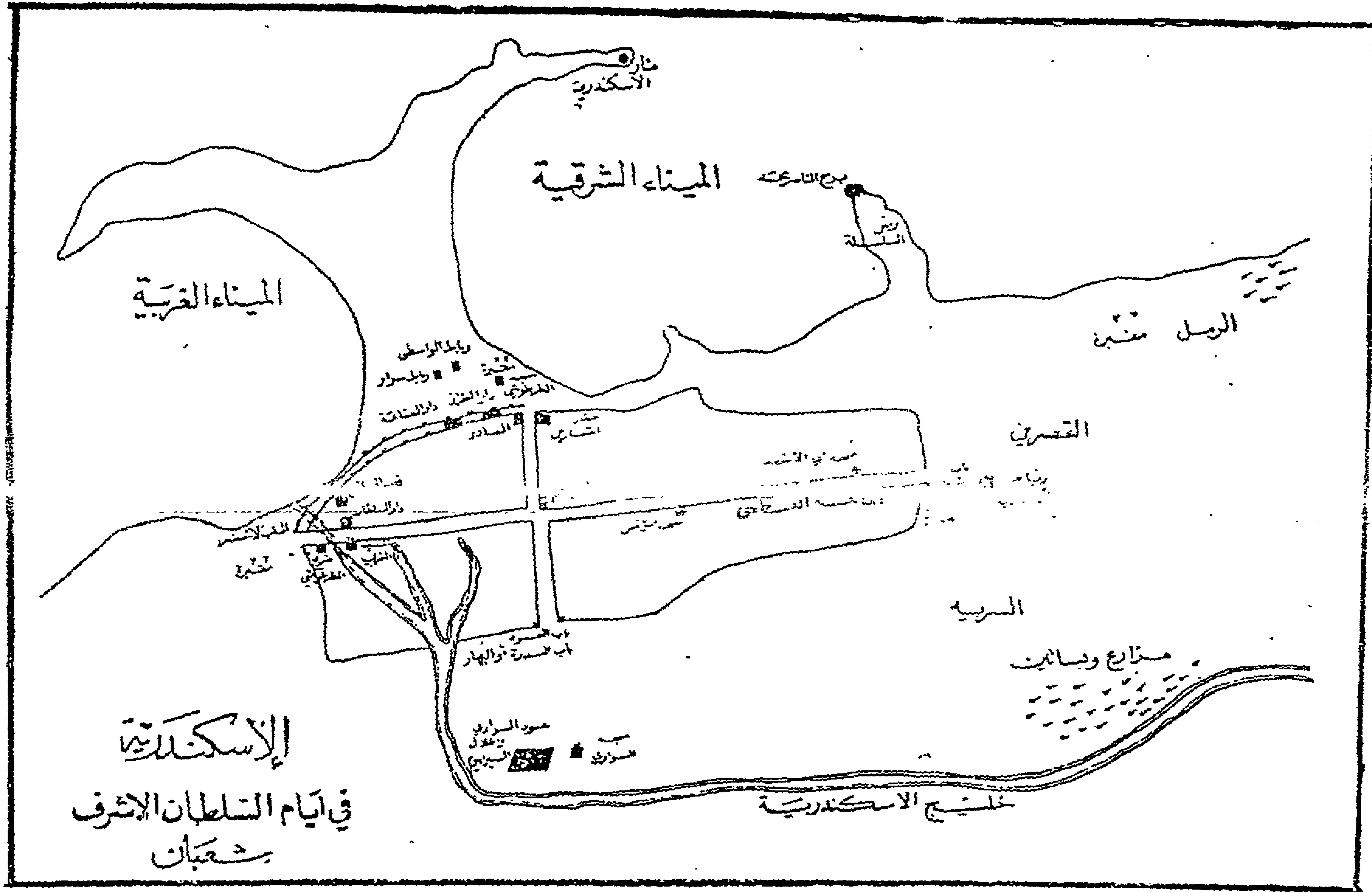
Wanssbrough (John),
- A mamluk commercial treaty concluded with Republic of Florance , Oxford, 1965 .

Wiet (Gaston),
- Catalogue Généal du Musée arbe du caire objets en cuiver, 1932 .
- L'Egypte musulmane, le caire, 1932 .
- " Le traite des famines de Maqrise " JESHO, VOL.5, 1962 .
- catalogue Géneral du Musée du l'Art islamique du caire, le caire, 1971 .

Wiet et Combe et sauvaget,
- Repértoire chronologique d'epiqaraphe arabe, le caire, 1931 .

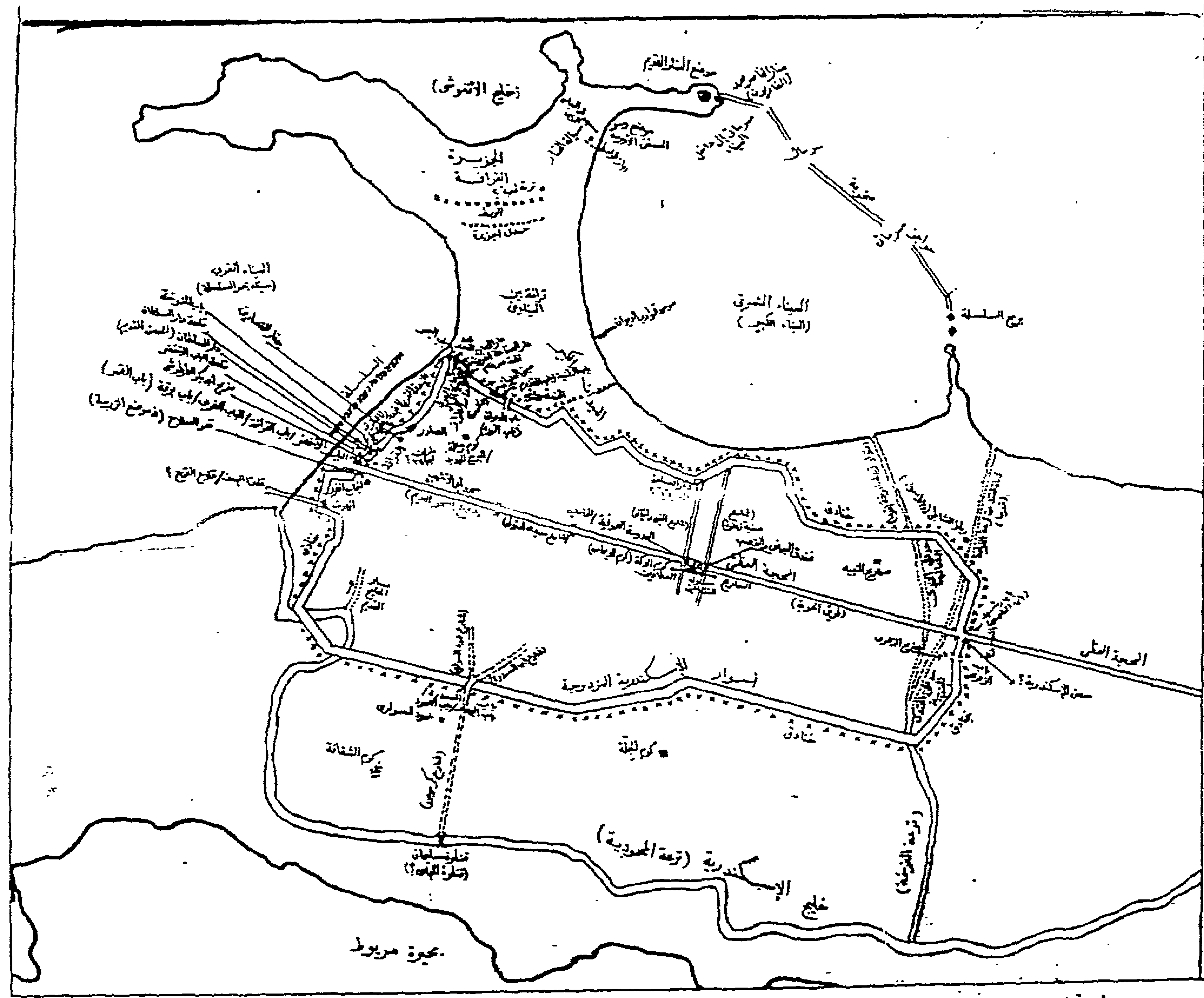
Wild (Johann),
- Voyages en Egypte , 1606-1610, (IFAO), le caire 1974 .

# الخرائط والأشكال واللوحات



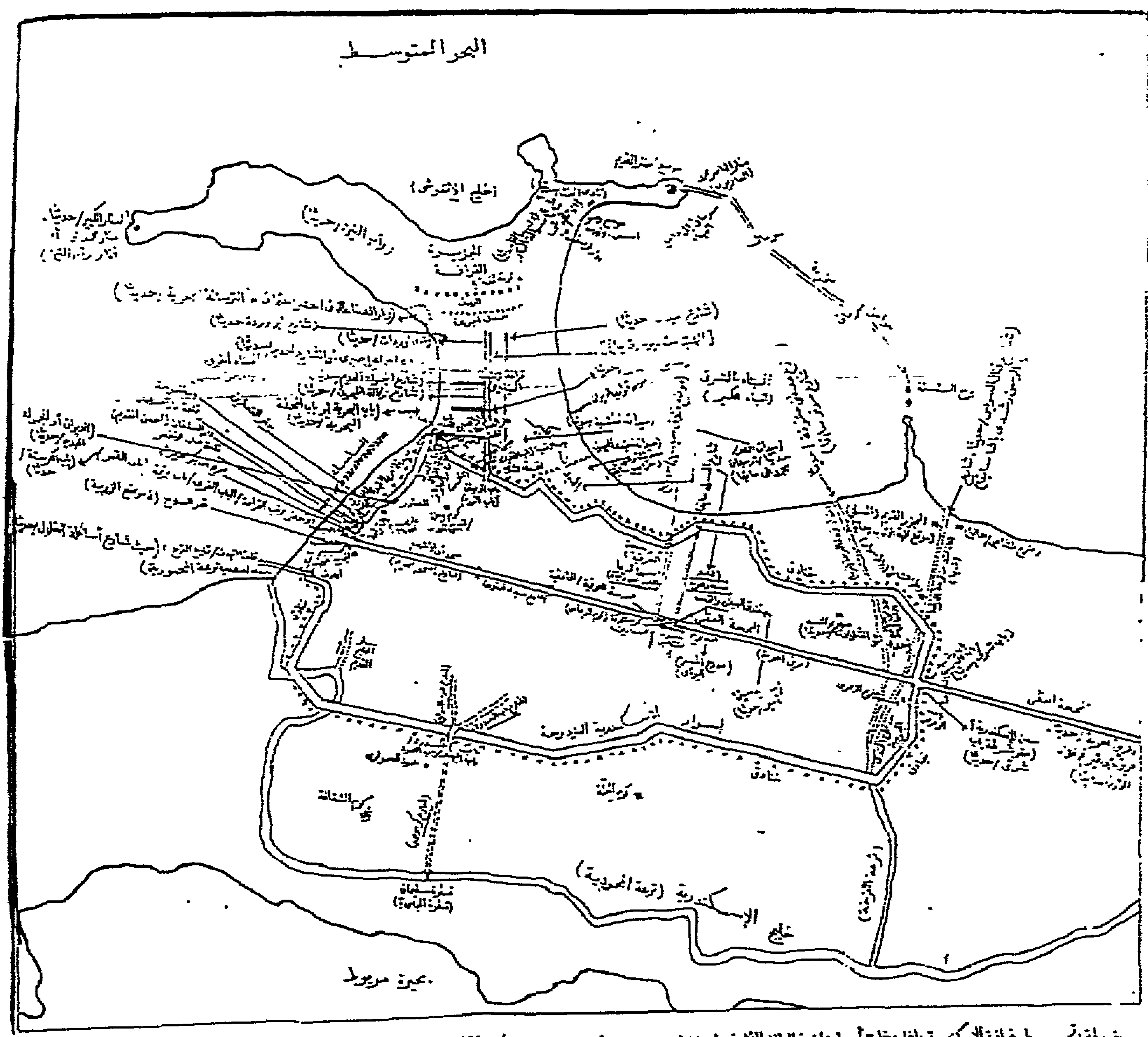

خريطة رقم ( )

خريطة الاسكندرية فى عصر السلطان الأشرف شعبان
(من كتاب: تاريخ الاسكندرية وحضارتها للدكتور السيد عبد العزيز سالم)




خريطة رقم

أسوار الاسكندرية ومعالمها في أواسط القرن الثامن الهجري ( أواسط القرن الرابع عشر الميلادي )




خريطة رقم طبوغرافية الإسكندرية داخل وخارج أسوارها زمن الملك الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٣-١٣٧٧م) وما يقابلها بعض معالمها في تاريخنا المعاصر

الشمال

صخرة المنارة

المنارة الصغرى

رأس لوكياس

الميناء الكبرى الجديدة

أ مسلة كليوبترا

موضع قصر البطالمة

المدينة التركية

باب البحر

الميناء القديمة

باب رشيد

المدينة العربية وتوابعها

باب سدرة

عمود السوارى

موقع بحيرة مريوط

رسم
محمود كامل حسن

الإسكندرية أواخر القرن ١٨ م (سنة ١٧٨٥ - العصر العثمانى)

خريطة رقم ( ) <من : الإسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها للدكتور جمال الدين الشيال>

حبس الخزانة بثغر سكندرية

[illegible]

حبس الخزانة

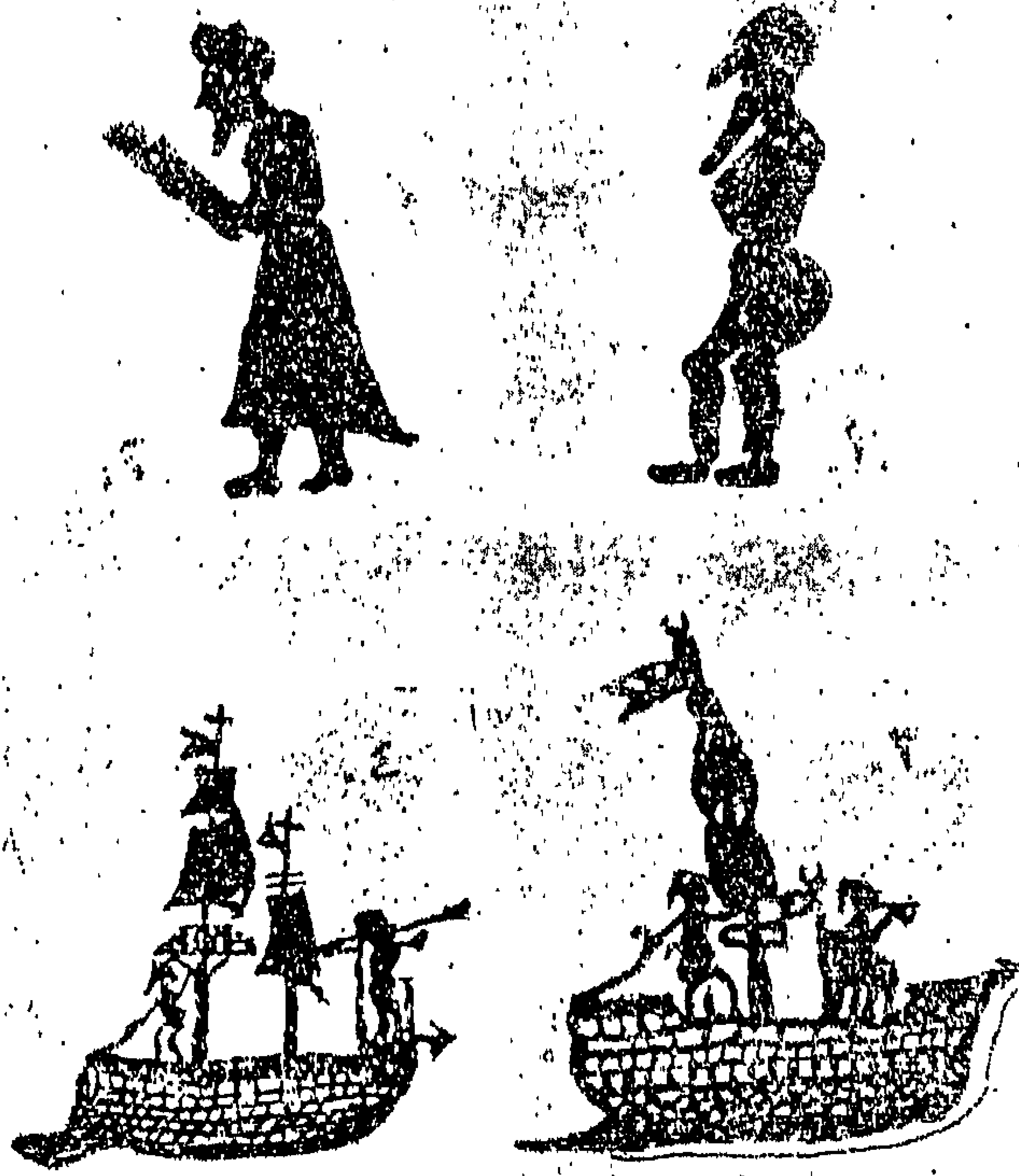
[illegible]

حبس الخزانة بثغر سكندرية

[illegible]

[illegible]

نقوش على سيوف من دار السلاح بالإسكندرية
نقلاً عن كومب



شخوص من « منارة الاسكندرية »

١ ـ الحاذق ٠

٢ ـ الرخم ٠

٣ ـ سفينة حربية اسلامية ٠

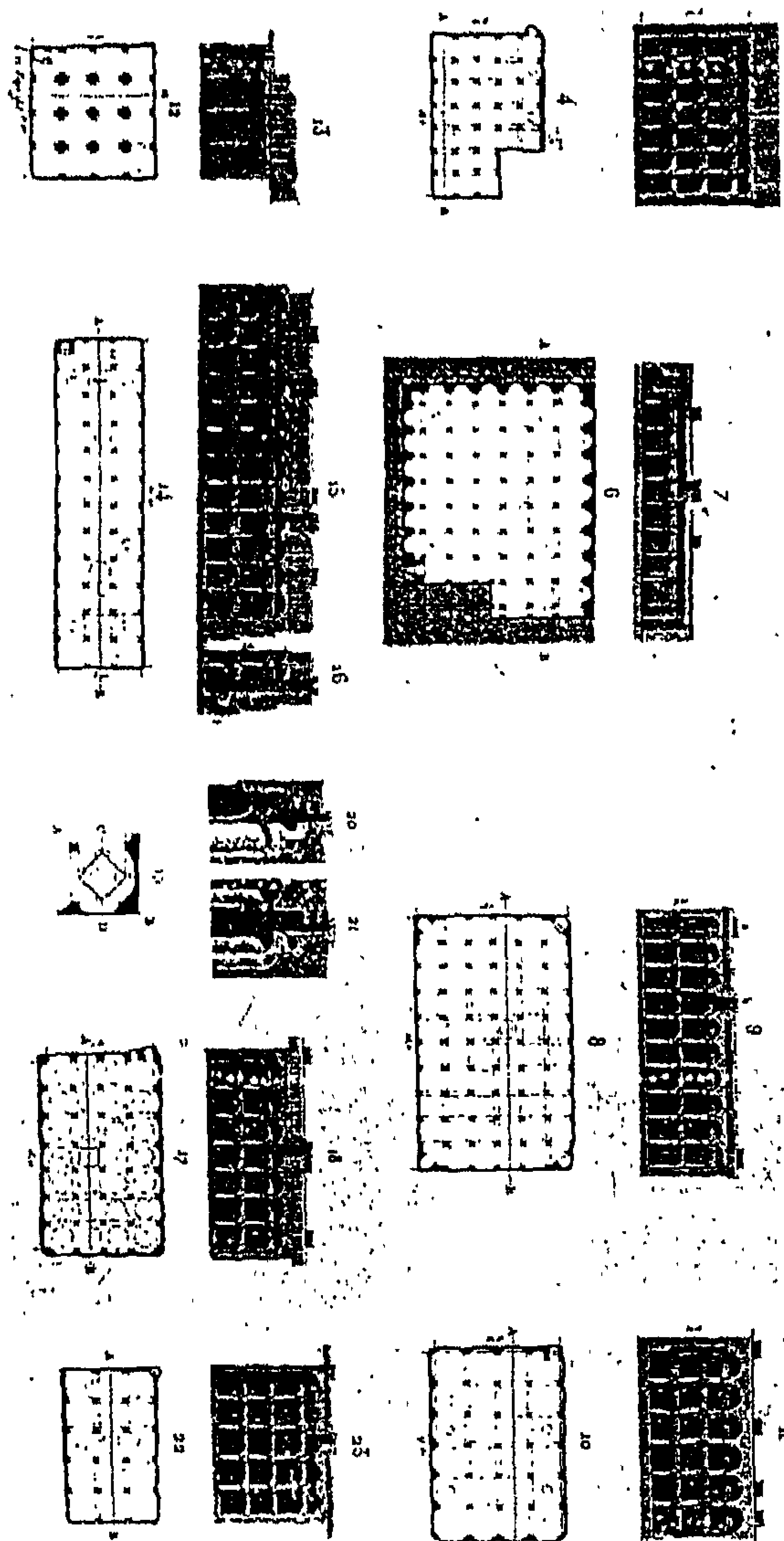
٤ ـ سفينة حربية صليبية ٠

نقلاً عن ابراهيم حمادة، خيال الظل

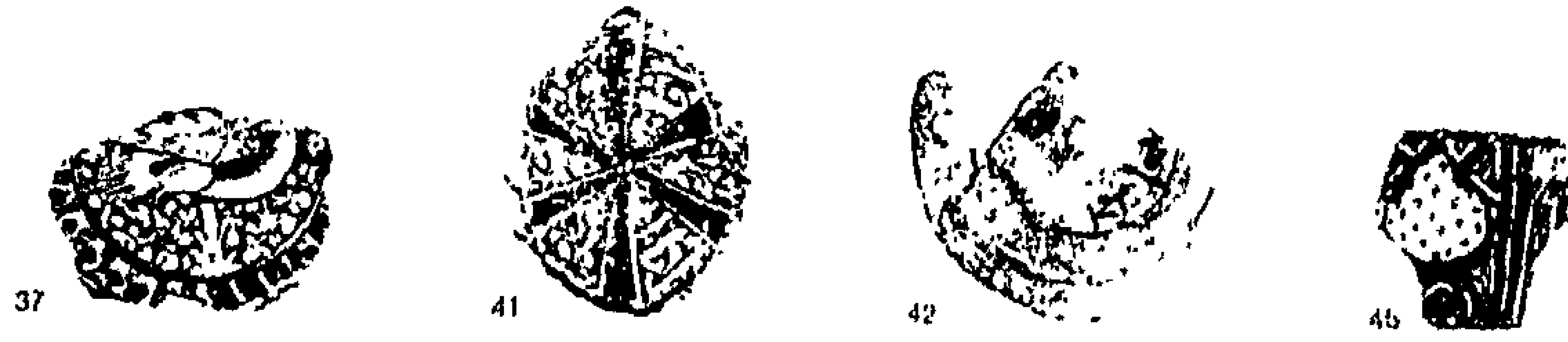
أبو الحسن الشاذلى يتعبد هو وأتباعه فى مغارة بتونس



هكذا تخيلهم رسام مجلة « المصور » بالعدد ١٣٦٩ الصادرة فى ١٩ مايو سنة ١٩٥٠

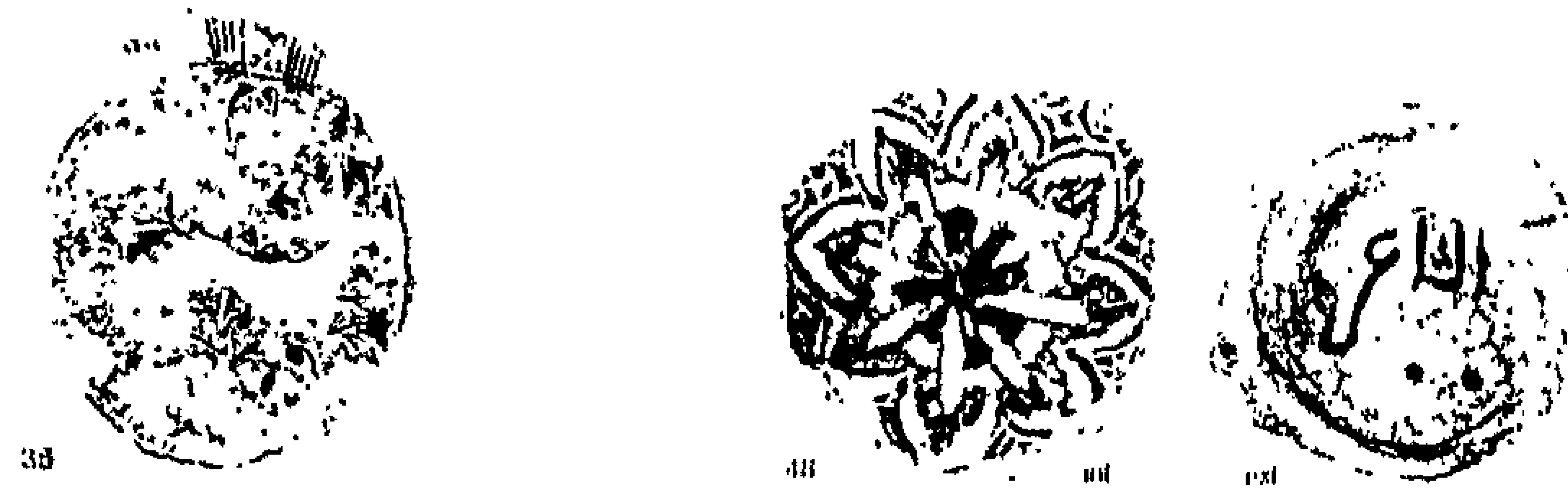


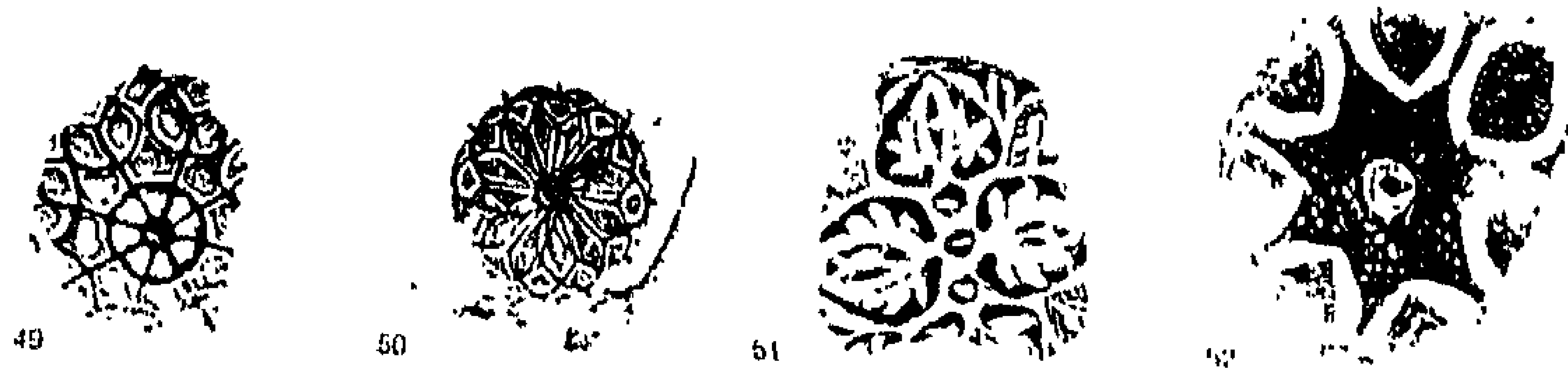
مساقط أفقية وقطاعات وتفاصيل لثمانية من الصهاريج الرئيسية للمدينة القديمة



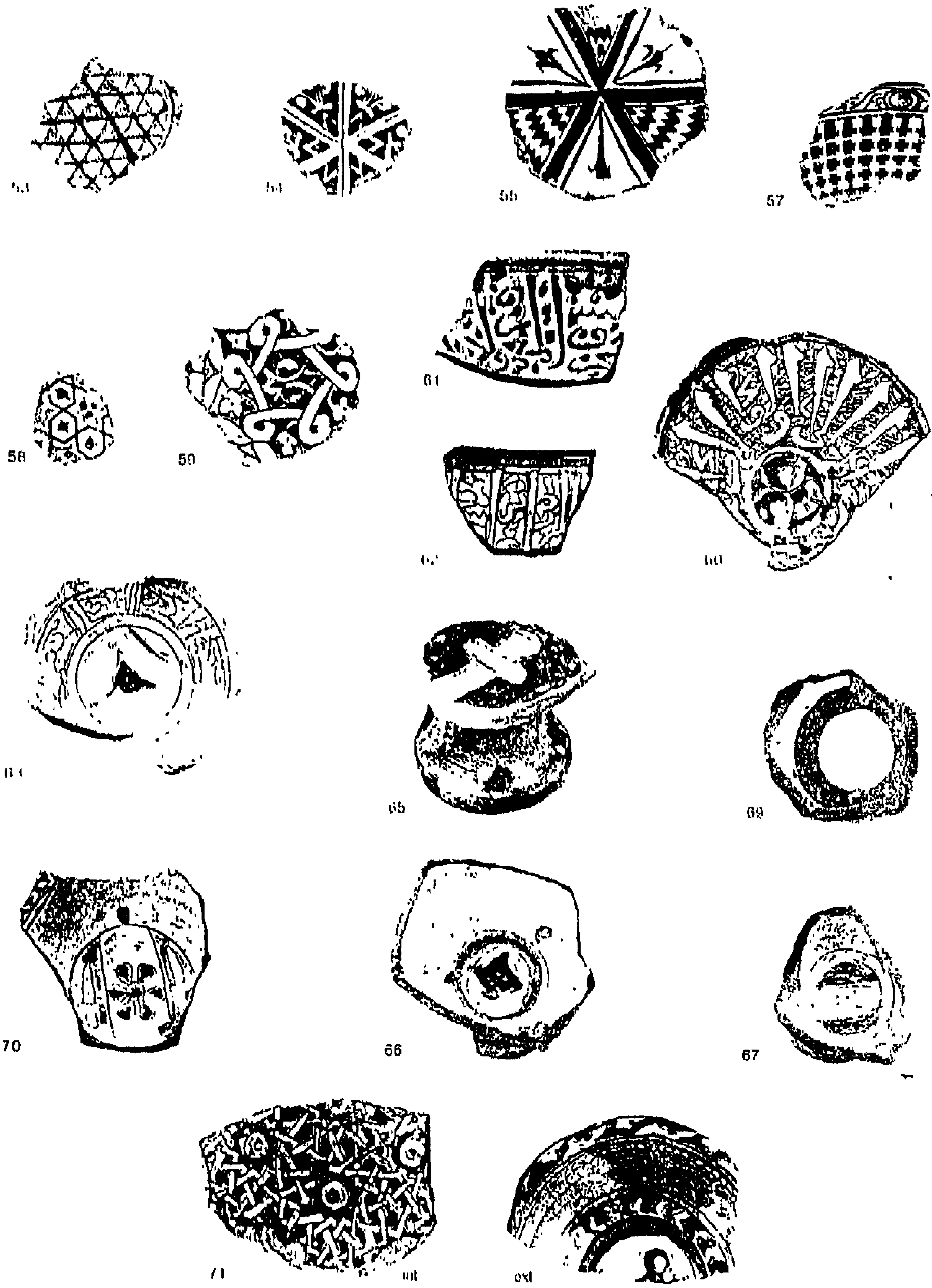







قطع خزف من كوم الدكة بالاسكندرية




قطع خزف من كوم الدكة بالاسكندرية

# المحتويات

# المحتويات

وخصصت الفصل الثالث لدراسة العلوم التي تعد مواد التكوين الثقافي للمثقفين يشمل العلوم النقلية مثل علوم التفسير والقراءات والحديث والفقه وأصوله وعلوم اللغة والعلوم العقلية كعلم الطب والحساب والجبر والمقابلة والهيئة والمواقيت والكيمياء والحيوانات والمنطق .

والفصل الرابع تناول الأدب السكندري على اعتباره من الأركان الهامة للثقافة والمرآة العاكسة لثقافة المجتمع ، ويشمل الشعر وفنونه والنثر وفنونه والأدب التمثيلي والأدب الشعبي .

والفصل الخامس تعرض لدراسة التاريخ والمؤرخون في الإسكندرية وما قدمه علماء الإسكندرية من مساهمات في علم التاريخ .

والفصل السادس تناول العمارة والفنون في الإسكندرية ويشمل العمارة بكل أنواعها كالعمارة العسكرية والتجارية والإدارية والدينية والمدنية الاجتماعية ، والفنون التطبيقية مثل فن النسيج والخزف والزجاج .

والفصل السابع تناول التصوف في العصر المملوكي مبيناً أسباب انتشاره واتجاهات التصوف من أصحاب الطرق الصوفية ، والمتصوفة الربط والخانقاوات ، والزهاد ، ثم الدراويش والمجاذيب .

ثم انتهت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، حيث كشفت لنا هذه الدراسة عن مدى الازدهار الذي نعمت به الحياة الثقافية في الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك والدور الكبير لكل من تجار المدينة وولاتها ونوابها واللاجئون والمنفيون السياسيون والمغاربة والأندلسيون في مجالات الثقافة في المدينة.

وكشفت الدراسة عن مدى الاحتكاك الثقافي بين الإسكندرية والدول الأوروبية الأمر الذي توج بوجود قاموس أوروبي عربي يسمى الترجمان .

وأكدت الدراسة على أن الإسكندرية تعد أول مدينة مصرية عرفت المدارس منذ العصر الفاطمي ، وأسهمت الدراسة في الوقوف على وضع العلوم في الإسكندرية ، حيث دار معظمها حول العلوم النقلية ، والتي وصلت إلى درجة كبيرة من الانحطاط وعدم الابتكار والإبداع ، واهتم العلماء بالتلخيص والشرح لأمهات الكتب .

وأوضحت الدراسة مدى الثراء المعماري الذي نعمت به الاسكندرية حيث تعدد تلك العمائر وتنوعت أغراضها ، وبلغ المعماري السكندري درجة عالية من الرقي المعماري بما أضافه لتلك العمائر من لمسات فنية .

وأكدت الدراسة عن مدى تقدم الفنون التطبيقية في الإسكندرية ، كفن النسيج والخزف والزجاج ، والتي بلغت درجة عالية من الشهرة العالمية بحيث أصبح القماش السكندري أفضل أنواع القماش في العالم وقتئذ .

تتناول هذه الدراسة الحياة الثقافية في الإسكندرية في عهد سلاطين المماليك، إذ تعد الإسكندرية من أهم المراكز الثقافية في مصر وقتئذ والتي تتمثل في القاهرة والإسكندرية وقوص ، وقد شهدت الإسكندرية نشاطاً ثقافياً واسع النطاق فنتيجة لما تتميز به الإسكندرية من موقع جغرافي متميز ، والازدهار التجاري الذي نعمت به المدينة والذي ارتبط بازدهار الحياة الثقافية بالإسكندرية ، حيث شارك التجار مشاركة فعلية في فعاليات الثقافة فكان منهم المحدثين والفقهاء والأدباء والشعراء ومع ممارستهم للتجارة .

فضلا عن بناءهم للكثير من مؤسساتها الثقافية من مساجد ومدارس وربُط وغير ذلك ، بالإضافة إلى كثرة الجاليات الأوروبية بالإسكندرية وقتئذ ، الأمر الذي أحدث احتكاكا ثقافيا مع هؤلاء الأوروبيين بحيث لم يقتصر الأمر على التجارة فقط ، كما خصصت الدولة عائدات الضرائب على التجارة مع هؤلاء الأوروبيين للانفاق على علماء وفقهاء الإسكندرية منذ عهد صلاح الدين الأيوبي .

هذا في الوقت الذي اشهدت فيه مصر بما فيها الإسكندرية نشاطاً سياسياً وعسكرياً وثقافياً واسع النطاق نتيجة للظروف التاريخية التي أحاطت بالعالم الإسلامي في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ، مما أدى إلى قيام دولة سلاطين المماليك بدور القوة المدافعة عن العالم الإسلامي ، مما جعل مصر بما فيها الإسكندرية مقصداً للعلماء والفقهاء وطلاب العلم من شتى أنحاء العالم الإسلامي ، ففي المغرب والأندلس أدت حركة الاسترداد الأسباني إلى هجرة الكثير من العلماء المغاربة والأندلسيين إلى مصر وبخاصة الإسكندرية ، والذين قاموا بدوراً هاماً في الحياة الثقافية بها ، وفي المشرق الإسلامي كان الاجتياح المغولي لدول المشرق الإسلامي وسقوط المراكز الثقافية كبخارى وسمرقند والري وترمذ ، وسقوط بغداد أهم مركز ثقافي في العالم الإسلامي وقتئذ واحياء الخلافة العباسية في القاهرة مما جعل مصر قبلة العلماء وكعبة العلم الأمر الذي أفضى إلى هجرة الكثير من علماء تلك البلاد إلى الإسكندرية واستقرت بها أسر عراقية وشامية مما أدى إلى رواج الحياة الثقافية في الإسكندرية .

هذا في الوقت الذي ازدهرت فيه حركة بناء المؤسسات الثقافية في الإسكندرية ، ويأتي على رأسها المدارس والمساجد والربُط والخانقاوات الأمر الذي قوى التيارات الثقافية في الإسكندرية وأدى إلى ظهور العديد من المدارس الفقهية والصوفية بحيث أصبحت الإسكندرية منارة ثقافية في مصر وفي عالم البحر المتوسط في عصر سلاطين المماليك .

وقد قسمت الدراسة إلى سبعة فصول عدا المقدمة والخاتمة ، وتناول الفصل الأول العوامل التي أدت إلى أزدهار الحياة الثقافية في الإسكندرية ، حيث قسمتها إلى عوامل مباشرة كالموقع الجغرافي المتميز والازهار التجاري وكثرة الرحالة إلى الإسكندرية ومشاركة العديد من فئات المجتمع السكندري كولاة المدينة واللاجئين السياسيين وغير مباشرة كسقوط المراكز الثقافية في المشرق والمغرب الإسلامي وقتئذ .

وتناول الفصل الثاني مراكز الثقافة في الإسكندرية الدينية كالمساجد والربُط والخانقاوات والزوايا ، والتعليمية ، كالمدارس ودور الحديث والكتاتيب والمكتبات والبيمارستانات ، والعامة كحوانيت الوراقة ومنازل العلماء والأسواق التجارية .

جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم التـــاريخ

ملخص رسالة دكتوراه

# الحياة الثقافية في الإسكندرية
# في
# عصر سلاطين المماليك

( ٦٤٨ ــ ٩٢٣هــ / ١٢٥٠ ــ ١٥١٧م )

إعداد
سيد محمود محمد عبد العال
المدرس المساعد بقسم التاريخ
كلية التربية بالفيوم جامعة القاهرة

إشراف
الأستاذ الدكتور
محمود إسماعيل عبد الرازق
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب ــ جامعة عين شمس بالكلية

١٤٢٥هــ / ٢٠٠٥م

- The fifth chapter deals with history and the historians .
- The sixth chapter deals with architecture and many other arts .
- The seventh chapter deals with mysticism and the cause which led to spreading it and its different forms like mystical ways , El-Drawish and El zohad .
- The conclusion illustrated to what extent Alexandria enjoys culture and the role that was played by the merchants and governors and political refugees .
- The study illustrated the cultural relations which led to the existence of a European . Arabic dictionary which was called Al Torgman .
- The study assert that Alexandria is considered the first Egyptian city that had schools .
- The study also proved that the stute of sciences was declined and the scientists only cared only about summarizing and explaination .
- It also revealed the progress of architecture and arts which was with great fame distinguished .

- This study deals with the cultural life in Alexandria in the reign of Mamluks sultans , as Alexandria is considered one of the most important cultural centres in Egypt during this time , which are represented in Cairo , Alexandria and Qous . Alexandria witnessed a cultural activist on a large scale because of its excellent location and the trade flourishment which it enjoys , was associated with cultural life in it . Traders shared effectively (fokhaa) in the effectiveness of culture as there were preachers speakers , men of letters , poet, of them besides practicing trade . More over , they built a lot of cultural organizations like mosques and schools and there were a lot of European colonies during this time and this caused a cultural ......with those European . The matter was not only depened on trade but also the stale specialized the out come of taxes with those European . in spending them on the scientists and orators of Alexanderia since the reign of Salah El Din Al-Ayouby . During this time Egypt witnessed a cultural , political and military activity on a large scale because of historic conditions which took place in the Islamic world which lead to the immigration of alot of scientist to Alex and lead to the flourishment of culture there.
- I divided the study into seven chapters Besides, the introduction and conclusion .
- The first chapter deals with the factors which led to the cultural flourishment in Alexandria .
- The second chapter deals with the religions , education and general centers .
- The third chapter deals with the sciences like El Tafser , El-Hadith and Fekeh .
- The fourth chapter deals with the literature in Alexandria which includes poetry , prose and folklore .

**Ain shames university**
**Faculty of Arts**
**History deparment**

# Thesis Abstract
# Cultural life in Alexandria
# In
# The reign of Mamluks sultans

Prepared by
Sayed Mahmoud Mohammed Abd El-aal

Supervision

**Professor : Mahmoud Ismail**
**The professor of History and Islamic Civilization**
**Faculty of Arts – Ain shames university**

**2005**